أكثر من

٣٠٠٠

فائدة تدبرية قرآنية

جعلناه نوراً

جليس الصالحين وأنيس المتهجدين

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب : جعلناهُ نورا
المؤلف : خالد أبو شادي
التجهيز الفني : karam art
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م
المقاس : ١٧ × ٢٤
الناشر : دار الأندلس الجديدة

رقم الإيداع : ١٥٦٥٧ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N
978-977-456-517-4

الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع

newandalus.book@gmail.com

خارطة الطريق

دليل استخدام الكتاب

تدارسه مع أسرتك

جلسة أسرية تتدارس فيها مع أفراد أسرتك شيئًا من كتاب الله، واجعل يوم الجمعة مثلًا لمدارسة سورة الكهف وجني ثمارها.

ارجع إليه في خواطر مسجدك

ما أجمل خواطر القرآن المسجدية! ويمكنك اقتباسها من هذه الفوائد التدبرية، وفي الحديث: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرًا أو يعلمه كان كأجر حاج تامًا حجته». صحيح الترغيب والترهيب رقم: 82

اصحبه في حجك وعمرتك!

خير رفيق لك في الحج والعمرة هو القرآن، وتدبر القرآن أمام الكعبة وفي رحاب المسجد النبوي أعظم وأهم وأسهل.

طالعه في رمضان لتنتفع بختمتك

طالع خواطر كل جزء قبل أن تستمع إليه من إمام مسجدك في صلاة التراويح أو التهجد، وستجد الفارق هائلًا بين ما تدبرته وما لم تتدبره.

انسخ منه على صفحتك!

قال الإمام المنذري: «وناسخ العلم النافع له أجره، وأجر من قرأه، أو نسخه، أو عمل به من بعده، ما بقي خطه والعمل به». الترغيب والترهيب ص 110

إهداء الكتاب

يا غارقًا في بحار الظلمات..
ولاهثًا وراء الأهواء والشهوات..
ما مسستَ كتاب الله من رمضان الذي فات..
وقلبه يوشِك أن يُقال له مات..
أين أنت من أنوار الآيات؟

يا كلَّ أقفال القلوب تحطَّمي!
واستقبلي نور الهداية واسعدي
قد طال ليلك بابتعادك عن هُداه
آن الأوان اليوم حتى ترشُدي
يا ليت كل الباحثين عن الغنى
رأوا الجواهر لامعاتٍ في يدي
سُوَرٌ من القرآن عَمَّ ضياؤها..
تجلو ظلام القلب حتى يهتدي
طوبى لصاحبها بروضة جنةٍ..
بتلاوةٍ بتدبُّرٍ بتهجُّدِ
يا رب بلِّغنا جوار محمد
يا رب غنِّمنا الشهادة في غدِ

مفاتيح التدبر العشرة

1 **الفهم أولا:**
اعرف معنى الكلمات التي تقرؤها من أحد كتب التفسير المعتمدة

2 **شدة الاحتياج:**
لابد من احتياجك لهداية القرآن وأنواره وأنك بدون أنواره من الضالين

3 **القراءة في الصلاة:**
قراءة القرآن في الصلاة وداخل المسجد أجمع للقلب والهمة وأعون على التدبر

4 **القراءة ليلا:**
الليل محل الأعطيات وتنزل البركات وخاصة الثلث الأخير منه

5 **تكرار الآيات:**
تكرار الآية يؤدي بالمعنى إلى الاستقرار وبالتالي إلى الاعتبار

6 **الترتيل وعدم التعجل:**
التأني في القراءة يجعل المعاني في متناول قلبك ليعيها

7 **الجهر بالقراءة:**
رفع صوتك بالتلاوة يجعل قلبك أسمع للقراءة

8 **تحسين الصوت بالتلاوة:**
صوتك الجميل سيتسلل إلى القلب ويسري في الروح

9 **التفاعل مع الآيات:**
دعاؤك بالرحمة عند آيات الرحمة، وسؤال الله الجنة عند آيات الجنة، والتعوذ من النار عند آيات العذاب

10 **التخلص من موانع الفهم:**
وهي الذنوب والكبر واتباع الهوى والتي تشكل حجابًا يحول دون أنوار القرآن للقلب

أنت شريكي في الأجر والنشر..

قال رسول الله ﷺ:
« بلِّغوا عني ولو آية ».
رواه البخاري وأحمد كما في صحيح الجامع رقم:
٢٨٣٧

وقال ﷺ:
« من علَّم آية من كتاب الله عز وجل، كان له ثوابها ما تُلِيَتْ ».
السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٣٥

قال عبد الله بن المبارك:

«لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم».
سير أعلام النبلاء ٨-٣٨٧

قال ابن الجوزي:

"ومن أحب ألا ينقطع عمله بعد مَوته، فلينشر العلم بالتدوين والتعليم". التذكرة في الوعظ ص ٥٥

قال سفيان بن عيينة في قول الله تعالى
﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ مريم: ٣١:
«معلما للخير». جامع بيان العلم ١-٤٩٩

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب].

أما بعد..

فقد يسَّر الله لي أثناء شهر رمضان الماضي إعداد حلقات من حصاد تدبر القرآن، تنزل كل ليلة على صفحتي الشخصية ، وهي خلاصة تفسير وتدبر القرآن في حدود مائة فائدة لكل جزء أو يزيد، ما بين فائدة لغوية، وتوصية عملية، وقول صحابي أو تابعي، وموقف تربوي، وغير ذلك من ألوان الفوائد، وقد حرصت فيها على التنويع كي لا يمل القارئ، ولكي يؤتي الكتاب أُكُله وثمرته، ويحقق مراده باستيعاب قارئه للقرآن وتدبر معانيه، فيكون استماعه لقراءة الإمام في صلاة التراويح أوعى، فيتلذذ بالقراءة، ويجد حلاوة الصلاة، وذلك في رمضان، وبعد رمضان طوال العام أثناء صحبة القرآن.

وكان أن أشار عليَّ بعض الأفاضل والمحبين بأن أجمع هذه المادة في كتاب، كي لا تذهب أدراج الرياح، وتضيع بين آلاف الصفحات، فكان هذا الكتاب (جعلناه نورًا) مع مزيد إضافات وفوائد وتعديلات.

ما هو التدبر؟

تدبَّر الأمر: نظَر في عاقبته، والتدبُّر في الأمر: التفكر فيه، والتَّدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، وأما تدبر القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبُّرِه وتعقُّله.

قال الإمام الزركشي في ما يقتضيه التدبر، وهو يعلِّق على قوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾:

«وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كلِّ آية، ويتأمَّل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه في ما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مَرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرَّع وطلب»(١).

الفارق بين التدبر والتفسير؟

والتدبر لا يحتاج إلا لفهم المعنى العام للآية، وأما التفسير فخاصٌّ بالعلماء، وهو يشمل معرفة أحكام الآيات، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصَّل، وغير ذلك من أحكام القرآن، وهو من القول على الله؛ ولذا تورَّع عنه بعض السلف.

والتدبر واجبٌ على كل مسلم؛ ولذا جاء الأمر في القرآن به دون التفسير، وأما التفسير فواجب بحسب الحاجة إليه في فهم كتاب الله.

ولا ينبغي أن يقدِّم العبد على القرآن شيئًا، مهما كان شريفًا، فإن القرآن سيد الكلام، ومنبع الإيمان؛ ولذا عاب شعبة بن الحجاج على بعض أصحاب الحديث انشغالهم به عن القرآن، فقال يومًا لهم:

«يا قوم! إنكم كلما تقدمتم في الحديث تأخَّرتم في القرآن»(٢).

وهذا تنبيه منه لمن شغلته دراسة الحديث ومسائل الفقه عن القرآن وتدبره، وأنه انشغل بالمهم عن الأهم، فكيف بمن شغله عن القرآن المال والعيال؟!

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٣٦٩- ط الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) سير أعلام النبلاء ٧-٢٢٣ – ط مؤسسة الرسالة

فوائد التدبر!

أولًا: معرفة الله..

ومن فقد هذه المعرفة فجدير أن يُطلِق عليه الناس لقب (أُمِّي)! وقد سبق وأن أطلق عليه هذا اللقب المفسِّر الجليل مُقاتِل بن سليمان، فقال:

«من قرأ القرآن فلم يعلم تأويله فهو فِيهِ أمي»[٣].

وليس أحلى من معرفة الله عن طريق تعريف الله بنفسه وفي أعظم كتبه! فآيات القرآن زاخرة بذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله التي يتعرف من خلالها كل عبد على ربه.

وإذا كانت العبادة هي كمال الحب مع كمال الخضوع، فكيف نحب ربًّا لا نعرفه؟!

وكيف نخضع له ونحن لا نعلم ما أخبر به عن نفسه؟!

إن العبادة تتعلق بالمعرفة، ومعرفة الله سبحانه -كما يرى ابن القيم- نوعان: معرفة إقرار وهي التي اشترك فيها الناس: البر والفاجر والمطيع والعاصي، والثاني: معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به[٤].

والنوع الثاني من المعرفة لا يتأتى إلا بالتدبر في كتاب الله وفهم آياته، وما أجمل كلام ابن القيم عن هذا الكنز، كنز (معرفة الله):

«وقوله [أي أبي العباس]: (معرفة الله جلا نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة) كلام في غاية الحُسْن، فإن من عرف الله أحبه ولا بد، ومن أحبه انقشعت عنه سحائب الظلمات، [وانكشفت] عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب، فإنه لا حزن مع الله أبدًا؛ ولهذا قال [تعالى] حكاية عن نبيه ﷺ أنه قال لصاحبه أبي بكر ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فدلَّ أنه لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه، فما له وللحزن؟ وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأي شيء يفرح؟»[٥].

---

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ١-٢٧- ط دار إحياء التراث - بيروت

(٤) الفوائد ص ١٧٠ - ط دار الكتب العلمية - بيروت

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢٨٠ - دار السلفية، القاهرة، مصر

ثانيًا: حب الجنة وخوف النار:

إن آيات القرآن هي التي غرست في قلوب الصحابة ذكر الجنة والنار كأنهما رأي العين، فامتلأت قلوبهم شوقًا إلى الجنة وخوفا من النار، والرجاء والخوف هما زاد القلب إلى العمل.

وقد شرحت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- دور القرآن في بناء نفسية الصحابة في ما يتعلق بالثواب والعقاب والجنة والنار، فقالت:

«إنما نزل أول ما نزل منه (القرآن) سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنى أبدًا»[٦].

وآيات القرآن زاخرة بعرض مشاهد الجنة والنار ، وما فيهما من لذات وأهوال، وتعرض لصفات أهلها، وما يؤدي إليهما من أعمال، ولا شك أن تدبر هذه الآيات هو خير معين للمؤمن على لين قلبه وتزكية روحه، ومواجهة موجة المادية الطاغية المتسللة اليوم إلى قلوب الجميع، والتي لو لم يتنبه لها المؤمن لاحتلت قلبه، وأغلقت أبوابه أمام أنوار الوحي، فغرِق في الظُّلمة، وأسرف في الضلالة، وما أصدق قول محمد إقبال يصف هذا الصراع الدائر:

هي المدنيَّة الحمقاء ألقت ... بهم حول المفاسد حائرينا
لقد صنَعَتْ لهم صنم الملاهي ... ليحجب عنهم الحرم الأمينا

ثالثًا: طاعة الأوامر واجتناب النواهي:

مِنْ أصدق ما جاء في وصف القرآن أنه رسائل من الله إلى عباده، وعلى كل من استلم الرسالة أن يتدبرها، ويعلم المطلوب منه فيها، ثم ينفِّذها.

ورسائل الله مبثوثة في كتابه، لكن استلامها يحتاج إلى سعي، يبدأ بالقراءة، ويمرُّ بالتدبر، لكن من لم يمس مصحفه ابتداءً كيف يستلم الرسالة انتهاءً؟

ولعل وصف القرآن بالرسائل مأخوذ من قول الله تعالى:

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]

(٦) رواه البخاري عن يوسف بن ماهك رقم: ٤٦٠٩.

قال محمد بن كعب القرظي:

«من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدَّر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله، ويعمل بمقتضاه»(٧).

وكانت هذه هي وصية الصحابي الجليل والغلام المُعلَّم -كما لقَّبه بذلك رسول الله ﷺ- عبد الله بن مسعود ﷺ، فعن ابن أبي حاتم أن رجلًا أتى عبد الله بن مسعود فقال: اعهد إليَّ، فقال له:

«إذا سمعتَ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، فارعها سمعك فإنه خير يُأمَر به، أو شر يُنهى عنه»(٨).

قال أبو حامد الغزالي عند حديثه عما سماه التخصيص : أن يقدر قارئ القرآن الكريم أنه المقصود بكل خطاب ورد فيه ، فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدّر أنه المنهي والمأمور ، وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك.

وبعد سماع القرآن يأتي دور العمل، وبعد تلقي الأوامر يبدأ التنفيذ؛ ولذا أوصانا عمر بن الخطاب ﷺ ألا نغتر بحفّاظ القرآن ولا قُرّائه حتى ننظر أعمالهم ونرقب أحوالهم، فقال:

«لا يغرنكم مَنْ قرأ القرآن، فإنما هو كلام يُتَكَلَّم به، ولكن انظروا من يعمل به»(٩).

رابعًا: قانون التماثل:

ينصُّ قانون التماثل على من فعل نفس الفعل الذي تسبب في إهلاك قوم، هلك، ومن سار في طريق المتقين الذي ساروا فيه نجا، فنفس المقدمات تقود لنفس النتائج، وليس هدف قصص القرآن أن تكون حكايات يطرب لها السامع دون عمل، أو تستخرج صيحات الإعجاب لحلاوة صوت القارئ دون تغيير أو وجل.

إن القرآن اليوم هو قرآن بالأمس، والإنسان هو الإنسان، والشيطان هو الشيطان، والصراع بين الحق والباطل دائر على مر الأزمان، والمواقف متكررة، فما عليك إلا أن تتدبر ما جاء في كتاب الله؛ ليهديك إلى طريق الحق، فتتخذ المواقف الصائبة في

(٧) إحياء علوم الدين ١-٢٨٥ ط دار المعرفة - بيروت.
(٨) من روائع إقبال ص ٣١-٣٢- أبو الحسن الندوي - ط دار الفكر بدمشق.
(٩) اقتضاء العلم العمل ص ٧١ - الخطيب البغدادي - ط المكتب الإسلامي.

الأزمات النازلة، لكن لا بد قبل ذلك

أن تحرَّر النص القرآني من قيود الزمان والمكان، وتخلع عنه النظرة التقليدية بأنه كتاب يتبرك به الناس، ويزينون به بيوتهم دون أفعالهم، ويقرؤونه على الأموات بدلًا من الانتفاع به كدستور حياة.

يقول محمد إقبال منتقدا الاحتفاء الشكلي بكتاب الله:

«إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة! فتُقرأ عليك سورة «يس» لتموت بسهولة. فواعجبا! قد أصبح الكتاب الذي أُنزِل ليمنحك الحياة والقوة، يتُلى الآن لتموت براحة وسهولة»(١٠).

خامسًا: مسؤولية القرآن:

إن قراءة القرآن في تدبر تفرض عليك مسؤولية عظيمة، فالقرآن حجة لك أو عليك، وليس هذا على نطاقك الفردي فحسب، بل يتعداه إلى النطاق الجماعي، فما تلوتَ أو سمعتَ من كتاب الله هو رسالة ربانية عليك أن تبلِّغها، وما كان سفيان الثوري مبالغا حين قال:

«من قرأ القرآن يُسأل عما يُسأل عنه الأنبياء عليهم السلام إلا تبليغ الرسالة»(١١).

وقد استشعر محمد إقبال هذه الأمانة والمسؤولية بشدة، فانطلق يحذِّرك:

«إني لأرعدُ من خزيك يوم يسألك الرسول ﷺ: قد أخذتَ منا كلمة الحق، فلماذا لم تسلِّمها إلى الخلق؟!»(١٢).

وهذا واجبٌ على كل مسلم، أن يكون حاله مثل حال الواعظ الذي أخبر عن الراغب الأصفهاني، فقال:

حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويُبصر ثم يُبَصِّر، ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون كدفتر يفيد ولا يستفيد، وكمَسَنٍّ يشحذ ولا يقطع، بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء، ولها أفضل مما تفيده، وكالنار التي تحمي الحديد، ولها من الحمى أكثر مما تفيد»(١٣).

(١٠) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١-١٩٦ - مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية.
(١١) حلية الأولياء ٧-٢٨١ - ط دار الكتب العلمية.
(١٢) روح الحضارة والثقافة الإسلامية ص ٢٥ - من إصدارات مجلة الأزهر.
(١٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١٨٤ - الراغب الأصفهاني- ط دار السلام بالقاهرة.

لم لا يتصل الناس بالقرآن إلا في رمضان؟!

لماذا تسهل عليهم الأغنيات، بينما تثقل عليهم الآيات؟!

لم تكثر عندنا الختمات ويقل الفهم؟ وتتعدد القراءات ويغيب العمل؟!

لم لا يمثِّل القرآن طاقة تغييرية للإنسان كما كان دومًا على مر الأزمان؟!

لم صار حالنا مع القرآن كما يقول الشيخ الغزالي:

«وتحول القرآن إلى تلاوة منغومة فحسب، يستمع إليها عشاق الطرب، هو الذي جعل اليهود والنصارى يذيعون القرآن في الآفاق، وهم واثقون أنه لن يحيي موتًا!»(١٤).

إن تعامل الكثيرين مع النص القرآن على أنه نص عادي، وليس قانونا إلهيًا فيه أمر ونهي، فيجب أن يُتَّبع أمره، ويُجتنَب نهيه، هو الذي أفقد القرآن تأثيره، وبعث في النفس الملل من قراءته، والملل مؤدٍّ إلى الانقطاع.

وآفة العبادات الملل، وأكثر ما يخنق روح الإيمان الرتابة، ولكي نقضي على هذا الداء فلابد من تدبر القرآن الذي نقرؤه، فالتدبر سيفتح لنا آفاقًا جديدة ومتجددة للمعاني بلا انتهاء، وكلما قرأنا استخرجنا منه لآلئ المعاني التي لم نكن نراها من قبل.

وبين يديك بعض مفاتيح التدبر، يكمّل بعضها بعضًا في الأخذ بيدك إلى أعلى درجات التدبر، وليس الأمر مقصورًا على هذه المفاتيح وحدها فحسب، فقد تجد غيرها بل وأنفع لك منها، وما هي إلا أسباب والنتائج بيد الله وحده، يعطيها من يشاء من عباده، ومن أدام قرع الباب فُتِح له، وإلى هذه المفاتيح:

١- الفهم أولًا:

فهم ما تقرأ وتفسيره مطلوب قبل التدبر، فكيف ستتدبر كلامًا لا تفهم معناه؟ وكان شيخ المفسِّرين أبو جعفر الطبري يقول:

«إني لأعجبُ مَمَنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه، كيف يلتذُّ بقراءته؟»(١٥).

وضرب إياس بن معاوية مثلًا جميلًا معبِّرًا عمَّن يقرأ القرآن دون فهم، ومن يعرف

(١٤) فقه السيرة ص ٦ بتحقيق الالباني ط دار الكتب الحديثة.

(١٥) مقدمة تفسير الطبري ط مؤسسة الرسالة ص ١٠ - أحمد محمد شاكر.

تفسيره وتأويله، فقال رحمه الله:

«مثلُ الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعرفون تفسيره،

كمثل قوم جاءهم كتاب من ملِكِهم ليلًا، وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح، فقرؤوا ما في الكتاب»[16].

وكلما قرأ العبد في كتب التفسير فتح ذلك له أبوابا جديدة للتدبر، وآفاقًا جديدة لتذوق كلام الله وفهم مراده، ذلك أن كتب التفاسير تتنوع، فمن تفسير بالمأثور كأحاديث نبوية وأقوال صحابة وتابعين، إلى التفسير بالرأي، إلى تفسير يعرض لبلاغة القرآن، إلى تفسير موضوعي، وغير ذلك من أنواع التفاسير التي تعين على تدبر كلام الله.

٢- شدة الاحتياج!

كان ابن تيمية يقول:

«من تدبَّر القرآن طالبًا للهدى منه تبين له طريق الحق»[17].

وهذا حق، فمما يعينك على تدبر القرآن أن تشعر أن القرآن هو حبل الله المتصل بهداه، فإن أفلت من يدك ضللت ضلالًا بعيدًا وسقطت سقوطًا مريعًا؛ ولذا كان عليك أن تُقبِل على كتاب الله موقنًا أنه سبيل نجاتك الوحيد، وأنك بدونه غريق بلا طوق نجاة، ويتيمٌ لا يجد من يرعاه، وأن تعلم أن الشيطان سيفترس إيمانك إن غفلت عن الذكر، وسيِّد الذكر القرآن، فيدفعك هذا إلى التمسك بالقرآن قراءة وتدبرًا، والمحافظة عليه كما تحافظ على طعامك وشرابك بل أكثر، إذ إن غاية الطعام والشراب أن يحفظا جسدك وهو فانٍ، وأما القرآن فيحفظ روحك وهي الباقية.

ويدخل في هذا الباب، أن تقرأ كتاب الله بنية البحث عن حلِّ مشكلتك ومفتاح عقدتك، مع اليقين أنك ستجده في كتاب الله إن تدبرت واجتهدت في البحث، وبحسب صدقك في الطلب، يخلف الله عليك بالعِوَض، ويُغدِق عليك العطايا والدُّرَر.

---

(١٦) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٦ - ط دار الكتب المصرية.
(١٧) مجموع الفتاوى ٤-١٣٧.

٣- القراءة في الصلاة:

ولاشك أن الصلاة ببركتها وروحانيتها أجمع للقلب وأعون لك على التدبر، فضلًا عن أن ثواب قراءة القرآن داخل الصلاة أعظم[١٨]، وإذا حضر مع شرف العبادة -وهي الصلاة- شرف المكان -وهو المسجد- كانت الفائدة مضاعفة.

والمسجد محل البركات وموضع الأعطيات الإلهية؛ ولذا فلا عجب في أن حضور القلب فيه أرجى وأيسر.

٤- القراءة ليلًا:

في صحيح مسلم:

«من نام عن حِزْبه أو عن شيء منه؛ فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِب له كأنما قرأه من الليل»[١٩].

والحزب في الحديث ينصرف إلى قيام الليل أو قراءة القرآن، وفيه دليل على شرف قراءة القرآن بالليل!! ولا شك أن الليل هو وقت صفاء البال وقلة الأشغال، ومن هنا قال ابن قتيبة:

«لأن الليل تهدأ فيه الأصوات، وتنقطع فيه الحركات، ويخلص القول، ولا يكون دون تسمعه وتفهمه حائل»[٢٠].

ويشهد لهذا قول الله تعالى:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[المزمل: ٦].

وتفسير ﴿وَطْـًٔا﴾ على بعض الآراء: أشد مواطأة وموافقة بين السمع والبصر والقلب واللسان، لانقطاع الأصوات والحركات.

وعلاقة القرآن بالليل متلازمة، فقد روى النسائي بسند صحيح أن شريحًا الحضرمي ذُكِر عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلَفات عظام سمان؟» قلنا: نعم، قال: «فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خلفات عظام سمان». والخلَفات: الحوامل من الإبل. رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع رقم: ٢٦٦٠.

(١٩) صحيح: رواه مسلم عن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٦٥٦١ .

(٢٠) تفسير الرازي المعروف باسم فتوح الغيب ٣٠-٦٨٥- ط دار إحياء التراث العربي.

«ذاك رجل لا يتوسَّد القرآن»(٢١).

أي لا ينام بالليل ولا يترك حزبه من القرآن، وصوَّر النبي ﷺ من ينام عن القرآن كأنه اتخذ من القرآن وسادة!

وفي هذا إشارة نبوية بليغة على شرف تلاوة القرآن أثناء الليل.

وقد قال الإمام النووي في توضيح أفضل أوقات تلاوة القرآن والمفاضلة بينها:

«اعلم أن أفضل القراءة ما كان في الصلاة، ومذهب الشافعي وغيره أن تطويل القيام في الصلاة أفضل من تطويل السجود وغيره.

وأما القراءة في غير الصلاة، فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة.

وأما القراءة في النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح، ولا كراهية في القراءة في وقت من الأوقات لمعنى فيه.

ويختار من الأيام الجمعة والاثنين والخميس ويوم عرفة، ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، ومن الشهور رمضان»(٢٢).

وما أجمل قول محمد إقبال حين أشار إلى قيمة المناجاة بالليل والأنين بالأسحار:

«كن مثل الشيخ فريد الدين العطار في علمه وذكائه، وجلال الدين الرومي في حكمته، أو أبي حامد الغزالي في علمه وذكائه، وكن مع من شئت في العلم والحكمة، ولكنك لا ترجع بطائل حتى تكون لك أنَّة في السَّحَر»(٢٣).

٥- تكرار الآيات:

قام النبي -ﷺ- بآية واحدة، ولم يجاوزها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨].

ومن فوائد التكرار أن من غفل عن مراد الآية في المرة الأولى، سينتبه له في المرة الثانية أو الثالثة، وبذلك يحضر القلب ويتأثر، ولا شك أن تكرار الآية يجعلها تمس القلب، وتتغلغل فيه، فيتأثر العبد بها، ويستحضر معانيها، والمطلوب منه فيها.

(٢١) صحيح: سنن الترمذي رقم: ١٧٨٣ وقال الألباني: صحيح الإسناد

(٢٢) التبيان في آداب حملة القرآن ١٥٥-١٥٦ - ط دار ابن حزم بلبنان

(٢٣) روائع إقبال ص ٣٧

وأول من تعلم ذلك من النبي ﷺ أقرب الخلق منه وأحبهم إلى قلبه، وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد روى القاسم بن محمد:

«كنتُ اذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة أسلِّم عليها، فغدوت يومًا، فإذا هي قائمة تسبِّح وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدعو وتبكي وتردِّدها، فقمتُ حتى مللتُ القيام، فذهبت الى السوق لحاجتي، ثم رجعتُ فاذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي»(٢٤).

وممن تعلم هذا التدبر كذلك أختها أسماء بنت أبي بكر، فردَّدت نفس الآية بنفس التدبر والإطالة، فعن عباد بن حمزة، قال:

دخلتُ على أسماء وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧].

قال: «فوقفتُ عليها، فجعَلت تستعيذ وتدعو» قال عباد: فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو(٢٥).

٦- الترتيل وعدم التعجل:

المطلوب للمتدبِّر الترتيل في القراءة، لأن المقصود الفهم، والسرعة تحرم العبد من الوقوف على معاني الآيات، فيفوته خير كثير، وقد وصف الله قراءة نبيه فقال: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي برَوِيَّة ودون عجلة..

قال محمد بن الحسين:

«والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين»(٢٦).

وكان هذا نهج الصحابة وأقرب مجلسًا ومكانة من رسول الله ﷺ، فقد قال رجل لابن عباس: إني سريع القراءة إني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال له:

«لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتِّلها أحب إليَّ أن أقرأ كما تقول»(٢٧).

---

(٢٤) صفة الصفوة ص ٣١٩- ط دار الحديث.
(٢٥) مسند ابن أبي شيبة ٢-٢٥ ط مكتبة الرشد الرياض.
(٢٦) أخلاق أهل القرآن ١٦٩.
(٢٧) أخلاق أهل القرآن ١٧٠.

وأتى رجل إلى زيد بن ثابتٍ ﷺ، فقال له:

كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟

فقال زيد: حَسَن، ولأن أقرأه في نِصفٍ (نصف شهر)، أو عَشْرٍ، أَحَب إِلَيَّ، وسلني: لم ذاك؟

قال: فإني أسألك.

قال زيد: لكي أتدبره وأقف عليه[٢٨].

٧- الجهر بالقراءة:

لاشك أن سماع كلمات القرآن بصوتك أدعى لتدبرها وفهمها، فمن قرأ القرآن بصوت عالٍ فقد أسمع نفسه، وصرف عنه الشيطان، وبدَّد الغفلة عن قلبه، والنوم والنعاس عن عينه، على ألا يتأذَّى بارتفاع صوته أحد.

وكانت هذه قراءة عمر بن الخطاب ﷺ كما في حديث أبي قتادة، واسمعوا الحديث كاملًا: عن أبي قتادة أن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر ﷺ يصلي يخفِض من صوته، ومرَّ بعمر بن الخطاب وهو يصلي رافعًا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال: «يا أبا بكر، مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك».

قال: قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله.

وقال لعمر: «مررتُ بك وأنت تصلي رافعا صوتك».

فقال: يا رسول الله، أوقظ الوسنان (الوسنان: النائم غير المستغرق في نومه)، وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ:

« يا أبا بكر، ارفع من صوتك شيئا ».

وقال لعمر:

« اخفض من صوتك شيئًا »[٢٩].

---

(٢٨) «موطأ مالك» كتاب القرآن، باب: ما جاء في تحزيب القرآن (١/ ٢٠١)

(٢٩) صحيح: أخرجه أبو داود رقم: ١٣٢٩، والترمذي رقم: ٤٤٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم: ٣٦٨

٨- تحسين الصوت بالتلاوة:

ومما يعين على التدبر كذلك: تحسين الصوت بالتلاوة، وقد قال النبي ﷺ:
«زيِّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوتَ الحسن يزيد القرآن حُسْنًا»(٣٠).

فالصوت الجميل يتسلل إلى القلب، ويسري في الروح، ويستوي في هذا أن تسمعه ممن تحب أو تسمعه بصوتك، وقد سار النبي ﷺ ليلًا، فسمع أبا موسى الأشعري ﷺ يقرأ القرآن، ويترنم به، فجلس واستمع، وفي اليوم التالي قال له:

«لو رأيتَني وأنا أستمع لقراءتك البارحة يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود».

فقال له أبو أيوب ﷺ: **«لو علمتُ مكانك لحبَّرتُه لك تحبيرًا»**(٣١).

يقول: كانت قراءتي كانت عادية، ولو كنت أعلم أنك تستمع إلي، لزدتُ في قراءتي تحسينا وتجويدا وترتيلا.

٩- التفاعل مع الآيات:

جاء في صفة قراءة النبي ﷺ أنه (يقرأ مترسِّلاً: إذا مَرَّ بآية فيها تسبيح؛ سبَّح، وإذا مَرَّ بسؤال؛ سأل، وإذا مَرَّ بِتَعوُّذٍ؛ تَعَوَّذ).

قال الإمام النووي:

«ويُستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجًا منها، قالوا: ويُستَحب ذلك في صلاة الإمام والمنفرد والمأموم»(٣٢).

وتفاعل القارئ بالتسبيح والسؤال والتعوذ يقضي على رتابة القراءة، ويعين على حضور القلب، ويوصل صاحبه إلى التدبر المنشود.

١٠- التخلُّص من موانع الفهم:

قال تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: [الذاريات: ٩]: أي يُصرَف عن القرآن من صرفه الله لذنوبه وإعراضه عنه..

---

(٣٠) صحيح: رواه الحاكم عن البراء كما في صحيح الجامع رقم: ٣٥٨١.
(٣١) صحيح: صحيح ابن حبان رقم: ٧١٩٧.
(٣٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٩٢- دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

جزاءً وِفاقًا..

وهذا من أهم أسباب عدم انتفاع الكثيرين بالقرآن، فإنك تجد المساجد غاصة بالمصلين في رمضان، ومع هذا لا يغير رمضان ولا القرآن إلا أقل القليل من المصلين، والسبب لعل بعضًا منه أورده ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين:

«أن يكون التالي مُصِرًّا على ذنب، أو مُتَّصِفًا بِكِبر، أو مبتلى بهوى مُطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، ويمنع من تجلي الحق، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة»(٣٣).

وقال الزركشي في كتاب البرهان:

«واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها آكد من بعض»(٣٤).

ومع كل موانع التدبر إلا أن لطف الله ورحمته قد يدرك المسرف على نفسه، ويتسلل إلى قلبه، فيحييه من موته، وقد ذكر الإمام القرطبي أن آية واحدة من القرآن كانت سبب توبة إمامين عظيمين من أئمة المسلمين، فقال رحمه الله:

«وهذه الآية ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الحديد: ١٦]، كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله تعالى.

سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال: كنت يوما مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنت مولعا بضرب العود والطنبور، فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السَّحَر، وأراد سنان يغني، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان- يعني العود الذي بيده- ويقول:

---

(٣٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٥٤-٥٥ ط مكتبة دار البيان بدمشق.

(٣٤) البرهان في علوم القرآن ٢-١٨٠-١٨١ بتصرف يسير- الزركشي المتوفى عام ٧٩٤هـ- ط دار إحياء الكتب العربية.

﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾، قلت: بلى والله! وكسرت العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري.

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلا، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئا يقرأ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾، فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن، فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السابلة، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلا يقطع الطريق، فقال الفضيل: أواه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني!

اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام»[٣٥].

وقبل أن أتركك مع صفحات الكتاب وفوائده التدبرية، لا يفوتني أن أذكّر أن كتاب الله مفتاح مجد المسلمين وعزهم، ورجوعهم إليه هو سبب فك عقدتنا وتفريج كربتنا، وأسوق هنا كلمة الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة تفسيره (المنار):

«لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما ظلم واستبد حكامهم، ولما زال ملكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالة في معايشهم وأسبابها على سواهم»[٣٦].

وقال كذلك رحمه الله في تشخيصه لسبب ضعف الأمة وتخلفها:

«وما ضعف الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر تدبر القرآن، وجعله كالرقى والتعاويذ التي تتخذ للتبرُّك أو لشفاء أمراض الأبدان»[٣٧].

قال ابن تيمية: «وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء: أحدها: تدبر القرآن.

والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق.

والثالث: العمل بموجب العلم»[٣٨].

---

(٣٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ١٧-٢٥٠، ٢٥١ بتصرف يسير- دار الكتب المصرية
(٣٦) تفسير المنار ٥/ ٢٤١- محمد رشيد رضا- طبعة الهيئة المصرية للكتاب
(٣٧) تفسير المنار ٩/ ٤٦٣
(٣٨) مجموع الفتاوي ٣-٣٣٠-٣٣١- ط مجمع الملك فهد

محمد البشير الإبراهيمي :

«إن العالم في عذاب ، وعندكم كنز الرحمة.

وإن العالم في احتراب، وعندكم منبع السّلم.

وإن العالم في غمة الشك، وعندكم مشرق اليقين.

فهل يجمل بكم أن تعطّلوه، فلا تنتفعوا به ولا تنفعوا؟!

أحيوا قرآنكم تحيوا به، حققوه يتحقق وجودكم به، أفيضوا من أسراره على سرائركم، ومن آدابه على نفوسكم، ومن حكمه على عقولكم، تكونوا أطباء ، ويكن بكم دواء»(٣٩).

(٣٩) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ١-٣٦٥ - بتصرف يسير- الناشر: دار الغرب الإسلامي.

الجزء الأول

الفاتحة من الآية ١ إلى البقرة الآية ١٤١

عدد الفوائد ٨٣

١ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]:

قال الإمام البغوي: «الشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد أعم من الشكر، فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدًا».

٢ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٣]:

ولأنه كذلك، فقد أراد لنا الخير أكثر مما نريده لأنفسنا؛ فجعل مفتاح الخير طلب الهداية في كل ركعة من كل صلاة.

٣ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٢-٤]:

في هذه الآيات الثلاث الأولى من سورة الفاتحة يعلِّمنا الله ثلاث عبادات: كيف نحمده؟ وكيف نثني عليه؟ وكيف نمجِّده؟!

٤ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]:

قال رشيد رضا: «إنما قال ﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، ولم يقل مالك الدين؛ لتعريفنا بأن للدين يومًا يمتاز عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يلقى فيه كل عامل عمله ويُوفَّى جزاءه».

٥ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]:

قال ابن القيم: «فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله، وتيسير أسبابه».

٦ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: تبرؤ من الشرك وتدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: تبرؤ من الحول والقوة وتدفع الكبرياء.

٧ لولا الاستعانة بك ما عرفنا كيف نعبدك، ولا قدرنا على عبادتك.

٨ جاءت بصيغة المخاطب بعد أن كان أول السورة بصيغة الغائب، كأن العبد لما حمد ربه وأثنى عليه ومجّده قرَّبه الله منه وأدناه، فكان في غيبَة في أول الأمر، ثم صار حاضرًا بين يديه.

٩ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]:

قال ابن القيم: «أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه الهداية إلى صراطه المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، مع تضمنها: تزكية النفوس، وإصلاح القلوب».

١٠ لاحظ أنك تدعو بالهداية في لحظة من أجلّ لحظات الهداية – وهي الصلاة- فكيف بالغافل العاصي؟! ومع ذلك ينسى أن يسأل ربه الهداية!

١١ تكرار طلب الهداية في قلب أعظم سورة في القرآن، وفي كل ركعة دليل على أن الضلال أقرب إلى العبد من شرك نعله، وأن فرص انحرافنا -مهما استقمنا- كثيرة، واحتمالات ذلك كبيرة.

١٢ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: ٧]:

في الحديث: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضُلّال» صحيح الجامع رقم: ٨٢٠٢.

١٣ كل من عرف الحق فلم يتبعه شابه اليهود والتحق بالمغضوب عليهم، وكلُّ من ضل طريقه في معرفة الحق شابه النصارى والتحق بالضالين.

١٤ جاء في صحيح البخاري: «إذا قال أحدكم آمين، وقالت الملائكة في السماء آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غُفر له ما تقدم من ذنبه». قال ابن المنير: «وأي فضل أعظم من كونه قولًا يسيرًا لا كلفة فيه، ثم قد رتبت عليه المغفرة».

سورة البقرة

15 ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]:
فلا يهتدي بأنوار القرآن غير المتقين؛ لأنهم أطفئوا نور الطاعة في قلوبهم، وآثروا ظلمة الذنب، فكانوا كالعميان!

16 كشف الله سرَّ عدم انتفاع أكثر الناس بالقرآن، فقال: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ٢]، ما أقل من اتقى؛ ولذا .. ما أقل المهتدين!

17 هذه أول صفة مدح الله بها عباده في كتابه، وبها يتمايز الخلق، فأشدهم إيمانًا أعظمهم تصديقًا بالغيب؛ ولهذا سبقنا أبو بكر ﷺ.

18 ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[البقرة: ٣]:
لا تخسر هذه الصفة بكثرة تتبعك لأخبار الإعجاز العلمي التي تؤيد ما جاء في القرآن، بل اجعل شعارك: إن كان قال فقد صدق!

19 ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٣]:
قال أبو العالية: «أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أتفقد من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه وقلت: هو لغير الصلاة أضيع».

20 ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ [البقرة: ٥] :
جاء بلفظ (عَلَىٰ) أي مستعلين بهدايتهم، وذكر الله أهل الضلالة فقال: ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الزمر: ٢٢]. أي منغمسين به.

21 ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: ٨]:
تقييم كل إنسان بأفعاله لا بأقواله.

22 ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[البقرة: ٩]:
قال ابن عرفة: «نفى عنهم الشعور، وهو مبادئ الإدراك، فبنفي مبادئ الإدراك ينتفي كل الإدراك من باب أحرى».

٢٣ ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]:

المريض يجد طعم الطعام على خلاف ما هو عليه، فيرى الحلو مرًّا، وكذلك المنافقون يرون الحق باطلاً والباطل حقًّا!

٢٤ ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠]:

البعض يستعجل نزول عقوبة الله بالمنافقين، وما درى أن أعظم عقوباتهم هي مرض قلوبهم، فكيف بزيادة المرض واشتداده؟!

٢٥ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ * أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ ﴾ [البقرة: ١١، ١٢]:

نادرًا ما يَشعر المفسد أنه مُفسد! ولو شعر بذلك لانحلت المشكلة!

٢٦ ﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة: ١٣]:

من صفات المنافقين احتقار الصالحين فضلا عن المصلحين، والتقليل دومًا من شأنهم.

٢٧ الكِبر من أهم أسباب عدم اتباع الحق، هل فهمتَ الآن لم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر؟

٢٨ ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٤]:

تحذير مهم: بعض الأصحاب شيطان في هيئة إنسان، لكن لا يراه على حقيقته إلا أهل الإيمان.

٢٩ ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِى طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾[البقرة: ١٥]:

لا تتعجب من إملاء الله للمستهزئ بالحق، فإن الله يبغضه؛ لذا يملي له ليزداد إثمًا، فيتضاعف عذابه.

٣٠ ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ ﴾ [البقرة: ١٨]:

وصف المنافقين بأن حواسهم معطلة؛ فالصمم انعدام حاسة السمع عمن كان سميعًا، والبكم انعدام النطق عمن كان ناطقًا، والعمى انعدام البصر عن المبصر؛ لأنهم وإن كانت لهم آذان تسمع، وألسن تنطق، وأعين تبصر، إلا أنهم لا يسمعون خيرًا، ولا يتكلمون بالخير، ولا يبصرون طرُق الخير، ومن كان كذلك كان هو ومن فقد حواسه سواء.

٣١ ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]:

لا يرجعون عن التمسك بنفاقهم، فهم أصحاب مبدأ، لكنه مبدأ باطل! فكيف لا يتمسك أهل الحق بالمبدأ الذي يؤمنون به؟!

٣٢ ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩]:

القرآن هو الصيب الذي ينزل من السماء، والقرآن يحيي الله به القلوب فهو مثل المطر، ينتفع به المؤمنون، وأما المنافقون فينتفعون ببعضه ولا ينتفعون ببعضه، فانتفعوا بما أظهروا من إيمان، فجرَت عليهم أحكام أهل الإسلام، فهذا النور هو الذي انتفعوا به.

٣٣ ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ [البقرة: ١٩]:

قيل إن رعد القرآن: زواجره التي تخيف، وبرق القرآن: أنواره ومنافعه التي نالت المنافقين بعصمة دمائهم وأموالهم، وأما الظلمات فهي الشكوك التي تنتاب المنافقين من قراءة القرآن؛ وجَعْلُ أصابعهم في آذانهم هو تخوُّفهم وحَذَرُهم من فضح نفاقهم، وكراهيتهم لتكاليف الشرع من الجهاد والزكاة.

٣٤ ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]:

وقال بعدها: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾ [البقرة: ٥٨]، وكلتا الآيتين في البقرة، فقدَّم الرغد في الأولى لأنها في قصة آدم وهذا في الجنة، وأخرها في الثانية لأنها في بني إسرائيل وهذا في الدنيا ، ورغد الجنة مقدَّم على رغد الدنيا.

٣٥ ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ [البقرة: ٤٤]:

بعض من (يتلو الآيات) يخاطب بها الناس، وينسى نفسه!

٣٦ ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]:

قد ينفد زاد الصبر؛ لذا أمرنا الله أن نستعين بالصلاة الخاشعة لتعين الصبر وتقويه.

٣٧ ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]:

كثيرًا ما نوصي من أصيب بمصيبة أن يصبر، لكن ننسى أن نوصيه بقرينة الصبر وهي الصلاة ، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع للصلاة.

٣٨ ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]:

خفَّت عليهم عظائم الأمور بخشوعهم في الصلاة، فالخشوع قوة!

٣٩ ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]:

الصلاة ثقيلة على كل من لم يخشع فيها، وأكثر ما يجلب الخشوع فيها اليقين باليوم الآخر.

٤٠ ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]:

تأمل: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾. عند اشتداد الظلم لا يشفي غيظ المظلوم إلا رؤية مصرع من ظلمه.

٤١ ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]:

قال ابن كثير: «لا تقابلوا النعم بالعصيان فتُسلَبوها».

٤٢ ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]:

ذل الأمة عقوبة لها على ابتعادها عن دينها، فالله يعز الطائع ولو كان ضعيفًا، ويذل العاصي ولو كان قويًّا.

٤٣ ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ﴾ [البقرة: ٦٨]:

الفارض: المسِنَّة التي لا تلِد، والبِكْر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط.

٤٤ ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]

للألوان المبهجة أثر على النفوس، فلوِّن حياتك بألوان الفرح.

٤٥ ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]:

ما تكتمه في صدرك سيخرجه الله لا محالة، فزيِّن باطنك كما زيَّنت ظاهرك.

٤٦ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]:

قست قلوبهم بعد أن رأوا معجزة إحياء الله لقتيل بني إسرائيل، والدرس: لا تأمن قسوة القلب بعد اليقظة.

٤٧ ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٤]:

حجر سقط من رأس جبل من خشية الله، فكان ألين من كثير من القلوب القاسية!

٤٨ ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]:

قال ابن تيمية: «ذلك متناولٌ لمن ترك تدبر القرآن، ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه!».

٤٩ ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]:

للناس كلِّ الناس، ولو كان غير مسلم! قال ابن عباس: «لو قال لي فرعون خيرًا، لرددت عليه مثله».

٥٠ ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة:٨٣]:

قدَّم القول الحسن على الأمر بإقامة الصلاة!

٥١ ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[البقرة: ٨٥]:

جعل الله الخزي مصير من آمن ببعض الكتاب وترك بعضه، ونفس العذاب كان من نصيب فرعون ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

٥٢ ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣]:

عالج هواك في أوائله قبل أن يتغلغل، فإذا تغلغل تشرَّبه القلب، وعَمِيت البصيرة.

٥٣ تذكَّر أن من الفتن والمعاصي ما تمر عليه مرور الغافلين، فيتشربها قلبك دون أن يشعر، فيغذِّي بها جوارحك.

٥٤ ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ [البقرة:٩٣]:

الإيمان سلطة نافذة تأمر وتنهى، وليس مجرد مشاعر باردة لا تغيِّر سلوكًا، ولا تشفي قلبًا.

٥٥ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥]:

قال ابن رجب: «فدلَّ على أنه يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مُريب».

٥٦ ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦] :

حياة .. أي حياة، فاليهود يحرصون على أي حياة، ذليلة كانت أو كريمة، أهم شيء ألا يموتوا.

٥٧ ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة:٩٦] :

ليس طول العمر محمودًا دومًا، بل هو مذموم إن كان سبيلًا للاستزادة من المعاصي.

٥٨ ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [البقرة:٩٧]:

نزل على القلب ليتدبره القلب، فهل استقبلنا آيات القرآن (بقلوبنا)؟!

٥٩ ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ [البقرة:١٠٢]:

قال ابن الجوزي: «الدنيا أسحر من هاروت وماروت، فإن هاروت وماروت يُفرِّقان بين المرء و زوجه، وأما الدنيا فإنها تفرق بين العبد وربه».

٦٠ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ [البقرة:١٠٤]:

سبب نزولها:

كان المسلمون يقولون: راعنا يا رسول الله، يعنون المراعاة، وكانت هذه اللفظة سبًّا قبيحًا بلغة اليهود، من الرعونة التي هي الحمق، أو يقصدون بها جعله راعيًا من رعاة الغنم، فلما سمعتها اليهود اغتنموها وقالوا فيما بينهم: كنا نسُبُّ محمدًا سرًّا فأعلنوا له الآن بالشتم، فكانوا يأتونه ويقولون: راعِنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ - وكان يعرف لغتهم- فقال لليهود: عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده يا معشر اليهود لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها ؟ فأنزل الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَٰعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ .

٦١ ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ [البقرة:١٠٤]:

أي انتظرنا وتأنَّ حتى نفهم عنك، فهذه كلمة أفضل من الكلمة التي اتخذها اليهود ذريعة لسب نبيكم ﷺ.

٦٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ [البقرة:١٠٤]:

هذا أول نداء في القرآن لأهل الإيمان بترتيب المصحف، وفيه أربع فوائد: نهي عن التشبه بالكفار وخاصة اليهود، وإرساءٌ لقاعدة سدِّ الذرائع، وتوجيه لأدب جميل باستعمال أحسن الألفاظ، وتوفير البدائل لما نهى الله عنه.

٦٣ ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ [البقرة:١٠٤]:

راقِب ألفاظك! في الآية الكريمة إرشاد لطيف إلى أن يتجنب الإنسان في مخاطباته الألفاظ التي توهم المستمع بالجفاء أو الانتقاص من قدره.

٦٤ ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ ﴾ [البقرة:١٠٩] :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كل الناس مني في حِلّ». أراد ألا يُعذَّب أحدٌ بسببه.

٦٥ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٠]:

تجد بعد مشاق الحياة وآلام الموت وأهوال القبر وأحداث البعث وفزع القيامة عملك الصالح، حفظه الله لك حتى يأخذ بيديك، فيوصلك إلى مقعدك في الجنة.

٦٦ ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [البقرة:١١٨]:

كم من مختلفين في (الشكل) وهم متشابهون في (القلب)؟!

٦٧ تشابه الظاهر من تشابه الباطن ووحدة المشاعر.

٦٨ ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾ [البقرة:١٢٠]:

لاحظ تكرار النفي؛ وذلك لأن رضا اليهود غير رضا النصارى، فلو صادفت رضا اليهود فلن ترضى عنك النصارى، ولو صادفت رضا النصارى فلن ترضى عنك اليهود.

٦٩ ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾[البقرة:١٢١]:

قال مجاهد: «يعملون به حق عمَلِه».

٧٠ وذلك باشتراك اللسان والعقل والقلب، فاللسان يرتّل، والعقل يتدبر، والقلب يلين ويخشع.

٧١ ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[البقرة: ١٢٤]:

قال الحسن: «ابتلاه الله بذبح ولده فصبر على ذلك، وابتلاه بالكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك، وعرف أنّ ربه دائم لا يزول، ثم ابتلاه بالهجرة من وطنه فخرج مهاجرًا إلى الله، ثم ابتلاه بالإلقاء في النار فصبر».

٧٢ ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قال السيوطي: «جمعت الخبر والطلب والإثبات والنفي والتأكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد».

٧٣ ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قال ابن عاشور: «وإنما قال إبراهيم: ومن ذريتي، ولم يقل وذريتي؛ لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يُقتَدى بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل عادة؛ لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء».

٧٤ ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]:

قال شيخ المفسرين الإمام الطبري: «هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إمامًا يقتدي به أهل الخير».

٧٥ قال ابن خويز منداد: «الظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكمًا ولا مفتيًا ولا شاهدًا ولا راويًا».

٧٦ ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦]:

لكنه قال في [إبراهيم: ٣٥]: ﴿هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾: قال الإمام السيوطي: «لأن الأول دعا به قبل مصيره بلدًا عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو وادٍ، فدعا بأن يصير بلدًا، والثاني دعا به بعد عودته وسكنى جُرْهُم به ومصيره بلدًا، فدعا بأمنه».

٧٧ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧]:

قاما بأعظم عمل وهو بناء الكعبة، ثم دعوا الله أن يتقبل منهما! فلا يغرنك عملك مهما عظم، وسل الله القبول.

٧٨ ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨]:

يفرغان من أعظم طاعة ثم يسألان الله التوبة، فكيف بالمذنبين؟!

٧٩ ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]:

الحياة على الإسلام نعمة، والموت على الإسلام توفيق.

٨٠ ﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي﴾ [البقرة:١٣٣]:

لم يشغل الموتُ الوالدَ عن هموم التربية!

٨١ ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ [البقرة: ١٣٨]:

تأمَّل كلمة الصبغة، وكأن المطلوب أن يتغلغل الإيمان في كل ذرات حياتك ويصبغ كل تفاصيلها.

٨٢ ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٨]:

أي دين الله، سماه صبغة؛ لأن أثر الدين يتغلغل في خلايا المؤمن كلها كما يتخلل الصبغ في خيوط الثوب.

٨٣ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠]:

بعض الناس يظن أن كتمان الحق ليس عملا، فلا يؤاخذه الله به، وهذه الآية تبدِّد هذا الوهم.

من روائع المتدبرين

قال الشيخ ابن ظفر المكي: «بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي لما تحفظ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل: ١، ٢]، قال لأبيه: يا أبت من الذي يقول الله له هذا؟ قال: يا بني .. ذلك النبي ﷺ، قال: يا أبت ما لك لا تصنع كما صنع النبي محمد ﷺ؟ قال: يا بني .. إن قيام الليل خُصِّص به ﷺ، وبافتراضه عليه دون أمته.

فسكت عنه فلما تحفظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال: يا أبت .. إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الطائفة؟ قال: يا بني .. هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. قلت: يا أبت فأي خير في ترك ما عمله الرسول ﷺ وأصحابه؟ قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويتوضأ ويصلي، فاستيقظ أبو يزيد ليلة فإذا أبوه يصلي فقال: يا أبت .. علِّمني كيف أتطهر وأصلي معك، فقال أبوه: يا بني ارقد فإنك صغير. قال: يا أبت إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك فأبى وقال لي: ارقد فإنك صغير بعد.. أتحب هذا؟ فقال أبوه: لا والله يا بني .. ما أحب هذا، وعلَّمه فكان يصلي معه».

أنباء نجباء الأبناء ص ١٥٠-١٥١ - ابن ظفر المكي

الجزء الثاني

سورة البقرة من الآية ١٤٢ إلى الآية ٢٥٢

عدد الفوائد ١١٣

٨٤ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] :

قال الحسن البصري: «ضاع هذا الدين بين الغالي فيه والجافي عنه». الغالي صاحب إفراط، والجافي صاحب تفريط.

٨٥ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [البقرة:١٤٣] :

حياتك مليئة بالاختبارات الإلهية، ونجاحك فيها مرهون باتباع تعليمات الرسول ﷺ.

٨٦ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣] :

رحيمٌ بالناس جميعا، بالمؤمن والكافر، والبر والفاجر، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالرحمة لا تكون إلا للمؤمن: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٣، ٤٤].

٨٧ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣]:

ما ضاع عند الناس لا يضيع عند الله.

أي صلاتكم، وعبَّر عن الصلاة بالإيمان، فمن ترك الصلاة فماذا تبقى لديه من إيمان؟!

٨٨ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة:١٤٤]:

قد يحقق الله بعض أمانيك حتى قبل أن تدعو بها، وهذا من كمال لطفه وعظيم رحمته.

٨٩ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤]:

إذا ضاقت بك الأرض فأطلِق بصرك نحو السماء، وعلِّق قلبك بمن لا يُقلِقه النداء، ولا تنفد خزائنه من العطاء.

٩٠ ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨]:

لا بد للإنسان في الحياة من وجهة، يسير نحوها، ويبذل وسعه وطاقته لتحقيقها، فحدِّد وجهة توصلك إلى الجنة، وحذارِ مما يسوق إلى النار.

٩١ ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٤٨]:

الدنيا مضمار سباق، فبادر بالتكبيرة الأولى والصف المقدَّم في كل عمل صالح، فالسابق اليوم إلى الخيرات هو السابق غدًا على أبواب الجنات.

٩٢ ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٤٨]:

استدعاءٌ للمساءلة، كفيلٌ بأن يجعل كل واحد منا يراجع نفسه مع كل عمل، استعدوا جميعًا لذلك اليوم.

٩٣ ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ [البقرة:١٥٠]:

علاج الخوف من الناس في إحياء الخوف من الله، ومن خاف الله حقا لم يخف من الخلق.

٩٤ ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٠]:

أعظم النِّعم وأتمُّها هي نعمة الهداية.

٩٥ ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة:١٥٢]:

هل تشعر بالإهمال، وأنه لا يوجد من يهتم بك؟! ما رأيك لو اهتم بك رب العالمين؟ وذكَرك في الملأ الأعلى في أعلى عليين.

٩٦ أبشر.. اسمك الآن يتردد في الملأ الأعلى!

٩٧ في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: عبدي .. إذا ذكرتني خاليًا ذكرتك خاليًا، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكبر».

٩٨ قال ثابت البناني: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل، ففزعوا من ذلك، وقالوا: كيف تعلم ذلك؟! فقال: إذا ذكرته ذكرني: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾.

٩٩ اذكره على وجه الأرض.. ليذكرك فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض .. ذكرك له محدود، وذكر الله لك غير محدود!

١٠٠ ما الهمُّ الذي سيصيبك، وهو يذكرك؟!

ما المكروه الذي سيلحق بك، وهو يذكرك؟!

ما الخوف الذي يقلِقك وهو يذكرك؟!

١٠١ ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]:

كثرة ذكر الله علامة من أهم علامات الشكر.

١٠٢ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]: لكل من أثقلته الهموم وأحاطت به الغموم، كيف تستوحش والله تعالى معك إن صبرت؟!

١٠٣ ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٦]:

هم لله يفعل بهم ما شاء، فهم مِلكٌ لربهم، والمالك لا يضيِّع ما ملك.

أكثر الناس يقولون عند المصيبة: لا حول ولا قوة إلا بالله ، والأولى أن يسترجع العبد عندها كما أمره ربه: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

١٠٤ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦]:

لا يطفئ نار الأحزان في قلبك مثل اليقين بثواب الله عند الرجوع إليه، فهو الذي يجازي عباده بمثاقيل الذر، وإن تكُ حسنة يضاعفها.

١٠٥ ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧]:

قال الراغب الأصفهاني: «الصلاة وإن كانت في الأصل الدعاء، فهي من الله البركة على وجه، والمغفرة على وجه، وإنما قال: ﴿ صَلَوَاتٌ ﴾ على الجمع تنبيهًا على كثرتها منه، وإنها حاصلة في الدنيا توفيقًا وإرشادًا، وفي الآخرة ثوابًا ومغفرة».

١٠٦ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[البقرة:١٥٩]:

من أسباب تنزل اللعنات كتمان الحق خاصة من العلماء!

١٠٧ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾[البقرة:١٦٠]:

تأمل ﴿وَبَيَّنُواْ ﴾؛ لأن بعض من يتوب يتهيب أو يخجل من إعلان توبته.

١٠٨ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ..﴾[البقرة: ١٦٥]:

هذه مسابقة الحب الحقيقي التي لا يتقدَّم لها إلا المؤمنون.

١٠٩ أبشروا يا أحباب، ففي الحديث أقسم النبي ﷺ-وهو الصادق المصدوق من غير قسم-: «والله .. لا يُلقي الله حبيبه في النار».

١١٠ من طرق الوصول لمحبة الله أن تحافظ على هذا الدعاء: (اللهم إني أسألك حبك، وحُبَّ من يحبك، وحب عمل يقرِّبني إلى حبك).

١١١ قال الإمام القرطبي:« أحبهم الله تعالى أولًا، ثم أحبوه ، وَمن شَهِد له محبوبه بالمحبة كانت محبته أتم».

١١٢ كيف وصلوا لتلك المحبة؟! أرشدك الله إلى سِكَّة من هذه السِّكك في قوله: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).

١١٣ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[البقرة: ١٦٨]:

المعصية باب مغلق، من فتحه دخله، ومن دخله وقع في الحرام، فاحرص على دحر الخطوة الأولى دومًا.

١١٤ الخطوة هي أقصر مسافة، لكن فيها الهلاك، فمشوار الألف ميل بعيدا عن طريق الحق يبدأ بخطوة.

١١٥ لاحظ .. خطوات، فالخطوة ستتبعها الخطوة ؛ لأن الشيطان لحوح ذو إصرار! فالحذر من الاستصغار الذي يقود إلى الاستمرار.

١١٦ ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]:

قال ابن القيم: «الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبّه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره».

١١٧ ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]:

قيل: سبب تقديم المغفرة على الرحمة أن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

١١٨ ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]:

قال قتادة: «والله ما لهم عليها مِن صبْر، ولكن: ما أجرأهم على العمل الذي يقرّبهم إلى النار!».

١١٩ ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧]:

كثير من الناس يغفل عن الصدقة على الأقارب، مع أن ثوابها مضاعف، ففي الحديث: «صدقة ذي الرحم على ذي الرحم صدقة وصلة» صحيح الجامع رقم: ٣٧٦٣.

١٢٠ ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]:

قال السيوطي: «معناه كثير ولفظه قليل؛ لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتِل كان ذلك داعيًا إلى ألا يُقدِم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياة لهم، وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل) بعشرين وجهًا أو أكثر».

١٢١ ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٨٢]:

والجنف الجور من غير تعمد، والإثم هو الجور المتعمد، وذلك بتفضيل من لا يستحق التفضيل في الميراث على غيره المساوي له أو الأحق منه، فينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها، أن ينصح الموصي بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهاه عن الجور والجنف.

١٢٢ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٨٣]:
إنْ لم يَزِدْ صيامك في تقواك، فما هو غير إنهاكٍ لِقواك.

١٢٣ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:١٨٣]:
هذه الأمة امتداد للمؤمنين من الأمم السابقة، وأُخُوَّتنا لهم ثابتة بموجب هذه الآية.

١٢٤ ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة:١٨٤]:
قالها الله سبحانه في سياق تسلية المؤمنين وتخفيف معاناة الصوم عليهم، هوِّنها تَهُنْ!

١٢٥ الشهر قصير لا يحتمل التقصير، وقدومه عبور لا يقبل الفتور، فالسباق السباق قولًا وفعلاً .. حذِّروا النفس حسرة المسبوق!.

١٢٦ ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ ﴾[البقرة:١٨٥]:
الله أكبر.. من كل آلامنا وأوجاعنا ومخاوفنا وجراحنا؛ ولذا نكرِّرها كل يوم عشرات المرات في صلواتنا.

١٢٧ ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾[البقرة: ١٨٥]:
قال ابن عباس: «حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يُكبِّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم».

١٢٨ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ١٨٦]:
الله قريب، فالبُعْد إذن منك أيها العبد البعيد!

١٢٩ ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ١٨٦]:
كلمتان تشكِّلان أعظم صمام أمان من كل المخاوف والأخطار.

١٣٠ لك الحمد على قربك، ومني الخجل على ابتعادي عنك.

١٣١ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦]:
والسؤال: هل أنت من عباده حقًّا؟!

١٣٢ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة: ١٨٦]:

ما أقرب الرب وأبعد العبد (إذا غفل عن الدعاء)!

١٣٣ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦]:

لم يستثنِ دعوة واحدة من الإجابة، فمهما كبرت آلامك وآمالك وعظمت طموحاتك، فالله هو المجيب!

١٣٤ قال الرازي: «الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضًا، إما إسعافًا بطلبته التي لأجلها دعا، وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء فإنه يُعطَى سكينة في نفسه، وانشراحًا في صدره، وصبرًا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يُعدَم فائدة، وهو نوع من الاستجابة».

السكة المختصرة! ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي (قَرِيبٌ)﴾[البقرة:١٨٦]:

ضع جبينك على الأرض، وستكون أقرب ما تكون إلى السماء!

---

١٣٥ ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ ﴾[البقرة: ١٨٦]:

جاءت بين آيات الصيام، إشارةً إلى أن للدعاء مزية خاصة في شهر رمضان.

١٣٦ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا ﴾[البقرة: ١٨٦]:

استجابة الرب بحسب استجابة العبد..أي شرف هذا ؟ وأي فضل؟!

١٣٧ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[البقرة: ١٨٧]:

أنتما لباس لبعضكما، فحين تطعن في زوجتك، فإنما تكشف سترك وتفضح نفسك.

١٣٨ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[البقرة:١٨٧]:

لما نزلت الآية، قال له عدي: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عقالا أبيض وعقالًا أسود، فقال ﷺ: «إن وسادك إذن لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل».

١٣٩ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[البقرة: ١٨٧]:

الهروب من مقدمات الذنب من أهم أسباب النجاة.

١٤٠ قال ابن عمر: «إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها».
وقال ميمون بن مهران: «لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال».

١٤١ ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٨٨]:
كلمة (وَتُدْلُوا۟) تبين أن اليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السفلى، مع كون الحكام الذين تُلقى إليهم الأموال في المكانة العليا لا السفلى، فجاءت لتعبِّر عن دناءة المرتشي ولو كان في الذروة من حيث المنصب وموقع المسئولية.

١٤٢ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[البقرة: ١٨٩]:
قال البراء رضي الله عنه: «نزلت هذه الآية فينا. كانت الأنصار إذا حَجّوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبَل بابه، فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ..﴾[البقرة:١٨٩]».

١٤٣ ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[البقرة:١٨٩]:
في الأمر بإتيان البيوت من أبوابها إشعار بأن كل ما يُفعَل باسم الدين وليس عليه دليل أو شاهد فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة.

١٤٤ ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[البقرة:١٩١]:
ليس المقصود بالفتنة هنا النميمة وإثارة النزاعات، بل المقصود بها هنا الكفر.

١٤٥ ﴿ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) ﴾ [البقرة:١٩٤]:
عند استيفاء الحقوق، تكون النفوس مشحونة؛ لذا أمر الله بالتقوى ليحميها من الظلم، ويعصمها من الزلل.

١٤٦ ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١٩٤]:
الآية تبيح لمن اعتُدي عليه أن يرد العدوان مع ثلاثة ضمانات: أن يكون الاعتداء

(مثل) ما وقع عليه لا أزيد منه، وأن يتقي الله فلا يتجاوز الحدَّ في انتصاره لنفسه، وأن يتذكر أن الله مع المتقين ترغيبا له في العدل وعدم التجاوز.

١٤٧ ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[البقرة:١٩٤]:

سمّاه اعتداءً، وكان حقه أن يسمى: جزاءً، لأن لفظ الجزاء يغري المظلوم بالتمادي، وأما لفظ الاعتداء فيُشعِر من يباشر حقه في الرد على مَن ظلمه، أنه يباشر اعتداء، فيكف ولا يتجاوز حدَّه.

١٤٨ ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥]:

المقصود بالتهلكة في هذه الآية -عكس ما يتبادر لأذهان الكثير- هو ترك الجهاد في سبيل الله، وعدم الإنفاق.

١٤٩ ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦]:

لله وحده! فلا حاجة للناس بمعرفة تفاصيل حجتك وألوان طاعتك!

١٥٠ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ١٩٧]: عِلْمُ الله بطاعتك من أعظم ما يهوِّنها عليك، ويجعلها أخف على البدن، وألذّ للقلب.

١٥١ ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾[البقرة: ١٩٧]:

كلما تزودت لسفر دنيوي تذكر أنك في انتظار سفر أهم، بل وعليه مدار نجاتك من العذاب الأخروي وفوزك الأبدي.

١٥٢ المقصود في الآية تزود الحجيج بالماء، لكن الله ذكر معه الزاد الأهم: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة:١٩٧]؛ لأن دنيا المؤمن لا تلهيه، وإنما تذكّره بالآخرة وتُزكّيه.

١٥٣ ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]:

تتزود لسفر الدنيا، وتأخذ فيه معك ما يكفيك ويفيض، ثم تنسى التزود لآخرتك! وهي الرحلة الأهم ودار الخلود والأبد!

١٥٤ فإذا رأيت الناس قد افتخروا بالعقار والدولار، فافتخر بين يدي ربك بتقواك وقد اجترأ على محارمه الفجار، وأطعته حين عصوه، وحفظتَ ما ضيَّعوا.

١٥٥ ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة:١٩٨]:

تذكُّر الضلال الذي كنت عليه قبل هدايتك، والجهل الذي سبق علمك، كفيلٌ بأن يكسر حاجز الغرور في نفسك، ويمنعها من الزيغ.

١٥٦ ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[البقرة: ١٩٩]:

كل العبادات تُختَم بالاستغفار، ومنها الحج؛ لأن الإنسان جُبِل على النقص والتقصير، فيرقّع ذلك بالاستغفار.

١٥٧ سُئل الحسن البصري: ما علامة حب الله ؟ قال: «أن يذنب العبد، فيلهمه الاستغفار».

١٥٨ ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠]:

تنقضي الشعائر، وترحل مواسم الخير، ويبقى ذكر الله الشعيرةَ الخالدة التي لا تنقطع؛ لشرف الذكر ومكانته.

١٥٩ في صحيح البخاري ومسلم: «كان أكثر دعوة يدعو بها: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ٢٠١]».

١٦٠ ﴿أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة: ٢٠٣]:

مهما شقَّت عليك الطاعة، فما تلبث مشقتها أن تنقضي، ويبقى ثوابها وأجرها إلى أن يُتحِفَك يوم الجزاء.

١٦١ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[البقرة: ٢٠٣]:

ختم الله بها آيات الحج، أي حشَرَكم في الحج باختياركم، لكنه يحشركم غدًا رغمًا عن أنوفكم، فحشر اليوم الاختياري، عليه أن يذكِّركم بيوم الحشر الأكبر الإجباري.

١٦٢ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[البقرة:٢٠٤]:

ليست طلاقة اللسان دائمًا محمودة، فأحيانا ما تُخفي وراءها سوء السريرة وخبث الباطن.

١٦٣ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ ﴾ [البقرة:٢٠٤]:

العبرة دائمًا بالأفعال لا بالأقوال!

١٦٤ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾[البقرة: ٢٠٦]:

قال ابن مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يُقال للعبد: اتقِ الله، فيقول: عليك بنفسك (خلّيك في حالك!).

١٦٥ ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾[البقرة:٢٠٨]:

ادخلوا في الإسلام بكل نواحيه، ولا تأخذوا من الدين ما يروق لكم، وتتركوا ما سواه، فلا تتخيَّروا على ربكم.

١٦٦ الإسلام بجميع تكاليفه، فلا تتركوا تكليفا واحدًا يشذُّ منكم.

١٦٧ خذوا الإسلام كاملا ولا تقسّموه! ولا تتركوا حكمًا من أحكام الدين دون أن تعملوا به.

١٦٨ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ ﴾[البقرة:٢١٤]:

الأوجاع طريق الجنة.

١٦٩ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾[البقرة:٢١٤]:

ما الفرق بين البأساء والضراء؟! قال أبو الهلال العسكري: «إن البأساء ضراء معها خوف، وأصلها البأس وهو الخوف، يُقال: لا بأس عليك، أي لا خوف عليك، وسُمّيت الحرب بأسًا لما فيها من الخوف».

١٧٠ ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]:

حين تثور أسئلة استبطاء الفرج في داخلك، فاعلم أن الفرَج قريب.

١٧١ ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]:

قال ابن القيم: «فإن العَبْد إذا علم أن المكْرُوه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه لم يأمَن أن توافيه المضرَّة من جَانب المسرَّة، وَلم ييأس أن تأتيه المسرة من جَانب المضرَّة؛ لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم مِنْهَا ما لا يعلمه العَبْد».

١٧٢ قد لا يرجح ميزان حسناتك، ولا يستقيم دينك إلا بعد معاناة البأساء والضراء.

١٧٣ فلربما اتسع المضيق .. ولربما ضاق الفضا
ولرُبَّ أمرٍ محزن .. لك في عواقبه رضا

١٧٤ ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]:

مصيبة تقبل بها على الله خيرٌ من نعمة تلهيك عنه.

١٧٥ قال ابن عقيل: «تستبطئ الإجابة من الله تعالى لأدعيتك في أغراضك التي يجوز أن يكون في باطنها المفاسد في دينك ودنياك، وتتسخَّط بإبطاء مرادك مع القطع على أنه سبحانه لا يمنعك شحًا ولا بخلاً ولا نسيانًا، لكن إنما أخَّر رحمة لك وحكمة ومصلحة، وقد تقدَّم إليك بذلك تقدمة، فقال سبحانه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾».

١٧٦ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]:

كل أقدار الله خير، سواء طابت بها رُوحك أو ضاقت.

١٧٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]:

يمتحن الله إيمانك بأن يأمرك بهجر ما تحب، كما امتحن أحب خلقه إليه بالهجرة من ديارهم التي يحبون.

١٧٨ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]:

مهما أخفيت من نواياك، فالله أعلم بخفاياك.

١٧٩ ﴿وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢١]:

مهما تعددت دواعي (الإعجاب) بين الناس، فلا شيء يعدل الإعجاب بالإيمان!

١٨٠ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]:

وليست التوبة إلا بعد ذنب، فالذنب إذن ليس نهاية المطاف ولا خاتمة القصة! اسطر بعملك النهاية السعيدة!

---

١٨١ ندمُك على الذنب يوجع قلبك؛ لذا عوَّضك الله عن الألم بهذا الحب؛ ليخفِّف عنك!

١٨٢ ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]:

قوامة الرجل قد تتحول إلى تسلط وتحكُّم، إلا إذا تذكَّر الزوج عزة الله وقدرته، وهذا سر ختم الآية بصفة العزة.

١٨٣ ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]:

سمى القرآن الطلاق تسريحًا لا ترغيبًا فيه، وإنما ترغيبًا في حُسن المعاملة، لأن التسريح في الأصل: الإرسال للمرعى، ففيه حث للأزواج عند الطلاق أن يُحسنوا معاملة زوجاتهم، وأضاف لاستعمال لفظ ﴿تَسۡرِيحُۢ﴾ شرط أن يكون ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾.

١٨٤ ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ﴾ [البقرة: ٢٣٣]:

ليس الفصال هنا الطلاق؛ بل الفصال هو فطام الصبي عن الرضاعة.

١٨٥ فطام الطفل يرجع فيه القرار للمشورة بين الزوجين، فكيف بغيرها من القضايا؟!

١٨٦ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ [البقرة: ٢٣٤]:

وجبت العدة عليها وإن لم يدخل بها زوجها، وفاء للزوج المتوفَّى ومراعاة لحقه.

١٨٧ ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]:
إشارة إلى حرمة عقد النكاح على المعتدة في حالة العدة، وفساد هذا العقد إذا تم ووجوب فسخه، وإذا عقد عليها وبنى بها فُسِخ النكاح.

١٨٨ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥]:
قال ابن عباس: السر: الجماع، وهذا يُسمُّونه مجاز المجاز، فإن السِّر مجاز عن الوطء، والوطء مجاز عنَ العقد، والآية تنهى الرجال عن مواعدة النساء في فترة العدة، وأن يقولوا لهم في السر ما يُستحى من قوله في العلن لمنافاته للشرع، ولا يقول رجلٌ لهذه المعتدة: تزوجيني، بل يعرِّض بالخطبة إن أراد، ولا يأخذ منها الميثاق والعهد ألا تنكح غيره.

١٨٩ ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]:
لا تجعل لحظة غضبٍ واحدة تهدم آلاف الساعات الجميلة.

---

١٩٠ قال الإمام الشوكاني: «وهو إرشاد للأزواج إلى ترك تقصي الحقوق على بعضهم، والمسامحة فيما بينهم».

١٩١ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]:
لعل من أسباب تخصيص الوصية بالصلاة الوسطى -وهي صلاة العصر- أنَّ ليس لها نافلة تجبر نقصها.

١٩٢ ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]:
لابد قبل اللقاءات الفاصلة من التمايز والتصفية!

١٩٣ قالها قوم طالوت حين احتاج إليهم، فبعض كلمات (الأصدقاء) أشد فتكًا من أسلحة (الأعداء).

١٩٤ ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ

أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ٢٤٩]:

جميلٌ أن تُحسِن الظن بالله، لكن الأجمل أن تفعل ذلك حين يفقد الجميع الأمل.

١٩٥ ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾[البقرة: ٢٥٠]:

تخيَّل شلالاً من الصبر ينهمر عليك؛ ليُطفئ لهيب آلامك، ويتسلل لتجاويف أوجاعك.

١٩٦ ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٠]:

وانظر ماذا صنع الدعاء: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ٢٥١].

من روائع المتدبرين

قال محمد إقبال:

«قد كنت تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا أصنع؟

فأجيبه بأني أقرأ القرآن، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله، فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبي! تسألني نفس السؤال وأجيبك جوابًا واحدًا، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غدٍ؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك: يا ولدي؛ اقرأ القرآن كأنما أنزل عليك.

ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه،

فكان من أنواره ما اقتبست،

ومن درره ما نظمت».

روائع إقبال لأبي الحسن الندوي ص ٣١ - دار القلم - دمشق

الجزء الثالث
من سورة البقرة الآية ٢٥٣
إلى سورة آل عمران الآية ٩٢
عدد الفوائد ١٠٠

١٩٧ ﴿ٱلۡحَیُّ ٱلۡقَیُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]:

قال كثير من أهل العلم :إنه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب.

١٩٨ في حديث أبي أمامة مرفوعًا أن اسم الله الأعظم في ثلاث سور: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه.

قال أبو أمامة: فالتمستها فوجدت في البقرة:﴿ ٱللَّهُ لَاۤ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَیُّ ٱلۡقَیُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]..

وفي آل عمران: ﴿ ٱللَّهُ لَاۤ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَیُّ ٱلۡقَیُّومُ﴾[آل عمران: ٢]..

وفي طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَیِّ ٱلۡقَیُّومِۖ﴾[طه: ١١١].

١٩٩ ﴿لَّهُۥ مَا فِی ٱلسَّمَـٰوَ ٰتِ وَمَا فِی ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

قولوا لأغنى أغنياء الدنيا : أنت أحد ممتلكات الله.

٢٠٠ ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةࣱ وَلَا نَوۡمࣱ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

لا يصلح توكل القلب إلا على مَنْ ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةࣱ وَلَا نَوۡمࣱ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢٠١ نتلوها كل ليلة قبل أن ننام ليرعانا الله بعينه التي لا تنام.

٢٠٢ ﴿وَلَا یُحِیطُونَ بِشَیۡءࣲ مِّنۡ عِلۡمِهِۦۤ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

لم يقل بعلمه، فهم لا يحيطون بعلمه، ولا حتى بشيء من علمه، فما أقل ما علموه بجانب علم الله.

٢٠٣ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

وإن الذي حفظ السماوات والأرض؛ لن يعجزه أن يحفظك من كل سوء، فاعبده وتوكل عليه.

٢٠٤ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

كلمة «طاغوت» مبالغة من الطغيان، وهو يتنوع، فمرة يكون الطاغوت شيطانا، أو كاهنًا، أو ساحرًا، أو حاكمًا.

٢٠٥ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

قدَّم الله الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله؛ لأن التخلية قبل التحلية، فلابد أن يتخلى العبد عن الطاغوت أولًا قبل إعلان إيمانه بالله، فقبل أن تكوي الثوب وتعطِّره لا بد لك أن تغسله وتنظِّفه.

٢٠٦ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

العروة الوثقى هي الإيمان أو الإسلام أو التوحيد، فلتفلِتْ كل العرى من يديك، ولتقبض على عروة الدين؛ لتبحر آمنًا في بحر الحياة الهائج نحو شطآن الجنان.

٢٠٧ ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

إلا إن أراد العبد انفصامها! قال سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٢٠٨ ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]:

وحَّد الله لفظ (ٱلنُّورِ) وجَمع لفظ (ٱلظُّلُمَٰتِ)؛ لأن طريق الحق واحد، وطرق الباطل متعددة.

٢٠٩ ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]:

من كان الله وليّه، فلن يَضلَّ أبدًا، ولن يُقهَر بإذن الله.

٢١٠ ومتى تولاك هل يضيِّعك؟!

٢١١ على قدر إيمانك تكون ولاية الله لك.

٢١٢ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾[البقرة: ٢٥٨]:

آيات الله ساطعة بيِّنة، لكن انطماس بصائر البعض واعتياد رؤية المعجزات ألهى الناس عنها.

٢١٣ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠]

ليس الخبر كالمُعاينة!

٢١٤ ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠]:

طمئنوا القلوب الحائرة، واسكبوا ماء اليقين على الأرواح التائهة، وتصدوا للشبهات؛ لأنها إن لم تجد عندكم جوابًا، ستأخذ أصحابها بعيدًا عن طريق الله.

٢١٥ ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٢٦٠]:

فَصُرْهُنَّ إليك: ليس معناها ضعها في صُرَّة، وإنما معناها (فقطِّعهن).

٢١٦ ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٦١]:

كُلٌّ بحسب ما حوى قلبه من إخلاص ويقين وحسن ظن بالله، مضاعفات الأعمال تكون بحسب محتوى القلوب وتباين الأحوال.

٢١٧ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ .. وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢]:

لا خوف عليهم مما يستقبلهم من أهوال، ولا يحزنون على ما أصابهم من مصائب.

٢١٨ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[البقرة:٢٦٣]:

أحيانا تكون الكلمة الطيبة أهم عند الفقير من المال؛ ولذا كانت الكلمة الطيبة صدقة. الأخلاق قبل الأموال! .. ﴿(قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن (صَدَقَةٍ) يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[البقرة: ٢٦٣].

٢١٩ ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]:
ولذا قيل: من أعطى فمنَّ، كان كَمَن بَخِل وضنَّ.

٢٢٠ في آيات الإنفاق قال الله: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥]:
منا من يُخرِج الصدقة بعد تردد، ومنا من يبذلها ثابت القلب غير متردد، لا يستوون عند الله!

٢٢١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧]:
لا تسرق وتتصدق، أو تأكل الرشوة وتحج، فليتها ما زنت ولا تصدَّقت!

٢٢٢ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة:٢٦٨]:
هذا وعد الشيطان في الإنفاق، وأما وعد الله في الإنفاق: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فلينظر صاحب المال بأي الوعدين يثق!!

٢٢٣ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨]:
وما يَضرك وعد الشَّيطَان مع ضمان الرحمن؟!

٢٢٤ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة:٢٦٨]:
الخوف من الفقر من أهم أسلحة الشيطان، ومنه استدرج الناس إلى أكل الحرام، ومنعهم من الإنفاق الواجب.

٢٢٥ قال الحسن البصري: «قرأت في تسعين موضعًا من القرآن أن الله قدر الأرزاق وضمنها لخلقه، وقرأت في موضع واحد: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]».

٢٢٦ حينما تهم بالصدقة ثم تتراجع؛ فاعلم أن شيطانك قد نجح في مهمته.

٢٢٧ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]:
قدَّم المغفرة لأنها أغلى جائزة، وهي مفتاح باب العطايا التي تحول دونها الذنوب.

٢٢٨ ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]:

قال ابن عباس وأبو الدرداء وغيرهما: الحكمة: الفقه في القرآن.

٢٢٩ ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]:

حتى وإن امتلأت الأجواء من حولك بأنفاس الظالمين، فلا أحد يستطيع أن يمنع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة.

٢٣٠ قال القاضي شُرَيْح: «الظَّالم ينتَظر العقُوبة، والمظلوم ينتَظر النَّصر».

٢٣١ ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١]:

الله يمدحهم على أفعالهم ونحن نتهمهم في نياتهم! ما رأيك أن تتفرَّغ لنيّتك؟!

٢٣٢ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]:

تسلية للدعاة إن لم يلمسوا ثمرة جهدهم ونتيجة دعوتهم.

٢٣٣ ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]..

إنما تتصدق على نفسك لا على غيرك!!

٢٣٤ ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]:

ابحث عن الفقير المتعفف، ولا تنتظر أن يبحث عنك! المتعففون كُثر.

---

٢٣٥ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]:

من طرق إزالة الأحزان صدقة السر.

٢٣٦ ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]:

لا تَسميته بغير اسمه، ولا المقالات التي تمدحه، ولا الإعلانات التي تروِّج له، ستجعل ما حرَّم الله حلالا.

٢٣٧ الدين يُسر؛ لذا فمنهج القرآن في التغيير؛ أن يوفِّر البدائل الطيِّبة قبل أن يحرِّم شيئًا.

٢٣٨ ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[البقرة: ٢٧٦]:

لا يطلب أحد شيئًا من طريق حرام إلا عاقبه الله بنقيض قصده، طلبوا الربح من الربا فعوقبوا بفقد المال.

٢٣٩ ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ...... فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]: قبل أن تدخل أي معركة، تعرَّف على خصمك فيها!!

٢٤٠ ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨]:

الربا والإيمان لا يجتمعان.

٢٤١ ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٨]:

هناك معاصٍ تؤذي صاحبها فحسب، أما الربا فضرره على الكُلِّ، في الحديث: «ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله» صحيح الجامع رقم: ٥٦٣٤

٢٤٢ ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[البقرة: ٢٨٠]:

تكفيك هذه البشارة النبوية: «من نفَّس عن غريمه، أو محا عنه، كان في ظلِّ العرش يوم القيامة» صحيح الجامع رقم: ٦٥٧٦

٢٤٣ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]:

مهما أغرتك لذائذ السفر، فإياك ونسيان التجهز لرحلة العودة.

٢٤٤ آخر آية في القرآن، عن آخر أيام حياتنا.

٢٤٥ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٨١]:

هذه آخر آية نزلت من كتاب الله، وقد توفي رسول الله ﷺ بعدها بتسع ليالٍ.

٢٤٦ ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]:

جاءت في أطول آية في القرآن؛ إشارةً لأهمية توثيق المعاملات المالية.

٢٤٧ ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]:

من خصَّه الله بنعمة، فعليه ألا يمنعها عن الناس؛ لأن من تمام شكر النعمة الإنفاق منها.

٢٤٨ قال الله عن كتم الشهادة في الأموال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

.هذا كتمان الشهادة في الأموال، فكيف بكتمانها عن نصرة الحق!

٢٤٩ ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]:

قال ابن تيمية: «إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس، لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس».

٢٥٠ في صحيح مسلم: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، (فنسخها الله)، فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ .

سمّاها الله سورة البقرة إشارة إلى تعنت بني إسرائيل في طاعة أمر الله في ذبح البقرة؛ ولذا ختمها بقوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢٥١ ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]:

أعظم ما يعين العبد على السمع والطاعة اليقين باليوم الآخر.

٢٥٢ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]:

لم نقصر دلالة الآية على الأخذ بالرُّخص؟! بينما هي من أدلة الأخذ بالعزيمة كذلك.

سورة آل عمران

٢٥٣ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[آل عمران: ٤]:

ليس المراد بالفرقان هنا القرآن، وإلا كان ذلك تكرارًا لقوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، بل المراد الكتب السماوية وقد أنزل الله فيها فرقانًا يميِّز به بين الحق والباطل، فالفرقان متضمَّنٌ في الكتب الثلاثة: القرآن والتوراة والإنجيل.

٢٥٤ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٦]:

نفَذَ علم الله وقدرته إليك في ظلمات ثلاث؛ فهل تخفى عليه حين تدبُّ فوق الأرض وتحت السماء؟!

٢٥٥ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ [آل عمران: ٧]:

الذي يفرحون بالمتشابهات والشبهات، ويسعون لإثارتها في وسائل الإعلام على العوام في قلوبهم زيغ.

٢٥٦ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] حرف الجر (في) يجعل (العلم) هو البيئة التي كلما انغمس فيها العبد أمِن من الزلل.

٢٥٧ ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[آل عمران: ٧]:

كلما زاد علم العبد زادت خشيته، وتعاظم خوفه من الزيغ بعد الهداية.

٢٥٨ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[آل عمران: ٨]:

الاهتداء للحق أعظم مكافأة للقلوب الصادقة، فما نالها ابن نوح بنبوّة أبيه، ولا حُرِمها سلمان الفارسي بكفر ذويه.

٢٥٩ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[آل عمران: ٨]:

لم يُسَمَّ القلب قلبًا إلا من تقلبه! فالتغير سنة الحياة، وأكثر ما يكون التغير في القلوب، فاللهم لا تغيِّرنا إلا إلى أفضل مما هي عليه الآن.

٦٠ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ . . . وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[آل عمران:١٤]:

قال القرطبي: «وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تُنال إلا بترك الشهوات، وفطام النفس عنها».

٦١ ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[آل عمران: ١٤]:

وقدَّم النساءَ على الكل. قال القرطبيُّ: «الكثرة تشوُّق النفوس إليهن؛ لأنهن حبائلُ الشيطان، وفتنة الرجالِ».

٦٢ ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]:

في جوف الليل يطلب الناس راحة أبدانهم بالنوم، ويطلب المؤمنون راحة قلوبهم بالاستغفار.

٦٣ صابرون وصادقون وقانتون ومنفقون ..ومع ذلك يستغفرون بالأسحار، فكيف بالمذنبين؟!

٦٤ من عجز عن القيام في السَّحَر ، فلا يعجز -ولو على فراشه- عن الاستغفار:
﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

٦٥ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[آل عمران: ١٨]:

ما أعظم الشاهد وأجلَّ المشهود به!

٦٦ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[آل عمران: ١٨]:

قال ابن كثير: «قرن الله شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء».

٦٧ ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾[آل عمران: ٢٠]:

قال البغوي: «وإنَّما خصَّ الوجه؛ لأنه أكرمُ الجوارح للإنسان، وفيه بهاؤه، فإذا خضع وجهه للشيء، فقد خضع له جميع جوارحه».

٦٨ ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦]:

لا يتخلى أرباب المُلك عن مُلكِهم طواعية!

٢٦٩ ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران:٢٦]:

تقديم يفيد الحصر، عنوان شكاواك لابد أن يتغير بعد هذا الإعلان.

٢٧٠ ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨]:

قال الحسن البصري: «من رأفته بهم أن حذَّرهم نفسه!».

كم من معصية تُرتكَب اليوم، يودُّ صاحبها غدًا: ﴿ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٢٧١ بقدر اتباعك للنبي ﷺ تكون درجتك عند ربك: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢٧٢ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]:

الحب الحقيقي ليس بحلو الأقوال بل بصدق الأفعال.

٢٧٣ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران:٣١]:

قال السعدي: هذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ.

٢٧٤ ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾[آل عمران: ٣٥]:

كانوا يجهِّزون أبناءهم لحمل همِّ الدين قبل أن يولدوا، فما عذر من لم يحمل همَّ دينه أو أمته من مهده إلى لحده؟!.

٢٧٥ همُّ صلاح الذرية، واستعمالهم في مرضاة الله باب سبق تجاوز به الصالحون عمل اليوم إلى التخطيط للغد.

٢٧٦ ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾[آل عمران: ٣٦]:

تمنَّت أن يكون حملها ذكرًا، ولم تعلم أن البركة في أن تحمل بطنها أنثى، وأنها ستكون أمَّ نبي من أولي العزم من الرسل: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٦٦]:

٢٧٧ زكريا لم يسأل ربه الولد إلا حين سمع مريم تقول: ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فبعض ما تسمع من كلمات هو رسائل من الله إليك، لتنتبه وتتعرض لفضله!

٢٧٨ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[آل عمران: ٣٧]،
﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾[آل عمران: ٣٩].
.. في المحاريب أرزاق تنتظر!

٢٧٩ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]:
يا من ضاق به الرزق، ها هو المحراب بين يديك.

٢٨٠ ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾[آل عمران: ٣٨]:
القلوب السليمة تفرح عند رؤية النعم على غيرها ولا تحسد، بل يتفاءل أصحابها بأن فضل الله الذي أصاب غيرهم قادرٌ أن يصيبهم.

٢٨١ ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران: ٣٨]:
لا تنتظروا-معشر الآباء-حتى يكبر أولادكم لتدعوا لهم بالصلاح، بل ادعوا لهم قبل مولدهم وقولوا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.
﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾: هل عرفت الآن مكان الهبات والبشريات والأعطيات.

٢٨٢ ﴿يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩]:
كلما دنوتَ من موضع السجود، اقتربت منك بشائر المعبود.

٢٨٣ ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]:
قال ابن عباس: «وَحَصُورًا: الذي لا يأتي النساء».

٢٨٤ ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥]:
من الممكن أن تحوز أعظم الألقاب في الدنيا: رئيس، وزير، أمير، لكن ما الفائدة إن كانت العاقبة جهنم؟! أهم شيء: وجاهتك في الآخرة.

٢٨٥ ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]:
الحرمان الحقيقي أن لا تكون من أنصار الله في معركة الصراع بين الحق والباطل.

٢٨٦ الداعيةُ الحكيمُ هو من يؤتيه الله جوامع الكلم، فيألف بها قلوب الناس: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾[آل عمران: ٦٤].

٢٨٧ ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٣]:

ما ضاق أمر من ورائه رب واسع.

٢٨٨ الأمانة هي الأمانة ولو كانت في دينار واحد: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾[آل عمران: ٧٥].

٢٨٩ ﴿ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾[آل عمران: ٧٥]:

كان اليهود يستحلون أموال العرب. قال الحافظ ابن كثير:

«إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين، وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا، قال الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

٢٩٠ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾[آل عمران: ٧٥]: سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة.

قال ابن عباس:

فتقولون ماذا؟

قال: نقول ليس علينا بذلك بأس.

قال: «هذا كما قال أهل الكتاب ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾[آل عمران: ٧٥]، إنهم إذا أدوا الجزية، لم تَحِلَّ لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم».

٢٩١ ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[آل عمران: ٧٩]:

لم يشغلهم تعليم الناس عن تعليم أنفسهم.

قدَّم تعليم القرآن على تلاوته؛ فمن بذل القرآن لغيره بورك له في تلاوته.

٢٩٢ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]:

هـذا تأييـس لأهـل الكتـاب مـن النجـاة في الآخـرة، وردٌ لقولهـم: نحـن عـلى ملـة إبراهيـم؛ لـذا فنحـن ناجـون عـلى كل حـال.

٢٩٣ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]:

قال ابن عباس: البِر هو الجنة، أي لن تدخلوا الجنة حتى تبذلوا ما تحب النفس.

٢٩٤ قـال مجاهـد: كان ابـن عمـر قائـما يصـلي، فأتـى عـلى هـذه الآيـة: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فأعتـق جاريـة لـه وهـو يصـلي قـد أراد أن يتزوجها.

٢٩٥ جـاء سـائل إلى الربيـع بـن خثيـم يسـأله، فخـرج إليـه في ليلـة بـاردة، فنـزع برنسـا لـه فكسـاه إيـاه، ثـم تـلا هـذه الآيـة: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمـران: ٩٢].

٢٩٦ كان عبـد الله بـن عمـر يتصـدق بالسـكر، ويقـول: سـمعت الله يقـول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ والله يعلـم أني أحب السـكر.

من روائع المتدبرين

صحابي جليل هو عامر بن ربيعة يأتيه ضيف فيكرمه، فيذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ، ويطلب منه أن يعطيه أرضًا فأعطاه رسول الله ﷺ، فذهب إلى عامر ليخبره ويقول له: إني استقطعت رسول الله ﷺ واديًا ما في العرب أفضل منه، ولقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك، فقال له عامر: لا حاجة لي في قطيعتك! نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]».

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٦٤ - مكتبة العبيكان.

الجزء الرابع

من سورة آل عمران الآية ٩٣
إلى سورة النساء الآية ٢٣
عدد الفوائد ١٣٨

٢٩٧ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمـران : ٩٧]:

من لم يحج حج الفريضة وهو قادر عليه، فقد كفر بنعمة الله عليه.

٢٩٨ قـال عمر رضي الله عنـه: «لقـد هممـتُ أن أبعـث رجـالًا إلى الأمصـار، فينظـرون إلى من كان لـه مـال ولم يحـج، فيضربـون عليـه الجزيـة، فذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».

٢٩٩ ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا .. ﴾ [آل عمران : ١٠٣]:

كلُّ الحبال التي تتشبَّث بها قد تنقطع، إلا حبل الله المتين!!

٣٠٠ الأخوة في الله نعمة، فهل أدَّينا شكرها؟!

٣٠١ يتفـاوت الإخـوان في خيريتهـم، فعـلى أي أسـاس يقـع هـذا التفـاوت؟ يجيـب ابـن حبـان قائـلًا: «خـير الإخـوان أشـدهم مبالغـة في النصيحـة»، فاتخـذ صاحبًـا يحـصي عليـك!

٣٠٢ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران : ١٠٣]:

سـمع أعـرابي هـذه الآيـة، فقـال: والله مـا أنقذهـم منهـا وهـو يريد أن يعيدهـم فيهـا. فقـال ابـن عبـاس: خذوهـا مـن غـير فقيـه.

٣٠٣ ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمـران : ١٠٤]:

لا فلاح لأمة ليس فيها مصلحون، ومهما كثر فيها الصالحون.

٣٠٤ حينما عظَّمنا أمر الله عظُم قدرنا، وحين هان علينا أمر الله هُنَّا عليه.

٣٠٥ ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤]:

إن لم تكن معهم داعيًا، فلا أقل من أن تستجيب لدعوتهم؛ حتى تُحشَر في ركابهم.

٣٠٦ ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] :

قدَّم التفرق على الاختلاف؛ لأن اختلاف (الأقوال) يسبقه (تفرق) القلوب.

٣٠٧ جاءت بعد ذكر آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ترك شعيرة الأمر والنهي موجبٌ للفرقة والاختلاف.

٣٠٨ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] :

كل عمل تعمله اليوم إما أن يبيِّض وجهك يوم القيامة أو يسوِّده، فراجع أعمالك لأنها بها لون وجهك ومصيرك غدًا.

٣٠٩ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]:

للناس وليس للمسلمين، فالمسلم خير للبشرية جمعاء.

٣١٠ ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] :

أمة فريدة بين الأمم ! أُخرِجت خصيصًا لهم! كأنها من نسيج آخر غير نسيج الأمم.

٣١١ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [آل عمران : ١١٠]:

مجرد الانتماء لهذه الأمة لا يقدِّم أو يؤخِّر، ولا يرفع ولا يخفض! فخيرية الأمة معلَّقة بشرط: ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]:

٣١٢ ﴿ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] :

الناس في هذا العالم في أمسِّ الحاجة إليكم.. أكبر بكثير مما تتصورون.

٣١٣ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١]:
تسلية للخائفين، فمهما تسلط عليكم الأعداء لن يضروكم إلا أذىً يسيرًا، ولن تكون لهم العاقبة.

٣١٤ ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]:
قال ابن عطية: «قيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجه الله داخل في هذه الآية».

٣١٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾
[آل عمران: ١١٨]: إياك أن تطلب الاستشارة أو النصح إلا من مؤمن.

٣١٦ ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]:
الألسنة مغارف الصدور.

٣١٧ أخفوا بغضهم، ففضحهم الله بفلتات ألسنتهم.

٣١٨ ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]:
كان المؤمنون يحبون المنافقين بناء على ظاهر حالهم، فالمؤمن يحكم على الظاهر ولا ينبش أو يفتش في البواطن.

٣١٩ ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠]:
الوقاية من كيد العدو سبيلها الأوحد: التقوى والصبر.

٣٢٠ سورة آل عمران يد حانية ومفتاح سكينة غامرة لمن طال طلبه للرزق حتى يئس ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ .. أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾، ولطالبي النصر والفرج: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

٣٢١ ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]:
اختصار الطريق إلى النصر يكون بطلبه من الله وحده، وإلا دخلنا في المتاهة.

٣٢٢ ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]:
نصرهم الله يوم بدر بخمسة آلاف من الملائكة، وحتى لا تتعلق القلوب بالأسباب وتغفل عن رب الأسباب، فقد ذكرهم بهذه الحقيقة: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

٣٢٣ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]:
مكان النصر وزمانه ليس لك وإن كنتَ نبيًّا!

٣٢٤ قال السعدي: «إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على مصالحهم، وإنما الأمر لله هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء».

٣٢٥ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٠]:
المؤمن الحق لا ينتظر شواهد من الواقع حتى يمتثل لأمر الله، بل يبادر بتنفيذ الأمر مباشرة.

٣٢٦ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران :١٣٣]:
أمرنا بالمسارعة إلى المغفرة؛ لأن بابها يُغلَق بموت الجسد الذي يأتي فجأة، وموت القلب هو الذي يمنع من التوبة.

٣٢٧ ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [آل عمران :١٣٣]: هل رأيت كريمًا يأمر من يغدق عليه بالإسراع لنيل ما لديه؟! ما أكرم الله رب العالمين!

٣٢٨ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ [آل عمران :١٣٣]:
قال رسول الله ﷺ: (التُّؤَدَةُ في كل شيءٍ إلا في عملِ الآخرة).

٣٢٩ ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٣]:
المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة الوقوع في الحرام فسماهم الله (متقين).

٣٣٠ ﴿ ...لِلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]:
جعل الله أول صفات المتقين أنهم ينفقون؛ لأن الإنفاق دليل يقين بالآخرة وصدق إيمان بالجزاء.

٣٣١ ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران :١٣٤]:
ليسوا جمادات لا تشعر ولا تحس، بل هم لحم ودم يشعر بنار الغيظ والألم، لكنه يحبسه.

٣٣٢ ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]
قال الحسن بن علي: «لو أنَّ رجلاً شتَمني في أذني هذه واعتذر في أُذني الأُخرى لقبِلتُ عُذرَه».

٣٣٣ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٥]: ليست الغرابة مع الذنوب في السقوط، لكن الغرابة ألا تحاول النهوض.

٣٣٤ أخطر من الوقوع في الحرام، أن تُحرَم الإحساس بمرارة الآثام!

٣٣٥ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ..﴾ [آل عمران: ١٣٥]:
يروى أن ابن مسعود قال: هذه الآية خير لأهل الذنوب من الدنيا وما فيها!!

٣٣٦ قال ثابت البناني: بلغني أن إبليس لما نزلت هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٥] بكى.

٣٣٧ ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]:
مهما عفا عنك البشر سيظلون يحتفظون في قلوبهم نحوك بشيء، الله وحده هو من يعفو زلاتك ويمحو عثراتك.

٣٣٨ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ١٣٦]:
اعمل من الطاعات بقدر بقائك في الجنة، وما أكرم من يكافئ على العمل المحدود بثواب يتجاوز العقول وكل الحدود.

٣٣٩ القرآن مليء بما يبعث على التفاؤل: ﴿لا تقنطوا﴾ ﴿ولا تيأسوا﴾ ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾
فتفاءلوا يا أهل القرآن.

٣٤٠ ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٩]:
لو قالها لك أحد أحبابك لخفَّف أحزانك! اسمعها من الله يواسيك ويخفِّف مآسيك..

٣٤١ ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران :١٣٩]:

للعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان.

٣٤٢ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]:

قال الآلوسي: «فلا تهنوا ولا تحزنوا، فالإيمان يوجب قوة القلب، ومزيد الثقة بالله، وعدم المبالاة بأعدائه».

٣٤٣ لا تشمت يوما بغيرك ؛ فالأيام دوّارة.

٣٤٤ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران :١٤٠]:

يا صاحب الكرب: سُنَّة الله قضت أن يومك الجميل قادم في الطريق.

٣٤٥ الشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما كتعاقب الليل والنهار والحر والبرد، سُنَّة من سنن الله في الكون.

٣٤٦ ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ..﴾ [آل عمران :١٤٠]:

الشهادة ليست صدفة أو خبط عشواء، إنما هي اتخاذ من الله واصطفاء.

٣٤٧ يمشي الشهداء اليوم بيننا ولا نشعر بهم، لكن عين الله ترعاهم وتحرسهم، فإذا اقترب موعد اللقاء، شرَّفهم الله بالموت في سبيله.

٣٤٨ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[آل عمران :١٤١] :

أي يختبرهم حتى يُخلِّصهم بالبلاء من العيوب والأمراض والعلل، كالذهب الخالص يتخلص من الشوائب بالنار، فيصير نقيًا لا خبث فيه.

٣٤٩ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٢]:

كلما عظم المطلوب صعبت وسيلته، وأعظم مطلوباتنا الجنة.

٣٥٠ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ (قُتِلَ)﴾ [آل عمران :١٤٦]:

قرأ نافع ، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ، بضم القاف من (قُتِل)، النبي قُتِل والربيون قُتِلوا فما وهنوا.

٣٥١ ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٦]:
افترِض أنك لم ترَ عاقبة الصبر في الدنيا، ألا تكفيك محبة الله؟!

٣٥٢ ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٧]: الذنوب تؤخر النصر؛ لذا شُرِع الاستغفار قبل الدعاء بالنصر.

٣٥٣ كان أتباع الرسل إذا لقوا عدوهم خافوا عاقبة تقصيرهم وتأثير ذنوبهم، فقالوا: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾ [آل عمران :١٤٧].

٣٥٤ ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [آل عمران :١٤٨]:
ثواب الدنيا تعتريه الأكدار؛ لذا لم يصفه بالحسن، بعكس نعيم الجنة الذي لا كدر معه، فهو الحُسن كله.

٣٥٥ ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ ﴾ [آل عمران :١٥٠]:
الفرَج عنده، والنصر عنده، والأمن عنده، والسعادة عنده، والخير كله عنده، فهنيئًا لك إن تولاك!

٣٥٦ ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ﴾ [آل عمران :١٥١]:
قال ابن تيمية: «تخويف الكفار والمنافقين وإرعابهم هو سلاح رباني وفضل إلهي لا دخل للمؤمنين فيه».

٣٥٧ ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ ﴾
[آل عمران :١٥٢]: ليست من الإحساس كما يتبادر بل من الحَسّ وهو القتل، أي إذ تقتلونهم بإذنه.

٣٥٨ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم ﴾ [آل عمران :١٥٢]:
الذنوب تؤخر النصر، هُزم الصحابة في أُحد بسبب معصية قلة منهم (٤٠ رجلًا من أصل ٧٠٠ هم عدد جيش المسلمين).

٣٥٩ ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٥٢]:

لو عذر الله أحدًا بالغفلة عن نيته، لعذر الصحابة يوم أحد وجراحهم تنزف، فلا تغفل عن حراسة قلبك وتعاهد نيتك مهما حدث.

* سبب نزولها:

نزلت في أصحاب النبي ﷺ وهم في أرض الجهاد، وتحت وقع السيوف، فما يُقال فينا اليوم ونحن نتنافس على حطام الدنيا الفانية؟!

٣٦٠ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

ليس معنى (تُصْعِدُونَ) أي ترقون من الصعود؛ بل من الإصعاد وهو الركض على الأرض (الصعيد).

٣٦١ ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

تخلَّص من همومك الصغيرة بتبني الهموم السامية الكبيرة.

٣٦٢ ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

فأثابكم! هل تخيلت يومًا أن الهم قد يكون ثوابًا؟ يوم القيامة ستكتشف أن بعض أحزانك قد حمتك من النار وأدخلتك الجنة.

٣٦٣ ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٣]:

إذا تتابعت عليك الآلام، فاعلم أنك على موعد مع رحيل الأحزان!

٣٦٤ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ [آل عمران: ١٥٤]:

الأمن والأمان منبعهما القلب، والقلب لا سلطان لأحد عليه إلا الله؛ ولذا كان الأمن والأمان من الله وحده.

٣٦٥ ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]:

إما أن نحمل هم غيرنا بالإيثار أو سنتمحور حول ذواتنا بالأنانية والأثرة.

٣٦٦ إذا خشيت سطوة جبار أو ظلم ظالم أو أمرًا تخشى عاقبته، فاقرأ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ثم نم قرير العين!

٣٦٧ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]:
سَل الذي بيده كل شيء أن يعطيك أي شيء!

٣٦٨ تأكيد رباني جازم ينزع عنك أوهامًا ثلاثة: تعلق القلب بغيره والتوكل على عُدتك وعددك، والشك في وعده، وسوء الظن بربك.

٣٦٩ ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾! [آل عمران: ١٥٤]: قال الحجاج لأم سجين: سأقتل ابنك، فقالت: لو لم تقتله مات!

٣٧٠ ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]:
أنزل الله الابتلاء بعباده ليختبر الله ما في صدورهم من حسن الظن به أو سوء الظن.

٣٧١ قال الزجاج: «أي ليختبر الله تعالى ما في صدوركم بأعمالكم، فإنه قد علمه غيبًا، ويريد أن يعلمه شهادة لتقع المجازاة عليه».

٣٧٢ ختم الله بهذه الجملة الآية حتى لا يظن ظانٌّ أن الابتلاء يضيف لله سبحانه علمًا جديدًا، ويعلمه ما لم يكن يعلم، حاشاه سبحانه!

٣٧٣ ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥]:
بعض ذنوبك أو نياتك السيئة؛ قد تكون سببًا في تسلط الشيطان عليك وصرفك عن الحق!

٣٧٤ قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساءهم؟! فقال: إنهم علموا أن الله ابتلاهم بذنوبهم ثم قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]:

٣٧٥ ﴿لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]:
﴿لَوْ﴾ حرف يفتح باب الحسرة على ما فات، والتردد في ما هو آت، لا تقل أبدًا: لو!

٣٧٦ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]: النفوس تنفر من الغليظ القاسي مهما بلغ من العلم والحكمة والخبرة.

٣٧٧ ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران :١٥٩]:
كل من (انفضَّ) الناس من حوله، فعليه أن يراجع (فظاظته).

٣٧٨ قرن بين فظاظة القول وغلظة القلب، فتعرَّف على طبيعة قلبك عن طريق مراقبة لفظك.

٣٧٩ لو جمعت علوم أهل الأرض وذكاءهم، فلن تدخل القلوب إلا بطرق أبوابها بالكلمة الطيبة والمعاملة الهينة.

قيلت في محمد ﷺ وهو المؤيد بالوحي وصاحب النبوة، فكيف بمن هو دونه؟!

٣٨٠ ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران :١٥٩]:
تعجَّب ممن استبد برأيه ولم يشاور أحدًا، وقد شاور خير الخلق وصفوة رسل الله أصحابه.

٣٨١ توجيه رباني ومنهجٌ محمدي.

٣٨٢ ما أبعدها عن قول: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾، وهو أسلوب فرعوني ومنهج استبدادي! لا تتفرعن ولا تستبد!

٣٨٣ المشورة تلقيح الرأي بآراء أخرى كما قال الشاعر:

شاوِر سواكَ إذا نابتك نائبة .. يومًا وإن كنتَ من أهل المشوراتِ

٣٨٤ سين: لم تحتاج المشورة ولو كنت من أهل الرأي والمشورة؟!

جيم: فالعين تنظر منها ما دنا ونأى .. ولا ترى نفسها إلا بمرآة

٣٨٥ ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران :١٥٩]:
متى عزمت وصممت فتوكل على الله، وامض نحو هدفك بلا تردد، وثق أن الله لن يخذلك.

٣٨٦ قال القشيري: وحقيقة التوكل شهود التقدير، واستراحة القلوب عن كدِّ التدبير.

٣٨٧ ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران :١٦٣]:
كلما كسلت عن الطاعات وضعفت عن المسارعة في الخيرات، فتذكر قوله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران :١٦٣]، فدرجتك يوم الجزاء غدًا بحسب نصيبك من الاجتهاد اليوم.

٣٨٨ ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران :١٦٥] لا تلومن إلا نفسك، وفتِّش عن تقصيرك قبل أن تتهم غيرك.. هذه وصية القرآن.

٣٨٩ ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران :١٦٥]:
لم يكن على وجه الأرض أحب إلى الله من الصحابة، ومع هذا خاطبهم بهذا الخطاب؛ لأن من يحبك يضعك أمام مسؤولياتك دون مواربة، ولا يحابيك على حساب الحق.

٣٩٠ ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران :١٦٩]:
قدَّم (الرب) على (الرزق) لأن جوارَ الرب أعظمُ رزق.

٣٩١ تكفيهم والله هذه العِنْدية! وأنْ ينظروا إلى الله سبحانه وهم في جواره!

٣٩٢ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾
[آل عمران :١٧٢]: أصدق الحب في استمرار البذل رغم ألم الجراح.

٣٩٣ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾
[آل عمران :١٧٣]: المؤمن شديد التفاؤل، وعلامة ذلك أن نفس أدلة المتشائمين هي أقوى باعث على تفاؤله!

٣٩٤ ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران :١٧٣]:
كان معاوية رضي الله عنه يقول: «إني لأستحيي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرًا إلا الله».

٣٩٥ قد تنزل البلاءات بالمؤمن حتى لا يبقى في قلبه ما يتعلق به إلا (ٱللَّهُ).

٣٩٦ ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :١٧٣]:

لم يحصل لهم الخوف الشديد من اجتماع عدوهم، بل على العكس: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾.

٣٩٧ ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران :١٧٣]:

تتعلّق القلوب عند الشدة بالخلق؛ لذا شرع الله لنا أن نقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ عند كل شدة؛ حتى يصرف العبد همّه عمن لا ينفعه أو يضره إلى من بيده النفع والضر.

٣٩٨ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران :١٧٣]:

دعاء قاله المسلمون يوم الجراح والآلام في أحد: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران :١٧٤]، فالأحرى بكل من عانى نفس المعاناة أن يقلّدهم ويقتفي الأثر.

٣٩٩ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران :١٧٥]:

أصوات الخوف شيطانية كاذبة، فكيف تصغي إليها وربك يطمئنك: لا تخفْ.

٤٠٠ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران :١٧٥]:

في الحديث النبوي: «لا يمنعن أحد مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو عرفه».

صحيح ابن حبان رقم: ٢٧٨

٤٠١ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ ﴿لا تحزنْ﴾ ﴿لا تحزنوا﴾ الحُزن يوهنُ القُوى و يضعفُ الهِمم؛ ولذا تكرر النهي عنه في القرآن، فنفِّذ الأمر، وقاوم الحزن، وتفاءل!

٤٠٢ ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران :١٧٨]:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران :١٧٨]: قال القشيري:

«من تمام المكر بهم والمبالغة فى عقوبتهم أنا نعذّبهم وهم لا يشعرون! ونستدرجهم من حيث لا يعلمون، نُملي لهم فيظنون ذلك إنعامًا، ولا يحسبونه انتقامًا! وقد اتضح لكلّ ذى بصيرة أن ما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من جملة الإنعام».

٤٠٣ ﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]: قال ابن كثير: «لا بد أن يعقد سببًا من المحنة يُظهِر فيه وَلِيَّه، ويفتضح فيه عدوُّه، يُعرَف به المؤمن الصَّابِر، والمنافِق الفاجِر».

٤٠٤ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]:

* سبب نزولها:

قال الحسن ومجاهد في سبب نزولها: «لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قالت اليهود: إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء»، وذكر الحسن أن القائل هو حيي بن أخطب.

٤٠٥ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:
الموت ليس نهاية الرحلة بل بدايتها، فإما نعيم وإما جحيم، فحدِّد وجهتك من اليوم!

٤٠٦ ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:
أجر المؤمن: الثواب، وأجر الكافر: العقاب، ولفظ التوفية ﴿تُوَفَّوْنَ﴾ يشعر أن قبلها في الدنيا أو البرزخ بعض الأجور، لكن توفية الأجور وتكميلها لا يكون إلا يوم القيامة.

٤٠٧ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:
الزحزحة تكون بعمل يسير، فرُبَّ عمل صغير زحزحك عن النار، فإياك واستصغار أي عمل صالح!

٤٠٨ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]:
بين الجنة والنار مقدار (زحزحة)، فما أفقرك غدًا إلى حسنة واحدة تزحزحك عن النار هذه الزحزحة!

٤٠٩ تعريف جديد ووحيد للفوز.

٤١٠ والله لو لم يكن إلا النجاة من أهوال النار لكان فوزًا عظيمًا، فكيف لو أضيف إليه دخول الجنة، فوز من وراء فوز.

٤١١ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾ [آل عمران :١٨٨]: قال السعدي: «بالخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك».

٤١٢ ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران :١٩٠]:
بكى عليه الصلاة والسلام حتى بلَّ لحيته وقال: لقد أنزلت علي الليلة آيات .. ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها!

٤١٣ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ .. وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾ [آل عمران :١٩١]:
الطاعة ولود! فكثرة الذكر قادتهم لعبادة أخرى وهي عبادة الفكر.

٤١٤ ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران :١٩١]:
قال أبو سليمان الداراني: «إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة».

٤١٥ ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ [آل عمران :١٩٣]: قال محمد بن كعب القرظي: «ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، ولكن المنادي القرآن».

٤١٦ ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران :١٩٣]:
سئل الحسن البصري عن الأبرار، فقال: «هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ».

٤١٧ ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ... ﴾ [آل عمران :١٩٦]: مهما طال نعيمهم وكثر، فما هو إلا قطرة في بحر ما ينتظرهم من أهوال النار.

٤١٨ ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران :١٩٨]:
قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما من مؤمنٍ إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني؛ فإن الله يقول: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾.

سورة النساء

٤١٩ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء :١]:

قال ابن القيم: «وصلة الرحم واجبة وإن كانت لكافر، فله دينه وللواصل دينه».

٤٢٠ ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء :٢]:

من السبع الطوال في القرآن، وثاني آية منها ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء :٢]! في ظل الإسلام العظيم، لا خوف على حقِّك مهما كنتَ ضعيفًا.

٤٢١ ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء :٢]:

قال سفيان الثوري عن أبي صالح: «لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الرزق الحلال الذي قُدِّر لك».

٤٢٢ ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]:

أي تجوروا وتميلوا عن الحق، من عال الميزان عولًا إذا مال، ومنه عال الحاكم إذا جار، ثم استُعمِل في الميل المعنوي؛ لأن تعدد الزوجات يعرِّض صاحبه غالبًا للجور.

٤٢٣ ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾[النساء :٦]:

الحقوق المالية لابد لها من توثيق ولو كانت بين الأقربين.

٤٢٤ ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء :٨]: هذه وصية لمن عنده خادم أن يصرف له راتب شهر عند شهود الميراث، فإن النفوس تتشوف للعطاء، فوسِّع على غيرك كما وسَّع الله عليك.

٤٢٥ اليتيم إما طريق الجنة (أنا وكافل اليتيم في الجنة)، وإما طريق النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء :١٠].

٤٢٦ ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء :١٧]:
تأمل رحمة الله في قوله (على)، فجعل التوبة حقًّا أحقه على نفسه سبحانه، فما من تائب إلا وجعل الله على نفسه حقًّا أن يقبل توبته.

٤٢٧ ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [النساء :١٧]:
إقدامك على المعصية ليس جهلًا بحرمتها، وإنما هو جهل بعظمة من عصيت!

٤٢٨ ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء :١٧]:
قال أبو العالية: «سألت أصحاب النبي ﷺ عن هذه الآية، فقالوا: كل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب».

٤٢٩ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ [النساء :١٩]: جمع الله هنا بين عملين من أعمال الجاهلية نهى عنهما، فالأول: كانوا يرثون النساء كالمتاع، والثاني: العَضْل أي المنع من التزويج، فكان أولياء الميت يمنعون زوجته من الزواج بعده، ويتركونها على ذلك حتى تدفع لهم ما أخذت من ميراث الميت، أو تموت فيرثوها.

٤٣٠ ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء :١٩]: خيرا كثيرا، ولو بدون حب، فليس على الحب وحده يقوم الزواج.

٤٣١ ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء :١٩]:
ليس فقط ذهاب ما تكره، وليس عكس ذلك من الخير فحسب، بل وكثيرًا أيضًا.

٤٣٢ لو قال خيرًا لكفى؛ فكيف وهو خير كثير؟! ﴿ كَثِيرًا ﴾ لدرجة أن ينسيك آلامك، فتفاءل مهما كان الألم بالغًا!

٤٣٣ قد تكون كراهية الشيء أول الخير فيه، فأحسِن الظن باللطيف الخبير.

٤٣٤ ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء :٢١]:
رِباط الزوجية أعظم عقد وميثاق، فلا تحل هذا العقد في لحظة غضب.

الجزء الخامس
من سورة النساء الآية ٢٤
إلى سورة النساء الآية ١٤٧
عدد الفوائد ١٣٣

٤٣٥ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء :٢٧]:
لا تعاند ربك فتؤذي نفسك؛ وذلك بإرادة المعصية وإصرارك عليها.

٤٣٦ ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾[النساء :٢٧]:
هل أدركت الآن حجم المؤامرة التي فضحها الله في كتابه؟!

٤٣٧ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ..﴾[النساء :٢٧]
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ..﴾ [النساء :٢٨]: ما أحلم الرب في تودده إلى العبد!!

٤٣٨ ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[النساء :٢٨]
فلا قوة له إلا بربه، فاقترب من ربك، واستمد منه القوة.

٤٣٩ سئل الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[النساء :٢٨]: ما ضعفه؟ قال: المرأة تمر بالرجل فلا يملك نفسه عن النظر إليها، وهو لاينتفع بها؟ فأي شيء أضعف من هذا؟!

٤٤٠ خلقنا الله ضعفاء لنفتقر إليه، فإذا افتقرنا إليه قوينا!

٤٤١ بلغ من ضعفه أن كلمةً تُسعِده، وأخرى تُحزنه، وثالثة تغضبه، ورابعة تُقلِقه، فأي شيء أضعف من هذا؟!

٤٤٢ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]:
قال الفضيل بن عياض: «لا تغفلوها عن ذكر الله، فإن من أغفلها عن ذكر الله -تبارك وتعالى- فقد قتلها».

٤٤٣ ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]:
مجرد اجتناب الكبائر يكفر عنا الصغائر! فأي كرم هذا؟!

٤٤٤ ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]:
لم نسمع بكريم قال لأحد: سَلْني، ثم لم يعطه، فكيف بأكرم الأكرمين؟! وهو الذي قال: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

٤٤٥ قال سفيان الثوري: «ما أمر بالمسألة إلا ليعطي».

٤٤٦ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]: ادفع الحسد عن قلبك بدعاء ربك وسؤال فضله.

٤٤٧ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]:
نهى الله عن مجرد تمني ما في أيدي الغير، وهو عمل القلب، فكيف بالعدوان عليهم وهو عمل الجوارح؟!

٤٤٨ ذكّرنا الله بأن تفضيل بعضنا على بعض محض فضل إلهي لا دخل للعبد فيه؛ لئلا يسخط المفضول، أو يفخر الفاضل.

٤٤٩ ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء: ٣٤]:
تفقد المرأة من صلاحها بمقدار ما تفقد من حفظها لسِرِّ زوجها.

٤٥٠ ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]:
لطف الله بالنساء ورحم ضعفهن حتى جعل عقوبتهن مجرد كلمة وعظ!

٤٥١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]:
لن يردع الزوج عن ظلم زوجته شيء أعظم من تذكره عظمة الله وعلوه وكبره!

٤٥٢ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ [النساء: ٣٥]:

قال الزمخشري: «وإنما كان الحكمان من أهلهما؛ لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح، وإليهم تسكن نفوس الزوجين، ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض، وإرادة الصحبة والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته، وما يزويانه عن الأجانب، ولا يحبان أن يطلعوا عليه».

٤٥٣ ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء :٣٥]:

صدق إرادة الإصلاح عند الزوجين من أهم أسباب التوفيق بينهما عند الخلاف.

٤٥٤ قال القاسمي: «من أصلح نيته فيما يتوخاه؛ وفّقه الله تعالى لمبتغاه».

٤٥٥ ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء :٣٦]:

على الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه من:

مساعدته على أمور دينه ودنياه،

والنصح له،

والوفاء معه في اليسر والعسر،

وأن يحب له ما يحب لنفسه .

٤٥٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء :٣٦]:

هب العالم كله ضجَّ بامتيازاتك وتكلم عن إنجازاتك، لكن ربك لا يحبك!!

٤٥٧ ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾[النساء :٣٧]:

أي يحضون الناس عليه، وهذا أشد البخل، وهؤلاء هم المنافقون، ويحتمل أن يراد به كتمان التوراة بما فيها من صفة النبي ﷺ، وعلى هذا يكون المراد هنا اليهود، وهو المأثور عن ابن عباس.

٤٥٨ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]:
قال قتادة: «لأن تفضُل حسناتي ما يزن ذرّة أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها».

٤٥٩ ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]:
من مضاعفتها نشر ثناء الناس عليها، ودعاؤهم لصاحبها.

٤٦٠ يضاعفها إلى كم؟! قال السعدي: «إلى عشرة أمثالها إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها، ونفعها، وحال صاحبها إخلاصًا ومحبة وكمالًا».

٤٦١ ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]:
قال ابن عطية: «الله إذا مَنَّ بتفضله.. بلغ بعبده الغاية!».

٤٦٢ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]:
بكى الشهيد هنا، فماذا عن المشهود عليهم؟!

٤٦٣ ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]:
كم من مُصَلٍّ غافلٍ من سكرة هواه، لا يعلم ما يتلوه في الصلاة.

٤٦٤ ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]:
قال السعدي: «فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره».

٤٦٥ ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]:
أعظم موضع يحتاج إلى التصريح هو موضع الأحكام الشرعية، ومع هذا كنَّى القرآن فيه، فحافِظ على رُقيِّ كلماتك في جميع أحوالك.

٤٦٦ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ [النساء: ٤٥]:
إذا تخلى الناس عنك في كربك، فاعلم أن الله يريد أن يتولاك.

٤٦٧ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]:
يزكيك الله وينشر لك الذكر الحسن بقدر ما تقاوم تزكية نفسك ومدحها.

٤٦٨ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]:

إن لم تكن تزكيتك من رب الأرض والسماء، فلن ينفعك عند الناس تزكية ولا ثناء.

٤٦٩ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ :[النساء: ٤٩]:

تزكية النفس عادة يكرهها الله وينفر منها الناس، فلم تفعلها؟!

٤٧٠ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]:

لا تحسد أحدًا على نعمة من النعم، فأنت لا تعلم ماذا حرمه الله أو أصابه من النِّقَم!

٤٧١ الحاسد معترض على ربه لا على من حسده.

٤٧٢ ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾! هذا حالهم.. كلما ظنوا تخفيفا زِيد في عذابهم، فمن الذي يطيق هذا؟!

٤٧٣ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]:

أخذ النبي ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة فأمره ربه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، فكيف بالأمانة في ما هو أعظم من مفتاح!

٤٧٤ قال السعدي: «الأمانات يدخل فيها أشياء كثيرة، وأداؤها بأن يجعل فيها الأكفاء لها».

٤٧٥ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النساء: ٥٨]:

أعظم المواعظ مواعظ القرآن.

٤٧٦ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ [النساء: ٦١]:

إذا أردت كشف المنافق، فتحاكم معه إلى الكتاب والسنة، وراقب موقفه.

٤٧٧ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]:

انصح سرًّا فهو أرجى للقبول.

٤٧٨ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[النساء:٦٥]:
إيمان بلا تسليم لأحكام الشرع هو محض هراء.

٤٧٩ ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
[النساء:٦٥]: الاستقامة لا تعني فقط فعل الطاعات، بل لزوم الحق والإذعان له في كل الأحوال.

٤٨٠ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ [النساء :٦٥]:
من دلائل الإيمان الصادق: التسليم التام لأمر الله من غير أدنى حرج في النفس.

٤٨١ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[النساء :٦٦]:
فعل المواعظ وتنفيذها من أهم أسباب الثبات على الحق.

٤٨٢ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[النساء :٦٦]:
أكثر الناس انتكاسًا ؛ أقلُّهم عملاً بما يوعظ به.

٤٨٣ ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء :٦٩]: قدَّم الصديق على الشهيد لأن الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيله.

٤٨٤ ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء :٧٧] :
قليل .. لا يستحق أن تبكي على فقده، ولا أن تقلق من أجله.

٤٨٥ قال السعدي: «لذات الدنيا مشوبة بأنواع التنغيص وزمانها منقضٍ، والآخرة دائمة النعيم وأهلها خالدون، فإن فكَّر العاقل عرف الأحق بالإيثار».

٤٨٦ ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[النساء :٧٩] :
فهمت من هذه الآية أن أحزاني وقلقي ومخاوفي من صنع يدي، وأن سعادتي قرار شخصي، وأن الناس لا يستطيعون -مهما فعلوا- أن يشقوني.

٤٨٧ الابتلاء تذكيرٌ عمليٌّ بذنوبك كي تتوب منها.

٤٨٨ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء :٨٢] :
قال ابن القيم: «فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم».

٤٨٩ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء :٨٣] :اللسان في الفتن وقعه كوقع السيف، ومنهج المؤمن في الفتن إمساك اللسان، واستشارة العلماء الثقات.

٤٩٠ ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء :٨٥]:
الشفاعة هي الوساطة في إيصال خير أو دفع شر، سواء كانت بطلب من المنتفع أم لا، وتكون بلا مقابل، ومنها الشفاعة للمظلومين، وفي الحديث: «اشفعوا تؤجَروا».

٤٩١ ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء :٨٥]:
بعضنا يتردد في الشفاعة لأنه يخاف على مكانته، ويرى أنه لن يستفيد من الشفاعة شيئًا، فوعده الله بنصيب منها.

٤٩٢ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء :٨٥]:
الآية الوحيدة في القرآن التي ورد فيها اسم الله المقيت، فلا تحمل الهم، إنما أنت شيء من الأشياء، فلن يعجز المقيت أن يدبِّر لك (قوتَك).

٤٩٣ ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء :٨٦]:
ما أجمل (الكرم) ولو كان في (التحية).

٤٩٤ ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ [النساء :٨٦]
دين يعلِّمنا الإحسان في كل شيء حتى في التحية.

٤٩٥ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ [النساء :٨٨]:
ليس العجب من مرض المنافقين، ولكن العجب من انقسام أهل الحق فيهم إلى فريقين!

٤٩٦ لما كان للمنافق وجهان ، كان مفهومًا أنْ يكون للصالحين فيه رأيان مختلفان، بحسب ما يراه كل واحد منهما.

٤٩٧ ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء :٨٩]:
الضال يتمنى أن يكون الناس كلهم مثله، كي لا يشعر بوحشة الانحراف.

٤٩٨ قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن».

٤٩٩ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ [النساء :٩١]: هم قومٌ من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عُهودَهم ليأمَنوا قومَهم، وما هم بمخلصين الود لأي من الفريقين، ففيهم نزلت هذه الآية.

٥٠٠ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ [النساء :٩١]: المؤمن حازم صارم، فأمر الله المؤمنين أن يأخذوا ويقتلوا المتلاعبين بالدين، الذين يظهرون الإسلام مع المسلمين، فإذا ما عادوا إلى قومهم كانوا معهم ضد المسلمين.

٥٠١ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ [النساء :٩١]: يظنون الحياد بين الحقّ والباطل كافيًا، وأنه الطريق الأسلم، وما علموا أن هذا أول خطوة في طريق السقوط.

٥٠٢ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء :٩٢]:
وعليه، فلا يقتل القاتل حين يقتل متعمدًا وهو (مؤمن).

٥٠٣ هذه صيغة من صيغ الامتناع والمبالغة في النفي، أي يمتنع ويستحيل أن يصدر من أي مؤمن قتل مؤمن! أي: متعمدًا، وغرض الآية: تفظيع قتل المؤمن.

٥٠٤ ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ [النساء :٩٢]:
ليس معنى (يصدقوا) الصدقة بل المعنى هنا العفو، وسمِّي العفوُ هنا صدقةً حثًا عليه وتنبيهًا على فضله.

٥٠٥ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ ..... وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٩٣]: عذابه عظيم حتى يكون (ألم المقتول) أهون ما يكون إذا قورن (بألم القاتل).

٥٠٦ ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء :٩٤]: حتى عند القتال لابد من التبين والتثبت، فلا شيء يبرِّر التهور في إصدار الأحكام على الآخرين .

٥٠٧ ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ...﴾ [النساء :٩٤]: إلى كل معلِّم! قال ابن عاشور: «هي عظة لمن يمتحنون طلبة العلم فيعتادون التشديد عليهم».

٥٠٨ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء :٩٥]: محال أن يساوي الله بين عبد أسرع إليه وآخر أبطأ عنه.

٥٠٩ ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء :١٠٠]:

سبب نزولها:

نزلت في جندب بن ضمرة، وكان قد بلغه وهو بمكة فقال لبنيه: احملوني فإني لست من المستضعفين، وإني لأهتدي إلى الطريق، وإني لا أبيت الليلة بمكة، فحملوه على سرير متوجهًا إلى المدينة، وكان شيخًا كبيرًا، فمات بالتنعيم، ولما أدركه الموت أخذ يصفق يمينه على شماله ويقول: اللهم هذه لك، وهذه لرسولك ﷺ، أبايعك على ما بايع عليه رسولك- ثم مات- ولما بلغ خبر موته الصحابة قالوا: ليته مات بالمدينة فنزلت الآية ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[النساء :١٠٠].

٥١٠ ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[النساء :٩٧] أرض الله واسعة ومليئة بالفرص ومنح التغيير! فاخرج إلى أرض جديدة إن ضاقت بلادك بأحلامك.

٥١١ ﴿ قَالُوٓاْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء :٩٧]:
التعلل بالأعذار لا يصلح أن يكون مبررًا للفشل والاستسلام.

٥١٢ ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[النساء :١٠٠]:
الهجرة في أقصر تعريف: دليل على أن دين المرء أغلى عنده من وطنه.

٥١٣ ﴿ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء :١٠٠] :
نية المرء خير من عمله، وبعض نياتك تبلغ بك أعظم الدرجات، ولن ينقطع أجرها حتى بعد موتك.

٥١٤ ﴿ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[النساء :١٠٠]:
قال السعدي: «فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى؛ وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملًا ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها».

٥١٥ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [النساء :١٠٣]:
كان الحسن البصري يقول: «يا ابن آدم .. ماذا يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟!».

٥١٦ الصلاة فضلًا عن أنها أفضل العبادات، لكنها كذلك من أهم وسائل تنظيم الأوقات.

٥١٧ ﴿فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ ﴾ [النساء :١٠٤]:
الألم واحد لكن الجزاء مختلف ومتفاوت بحسب حال القلب: ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ ﴾ [النساء :١٠٤].

٥١٨ ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ ﴾[النساء :١٠٤]:
آلامك .. لا يخففها عنك إلا رجاء ثواب الله.

٥١٩ تشجيعٌ على الصبر، فليس ما تقاسونه من ألم خاصًّا بكم، بل يشاركُكم فيه الكفار والفجار، وإنهم ليصبرون على آلامهم، فما لكم لا تصبرون! مع أنكم ترجُون من حسن العاقبة في الدنيا، وثواب الآخرة ما لا يرجون .. آه من جلَد الفجار وعجز الأبرار..

٥٢٠ ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]:

أي لأجل الخائنين مخاصمًا ومدافعًا عنهم، فلا تخاصم اليهود من أجل خائن، ولو كان مسلمًا.

٥٢١ قال الشوكاني: «أي: لأجل الخائنين خصيمًا: أي مخاصمًا عنهم مجادلًا للمحقين بسببهم، وفيه دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه مُحِقٌّ».

٥٢٢ ﴿يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧]:

لم يقل (يخونون)، وهو افتعال دال على التكلف لقصد المبالغة في الخيانة، ويمكن أن يخون الإنسان غيره، لكن كيف يخون نفسه؟

٥٢٣ خيانة النفس تحدث بالغفلة عن العقوبة الآجلة بالشهوة العاجلة، فجعلت خيانة هؤلاء لغيرهم خيانة لأنفسهم؛ لأن سوء عاقبة هذه الخيانة سيعود عليهم، ولهذا يقال لمن ظلم غيره: إنه ظلم نفسه.

٥٢٤ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]:

الخاص عند الله كالعام! فراقبه على الدوام، ولا تستهن بنظره إليك في السر والإعلان.

٥٢٥ ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]:

ما أقرب الله .. ما أرحم الله .. ما ألطف الله!!

٥٢٦ ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ....﴾ [النساء: ١١٠]:

أبشع الظلم ظلم النفس؛ لأنها أغلى ما تملك، ولا تستحق منك هذه المعاملة! كيف لعبد أن يذبح نفسه؟!

٥٢٧ ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء :١١٢]: قال القشيري: «من نسب إلى أحد ما هو بريء منه من المخازي عكَس الله عليه الحال، وألبس ذلك البريء ثواب محاسن راميه، وسحب ذيل العفو على مساويه، وقلَب الحال على المتعدّي بما يفضحه بين أشكاله، في عامة أحواله».

٥٢٨ وقوع العبد في المعصية أهون عند الله من اتهام بريء بها.

٥٢٩ ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء :١١٤]:

قال عليه الصلاة والسلام: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله». قيل لسفيان الثوري: ما أشد هذا الحديث! فقال سفيان: ألم تسمع الله يقول هذا بعينه.

٥٣٠ ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء :١١٥]:

وعيدٌ إلهي بأنْ يترك الله كلَّ فاسِدٍ مع اختيارِه! أي نجعله واليًا لما تولاه من الضلال، ونُخلِّيَ بينه وبين ما اختار لنفسه من سيئ الأحوال، وهذا دليل على استقلال إرادة العبد وحرية اختياره، فهو مخيَّر لا مسيَّر.

٥٣١ ﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ ﴾ [النساء :١١٩]:

يبلغ من تسلط الشيطان على العبد أن يأمره فيمتثل، كالعبد بين يدي سيده، وهذا قمة الذل والهوان، فضلًا عن أنه يورِد يوم القيامة النيران.

٥٣٢ ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء :١٢٠]:

والغرور: إظهار الشيء المكروه في صورة المحبوب، والمعنى: أن ما سوَّله لهم الشيطان في حصول ما يرغبون:

إما باطل لا يقع، مثل ما يسوِّله للناس من عقائد فاسدة ومذاهب منحرفة.

أو حاصل لكنه غير محمود في العاقبة، مثل ما يزيِّنه للناس من قضاء دواعي الغضب والشهوة.

٥٣٣ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء :١٢٣]: حتى أهل الكتاب لهم أماني، لكن لن (ينجو) إلا أهل (الأعمال).

٥٣٤ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء :١٢٣]:

قرأتُ لابن الجوزي في صيد الخاطر: «من الاغترار أن تسيء فترى إحسانا، فتظن أنك قد سومحت، وتنسى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾».

٥٣٥ كل ظالم معاقب على ظلمه في العاجل قبل الآجل.

٥٣٦ ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء :١٢٨]:

خيرٌ من ماذا؟! قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة» صحيح الجامع رقم: ٢٥٩٥.

٥٣٧ ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء :١٢٨]:

لا يعطِّل الصلح بين المتخاصمين، ولا يطيل الخصومة؛ إلا الشح، فكل خصم يصيح: حقي! حقي!

٥٣٨ ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء :١٢٩]:

قال الحسن وابن جرير: في المحبة، وعن أبي مليكة أن الآية نزلت في عائشة رضي الله تعالى عنها، وكان رسول الله ﷺ يحبها أكثر من غيرها من نسائه.

٥٣٩ أخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة أنها قالت: «كان النبي ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

٥٤٠ قال جابر بن زيد: كانت لي امرأتان فلقد كنت أعدل بينهما حتى أعدُّ القُبَل! وعن مجاهد قال: كانوا يستحبون أن يسووا بين الضرائر حتى في الطيب، يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه، وعن ابن سيرين في الذي له امرأتان يكره أن يتوضأ في بيت إحداهما دون الأخرى.

٥٤١ ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[النساء :١٣٠]:

هـذه أرق كلمة يمكـن أن تسمعها المطلقة، ويكفي أنها مواساة من الرب اللطيف لعبده المنكسر الضعيف.

٥٤٢ ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء :١٣٠]: لا تشعر بالضيق عند فقد ما تحب، فقد يأخذ الفقد يدك إلى السعة.

٥٤٣ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ [النساء :١٣٠]:

مما وسعه الواسع: (الحياة) ؛ فلن تضيق الحياة على مؤمن.

٥٤٤ ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[النساء :١٣٠]:

كل شيء فقدته، فارِقه مع اليقين بالعِوَض، وسيغنيك الله عنه من سَعَته.

٥٤٥ رُوِي عن جعفر بن محمد أن رجلًا شكا إليه الفقر، فأمره بالنكاح، فذهب الرجل وتزوج، ثم جاء إليه وشكا إليه الفقر، فأمره بالطلاق، فسئل عن هذه الآية فقال: أمرته بالنكاح لعله من أهل هذه الآية: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾، فلما لم يكن من أهل تلك الآية أمرته بالطلاق، فقلت: فلعله من أهل هذه الآية ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾.

٥٤٦ ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[النساء :١٣٤]:

قال أبو حامد الغزالي: «من طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعا، ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعًا!».

٥٤٧ ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[النساء :١٣٥]:

إن لم يكن لك من نفسك واعظ ، لم تنفعك المواعظ.

٥٤٨ ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ [النساء :١٣٥]: قد يقول قائل: قد ينحاز صاحب الهوى إلى الغنيِّ طمعًا في غناه؛ فلم ذكر الله الانحياز إلى الفقير؟ والجواب: قد ينحاز صاحب الهوى إلى الفقير رحمةً به وشفقة عليه.

٥٤٩ ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥]:

إياك أن يميل بك الهوى لتمنع حقا عن من تكره، أو تعطي بغير حق من تحب.

٥٥٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦]:

نحتاج دومًا لتجديد الإيمان، وتفقده في قلوبنا، مهما كنا مؤمنين.

٥٥١ ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]:

العزة الحقيقية لا تستمد إلا من الله.

٥٥٢ ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]:

كما أنك تأثم على كلام لا يجوز أن تتكلم به؛ فكذلك تأثم بسكوتك على منكر لا يجوز السكوت عنه.

٥٥٣ ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]:

قال القرطبي: «فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن يُنكِر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية».

٥٥٤ رُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه أخذ قومًا يشربون الخمر، فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب (أي: عاقبه)، وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

٥٥٥ ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ [النساء: ١٤١]:

المنافقون يفتحون خطوط الرجعة لكلِّ الاحتمالات تحسبًا للقادم؛ لأنهم ليسوا أصحاب مبدأ.

٥٥٦ ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]:

لا يُسلِّط الله الكافرين على المؤمنين إلا بمقدار نقص إيمانهم وابتعادهم عن دينهم.

٥٥٧ ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]:

حين يرحل الحب من القلب؛ يتثاقل المرء عن اللقاء!!

٥٥٨ ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء :١٤٢] :

إذا لم تجد ألماً في قلبك عند قيامك للصلاة بتكاسل، فهذه مصيبة أعظم تقرع ناقوس الخطر، وتوجب سرعة التحرك والحذَر.

٥٥٩ ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء :١٤٢]:

قال كعب : «من أكثر من ذكر الله برئ من النفاق».

٥٦٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[الأحزاب :٤١]:

من أحبّ شيئًا أكثر من ذكره، فكيف حبك لربك؟!

٥٦١ ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[الأحزاب :٤١]:

قال السعدي: «وأقل ذلك: أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال».

٥٦٢ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[النساء :١٤٣]:

حدِّد موقفك في الصراع بين الحق الباطل، وإلا تسرَّب النفاق إلى قلبك، وملتَ بمرور الوقت إلى أهل الباطل دون أن تشعر.

٥٦٣ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[النساء :١٤٣]:

ليس الحياد دائمًا فضيلة، أحيانًا يكون علامة نفاق!

٥٦٤ ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء :١٤٧]:

هذه بشارة! قال قتادة : «إن الله جلّ ثناؤه لا يعذب شاكرًا ولا مؤمنًا».

٥٦٥ قال القشيري: «هذه آية توجب حسن الرجاء وقوة الأمل، لأنه جعل من أمارات الأمان من العقوبة شيئين اثنين: الشكر والإيمان، وهما خصلتان يسيرتان خفيفتان، فإن الشكر مقالة، والإيمان حالة، ولقد هوَّن السبيل على العبد حين رضي منه بمقالته وحالته».

٥٦٦ قال الزمخشري: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ﴾[النساء :١٤٧]: «أيتشفى به من الغيظ؟ أم يدرك به الثأر؟ أم يستجلب به نفعًا؟ أم يستدفع به ضررًا؟ كما هو شأن الملوك.

٥٦٧ وهو الغنى المتعالي الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، وإنما هو أمر اقتضته الحكمة أن يعاقب المسيء، فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب» .

من روائع المتدبرين

عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب، كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ، فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]

إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب فقال: يا أبا المنذر .. أتيتُ قبل على هذه الآية

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]

وقد ترى أنا نظلم ونفعل، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا ليس بذلك، يقول الله:

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] إنما ذلك الشرك».

تعظيم قدر الصلاة ٢-٥٢٤ - محمد بن نصر المروزي - مكتبة الدار- المدينة المنورة

الجزء السادس

من سورة النساء الآية ١٤٨
إلى سورة المائدة الآية ٨١
عدد الفوائد ٧٧

٥٦٨ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[النساء :١٤٨] :

قال السعدي: «فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه ويتشكى منه، ويجهر بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه، ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: ٤٠].

٥٦٩ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[النساء :١٤٨]:

يريد الله أن يحمي آذان المجتمع من قول السوء والألفاظ الرديئة؛ لأن الناس تتكلم بما تسمع، والنطق بالكلمة السيئة سيرهق أجيالًا قادمة؛ لأن من يسمع يردِّد، ويلقي إلى غيره فينشر، فينتشر السوء كالوباء، ويتحمل الوزر من نطق به أول مرة.

٥٧٠ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء :١٤٨]:

هذا التذييل مقصود به التحذير من التعدي في الجهر بالسوء المأذون فيه، ووعدٌ للمظلوم بأن الله تعالى يسمع شكواه ودعاءه، ويعلم ظلم ظالمه له.

٥٧١ حجة المظلوم وإن لم يسمعها أحد، فإن الله سامعها، وقادر على الانتصار لها.

٥٧٢ ﴿أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾[النساء :١٤٩]:

الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عن الناس، عفا الله عنه.

سورة المائدة

٥٧٣ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة :١]:

ما هذه البلاغة! حكى النقاش أن أصحاب الكِندي قالوا له: أيها الحكيم .. اعمل لنا شيئًا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أيامًا كثيرة ثم خرج فقال: «والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرتُ فإذا هو نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلَّل تحليلًا عامًّا، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا» .

٥٧٤ ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [المائدة :٢]:

معطوف على شعائر الله، والمراد به الجنس، فيدخل في ذلك جميع الأشهر الحرم، وهي أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم، ورجب، وسُمِّي الشهر حرامًا باعتبار أن إيقاع القتال فيه حرام.

٥٧٥ ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ ﴾ [المائدة :٢]: حذارِ ان تدفعكم كراهية أحد إلى الجَوْر عليه والعدوان. قال ابن كثير: «لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل أحد، في كل حال».

٥٧٦ عن زيد بن أسلم قال: «كان رسول الله ﷺ وأصحابه بالحديبية، حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم ناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال الصحابة. نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فنزلت هذه الآية».

٥٧٧ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[المائدة :٢]:

والإثم هو التجرؤ على معصية الله التي يأثم صاحبها، والعدوان هو التعدي على الخَلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل إثم وعدوان يجب على العبد كفُّ نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه.

٥٧٨ ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]:

قال ابن القيم: «من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم -أي المُدرَّب-». حتى الكلاب تتمايز فيما بينها بالعلم!

٥٧٩ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨]:

خلافك مع غيرك يجب ألا يخرجك عن دائرة العدل وقول الحق.

---

٥٨٠ قال ابن رواحة لليهود: والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ، يعني رسول الله ﷺ، ولأنتم أبغض إليّ من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي لكم وحبي إياه أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض.

٥٨١ ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١]:

كم من خطر أحدق بك وأنت عنه غافل، حرسك الله منه دون أن تحس.

٥٨٢ ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ١٢]:

أقرب العباد إلى الله أكثرهم صلاة، وهم الفائزون بمعية التأييد والنصرة.

٥٨٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]:

ومن أحبه الله أحبته الملائكة والناس أجمعون.

٥٨٤ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ١٤]:

ادعاءاتكم باطلة! لم يقل: «ومن النصارى» إشارة إلى أن ادعاءهم النصرانية -وهي الدين الذي جاء به عيسى- هو قولٌ بأفواههم دون أن يتبعوه بقلوبهم؛ إذ لو كانوا متبعين له حقًّا لآمنوا بمحمد ﷺ الذي بشّر به عيسى عليه السلام.

٥٨٥ ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ﴾

[المائدة: ١٤]: قال قتادة: «لما تركوا كتاب الله، وعصوا رسله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره، ما افترقوا ولا تباغضوا».

٥٨٦ ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة :١٤]:

قال عبد الله بن مسعود: قد ينسى العبد بعض العلم بالمعصية، وتلا هذه الآية: ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٤].

٥٨٧ ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة :١٨]:

قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذِّب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا الشيخ هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾

٥٨٨ لهذه الآية شاهد في مسند أحمد عن أنس: مرَّ النبي ﷺ في نفر من أصحابه، وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني.. ابني! وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار، فقال ﷺ: «لا .. والله ما يلقي حبيبه في النار».

٥٨٩ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة :٢٣]:

أنعم عليهما بنِعَم الإيمان والثبات والثقة بوعد الله وطاعة أوامره، وهي كلها نعم دينية، لا يلتفت إليها أكثر الناس؛ ولذا لا يؤدون شكرها، ويجزعون لمصائب الدنيا وحدها.

٥٩٠ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ [المائدة :٢٣]: من خاف من الله حقًّا لم يخف من الخلق.

٥٩١ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة :٢٣]:

المبادرة المبادرة، والهجوم خير وسيلة للدفاع.

---

٥٩٢ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ [المائدة :٢٣]: لم يلق نصح الرجلين استجابة من قومهم، لكن القرآن خلَّد ذكرهما بهذه الكلمات.. مقاييس النجاح عند الله مختلفة!

٥٩٣ ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]:

فراق الفجرة من سِمات البررة.

٥٩٤ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]:

القبول لا يخضع لظاهر العمل، بل لِما وقر في قلبك من التقوى.

٥٩٥ ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]:

في الحديث الذي أخرجه الشيخان: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتَل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها؛ لأنه أول من سن القتل».

٥٩٦ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]: شكرًا لك أيها الغراب.. علمتنا درسًا من دروس الأخوة.

٥٩٧ تعلم من كل من حولك حتى لو كان أقل منك، فقد تعلَّم ابن آدم من غراب كيف يدفن أخاه.

٥٩٨ ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]:

هذا أعظم نصٍّ عرفته البشرية في تعظيم قتل النفس، قال الزمخشري في فائدة هذا التعبير: «تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب، وليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعًا، عظم ذلك عليه فثبطه- عن القتل- وكذلك الذي أراد إحياءها».

٥٩٩ ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]:

كلُّ قربة تقرِّب من الله فهي وسيلة، فكل عمل صالح، وكل اجتناب لمعصية هو وسيلة إلى الله.

٦٠٠ الوسيلة هي الوصْلة التي تُوصل إلى طاعة الله ورضوانه ومحبته، وهل يتقرَّب إنسان إلى أحد يحبه إلا بما يعلم أنه يُحبّه؟ فما بالنا بالتقرب إلى الله؟ وما يُحبه الله سبحانه أوضحه في الحديث القدسي: «وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه».

٦٠١ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة :٣٨]:

ختم الله آية حد السرقة بهاتين الصفتين، فهو عزيز في انتقامه من المفسدين، حكيم في تقديره الحدود حفظًا لمصالح عباده.

٦٠٢ قال الأصمعي: كنتُ أقرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وبجانبي أعرابي، فقال كلام من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: ليس هذا كلام الله، فانتبهت فقرأت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] فقال: أصبت .. هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: من أين علمت؟ قال: يا هذا .. عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

٦٠٣ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة :٣٨]:

أكل الحرام نقصان في كل شيء، في الإيمان وفي الأبدان.

٦٠٤ يقول صاحب الظلال: «والرَّدع عن ارتكاب الجريمة رحمة بمن تحدِّثه نفسه بها؛ لأنه يكفه عنها، ورحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة، ولن يدَّعي أحد أنه أرحم بالناس من خالق الناس، إلا وفي قلبه عمى، وفي روحه انطماس!».

٦٠٥ ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة :٣٩]: الظلم عمل إيجابي شرير مفسد، فلا يكفي في التوبة أن يكف الظالم عن ظلمه، بل لا بد أن يعوِّضه بعمل إيجابي صالح، يصلح به ما أفسده.

٦٠٦ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [المائدة :٤١]:

آية ينتفض لها القلب خوفًا، فالمدار في صلاحك أو فسادك بحسب قلبك، فراقب قلبك باستمرار.

---

٦٠٧ سين: ما الحكمة في إرادة الله فتنة بعض خلقه؟

جيم: هم بدأوا!

زاغوا فأزاغهم، وابتعدوا فأبعدهم، وانحرفوا فعاقبهم على انحرافهم: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

٦٠٨ ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾[المائدة :٤٢]:

ذمَّ الله سماع الكذب، فما بالك بمن يردِّده وينشره؟!

٦٠٩ ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[المائدة :٤٢]:

أي الحرام. قال ابن جرير: شفع مسروق لرجل في حاجة فأهدى إليه جارية، فغضب مسروق غضبًا شديدًا وقال: لو علمت أنك تفعل هذا ما كلمت في حاجتك، ولا أكلمه فيما بقي من حاجتك. سمعت ابن مسعود يقول: «من شفع شفاعة ليرد بها حقًا، أو يرفع بها ظلمًا، فأهدى له، فقبل، فهو سحت».

٦١٠ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[المائدة :٤٢]:

قال أبو حنيفة: «إذا ارتشى الحاكم انعزل في الوقت وإن لم يُعزَل (أي استحق العزل)».

٦١١ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المائدة :٤٤]:

قال ابن عباس: «من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرَّ به ولم يحكم فهو ظالم فاسق».

٦١٢ ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾[المائدة :٤٥]:

حث على التعامل بالفضل لا بالعدل، أي: فمن تصدق بما ثبت له من حق القصاص لجرحه أو دم وليِّه، فصدقته كفارة لذنوبه، وفي الحديث: «ما من رجل يجرح في جسده جراحة، فيتصدق بها إلا كفَّر الله عنه مثل ما تصدق». صحيح الجامع رقم: ٥٧١٢.

٦١٣ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[المائدة :٤٩]:

سبب نزولها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال كعب بن أسد وابن صوريا وشاس ابن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه: فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعك يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدق، فأبى رسول الله ﷺ ذلك، فأنزل الله فيهم:
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾».

٦١٤ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]:
الوحي في مقابل الهوى، فلا ينصرف أحد عن حكم الله إلا اتباعًا لهواه، مهما تذرَّع بالأعذار.

٦١٥ ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]:
والتحذير هنا تحديدًا من اليهود، فإنهم كما قال الحافظ بن كثير: (كَذَبة كفَرة خوَنة)، فهذه صفات ثلاث ملازمة لهم في مكان وزمان.

٦١٦ لا محاباة في الحق، فالتحذير هنا لسيد الخلق وصفوة رسل الله، لكنه ينصرف إلى أمته من باب أَوْلى.

٦١٧ أي: احذر هؤلاء اليهود؛ فإنهم كما قال الحافظ ابن كثير:(كذبة كفرة خونة) فهؤلاء اليهود فيهم هذه الثلاث الصفات (كذبة كفرة خونة)، وهذا هو الحق في وصفهم في جميع الأزمان وفي كل مكان.

٦١٨ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]:
بعض الطاعات لا يُوَفَّق لها العبد بسبب ذنب سابق، فلا تظن أن شؤم الذنب انقضى بانقضائه.

٦١٩ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]:
﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٩]، لكن الواقع شيء آخر! فأي غُربة يحياها المسلمون اليوم؟!

٦٢٠ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]:
قال عبد الله بن عتبة: «ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر».

٦٢١ ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]:
سيفتح الله باباً كنت تحسبهُ .. من شدة اليأس لم يُخلَق بمفتاح

٦٢٢ سين: ما الذي يجمع بين (الفتح) و(أمر من عنده)؟! جيم: يجمعهما المفاجأة وعدم توقع الحدوث.

٦٢٣ ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢]: تسارع المنافقين لإرضاء أعداء الأمة داء قديم، ويتجدد مع كل أزمة.

٦٢٤ أرض الخوف يتفشى فيها داء النفاق.

٦٢٥ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]:

سنة الله في خلقه .. إذا انتكس مؤمن واحد، أتى الله بقوم آخرين بدلًا منه!

٦٢٦ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]:

قال أبو يزيد البسطامي: «ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير؛ بل إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير».

٦٢٧ ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤]:

أوصى النبي ﷺ أبا ذر: «قل الحق وإن كان مُرًّا». قلت: زدني. قال: «لا تخف في الله لومة لائم».

٦٢٨ إن كنت تخشى اللوم في ما تقول أو تكتب على صفحتك، فتذكر أن الله مدح أحبابه فقال: ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

٦٢٩ ﴿ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]:

قدَّم محبته لهم على محبتهم له؛ فلولا أنه أحبهم ما أحبوه، ولا وصلوا إلى طاعته ولا عرفوه.

٦٣٠ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ [المائدة: ٥٤]:

من ذل بين يدي إخوانه ولان، فاز بمحبة الرحمن.

٦٣١ ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]:

لا يمكن لعبد أحب الله أن يرتدَّ عن دينه، اغرسوا حب الله في قلوب من تحبون.

٦٣٢ ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٨]: الاستهزاء بالدين علامة قلة العقل، ولو حمل صاحبه أعلى الشهادات.

٦٣٣ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة :٦٣]: مقاومة الرشوة والفساد المالي من مهام المصلحين في كل عصر.

٦٣٤ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة :٦٣]:

قال الإمام القرطبي: «ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

٦٣٥ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة :٦٤]:

فكل من سأل الله ومد إليه يديه، لم يردَّهما (صفرًا) خائبتين.

٦٣٦ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة :٦٤]:

أيها الصامتون .. ما أفدح خسارة هذا الصمت!

٦٣٧ ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ﴾ [المائدة :٦٤]:

اليهود دائما قادة إشعال الحروب والفتن بين الشعوب.

٦٣٨ ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ [المائدة :٧١]:

إذا فُتِن (القلب) عمي (البصر)، وصُمَّتْ (الآذان)؛ فتخبَّطت (الجوارح).

٦٣٩ ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة :٧١]:

الفتنة تصيب دوما من لم يحسِب حسابها، وأكثر من يظن أنه بعيد عن الفتنة هو أكثر الناس وقوعا فيها.

٦٤٠ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة :٧٤]:

دعا الله إلى التوبة من قال: إن الله هو المسيح ابن مريم، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ومن قال: يد الله مغلولة.

٦٤١ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة : ٧٨، ٧٩]:

المجتمع السلبي الذي يرى المنكر ولا ينكره مجتمع ملعون بنص القرآن!

٦٤٢ ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[المائدة :٧٩]:

قال أهل العلم: وليس من شرط الناهي عن المنكر أن يكون سليمًا من المعاصي، بل ينهى العصاة بعضهم بعضًا.

٦٤٣ ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[المائدة :٧٩]:

المصلحون سبب رحمة الأمة، ووقاية لها من نزول لعنة الله، فالله حين (لعن) بني إسرائيل بيّن لنا السبب، فقال: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾

٦٤٤ ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[المائدة :٧٩]:

من شأن المنكرات أن يبدأها واحد، ثم يتبنّاها قِلّة، فإن لم يجدوا من يغيِّر عليهم تزايدوا، فانتشرت حتى تعُمَّ، وينسى الناس كونها من المنكرات، فلا يهتدون إلى الإقلاع والتوبة منها، فتصيبهم لعنة الله.

من روائع المتدبرين

أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما هذا الخبر: عن قزعة، قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة، فقلت له: إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناي أن أراه عليك. قال: أرنيه، فلمسه، وقال: أحرير هذا ؟

قلت: لا، إنه من قطن.

قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا فخورًا،

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[الحديد:٢٣].

حلية الأولياء ١ / ٣٠٢ وسير أعلام النبلاء ٣-٢٣٣ ط الرسالة. قال الذهبي: كل لباس أوجد في المرء خيلاء وفخرًا، فتركه متعين ولو كان من غير ذهب ولا حرير.

الجزء السابع

من سورة المائدة الآية ٨٢
إلى سورة الأنعام الآية ١١٠
عدد الفوائد ١٠٤

٦٤٥ ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[المائدة :٨٣]:

بقدر ما تعرف من الحق، يلين قلبك ويفيض دمعك.

٦٤٦ ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ﴾[المائدة :٨٥]:

رُبَّ كلام خرَج من قلب صادق، كان سببَ دخول صاحبه الجنة، ألا ما أغلى الكلام وأهمية اللسان!

٦٤٧ خطورة الكلمة! ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾[المائدة :٨٥]:

﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾. وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم.

٦٤٨ ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾[المائدة :٨٩]:

أمرٌ من الله تعالى لعباده بأن يصونوا أنفسهم من الحنث في أيمانهم، أو الإكثار منها لغير ضرورة، فإن الإكثار من الحَلِف بغير ضرورة يؤدي إلى قلة الحياء من الله تعالى، كما أنَّ الحلِف الكاذب يؤدي إلى سخط الله سبحانه على الحالف وبغضه له.

٦٤٩ ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ... فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[المائدة :٩٠]:

بكلمة واحدة ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أقلع الصحابة عن عادة تأصلت في نفوسهم لعشرات السنين.

٦٥٠ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[المائدة :٩١]:

إيقاع العداوة بين المسلمين هدف شيطاني، فقد يئس أن يُعبَد في الأرض، لكن رضي بالتحريش بين المؤمنين.

651 ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]:

في عصر السماوات المفتوحة، لا تتعجَّب من سهولة الوصول للمعصية، فالمقاطع المحرمة بين يديك تصِل إليها بضغطة زر، وحكمة الله: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

652 ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]:

للخبيث كثرةٌ وبهرج لا ينجو من (الإعجاب) به إلا الأقلون.

653 ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]:

عن أبي أمية الشعباني أنه قال: سألت عنها أبا ثعلبة الخشني، فقال لي: سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام».

654 قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري: «عليكم أنفسكم فأصلحوها، واعملوا في خلاصها من عقاب الله، وانظروا لها فيما يقرِّبها من ربها، فإنه لا يضركم من ضلّ»، يقول: لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق، إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم، وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، فحرمتم حرامه وحللتم حلاله».

655 قال الزمخشري:

«كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتوّ والعناد من الكفرة، يتمنون دخولهم في الإسلام، فقيل لهم: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وما كُلِّفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى، ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ ضلال غيركم عن دينكم إذا كنتم مهتدين».

656 ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]:

الصلاة تنهى عن المنكر، ومن ضمن هذه المنكرات: الكذب.

٦٥٧ ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤]:
سُئل أحد العُبَّاد: لِمَ وُصِف الله بخير الرازقين؟ قال: لأنه إذا كفر أحد لا يقطع رزقه.

٦٥٨ ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾[المائدة: ١١٨]:
مما يعينك على الخشوع في الصلاة: ترديد الآية حتى لو بقيت تردد آية واحدة فقط في تلاوتك، فإن النبي ﷺ قام ليلة بآية ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾[المائدة: ١١٨].

٦٥٩ ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾[المائدة: ١١٩]:
لن يصمد يوم القيامة إلا الصادقون.

٦٦٠ تذكُّرُك أن أصلك (من طين) أفضل ما ينزع من قلبك بذرة الكبر الدفين.

٦٦١ ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾[الأنعام: ٦]:
الخلاصة في كلمتين: الذنوب مُهلِكة.

٦٦٢ ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾: ليس في القرآن تكرار بل تذكير للأبرار وترديدٌ للاعتبار.

٦٦٣ العذاب ينزل بالأوزار، ويرتفع بالاستغفار..

٦٦٤ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾[الأنعام: ١٢]:
سبحان من ألزم نفسه بما فيه خير عباده، لطف ما بعده لطف.

٦٦٥ رحمته بك سابقة على خلقه لك! قال رسول الله ﷺ: «كتب ربكم على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق: رحمتي سبقت غضبي».

٦٦٦ كان أبو العالية إذا دخل عليه أصحابه يرحب بهم ثم يقرأ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤].

٦٦٧ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ﴾[الأنعام: ١٢]:
المالك الحقيقي يذكِّرك أن كل ما في يديك ملك له، وهو معار لك فترة حياتك، ثم يسترده منك.

٦٦٨ ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:١٢]:

دعوة للمسرفين على أنفسهم، والغارقين في بحار اليأس، والظانين بالله ظن السوء.

٦٦٩ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأنعام:١٥]:

قالها رسول الله ﷺ لمن ساومه على دينه، فقلها اليوم إن قابلتَ نفس المساوِمين.

٦٧٠ عجبًا أن يخاف من عاقبة الذنب نبي معصوم، ولا يخاف منه إنسان جهول ظلوم.

٦٧١ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:١٧]:

أيُّ ضر مهما كان صغيرًا، في أجسادنا أو أرواحنا، في نفوسنا أو نفوس أحبابنا، لا يكشفه إلا الله.

٦٧٢ ومن أعظم الضر: حجاب العبد عن رب العالمين، وهو أشد وأخزى من عذاب الجحيم.

٦٧٣ اذا سكن قَلْبك الى الله لم تخف غيره، ولم ترجُ سواه، فلتطمئن قلوب أولياء الله ومن ضاقت بهم السبل من عباده الصالحين.

٦٧٤ قال ابن القيم: «والتحقق بمعرفة هذا يوجب صحة الاضطرار وكمال الفقر والفاقة، ويحول بين العبد وبين رؤية أعماله وأحواله، فهو الذى يمس بالضر، وهو الذى يكشفه، فمسُّه بالضر لحكمة، وكشفه الضر لرحمة».

٦٧٥ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأنعام:١٧]:

هذه الآية من أسباب دواعي رجوع العبد إلى ربه بِالكُلِّيَّة.

٦٧٦ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام:١٩]:

قال محمد بن كعب القرظي: «لأنذركم به ومن بلغ»، قال: من بلغه القرآن، فكأنما رأى النبي ﷺ، ثم قرأ: «ومن بلغ أئنكم لتشهدون»، وقال أيضا: من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل.

٦٧٧ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الأنعام:٢١]:

سيبقى ظلم الظالمين سدًا منيعًا حائلًا دون فلاحهم أو توفيقهم.

٦٧٨ ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾[الأنعام :٢٢]:
هـذا احتجـاز إلهـي قسري: الزمـوا أماكنكـم لا تبرحوهـا! حتـى تعرفـوا مـا يُفعـل بكـم، ويقـضي الله في أمركـم.

٦٧٩ ﴿فَزَيَّلْنَـا بَيْنَهُـمْ﴾: أي فرّقنـا بـين العابديـن والمعبوديـن، وهـو مـن الـزوال أي ذهـاب الـشيء واختفـاؤه، وقـال: «زيّلنـا» ولم يقـل: «فرّقنـا»؛ لأن التفريـق معـه بقيـة أمـل فى الاجتـماع، أمـا التزييـل، فهـو زوال إلى الأبـد، وهـو مـا يزيـد مـن وحشـة المشركـين حـين يقاسـون العـذاب وحدهـم.

٦٨٠ ﴿قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[الأنعام :٢٣]:
ويحكم .. اسكتوا! حتى بين يدي الله تحلفون كذبا!

٦٨١ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ ؟﴾[الأنعام :٢٤]:
يـبرر المرء معصيته ليتهرب من عواقبها، وذلـك ليلتمس النجاة بـأي صـورة، ولـو بالكـذب عـلى نفسـه.

٦٨٢ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[الأنعام :٢٥]:
أعظم العقوبة .. أن يحال بينك وبين فهم كلام الله.

٦٨٣ آيـة قتلـت عـلي بـن الفضيـل بـن عيـاض، وسُـمِّي بهـا (قتيـل القـرآن) : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ... الآيـة﴾[الأنعـام :٢٧]

٦٨٤ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾[الأنعام :٢٧]:
مجـرد أول نظـرة إلى النـار جعلـت صاحبهـا يتمنـى الرجـوع للدنيـا لفعـل الخـير، فكيـف يكـون الحـال بعـد دخـول النـار ومقاسـاة العـذاب؟!

٦٨٥ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام :٣٢]:
ليكـن حزنـك عـلى مـا فـات مـن آخرتـك أضعـاف حزنـك عـلى مـا فـات مـن دنيـاك، وإلا لم تكـن عاقـلًا: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

٦٨٦ من لزم التقوى زهد في دنياه وهانت عليه مصائبه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]

٦٨٧ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]:

تعزية من الله وتسلية لنبيه، فسِر في حياتك على هذا النهج الرباني مع كل مصاب.

٦٨٨ انظر شدة حرص النبي ﷺ على أن تستجيب له أمته، وهكذا قلب كل داعية، عليه أن يكون رؤوفاً رحيماً بأمته.

٦٨٩ ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]:

الظلم نقل حق إلى غير مستحقه، وأبشع أنواع الظلم: الشرك؛ لأنه نقل حق الذات الإلهية المستحق وحده للعبادة إلى من لا يستحقها.

٦٩٠ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]:

إذا بلغ أعداء الحق درجة تكذيب أهله وإيذائهم، فهذه علامة قرب النصر بشرط أن يحققوا الصبر.

٦٩١ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]:

المستجيب للحق حي ولو كان أصم وأبكم وأعمى، والمعاند ميت ولو كان تامَّ الحواس!

٦٩٢ من فقد سماع القلب لأوامر ربه حُرِم التوفيق في سائر أمره، والمقصود به سماع الاعتبار.

٦٩٣ ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]:

كل الحيوانات تعرف الله وتسبِّحه، ولكن لا تفقهون تسبيحهم.

٦٩٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]: قال داودُ عليه السلام: «سبحانَ مُستخرجِ الدعاء بالبلاء، وسبحانَ مُستخرجِ الشكرِ بالرَّخاء».

٦٩٥ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[الأنعام: ٤٢]:
مَرَّ أبو جعفر محمدُ بنُ علي بمحمدِ بن المنكدر وهو مَغْمُومٌ، فسأل عن سبب غمه فقيل له: الدَّيْن قد فَدَحَه، فقال أبو جعفر: أُفتِحَ له في الدعاء؟ قيل: نعم. قال: لقد بورك لعبد في حاجة أكثر منها من دعاء ربه، كائنة ما كانت.

٦٩٦ قال ابن القيم: «إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن، فإن ردَّه ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، والشدة بتراء لا دوام لها وإن طالت، فتُقلِع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجلّ عِوَض وأفضله، وهو رجوعه إلى الله بعد أن كان شاردًا عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائيًا عنه، وانطراحه على بابه بعد أن كان معرضًا، وللوقوف على أبواب غيره متعرضًا، وكانت البلية في حق هذا عين النعمة، وإن ساءته وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه، فربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سببًا ما مثله سبب».

٦٩٧ ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنعام: ٤٣]:
قسوة القلب هي التي تكبِّل العبد عن بلوغ هذه المنزلة العظيمة: منزلة الضراعة والتمرغ في تراب العبودية.

٦٩٨ إذا حُرمت من التضرع لله فاعلم أن في قلبك قسوة، وعلاجها كثرة الذكر والاستغفار.

٦٩٩ إذا قسا قلب العبد بالذنوب حُرِم التضرع بين يدي علام الغيوب!

٧٠٠ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٤٤]:
فتح أبواب الدنيا على العبد قد يكون استدراجًا ومقدمة عقوبة سماوية.
من أعظم الاستدراج أن يتابع عليك نعمه، وأنت مقيم على معاصيه!

٧٠١ هذا نَصُّ سُنَّة الاستدراج! في الحديث: «إذا رأيت الله تعالى يُعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج» صحيح الجامع رقم: ٥٦١.

٧٠٢ تمادي الظلم وطغيان الظالم مؤذن بقطع دابره واجتثاثه من جذوره: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾[الأنعام :٤٥]:

٧٠٣ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ [الأنعام :٤٦]:
قال ابن الجوزي: «يعاقَب الإنسان بسلب معاني تلك الآلات، فيرى وكأنه ما رأى، ويسمع وكأنه ما سمع، والقلب ذاهل عما يتأذى به؛ ولا يتفكر في خسران آجلته، لا يعتبر برفيقه، ولا يتعظ بصديقه، ولا يتزود لطريقه، وهذه حالة أكثر الناس، فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات».

٧٠٤ ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ ﴾[الأعراف :٣٥]:
تقوى القلب لا بد أن يتبعها إصلاح العمل.

٧٠٥ ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ ﴾[الأنعام :٥١]:
الإنذار هو الإعلام بمواضع الخوف، وإنما خصَّ الخائفين بالإنذار، لأن الإنذار للذين يخافون إنذارٌ نافع، خلافا لحال الذين ينكرون الحشر، والخوف علامة الإيمان، فخوف الحشر يقتضي الإيمان بوقوعه.

٧٠٦ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[الأنعام :٥٢]:
تخصيص الغداة والعشي بالذكر ، إشعار بفضل العبادة في هذين الوقتين؛لأنهما محل الغفلة والاشتغال بالأمور الدنيوية.

٧٠٧ قال أبو العالية: «سألت أصحاب محمد ﷺ عن قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾، فقالوا: كل من عصى الله فهو جاهل، ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب».[النساء :١٧].

٧٠٨ ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[الأنعام :٥٥]:
كم في واقع الأمة اليوم من بشائر ، يراها المتشائمون خسائر، ومن أعظمها تمايز الصفوف وانكشاف الباطل.

٧٠٩ ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]:

فكيف بدمعة مؤمن وزفرة مكروب ودعوة مظلوم؟!

٧١٠ قال ابن عباس: «ما من شجرة في بر ولا بحر إلا ملَك موكل بها يكتب ما يسقط منها».

٧١١ ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]:

سجَّل الله فيه كل أحداث الكون، فإذا جاءت الأحداث كانت مُوافِقة لما سجّله الله قبل آلاف السنين!

٧١٢ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ﴾ [الأنعام: ٦٤]:

هذا ما قاله الله للمشركين، فعجبًا لبعض المؤمنين كيف يتسرَّب اليأس إلى قلوبهم؟!

٧١٣ ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]:

من عقوبة الله للظالم أن يُسلِّط عليه ظالماً آخر، ويكفي الله المؤمنين شرَّهما.

٧١٤ ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٨]:

قوة مناعة قلبك، لا تبرِّر لك الإقامة في بؤر الفساد أو أماكن الوباء.

٧١٥ الإعراض سلاح من أسلحة المؤمنين؛ لأن الالتفات لهؤلاء ومناقشتهم يذكي نار جدالهم وحماستهم للباطل.

٧١٦ ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]:

بهذا التوجيه الإلهي يتم وأد الباطل في مهده، ويسلم المجتمع من شرِّه.

٧١٧ ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [الأنعام: ٧٠]:

الإبسال هو الإسلام إلى العذاب، أو السجن والارتهان، والمعنيان صحيحان.

٧١٨ نفسك الأمارة بالسوء قد تؤدي لحبسك غدا، وتُسلِمك إلى العذاب والهلاك بسوء كسبها.

٧١٩ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾[الأنعام:٧٠]:
الأفكار المتعلقة بالشعائر الدينية وأمور العقيدة ليست مجالا للتسلية أو الفكاهة والسخرية.. هذا خط أحمر!

٧٢٠ ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ﴾[الأنعام:٧١]:
الهالك هو من لم يكن له أصحاب يدعونه إلى الهدى، ويقولون له: ائتنا.

٧٢١ من أعظم أسباب النجاة من الضلال والتمتع بالهداية وجود الأصحاب الصالحين.

٧٢٢ هل جربت النظر إلى السماء في ظلمة الليل لتتفكر في ملكوت السموات والأرض؟ إنك إن فعلت لزاد يقينك بربك: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[الأنعام:٧٥]:

٧٢٣ ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[الأنعام:٧٧]:
لا تظن هدايتك أو التزامك بتعاليم دينك قد حدث بفضل إمكاناتك وذكائك، لا يهدي إلى الله إلا الله.

٧٢٤ ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ﴾[الأنعام:٨٠]:
كيف أترك ما ثبت لي بالدليل القاطع الموجب للهداية، وألتفت إلى حججكم الضعيفة، وكلماتكم الباطلة؟! ناقش عدوك بالمنطق!

٧٢٥ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام:٨٢]:
تأملت فوجدت أن الحياة الآمنة لا توجد مع الظلم، فكل الظالمين غير آمنين، وإن تترسوا بالحرس والعتاد.

٧٢٦ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾[الأنعام:٨٢]:
كلما زادَ إيمانُك زادَ أمانُك.

٧٢٧ الأمن منحة ربانية لا يستطيع أن يوفِّرها لك بشر.

٧٢٨ ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾[الأنعام: ٨٣]:

كان زيد بن أسلم يقول في هذه الآية: إنه «العلم يرفع الله من يشاء به في الدنيا».

٧٢٩ هي إجابة على سؤال: لماذا يرفع الله بعض الناس دون بعض؟ فالله يعلم من يستحق، ومقدار استحقاقه، وذلك بحسب علمه وحكمته.

٧٣٠ قال الشعبي: «العلمُ ثلاثةُ أشبارٍ، فمن نال منهُ شبرًا شمخ بأنفه وظن أنه ناله، ومن نال الشبرَ الثانيَ صغرت إليهِ نفسهُ وعلِمَ أنه لم ينله، وأما الشبر الثالثُ فهيهات لا يناله أحدٌ أبدًا».

٧٣١ قال ابن تيمية: «فرفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان، فكم ممن يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين وآخر لا ينام الليل وآخر لا يفطر، وغيرهم أقل عبادة منهم وأرفع قدرًا في قلوب الأمة؛ وذلك لقوة وصفاء المعاملة وخلوصها من شهوات النفوس».

٧٣٢ ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنعام :٨٨]:

أثنى الله على ثمانية عشر نبيًا في سياق واحد ،ثم ختم ثناءه عليهم بقوله: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنعام :٨٨] لأن الشرك ذنبٌ لا يُغفر، ولو كان من أشرف الخلق!

٧٣٣ ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[الأنعام :٨٩]:

دعوة الله سائرة، والشرف لمن حملها، فإن تخلى عنها قوم أقام الله لها قومًا آخرين.

٧٣٤ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام :٩٠]:

جاء الأمر باتباع الهدى لا المهتدين ! فالفتنة لا تؤمَن على حي، فاجعل دائمًا ولاءك للفكرة لا للأشخاص.

٧٣٥ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾[الأنعام :٩١]:

عن ابن عباس قال: قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ..﴾.

٧٣٦ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام:٩٢]:
تعلَّق بالقرآن تجد البركة. قال ابن تيمية: «وندِمتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن».

٧٣٧ البركة أن يعطى الشيء أكبرَ من حجمه المنظور، وبركة القرآن واضحة، فلو قسنا حجم القرآن بحجم الكتب الأخرى لوجدنا عدد صفحات القرآن أقل، ومع هذا ففيه من الخير والبركات والتشريعات والمعجزات والأسرار ما تضيق به آلاف الكتب.

٧٣٨ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام:٩٤]:
وحيدًا خلال إقامتك في قبرك، ثم في خمسين ألف سنة هي يوم حشرك، وليس معك حينها سوى عملك!

٧٣٩ قال الشيخ الطنطاوي عن سِرِّ شجاعته في قول الحق: «إني لأتصوَّر الآن ملوك الأرض وقد خرجوا من قبورهم حُفاة عُراة منفردين فأتَّعِظ، فأقول من فوق هذا المنبر ما ينفعني في ذلك اليوم لا ما يُفيدني اليوم، ومن تصوَّر هذا لم يَعُد يبالي بأحد».

٧٤٠ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾[الأنعام:٩٦]:
إن الذي يزيح ظلمة الليل كل يوم بانفلاق الصبح، قادر على تفريج كربك وتسريع فرجك وتيسير أمرك.

٧٤١ ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾[الأنعام:٩٩]
ما الفرق بين المشتبه والمتشابه؟ الاشتباه في الشكل، والتشابه في الطعم، فالشكل واحد والطعم مختلف.

٧٤٢ ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾[الأنعام:١٠٥]:
وفي الكلام حذف تقديره: ولئلا يقول أهل مكة جهالة وسفاهة أنك درست على يد أهل الكتاب، وفي قراءة: (دارستَ) أي أهل الكتاب، ثم أتيت بهذا القرآن.

٧٤٣ ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]: حين تكون مهذبًا في كلامك، فأنت تصون دينك عن عبث العابثين وكلمات الجاهلين.

٧٤٤ ليس مطلوبًا فقط أن تفعل ما تراه صحيحًا، لكن لا بد ألا يؤدي فعل الصحيح إلى مفسدة أكبر.

٧٤٥ ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [الأنعام: ١١٠]: قال ابن القيم: «من عُرِض عليه حق فرَدَّه ولم يقبله عوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه».

٧٤٦ ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ ﴾ [الأنعام: ١١٠]: قلبك متقلِّب، وأمره ليس بيدك! فتقرَّب لربك ليقرِّب قلبك إلى ما ينفعه، ويبعدَه عما يضره.

٧٤٧ لما احتضر أبو الدرداء جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ قال: ثم يقول: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ [الأنعام: ١١٠].

٧٤٨ احذر أن يعاقبك على تثاقلك عن اتباع الحق أول مرة بأن يقلِّب فؤادك، فلا تهتدي للحق، أو تهتدي له ولا تقدر على الاستجابة له، ولو حرصت!

من روائع المتدبرين

أورد الإمام الذهبي عن أبي عبد الله مردنيش المجاهد الزاهد المغربي أنه أغار يومًا فغنم غنائم كثيرة، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس، فقال لأصحابه وكانوا ثلاث مائة فارس: ما ترون؟ فقالوا: نشغلهم بترك الغنيمة. قال: ألم يقل القائل: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فقال أصحابه: يا رئيس ... الله قال هذا؟ فقال: الله يقول هذا وتقعدون عن لقائهم!! قال: فثبتوا فهزموا الروم.

سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٣٣- ط مؤسسة الرسالة

الجزء الثامن
من سورة الأنعام الآية ١١١
إلى سورة الأعراف الآية ٨٧
عدد الفوائد ١٠٦

٧٤٩ ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١]:

إيمانك رهن بمشيئة الله وتوفيقه، فهل أدركت الآن قدر نعمة الله عليك؟!

٧٥٠ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

هيهات أن تسلك طريق الأنبياء دون أن تلتقي بأعدائهم على قارعة الطريق!

٧٥١ ﴿ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

إذا كثرت (زخارف) القول، فاعلم أنها تخفي وراءها عيوب فكرة باطلة.

قال ﷺ: «إنما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان».

٧٥٢ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

شياطين الإنس أشد خطورة من شياطين الجن؛ لذا قدَّم الله ذكرهم هنا.

٧٥٣ ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

أطفئ لهيب الحزن والألم في قلبك، وتعرف على الحكمة الغائبة من الأحداث، وذلك بتأملك في قول ربك: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

٧٥٤ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

حتى الأنبياء كان لهم أعداء، فكيف تستبعد وجودهم حولك!

٧٥٥ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ [الأنعام: ١١٢]:

كلما كانت رتبة العبد أعلى، كانت البلايا أشد والعداوات أصعب؛ ولذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء عليهم السلام.

٧٥٦ ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[الأنعام:١١٣]:

التدرج الشيطاني مخادع ورهيب.

فأول خطوة: الإصغاء..

والثانية: الرضا..

والثالثة: اقتراف الحرام.

٧٥٧ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:١١٥]:
كل ما في القرآن لا يزيد عن خبر أو أمر، فخبره صدق، وأمره عدل، بل لا أصدق من الأخبار التي أودعها الله في كتابه، ولا أعدل من أوامره ونواهيه.

٧٥٨ أتباع الشياطين أكثر من أتباع المرسلين، واقرأ إن شئت: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الأنعام:١١٦]. فلا تغرنك الكثرة!!

٧٥٩ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ﴾[الأنعام:١١٦]:
الاغترار بالكثرة يؤدي إلى العقل الجمعي ويفسِّر سياسة القطيع، والتي تقودك لمواكبة من حولك ولو كانوا على خطأ.

٧٦٠ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]:
كثرة الأتباع ليست دليلًا على صحة المنهج، وإلا فإبليس صاحب أكثر الأتباع على وجه الأرض، ومن اغتر بكثرة أتباعه صرعوه، وتحكَّموا به وأهلكوه.

٧٦١ ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[الأنعام: ١٢٠]:
قال سهل بن عبد الله: «ظاهره الفعال، وباطنه الحب له».

٧٦٢ باطن الإثم يشمل ما لا يعرفه الخلق من الحسد والحقد وسوء الظن بالناس وإضمار الشر لهم وغيرها من آثام القلوب.

٧٦٣ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[الأنعام:١٢٢]:
القرآن حياة لقلبك، ونور يُضيء ظلام دربك.

٧٦٤ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾!
[الأنعام:١٢٣]: في كل بلد مجرمون يُفسدون، فإن تركهم الناس ولم يأخذوا على أيديهم هلكوا جميعًا!

٧٦٥ سين: لم اكتفى بذكر أكابر المجرمين؟! جيم: لأن باقي المجرمين تبعٌ لهم.

٧٦٦ ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[الأنعام ١٢٥]:
بقدر إيمانك وحسن إسلامك يكون انشراح صدرك.

٧٦٧ ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ [الأنعام:١٢٥]:
ضيق صدرك لعله علامة ضلالك عن طريق الحق، فتخلَّص من هذا الضيق بالرجوع إلى الحق.

٧٦٨ ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[الأنعام:١٢٥]:
قرأ عمر بن الخطاب ﷺ هذه الآية، ثم سأل أعرابيًا: ما الحرجة؟ قال: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيَّة ولا شيء، فقال عمر: كذلك قلبُ المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

٧٦٩ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الأنعام:١٢٩]:
ينتقم الله من الظالمين بالظالمين، ثم ينتقم من الظالمين أجمعين، فكأن الظالم له رسالة، أن ينتقم من ظالم مثله، قبل أن يهلكا جميعًا.

٧٧٠ سئل الأعمش عن هذه الآية، فقال: سمعتهم يقولون: «إذا فسد الناس أُمِّر عليهم شرارهم».

٧٧١ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ..﴾[الأنعام:١٣٢]:
قدرك عند الله على قدر عملك.

٧٧٢ ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾[الأنعام :١٣٣]:

الغنى و الرحمة نادرا ما يجتمعان، ولا يجتمعان إلا في عظيم! فسبحان ربي العظيم.

٧٧٣ ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾[الأنعام :١٣٤]:

ترشدك إلى قصر الأمل، فكل آتٍ قريب، ومن قصر أمله حسُن عمله.

٧٧٤ لا أحد يقدر على أن يمنع تحقيق وعد الله أو وعيده، بل إن زوال السماوات والأرض لأهون على الله من إخلاف وعد من وعوده.

٧٧٥ ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[الأنعام :١٤١]:

قال مجاهد: لو كان أبو قبيس (جبل) ذهبا فأنفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفًا، ولو أنفق درهمًا في معصية الله تعالى كان مسرفًا.

٧٧٦ قيل لحاتم الطائي: لا خير في السَّرَف، فأجابهم: بل لا سرف في الخير.

٧٧٧ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾[الأنعام :١٤٢]:

الحمولة هي ما حُمِل عليه من الإبل وغيرها، والفرش صغار الإبل التي لم تدرك أن يُحْمَل عليها.

٧٧٨ ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[الأنعام :١٥١]:

وقال في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾[الإسراء :٣١]: أي لا تخافوا من فقركم بسبب أولادكم؛ ولهذا قال هناك: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾، فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلًا قال: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾؛ لأنه الأهم ها هنا.

٧٧٩ ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[الأنعام: ١٥١]:

ما بطن من الفواحش هو محبة القلب للذنب، لكن لا يقدر على فعله لعدم توفر الظروف أو لخشية افتضاحه بين الناس، ولو تخلص من هذا لوقع في الذنب.

٧٨٠ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾[الأنعام: ١٥١]:
الاقتراب من الخطر هو بداية السُّقوط!

٧٨١ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الأنعام: ١٥٢]:
ما أقبح أن تضاعف جراح اليتيم بأخذ ماله دون وجه حق.

٧٨٢ ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[الأنعام: ١٥٢]:
في الثقافة العائلية والقَبَلِية، أنت تقف مع أسرتك وعائلتك حتى لو خالفت القانون، إلا في ديننا الإسلامي، فأنت تقف مع الحق ضد أسرتك!

٧٨٣ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأنعام: ١٥٥]:
قال السعدي: «فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب علمًا وعملاً».

٧٨٤ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]: لماذا لا ينفع النفسَ إيمانها؟ قال السعدي: «والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيمانًا بالغيب، وكان اختيارًا من العبد، فأما إذا وُجِدَت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة؛ لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما، ممن إذا رأى الموت، أقلع عما هو فيه».

٧٨٥ ﴿قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[الأنعام: ١٥٨]:
انتظار الفرج من أعظم العبادات، فأحسِن الظنَّ برب الأرض والسماوات.

٧٨٦ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢]:
الإسلام نظام شامل يشمل شؤون الحياة جميعًا، ولا فصل فيه بين سياسة الأمة ودينها.

٧٨٧ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[الأنعام: ١٦٥]:
أي ليمتحنكم فيما أعطاكم من نعم، والنعم هي رصيدكم في سوق الحياة، والسوق مكان التجارة، فيربح فيه من ربح، ويخسر من خسر.

٧٨٨ ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]:

هـو العقـاب المعجَّـل عـلى الذنـب في الدنيـا، قبـل أن يرجـع إلى الآخـرة، فيلقـى العقوبـة الأشـد.

سورة الأعراف

٧٨٩ ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]:

كيف تحمل رسالة تتحرج عن ذكر تفاصيلها أمام غيرك؟!

٧٩٠ لا يكـنْ فيـك ضيـقُ صـدرٍ مـن تبليـغ القـرآن مخافـةَ أن يكذّبـوك أو يـؤذوك أو يسـتهزؤوا بـك، فبلِّـغ رسـالة الله ولـو سـاءهم ذلـك.

٧٩١ خطـاب لرسـول الله ﷺ يتضمـن خطابًـا لأمتـه، فإيـاك أن تتحـرج مـن آيـة في كتـاب الله أن تبلّغهـا لغيرك!

٧٩٢ قـال مجاهـد وقتـادة: الحـرج هنـا: الشـك، لأن الشـاك ضيـق الصـدر، والمراد أمة النبي ﷺ، أي: لا يشـك أحـد منكـم في آيـة مـن كتـاب الله.

٧٩٣ ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]:

قـال ابـن كثـير: فـكان منهـم مـن جـاءه أمـر الله وبأسـه ونقمتـه ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: ليـلًا ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ مـن القيلولـة، وهـي: الاسـتراحة وسـط النهـار، وكلا الوقتـين وقـت غفلـة ولهـو.

٧٩٤ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]:

قـال رسـول الله ﷺ: «يُدعـى نـوح يـوم القيامة فيُقـال لـه: هـل بلغـت؟! فيقـول: نعـم، فيدعـى قومـه فيقـال: هـل بلغكـم؟ فيقولـون: مـا أتانـا مـن نذيـر، ومـا أتانـا مـن أحـد، قـال: فيقـال لنـوح: مـن يشـهد لـك فيقـول: محمـد وأمتـه».

٧٩٥ ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾[الأعراف : ٧]:
سيقص الله علينا يوم القيامة ما كنا نعمل في الدنيا، وسيكتشف بعضنا أنه سبحانه لم يكن غائبًا عن شيء فعلوه، فواخجلتاه يومئذٍ أو وا فرحتاه!

٧٩٦ ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٨]:
قال وهب بن منبِّه: «إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وإذ أراد الله بعبد خيرًا ختم له بخير، وإذا أراد الله به شرًا ختم له بشر عمله».

٧٩٧ ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[الأعراف : ١٢]:
شعار إبليس الذي أهلكه، وأهلك كل من سار على خطاه.

٧٩٨ قال الأوزاعي - رحمه الله - لبقية بن الوليد: «وإذا سمعت أحدًا يقع في غيره؛ فاعلم أنه إنما يقول: أنا خير منه!».

٧٩٩ علامة الكبر! قال أبو حازم: «من رأى أنه خير من غيره فهو مستكبر؛ وذلك أن إبليس قال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[الأعراف : ١٢]، فكان ذلك استكبارًا».

٨٠٠ إنما أهلك إبليسَ العُجبُ بنفسه: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[الأعراف : ١٢]، وكملت فضائلُ آدمَ باعترافه بذنبه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾[الأعراف : ٢٣].

٨٠١ ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[الأعراف : ١٢]:
قال ابن سيرين: «من قاس الدين برأيه قرنه الله مع إبليس».

٨٠٢ ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣]: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، فمن نازعني في ردائي قصمته» صحيح الجامع رقم: ٤٣٠٩.

٨٠٣ دعا إبليس ربه: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الأعراف : ١٤] فاستجاب الله له: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[الأعراف : ١٥] أفلا يستجيب لك؟!

٨٠٤ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأعراف: ١٩]:
حرص ربنا على وقايتنا من الحرام، فأمرنا بعدم الاقتراب منه، كي لا تجذبنا دوامة الحرام عند الاقتراب منها.

٨٠٥ ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[الأعراف: ٢٠]:
في قراءة ابن عباس والضحاك: ملِكين، بكسر اللام، فأول مدخل دخل به الشيطان على الإنسان كان حبَّ الملك والخلود، وهو نفس المرض الذي ابتليت به الأمة اليوم: الوَهَن، وهو حب الدنيا وهو المُلك، وكراهية الموت وهو الخلود، فانظر كيف امتد هذا المرض إلى اليوم!

٨٠٦ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف: ٢١]:
ليس من القِسمة؛ بل من القَسَم أي حلف لهما الشيطان.

٨٠٧ الكاذبُ كثير الحلِف دون أن يطلب منه أحد أن يُقسِم!

٨٠٨ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف: ٢٢]:
قال ابن عباس: «غرَّهما باليمين، وكان آدم يظن أنه لا يحلف أحدٌ بالله كاذبًا».

٨٠٩ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾[الأعراف: ٢٢]:
أي أنزلهما من مرتبتهما العالية إلى مواقعة الخطيئة، والتدلية: السقوط من علٍ، فالطاعة علو، والعصيان هبوط.

٨١٠ ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣]:
تعريف الخسارة في القرآن: هو عدم المغفرة.

٨١١ قال ابن القيم: تالله ما نفعه [آدم] عِز (ٱسْجُدُوا)، ولا شرف (وَعَلَّمَ ءَادَمَ)، ولا فخر ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وإنما انتفع بذُل ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾.

٨١٢ ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف: ٢٦]:
يقول ابن عباس: «لباس التقوى هو العمل الصالح».

٨١٣ ما أصدق قول الشاعر:

وخير ثياب المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

٨١٤ مهما ارتديت أجمل الثياب، ستظل التقوى أجمل ثوب؛ لأنها ما يحب الله أن يراه عليك.

٨١٥ ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[الأعراف: ٢٧]:
تذكيرٌ بالثأر ممن كان سبب خروج أبيك من الجنة، وهذا كفيل بإذكاء نار العداوة بينك وبين إبليس، فكيف تبيع جوهر العمر النفيس بعمل خسيس؟

٨١٦ ﴿ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾[الأعراف: ٢٧]:
اللباس جولة رئيسية ومعركة محورية في صراع الشيطان مع الإنسان.

٨١٧ ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾[الأعراف: ٢٧]:
عدو يراك ولا تراه، فما أسهل أن يظفر بك!

٨١٨ ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[الأعراف: ٣٠]:
الهداية محض فضل من الله، وأما الضلالة فيجلبها العاصي على نفسه!

٨١٩ ﴿ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الأعراف: ٣٠]:
لو علم الضال أنه ضال، لانفكت العقدة،لكن أبشع ألوان الضلال من ظن صاحبها أنه على خير حال.

٨٢٠ ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[الأعراف: ٣٤]:
قال ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

٨٢١ ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾[الأعراف: ٣٨]:
ما أشد تخاصم أهل النار: كلٌّ يلقي باللوم على غيره وينسى نفسه!

٨٢٢ تحية أهل النار اللعن! والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للتنبيه على تحقق وقوعه.

٨٢٣ ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ٤٠]:
ما دام في القلب كِبْر، فالطريق نحو الجنة مسدود!

٨٢٤ ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]:
المقصود بالجمل الحبل الغليظ لا الجمل المعروف.

٨٢٥ ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ﴾ [الأعراف: ٤٣]:
حين نطهِّر قلوبنا من الغل، نعيش في بقعة من الجنة، وحين نحمل الغل، فإنما نحمل في صدورنا النار.

٨٢٦ ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الأعراف: ٤٣]:
أي أخوة هذه التي لا تطهِّر قلوبًا من الغل والحسد؟!

٨٢٧ إذا لفحتك يومًا نار الغرور، فاذكر دعاء أهل الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]

٨٢٨ ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]:
تطييب من الله لخواطر المؤمنين، وإلا فإنهم إذا رأوا مقاعدهم في الجنات علموا أن أعمالهم المشوبة بالتقصير لا توجب لهم أبدًا هذه الدرجات.

٨٢٩ ﴿ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]:
كلمة الميراث دليل على أن الجنة عطية من الله، ومحض فضل منه؛ لأن إيمان العبد وطاعته لا يوجب عقلًا ولا عدلًا إلا نجاته من العقاب المترتب على الكفران والعصيان، لكن لا يوجب جزاء ولا عطاء.

٨٣٠ الجنة ميراث يرثه أهل الجنة من قوم كانت قد أُعِدَّت الجنة لهم، لكنهم لم يقدموا الثمن اللازم لشرائها، قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى منزله من الجنة، فيقولون: لو هدانا الله، فتكون عليهم حسرة. وكل أهل الجنة يرى منزله من النار، فيقولون: لولا أن هدانا الله. فهذا شكرهم».

٨٣١ ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأعراف : ٤٤]:

قال ميمون بن مهران: «إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه. قيل له: وكيف يلعن نفسه؟ قال: يقول: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف : ٤٤] وهو ظالم».

٨٣٢ نادى رجل على سليمان بن عبد الملك وهو جالس على المنبر، فقال: يا سليمان .. اتقِ الله، واذكر يوم الأذان، فنزل سليمان عن المنبر مغضبًا ودعا بالرجل، فقال: أنا سليمان .. فما يوم الأذان؟! فقال الرجل: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

قال: وما مظلمتك؟

قال: وكيلك قد غلبني على أرضي قال: فأمر بالكتاب إلى وكيله أن أعطه أرضه، وأرضي مع أرضه!

٨٣٣ ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾[الأعراف : ٥٥]:

أمر الله لعباده بالدعاء هو إعانة لأصحاب المحن، وعطاء لأصحاب الحوائج، وراحة لأصحاب الهموم، وأُنسٌ لأصحاب القرب من الله.

٨٣٤ قال السعدي: «من كان قصد في دعائه التقرب إلى الله بالدعاء، وحصول مطلوبه، فهو أكمل بكثير ممن لا يقصد إلا حصول مطلوبه فقط، كحال أكثر الناس».

٨٣٥ ﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[الأعراف : ٥٥]:

علّمنا الله آداب الدعاء بأن ندعوه بلسان الافتقار والانكسار والاضطرار، فتنهمر علينا عطاياه كالأمطار.

٨٣٦ ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[الأعراف : ٥٥]:

من غاية إكرام الله لنا أن جعل الإمساك عن دعائه المؤدي إلى عطائه اعتداء منا!!

٨٣٧ ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف : ٥٥]:
أفضل الدعاء أخفاه، لأنه دليل إخلاص العبد، ومن أسباب القبول.

٨٣٨ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف : ٥٥]:
الاعتداء في الدعاء على وجوه: منها علو الصوت فيه والصياح، أو الدعاء بمحال، أو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير الداعي كلمات فيها سجع كثير، ويترك ما دعا به رسوله ﷺ.

٨٣٩ ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف : ٥٦]:
قال ابن عطية: ولا تعصوا في الأرض، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم، وفي الحديث: «لم يمنع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ،ولولا البهائم لم يُمطَروا» صحيح الجامع رقم: ٩٣٣٥.

٨٤٠ قال أبو حيّان: «هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيته في الوجود بجميع أنواعه، من إفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان».

٨٤١ ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف : ٥٦]:
اجعل خوف العقاب ورجاء الثواب جناحين يحملان طير قلبك إلى طريق الاستقامة، فإن انفراد أحدِ الجناحين يسقط بالطائر، ويُهلِك العبد.

٨٤٢ ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف : ٥٦]:
قال يحيى بن معاذ الرازي: «ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه».

٨٤٣ ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦]:
كلما زاد الإحسان زاد قربك من الرحمن .

٨٤٤ ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف : ٥٨]:
إذا زكا الأصل طاب الفرع، وإذا خبث لم يطب ما خرج منه، فالمظهر يدل على الجوهر، ومن صفا باطن قلبه زكا ظاهر فعله، ومن كان بالعكس، فحاله بالضد.

٨٤٥ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف : ٦٢]:

قال قتادة: «إني أعلم من إحسان الله تعالى إلي ما يوجب حسن الظن به».

٨٤٦ راجع ملفاتك القديمة في تعاملاتك مع الله، وأنعِش روح الأمل.

٨٤٧ قال قوم هود له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾[الأعراف : ٦٦] فأجابهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾[الأعراف : ٦٧]: ما أرقى سلوك الأنبياء في الردِّ على السفهاء.

٨٤٨ ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾[الأعراف : ٦٧]:

لما ولي عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه الحرس، فدخل المسجد فمرَّ في الظلمة برجل نائم فتعثر به، فرفع رأسه إليه، فقال الرجل: أمجنون؟ قال: لا، فهَمَّ به الحرس، فقال لهم عمر: مه! إنما سألني أمجنون أنت فقلت لا.

٨٤٩ ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾[الأعراف : ٧١]:

كل قول في الدين لا يستند لدليل أو شاهد من الشرع، فمصيره التكذيب والنكران.

٨٥٠ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف : ٧٩]:

من علامة الهلاك كراهية الناصح مع حب المادح.

٨٥١ محبة الناصح هي علامة القلب الحي، وكلما توارت هذه المحبة عن القلب زادت قسوته واقترب موته.

٨٥٢ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[الأعراف : ٨٣]:

قال ابن تيمية: «ومن رضي عمل قوم حُشِر معهم، كما حُشِرَت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط، فإن ذلك لا يقع من المرأة، لكنها لما رضيت فعلهم عمَّها العذاب معهم».

٨٥٣ ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦]:
كثيرون ممن حولنا يحبون انحرافنا عن صراط الله المستقيم، ويسعون في هذا سعيًا حثيثًا.

٨٥٤ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾
[الأعراف: ٨٦]: توعَّدوا المؤمنين بنبي الله شعيب بسوء العذاب، وبسبب هذا الوعيد خاف كثير من الناس من اتباع الحق، فوقع الصد عن سبيل الله.. سُنَّة جارية متكرِّرة في كل عصر.

الجزء التاسع

من سورة الأعراف الآية ٨٨
إلى سورة الأنفال الآية ٤٠
عدد الفوائد ١٢٢

٨٥٥ ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩]:
كل المفاتيح بيد الله، قليل من الناس من يدرك هذا.

٨٥٦ ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف :٩٣]:
هكذا نفوس العظماء -وليس أعظم من الأنبياء- تأسف وتحزن لإعراض الناس عن الخير، مع أن هذا هو اختيارهم لأنفسهم، لكنها شفقة المصلح على قومه.

٨٥٧ صلة الأنساب والأقوام لا وزن لها عند الله إن تعارضت مع الدين، فالوشيجة الباقية هي وشيجة الدين، والارتباط الوثيق بين الناس إنما يكون عبر حبل الله المتين.

٨٥٨ ﴿ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤] :
من فوائد الشدة والبلاء أن يراك الله متضرعًا بين يديه!

٨٥٩ سبب نزول الخيرات والبركات هو استقامة الناس على أمر الله :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف :٩٦] .

٨٦٠ ليست العبرة بالنعمة إنما العبرة بالبركة في هذه النعمة؛ ولذا كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مُدِّنا»، والصاع والمُد مكاييل مشهورة عند العرب.

٨٦١ سين: لكن المشاهد أن أكثر أهل الغنى هم من لا يؤمنون بالله، أو لا يتقونه!

جيم: المؤمن التقي أكثر الناس غنى في قلبه، وقناعة في نفسه، ورضا بقدره، وهذه أعظم بركة، ولا حياة أطيب من هذه الحياة.

٨٦٢ ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]:
لا يشتط الظالم في ظلمه إلا عندما يأمن مكر الله؛ لذا فعاقبة الظلم الخسران والهلاك.

٨٦٣ قال ابن حجر: «الأمن من مكر الله يتحقق بالاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة».

٨٦٤ ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]: قال القشيري: يقال: «من عرف علوّ قدره- سبحانه- خشي خفيَّ مكره، ومن أمن خفيَّ مكره نسي عظيم قدره».

٨٦٥ تتابع الذنوب من غير توبة هو سبب إزهاق روح القلب، وتحويله إلى صخرة صمّاء: ﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[الأعراف: ١٠٠].

٨٦٦ ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾[الأعراف: ١١٠]:
اتهام المصلحين بالتآمر على البلد أسطوانة يكرِّرها طغاة كلِّ عصر.

٨٦٧ ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[الأعراف: ١١٤]:
التقريب وإغداق الهدايا أسلوب الظالمين في إغراء أصحاب النفوس الضعيفة لينفِّذوا أمرهم ويضمنوا ولاءهم.

٨٦٨ ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾[الأعراف: ١٢٠] :
وكأن قوة قاهرة ألقتهم إلى وضع السجود! فلم يتمالكوا أن سجدوا دون تريث أو تردد، بعد أن بهرهم نور الحقِّ الساطع.

٨٦٩ ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٢٣]:
حتى الإيمان يحتاج إلى تصريح! ما أغبى هؤلاء الطغاة!

٨٧٠ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥]:
كل أوجاع الدنيا مغمورة في بحر ثواب الآخرة.

٨٧١ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧]: أولى خطوات معاداة الناصحين هي شيطنتهم في عيون الناس.

٨٧٢ ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]:
اختيار الفوقية يُوحِي بالسيطرة التامة، وهي أول خطوة في طريق سقوط الطغاة، أن ظنّوا أن الأمرَ إليهم لا إلى الله.

٨٧٣ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾ [الأعراف: ١٢٨]:
قدَّم موسى الاستعانة بالله على الصبر؛ لأن التوكل على الله أنفع في الشدة من الاعتماد على النفس بصبرها وتجلدها.

٨٧٤ خارطة الطريق نحو النصر = توكُّل + صبر

٨٧٥ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]:
ليس معنى السنين هنا السنوات؛ بل القحط وقلة المطر.

٨٧٦ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى﴾ [الأعراف: ١٣٤]:
في الشدائد والأزمات تتجه الأنظار دومًا نحو المصلحين.

٨٧٧ ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]:
الاستضعاف أولى خطوات التمكين!

٨٧٨ سين: لماذا لم يقل (المستضعفين)، وقال: (كانوا يُستضعفون)؟

جيم: لسببين: الأول: إشارة إلى سبب هذا الخبر، أي أن الله أورثهم الأرض جزاء صبرهم.

الثاني: التعريض ببشارة المؤمنين في كل عصر بأنهم ستكون لهم العاقبة كما كانت لبني إسرائيل، إن هم صبروا على الأذى في سبيل الله كما صبر من قبلهم.

٨٧٩ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧]:
حسبك ثناءً على الصبر أنه شرط النصر!

٨٨٠ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]:
قال القرطبي: «هذا أصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضيًا، حكمُه كحكمهم».. إزالة المنكر أو الزوال عنه.

٨٨١ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]:
جبال رواسٍ وصخور تتصدع، وقلوب من لحم ودم لا تتصدع!

٨٨٢ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]:
المتكبرون أقل الناس إدراكًا للحقائق وفهمًا للواقع.

٨٨٣ قال سفيان بن عيينة: «أنزع عنهم فهم القرآن، فأصرفهم عن آياتي».

٨٨٤ ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]:
الصديق لا يشمت، الأعداء فقط يفعلون.

٨٨٥ ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٠]:
لا تعاتب حبيبك في لحظات غضبه، فعندما حمل الغضب موسى عليه السلام على إلقاء الألواح وفيها كلام الله، وجرِّ رأس أخيه وهو نبي، عذره الله ولم يعاتبه.

٨٨٦ ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴾[الأعراف : ١٥١] :
كم أخًا من إخوانك دعوت له اليوم؟!

٨٨٧ كم من نائم مغفور له، يقوم أخوه يصلي من الليل، فيدعو له، فيغفر الله للاثنين.

٨٨٨ ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] :
اختصاص يفيد القَصْر، أي لا يرهب العبد أحدًا إلا الله، ورهبته خالصة لوجه الله، وليست رياء ولا سمعة ولا لقصد الثناء.

٨٨٩ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] :
من استعظم ذنبه، فقد استصغر رحمة ربه.

٨٩٠ قال الثوري: «ما أحب أن يُجعَل حسابي إلى أبوي؛ لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما».

٨٩١ هكذا مطلقًا، ودون استثناء، كل شيء مرحوم! وأنت شيء من الأشياء!

٨٩٢ ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ..... يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[الأعراف : ١٥٧]:
أبرز صفات نبينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما نصيب ورثته من هذه التركة؟!

٨٩٣ ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]:
سئل الحسين بن الفضل عن المثل فقال: (الحلال لا يأتيك إلا قوتًا، والحرام يأتيك جزافًا).. هل يوجد في كتاب الله تعالى؟! فقال: نعم، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

٨٩٤ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الأعراف:١٦٤]:
(اللوامون) فئة ليتهم إذ قعدوا عن فعل الخير لم يلوموا غيرهم على فعله.

٨٩٥ ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : ١٦٤] :
واضح أن الله سيسألنا: لماذا لم ننكر لا لماذا لم نغيِّر؟ فلا عذر لساكت!

٨٩٦ مهما انتشرت المنكرات من حولنا، فلا ينبغي ترك الإنكار وإلا نزل العذاب بالجميع، ولم ينجُ أحد: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤] .

٨٩٧ ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأعراف : ١٦٨]:
يبتليك الله بالحسنات والنعم ليبعثك على الشكر، كما يبتليك بالسيئات والنقم ليبعثك على الصبر.

٨٩٨ ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف : ١٦٩]:
بدلا من أن يشكروا الله على نعمة المغفرة، كفروا بهذه النعمة واستمرؤوا العصيان.

٨٩٩ ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا!﴾ [الأعراف : ١٦٩] :
يا ويح هؤلاء!

ترجُو النَّجاةَ ولم تَسْلُكْ مَسالِكَها ... إنَّ السَّفِينة لا تَجْري على اليبس

٩٠٠ ماذا دفعت من ثمن كي تشتري المغفرة؟! أم تظنها رخيصة أو بالمجّان؟!

٩٠١ قال معروف الكرخي: «طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور».

٩٠٢ قال الحسن البصري: «إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بلا حسنة، باعتقاد حسن الظن، وهو كاذب فيه، فلو كان صادقًا لأحسن العمل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾» [فصلت: ٣٢].

٩٠٣ ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]:
قال سعيد بن جبير: «يعملون بالذنوب، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه: قال: ذنبٌ آخر، يعملون به».

٩٠٤ ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[الأعراف: ١٦٩]:
عجيب شأن بعض المذنبين! يمشون على الأرض مطمئنين، وكأنهم أخذوا صِكًّا من السماء بمغفرة رب العالمين!

٩٠٥ ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[الأعراف: ١٦٩]:
هذه التوبة سابقة التجهيز! يأكلون الحرام، ويقولون: سنستغفر الله وسيغفِر!

٩٠٦ ﴿عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾[الأعراف: ١٦٩]:
والعرَض: الأمر الذي يزول ولا يدوم، ويراد به هنا المال، والأدنى: من الدنو بمعنى الأقرب، لأن متاع الدنيا عاجل قريب، أو من دنو الحال وسقوطها، وفي استخدام اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ إيماءة إلى تحقير هذا الذي رغبوا فيه.

٩٠٧ هذه الآية نزلت في المرتشين، فقد كان قضاة بني إسرائيل يأخذون الرشوة في الأحكام للتسهيل على العوام.

٩٠٨ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾
[الأعراف: ١٧٠]: من أبرز صفات المصلحين وعلامات صدقهم: الاستمساك بالكتاب مع إقامة الصلاة.

٩٠٩ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[الأعراف:١٧٥]:
لا ييأس إبليس من إغواء أحد ولو بلغ مقام الأولياء، ولا سقف لطموحه في إضلال العبد، فينقله من إمامة المؤمنين إلى إمامة المجرمين!

٩١٠ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]:
قال ابن الجوزي: «بالله عليك يا مرفوع القدر بالتقوى: لا تبع عزها بِذُلِّ المعاصي».

٩١١ القرآن يرفع صاحبه، والهوى يضعه.

٩١٢ ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف : ١٧٦]: الضالُّ على علم: إن زجرته لم يرتدع (هلك)، وإن تركته بلا نصح (هلك)، كالكلب إن طُرِد كان لاهثًا، وإن تركته كان لاهثًا.

٩١٣ قال ابن قتيبة: «كل لاهث إنما يكون من إعياء أو عطش إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال تعبه؛ وفي حال الري وحال العطش».

٩١٤ ووجه التشابه: حال صاحب الهوى في لهثه خلف هواه.

٩١٥ ﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ [الأعراف : ١٧٦]:

ليس معنى تحمل من وضع الأحمال عليه؛ إذ الكلاب لا يُحمَل عليها، بل المعنى: تزجره وتطرده.

٩١٦ ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف : ١٧٩]: كل من له قلب لا يفقه به الحق، وعين لا تبصر الحق، وأذن لا تسمع الحق، فهو ﴿ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾، وسر أنهم أضل من الأنعام أن الأنعام لو كان لديها عقل لفقهت به!

٩١٧ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف ١٨٠]:

قال القرطبي موضِّحًا: «أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي، وهكذا».

٩١٨ قال ابن القيم: «وهو مرتبتان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثانية: دعاء طلب ومسألة».

٩١٩ ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٢]:

قال سفيان الثوري: «نُسبغ عليهم النعم، ونمنعهم الشكر».

٩٢٠ قال أبو حازم: «نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، إني رأيته أعطاها أقوامًا فهلكوا».

٩٢١ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]:
ما يضرك إن تولى كل الناس عنك، إن تولى الله أمرك أيها العبد الصالح.

٩٢٢ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]:
ذكر الله الكتاب مع الولاية، وكأنها إشارة إلى أن ولاية الله لك على قدر صلتك بالقرآن.

٩٢٣ ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]:
والفعل المضارع فيه دلالة على سريان قانون نُصرة الله للصالحين على مر العصور.

٩٢٤ ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]:
كثيرا ما تبصر العين ويعمى القلب.

٩٢٥ قيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطتَ من القرآن كل شيء؛ فأين المروءة فيه؟ قال: في قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:

٩٢٦ ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:
وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء والتغافل.

٩٢٧ ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:
﴿وَأَعۡرِضۡ﴾ عنهم بعينك فلا تنظر إليهم، ﴿وَأَعۡرِضۡ﴾ عنهم بقلبك فلا يلقون فيه بالهموم.

٩٢٨ كثير من الوقت الضائع في الجدل كان دواؤه ألا تتورط فيه منذ البداية.

٩٢٩ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيجذب نحوك دائمًا من يكابره ويجهل عليك.

٩٣٠ إذا لم يعترض طريقَ المصلحين جاهلٌ ومعاند فإصلاحهم مشكوك فيه؛ فإن الله تعالى قال لنبيه ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

٩٣١ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: حين تتعثر وتخطئ لم يسلبك الله صفة التقوى، فسبحان من يمدحك ولو أخطأت.

٩٣٢ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
[الأعراف: ٢٠٤]: رحمة الله حولك في كل مكان، وتُنال بأيسر الطرق، وماذا أيسر من الإنصات؟

٩٣٣ رحمة الله قريبة من المستمع للقرآن فكيف بالعامل به؟!

٩٣٤ المشتاق لسماعِ القرآن مرحوم؛ والذي ينفر من القرآن محروم!

٩٣٥ كلما زاد حضور قلبك وحسن إنصاتك، زاد نصيبك من رحمة الله.

٩٣٦ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]:
قال الحارث المحاسبي: «إذا كان كلام العالم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها، فالله أعلم العلماء وأرحم الرحماء، فكلامه أولى كلام بالاستماع والتدبر والفهم».

٩٣٧ أذكار الصباح والمساء كفيلة بأن تُخرِج العبد من وصف (الغافلين): ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

سورة الأنفال

٩٣٨ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]:
من أعظم علامات الإيمان: التأثر بكلام الله تعالى.

٩٣٩ ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]:
نية جديدة احتسبها كلما قرأت القرآن: أن تكون سببا في زيادة إيمان غيرك.

٩٤٠ ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]:
كلما زاد إيمانك زاد توكلك!

٩٤١ ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال : ٥] :
عندما يقع لك ما لا تحب، فتفاءل، فلعله الطريق إلى ما تحب كما حدث يوم بدر.

٩٤٢ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[الأنفال : ٩]:
حاجتك للإجابة هي كحاجة الغريق للغوث والحياة.

٩٤٣ لو استغنى أحد عن الدعاء لكان جيش الصحابة الذين كان فيهم خاتم الأنبياء المؤيد بالوحي.

٩٤٤ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال : ١٠]: إياك أن تظن النصر بسبب الملائكة التي تنزلت، فهم مجرد سبب، ولو شاء الله لنصرهم دون ملائكة.

٩٤٥ ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ﴾[الأنفال : ١٢]:
ومنهم جبريل صاحب الستمائة جناح، كل جناح منها يسد الأفق، يقاتل يوم بدر بشرًا مهازيل، ومع ذلك يحتاجون معية الله، وإلا انهزموا!

٩٤٦ ﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[الأنفال : ١٢] :
مهما بلغ إيمان العبد، فإنه يحتاج إلى تثبيت الرب، ووسيلة التثبيت هنا كانت الملائكة!

٩٤٧ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[الأنفال : ١٧] :
لا تنسب لنفسك أي خير، فلولا الله ما ركع راكع ولا سجد ساجد.

٩٤٨ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال : ١٧]:
ما رميت بنفسك لكن رميت بنا، فكان منك يا محمد قبض التراب وإرساله من يدك، وكان التبليغ والإصابة من الله.

٩٤٩ رمى قبضة من التراب فأصاب جميع الوجوه، وقال له في موضع آخر: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾، وقال في ثالثة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، فإذا كان الملك ملكه، والأمر أمره، والحكم حكمه، فكيف يغتر أحد بقوته أو ييأس من ضعفه؟!

٩٥٠ قال صاحب الكشاف: «يعني أن الرمية التي رميتها - يا محمد - لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها ما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله، حيث أثرت ذلك الأثر العظيم.. فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر هو فعل الله عز وجل».

٩٥١ ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]:
البلاء الاختبار، فيختبرهم مرة بالنعم ليُظهِر شكرهم أو كفرانهم، ويختبرهم أخرى بالمحن ليُظهِر صبرهم أو جزعهم.

٩٥٢ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]:
قال السعدي: «مضعِف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقًا بهم».

٩٥٣ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]:
قال أبو جهل حين التقى القوم في بدر: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه، فأحنه - أي فأهلكه - الغداة، فكان المستفتح.

٩٥٤ عن السُّدي أن المشركين حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أهدى الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين. فقال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

٩٥٥ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]:
أعظم العقوبات ألا تنتفع بالعظات.

٩٥٦ نصيبنا من الانتفاع بوحي السماء عظيم بقدر (الخير) الذي في قلوبنا.

٩٥٧ ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]:
تعريف الميت بموجب هذه الآية هو من لم يستجب لأمر الله ورسوله، وعلى قدر الاستجابة تكون الحياة.

٩٥٨ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾[الأنفال : ٢٤]:
أنت لا تملك قلبك، فاستعن بمن يملكه كي يثبِّته على الحق.

٩٥٩ في الحديث: «مثل القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاه بأرض فلاة، تقلبها الرياح ظهرًا لبطن» صحيح الجامع رقم: ٢٣٦٥.

٩٦٠ لا تأمن على قلبك أبدًا.

٩٦١ سمع عمر رجلًا يقول: اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه، فحُل بيني وبين معاصيك أن أعمل بشيء منها.

٩٦٢ تمثيل لغاية قرب الله من العبد، وتنبيه على أن الله مطلع على مكنونات القلوب التي يغفل عنها صاحبها؛ ليبادر إلى إخلاص قلبه وتصفيته قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت.

٩٦٣ تصوير لامتلاك الله قلب عبده، وأنه يحول بينه وبين الكفر إن أراد سعادته، وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته.

٩٦٤ إشارة إلى علم الله بعزم المرء ونيته قبل أن ينتقل هذا العزم إلى جوارحه، فشبَّه علم الله بذلك بالحائل بين شيئين في تعبير عن شدة الاتصال بالقلب، والمقصود: تحذير المؤمنين من كل خاطر سيئ يؤدي إلى التراخي في الاستجابة لأمر الله ورسوله.

٩٦٥ قال ابن عطية: «المراد الحث على المبادرة بالامتثال وعدم إرجاء ذلك إلى وقت آخر، خشية أن تعترض المرء موانع من تنفيذ عزمه على الطاعة».

٩٦٦ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾[الأنفال : ٢٥]:
من لعنة الظلم أنه وباء، يتعدى ضرره الظالم إلى من حوله.

٩٦٧ في سنن ابن ماجة: «ما من قوم يُعمَل فيهم بالمعاصي، هم أعز منهم وأمنع، لا يُغيِّرون، إلا عمَّهم الله بعقاب» سنن ابن ماجة رقم: ٤٠٠٩.

٩٦٨ قال الإمام القسطلاني: «علامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي، فلا يتحقق كون الإنسان كارهًا له، إلا إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين، كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده، فكل من لم يكن بهذه الحالة، فهو راضٍ بالمنكر، فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار».

٩٦٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[الأنفال :٢٧]:

خيانة شخص مؤلمة! فكيف بمن خان الله ورسوله؟! وخيانة الله بترك فرائضه وانتهاك محارمه، وخيانة الرسول بإهمال سننه وتعاليمه.

٩٧٠ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[الأنفال : ٢٩] :

على قدر تقواك يرزقك الله البصيرة التي تفرِّق بين الحق و الباطل.

٩٧١ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الأنفال : ٣٣] :

شعورك بالأمان من العذاب وأنت مع رسول الله ﷺ هو نفس شعورك بالأمان مع الاستغفار.

٩٧٢ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[الأنفال : ٣٣]:

وجود بدنه فيهم دفع عنهم العذاب وهم أعداؤه، فكيف بوجود الإيمان به ومحبته في قلب عبد؟ أليس دفعه للعذاب أولى.

٩٧٣ سئل الحسين بن الفضل عن المثَل: (كرامة عين تكرم ألف عين).. هل يوجد في كتاب الله تعالى؟! فقال: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾

٩٧٤ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الأنفال : ٣٣] :

قال الحسن: لا أظن أن الله يعذب رجلاً استغفر، فقيل: لماذا؟ قال: كيف يلهمه الاستغفار ويريد به أذى!

٩٧٥ ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[الأنفال:٣٨]:
هذا لطفه بالكافرين، فما لطفه بالمؤمنين؟! آية من أعظم آيات الرجاء.

٩٧٦ قال عبد القاهر بن طاهر التميمي:

يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترفْ ... ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف

أبشر بقول الله في آياته ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

من روائع المتدبرين

قال ابن ظفر المكي:

قرأ السري السقطي على مؤدِّبه قول الله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾، فقال يا أستاذ.. ما الوِرْد؟ فقال: لا أدري، فقرأ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، فقال: يا أستاذ .. ما العهد؟ قال: لا أدري! فقطع السَّرِيُّ القراءة وقال: إن كنت لا تدري فلم غرَّرتَ بالناس؟ فضربه المؤدِّب، فقال السَّري: ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفتَ إليهما الظلم والأذى فاستحله المؤدِّب (أي طلب العفو منه)، وتاب إلى الله، وأقبل على طلب العلم، وكان يقول: إنما أعتقني من رِقِّ الجهل السري

أنباء نجباء الأبناء ص ١٤٦-١٤٧

الجزء العاشر
من سورة الأنفال الآية ٤١
إلى سورة التوبة الآية ٩٢
عدد الفوائد ١٣٠

٩٧٧ ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال:٤٢]:
لم يتواعدوا فغنموا، وهكذا فضل الله .. يأتي من غير ميعاد.

٩٧٨ ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال:٤٤]:
ما الغرض من تقليل المؤمنين في أعين الكفار؟

٩٧٩ قللهم في أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيها بعده، ليجترؤوا عليهم، ثم تفجؤهم الكثرة، فيبهتوا وتنكسر شوكتهم، حين يرون ما لم يكن في حسبانهم.

٩٨٠ ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأنفال:٤٥]:
من أعظم أسباب الثبات في الأزمات كثرة ذكر الله.

٩٨١ إذا كنت مأمورًا بالذكر الكثير في أشد الأحوال، فكيف ترى تفريطك في الذكر عند أيسر الأحوال!

٩٨٢ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال:٤٥]:
ما أجمل قول الإمام ابن عجيبة: «ذكر اللسان نتائجه الأجور، وذكر القلوب نتائجه الحضور».

٩٨٣ ما تنازع قوم إلا وحلَّ بهم الفشل واستخف بهم الجميع :﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

٩٨٤ ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٩]: دائمًا يتعجَّب المنافقون من ثقة المؤمنين بالله وحسن ظنهم بربهم، وتفاؤلهم مع قلة عددهم وعتادهم.

٩٨٥ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]:
كما قيل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

٩٨٦ قال ابن القيم: «فما حُفِظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد نعمة بمثل معصيته لربه».

٩٨٧ ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠]:
سيجبر الله كسركم أيها المؤمنون مهما تكن قوتكم، ما دمتم قد بذلتم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم ﴾.

٩٨٨ تتناول كل قوة علمية، وبدنية، ومهنية، وسياسية، وإدارية، وتشمل كل مسلم مهما يكن تخصصه.

٩٨٩ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]:
أول شروط النصر الألفة بين المؤمنين، لا التنازع بينهم وتراشق الاتهامات.

٩٩٠ ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٦٣]:
محبة القلوب لا تشتريها كل كنوز الأرض.

٩٩١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤]:
كل هذا العالم لن يكفينا ما أهمنا وأغمَّنا، كفاية الله وحدها تشعرنا بالاكتفاء.

٩٩٢ ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [الأنفال: ٦٦]:
المشقة تجلب التيسير، وبقدر ما فيك من الضعف، يرسل الله إليك التخفيف.

٩٩٣ ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧٠]:

الخير مغناطيس في القلب يجذب إليه كل ألوان الخير!

٩٩٤ تأكد أن ما فاتك أو أصابك سيعوِّضك الله عنه وزيادة، ما دام الخير يملأ قلبك.

٩٩٥ رزق العبد على قدر نيته.

٩٩٦ إن فاتك شيء وحزنت عليه، فتدبر هذه الآية، وتفاءل بها.

٩٩٧ ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾ [الأنفال : ٧٠]:

تفقَّد قلبك لتعلم من أين جاء الحرمان؟!

٩٩٨ مصدر الخير القلب، فلو استطعنا أن نغرس فيه الخير لانهمرت علينا الخيرات من رب الأرض والسماوات.

٩٩٩ ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنفال : ٧١] :

من ضَيَّع حقَّ الله، فهو لغيره أضيَع!

١٠٠٠ ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأنفال : ٧١]:

مَن خان ربه ودينه وأمته سيُمكِّن الله من رقبته ولو بعد حين.

١٠٠١ ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣]:

من أسباب الفتن عدم نصرة المظلوم؛ ولذا أمر الله بنصره وموالاته.

سورة التوبة

١٠٠٢ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١]:

براءة سورة بلا بسملة: عبِّر بقوة عن براءتك من الكفر وأهله دون مجاملات على حساب العقيدة.

١٠٠٣ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٢]:

أعلَم الله الكافر أنه لا يُعجِزه، فكيف غاب هذا عن مؤمن يؤمن بالله؟!

١٠٠٤ ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [التوبة:٣]:

كل بوّابات الخير تنفتح مع التوبة.

١٠٠٥ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة:٣]:

أصل البشارة في الخير، ولكن ذُكِرتْ هنا من باب التهكم، أي أبشروا بما ينتظركم من العذاب الأليم.

١٠٠٦ قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة : ٥]، ثم قال: ﴿فَإِن تَابُوا۟ ...فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة : ٥]: باب عظيم مهجور من أبواب الإيمان. في الحديث: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله عز وجل» صحيح الجامع رقم: ٢٥٣٩ .

١٠٠٧ ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥]:

ترصُّد أعداء الدين من أهمِّ سِمات المؤمنين.

١٠٠٨ ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة : ٨]:

آمن بها الصحابة غيبًا، وعرفناها اليوم في مذابح المسلمين شهادة.. صدق الله .. صدق الله .. صدق الله.

١٠٠٩ ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة : ٨]:

بعض الكلمات تنزع فتيل القنبلة وتعني انتهاء المعركة.

١٠١٠ ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة:١٠]:

قال ابن عباس: الإل: القرابة، والذمة: العهد.

١٠١١ ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾[التوبة:١٢]:

الطعن في الدين يوصل صاحبه إلى إمامة الكفر، فليحذر الطاعنون في الدين اليوم!

١٠١٢ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾[التوبة:١٣]:

تتصارع في كل قلب قوتان، كلما عظمت خشية الخالق قلَّت خشية المخلوق، والعكس صحيح.

١٠١٣ قال سفيان الثوري لأصحابه يومًا: «لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله!﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾[التوبة:١٣]».

١٠١٤ ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[التوبة : ١٣]:

خشيتك لله على قَدْر إيمانك به.

١٠١٥ ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:١٤]:

وشفاء صدور قوم مؤمنين يستلزم شفاء صدور كل المؤمنين؛ لأن المؤمنين جسد واحد، ويستلزم كذلك غيظَ صدور أعداء الدين.

١٠١٦ المراد بالقَوْمِ المؤمنين هنا خزاعة حيث تمالأ عليهم الكفار وقتلوهم في الحرم، فاستنجدوا بالنَّبيِّ ﷺ، فكان ذلك سبب فتح مكة.

١٠١٧ غيظ القلوب مرض دفين يفتك بالقلب والجسد، وسبب غيظ المؤمنين هو بغي الكفار وقتلهم المسلمين، وشفاء هذا الغيظ لا يكون إلا بالتمكن من الأعداء، فينشرح الصدر، ويزول ما فيه من غضب.

١٠١٨ ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة:١٥]:

املأ قلبك اليوم غيظًا على الطغاة والمجرمين، فيومًا ما سيتحقق وعد الله لعباده:

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة:١٥].

١٠١٩ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[التوبة:١٨]:

ضعَّف البعض إسناد حديث: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»، لكن معناه صحيح، وتشهد له هذه الآية.

١٠٢٠ ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[التوبة:١٨]:

ليس المراد بقصر الخشية هنا على الله أنهم لا يخافون شيئًا غير الله، فإنهم قد يخافون الأسد ويخافون العدو، ولكن المعنى: إذا تردد الحال بين خشية الله وخشية غيره قدَّموا خشية الله، فالقصر هنا عند تعارض خشيتين.

١٠٢١ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ﴾ [التوبة:١٩]:

مهما بلغ عملك الخيري والتطوعي، فلن يجاري أبدًا الإيمان بالله والجهاد في سبيله.

١٠٢٢ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾[التوبة : ٢٥]:

هذا نصُّ قانون التولي والتخلي! إذا قلت يا رب تولاك، وإذا قلت: أنا أنا.. تخلى عنك!

١٠٢٣ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾

[التوبة:٢٥]: أغلِق شبابيك قلبك كي لا يتسلل إليه العُجب بمال أو علم أو سلطان، فكل ذلك لن يغني عنك بين يدي الله شيئًا!

١٠٢٤ نصرة الله للعبد موقوفة على عدم رؤية العبد لنفسه، فالمنصور من عصمه الله عن توهم قدرته، ولم يكله إلى تدبيره وسطوته، وأقامه مقام الافتقار إليه متبرئًا من حوله وقوته، فيأخذ الله بيده، ويخرجه عن تدبيره، ويوقفه على حسن تدبيره.

١٠٢٥ ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾[التوبة:٢٥]:

شيئًا !! إن أصغر شيء في هذا الكون لا ينجح في إنجاز شيء دون إرادة الحق سبحانه.

١٠٢٦ ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة : ٢٥]:
قال الحسن البصري: «هكذا يقع ذنب المؤمن من قلبه»، فقيِّم إيمانك!

١٠٢٧ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾
[التوبة : ٢٥]: عون الله للمؤمنين يكفي مع القلة، والعُجب يلغي أثر الكثرة.

١٠٢٨ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:٢٦]:
السكينة من أعظم القوت الذي يُنعِم به (المقيت) على قلوب المؤمنين، وهو كفيل بترجيح كفَّتك في كل معارك الحياة.

١٠٢٩ من علامات المؤمن: السَّكينة عند البلاء.

١٠٣٠ ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٢٦]:
هناك رحمات خفية ومعونات غير مرئية تتدفق عليك من الله دون أن تشعر، فقط إن تخليتَ عن حولك وقوتك إلى حوله وقوته.

١٠٣١ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [التوبة : ٢٨]:
النهي وإن كان موجهًا للمشركين، إلا أن المقصود منه نهي المؤمنين عن تمكينهم من ذلك.

١٠٣٢ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة:٢٨]:
ارتبط وصفهم بالنجاسة بصفة الإشراك، فعلمنا أنها نجاسة معنوية نفسانية، وليست نجاسة ذاتية مادية.

١٠٣٣ ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة : ٢٨]:
العام الذي حصل فيه النداء بالبراءة من المشركين وعدم طوافهم بالمسجد الحرام، وهو العام التاسع من الهجرة.

١٠٣٤ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [التوبة:٢٨]:
كيف نخاف فقرًا، وقد وعدنا أكرم الأكرمين بالغنى!

١٠٣٥ غِناك وفقرك بيد الله وحده، فكيف تُذِلُّ نفسك لغيره؟!

١٠٣٦ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[التوبة:٣٢]:

تصور سخيف أن يظنوا أن أفواههم التي تنفخ كافية لإطفاء أعظم نور، ذهبت أنفاسهم، وما زاد النور إلا توهجًا.

١٠٣٧ قال الخطيب الإدريسي: «إن الإسلام إذا حاربوه اشتدّ، وإذا تركوه امتدّ، والله بالمرصاد لمن يصُدّ، وهو غني عمن ارتدّ، وبأسه عن المجرمين لا يُردّ، وإن كان العدو قد أعدّ، فإن الله لا يعجزه أحد، فجدِّد الإيمان جِدِّد، ووحِّد الله وحِّد، وسدِّد الصفوف سدِّد».

١٠٣٨ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[التوبة:٣٣]:

ليس معنى الآية أن يصير الناس جميعًا مسلمين، لكن يظل كُلٌّ على دينه أو كفره، ولا يجدون حلاً لمشكلاتهم إلا في الإسلام.

١٠٣٩ ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾

[التوبة:٣٤]: قال الله (كثيرا)، فالتعميم خطأ، والدقة مطلوبة، فكن دقيقًا في اختيار كلماتك وعباراتك.

١٠٤٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾[التوبة:٣٤]:

قال العلماء: كل مال -مهما كثر- تؤدى زكاته ليس بكنز، وأي مال -مهما صغر- لا تؤدّى زكاته فهو كنز.

١٠٤١ ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[التوبة : ٣٦]:

ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، وقد سُمِّيَت بذلك لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها.

١٠٤٢ ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[التوبة : ٣٦]:

أعظم الظلم ظلم النفس، ويقع بمعصية الله وترك طاعته.

١٠٤٣ قال قتادة: «إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، وكأن الله يُعظِّم من أمره ما شاء».

ظلمكم لأنفسكم هو إضرار منكم بأنفسكم، ولن تضروا الله شيئًا، فكل ما أمر الله به تحريمًا وتحليلًا هو لصالحكم، وكل عصيان له يضركم.

١٠٤٤

١٠٤٥ ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]:

قال القشيري: «ولا سلاح أمضى على العدوّ من تبرّيك (تبرؤك) عن حولك وقوّتك».

١٠٤٦ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التوبة: ٣٧]:

استعمال الحيلة لفعل شيء محرم أو الفرار من واجب هو تلاعب بالدين، مثل تلاعب المشركين بتأخير الأشهر الحرم ليقترفوا الحرام:

١٠٤٧ ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]:

لا يُضعِف القلب ويكبِّله عن بلوغ معالي الأمور إلا الانجذاب لسفولة الأرض.

١٠٤٨ النفير في القرآن نوعان: للجهاد ﴿ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٨]، وللعلم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾، فلا عزة بغير جهاد، ولا جهاد إلا بعلم.

١٠٤٩ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]:

أتظنون أن جهادكم هو الذي ينصر محمدًا ودينه؟ كلا؛ فالله ناصره بأيسر وسيلة وأهون سبب، كما نصره يوم الهجرة برجل واحد! هو أبو بكر على قريش كلها.

١٠٥٠ الصاحب بحق هو الذي يخفف عنك الأحزان، ويشعرك عند خوفك بالأمان: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

١٠٥١ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

لم يقل: لا تحزن، فأنا رسول الله وإني معك، بل تبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

١٠٥٢ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [التوبة: ٤٠]:

بعض الرحمات الإلهية مرهونة بكلمة واحدة ترددها بيقين، لتنهمر بعدها السكينة بغزارة!

١٠٥٣ ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ :[التوبة: ٤٠]

ولو فقدت كل شي، يكفيك أن الله معك، وسيعوِّضك.

١٠٥٤ ليست المعية العامة بالعلم والإحاطة، فهذه تشمل كل الخلق، بل معية التأييد والنصرة، وهذه لا تشمل إلا المؤمنين الذين استجلبوها بطاعة الله وموافقة أمره.

١٠٥٥ منهج رباني في التخفيف عن المكروبين، لا يتضمن الاستغراق في تفاصيل المشكلات، بل يقوّي النفس على المشكلات بالاستعانة برب الأرض والسماوات.

١٠٥٦ هل الحزن شعار الإيمان؟! كلا .. قال ابن القيم: «اعلم أن الحزن من عوارض الطريق، وليس من مقامات الإيمان ولا من منازل السائرين؛ ولهذا لم يأمر الله به في موضع قط، ولا أثنى عليه، ولا رتَّب عليه جزاء ولا ثوابًا، بل نهى عنه في غير موضع».

١٠٥٧ ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]:

أعظم صحبة هي التي تخفف عنك أعباء الحياة بتذكيرك دوما بالله.

١٠٥٨ ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾[التوبة: ٤٢]:

المنافق قصير النفَس، والصدق لا يُختَبر إلا في الأعمال طويلة المدى.

١٠٥٩ حديث يشبه هذه الآية! قال رسول الله ﷺ في المتخلفين عن صلاة الجماعة: «لو يعلم أحدهم أنه يجد عظمًا سمينًا، أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء».

١٠٦٠ وهذا توبيخ لمن زهد في صلاة الجماعة، ولو وجد في صلاة الجماعة شيئًا من الدنيا -ولو كان حقيرًا- لحضرها.

١٠٦١ ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾[التوبة: ٤٢]:

هلاكنا ليس بالجهاد، بل في ترك الجهاد، وليس بأن نموت في سبيل الله، بل بأن نحيا في خدمة الدنيا.

١٠٦٢ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة :٤٣]:

المراد بالعفو ليس عن الذنب، فهو المعصوم، ولكن عدم مؤاخذته ﷺ في تركه الأولى والأفضل، والأفضل كان ألا يأذن للمنافقين بالتخلف عن الجهاد.

١٠٦٣ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة :٤٣]:

ما أجمل أن تستفتح العتاب بأجمل الكلمات؛ لتستميل قلب من تُعاتِب!

١٠٦٤ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة:٤٦]:

من علامات التوفيق وأمارات السابقين الاستعداد للطاعة قبل دخول وقتها.

١٠٦٥ تشكو عدم القيام لصلاة الفجر، وأنت كل يوم تنام متأخرًا، ولا تضبط منبِّهك ليوقظك!

١٠٦٦ ويحك! من عزَم على شيء من الخير، فعلامة صدقه أن يبذل له أسبابه.

١٠٦٧ ﴿لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة :٤٦]:

عُدَّة هنا نكِرة،لتفيد الإطلاق أيْ أيَّ عُدَّة، فالذي لا يبذل أي نوع من الاستعداد دنيء الهمة، وليس في قلبه خير.

١٠٦٨ ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة :٤٦]:

إذا أعاقتك الصوارف عن زيارة بيت الله، فخف أن يكون الله قد كره لقاءك فثبَّطك!

١٠٦٩ كثرة التكاسل عن الطاعات علامة مخيفة، توحي بأن العبد مطرود من رحاب الله، وعليه أن يعود فورًا.

١٠٧٠ ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦]:

أسقِط هذه الآية على صلاة الفجر، وعالج بها كسلك وتسويفك!

١٠٧١ ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]:

هم مؤمنون يصغون لأقوال المنافقين، أو مجموعة من المنافقين بين المؤمنين يسمعون لأصحابهم المنافقين ويؤيدون أقوالهم، إن مجرد سماعك للإشاعة هو جزء من خطة المنافق.

١٠٧٢ قلب الحقائق عن طريق بلاغة اللسان من أبرز صفات النفاق: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ [التوبة : ٤٨].

١٠٧٣ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة : ٤٨]:
لا تنسَ الماضي الأسود لأعداء دينك، ولا تحرق سجلاتهم الملطخة بالخيانة، ستفيدك يوم القصاص.

١٠٧٤ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة :٤٩]: المنافق صاحب أعذار واهية! قال الجدُّ بن قيس: قد علمت الأنصارُ أني مشتهرٌ بالنساء، فلا تفتنّي ببنات الأصفر يعني نساء الروم، ولكن أعينك بمالي فاتركني.

١٠٧٥ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[التوبة : ٤٩]:
لا فرار مهما حاولوا، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها.

١٠٧٦ من علامات المنافق أن يفرح بسلامة دنياه ولو خسر دينه: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾[التوبة :٥٠].

١٠٧٧ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة :٥١]:
كلما نقص يقينك بهذه الآية، زاد منسوب الخوف في قلبك.

١٠٧٨ لنا لا علينا، فالمصيبة فيها خيرٌ لك!

١٠٧٩ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[التوبة :٥٢]:
قل لي بربِّك: كيف تنكسر أمة يرى أبناؤها أنهم رابحون في جميع الأحوال؟!

١٠٨٠ ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[التوبة :٥٦]:
ليس معنى يفرقون من الفُرقة؛ بل من الفرَق وهو الخوف .

١٠٨١ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[التوبة : ٥٨]:
ما هو اللمز؟! اللمز: العيب والوقوع في الناس، وقيل: اللمز هو العيب في الوجه، والهمز: العيب بالغيب.

١٠٨٢ ﴿ يَلْمِزُكَ ﴾ بصيغة المضارع؛ مما يدل على استمرارية هؤلاء المنافقين فيه، وأن اللمز أصبح ديدنهم و سلوكهم، وليس فعل مرة أو مرتين، فكأنهم يتلذذون به ويفرحون.

١٠٨٣ لدى المنافق قدرة عجيبة على تحويل أعظم إنجازات المؤمن إلى مادة للتندر والسخرية!

* سبب نزولها:

قال مجاهد في سبب نزولها: «كان لعبد الرحمن بن عوف، ثمانية آلاف دينار، فجاء بأربعة آلاف دينار صدقة.

وجاء رجل من الأنصار بصاع تمر نزَع عليه ليلَه كُلَّه، فلما أصبح جاء به إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء، وقال الآخر: إن الله لغنيٌّ عن صاعِ هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٧٩] عبد الرحمن ابن عوف، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[التوبة:٧٩] صاحب الصاع».

١٠٨٤ المنافقون أعداء النجاح، ورواد السخرية من المؤمنين، ولن يجدوا أنسب من غزوة تبوك لإطلاق حملتهم هذه، فكيف سيواجه هؤلاء الفقراء الضعفاء جحافل أقوى دولة في الدنيا، ويقابلونها بجيش قائم في تجهيزه على التبرعات، ويحتاج لنصف صاع وحبة تمر!

١٠٨٥ لن يسلم من ذمِّ المنافقين أحدٌ، فلا المتصدِّقون سلِموا، ولا الممسكون، لا المكثِرون ولا المُقِلّون.

١٠٨٦ منظار الشك واتهام النوايا فضلًا عن أنه غير موضوعي، فهو ضد ما أمر الله به من الحكم على الظاهر، والله يتولى السرائر.

١٠٨٧ اللمز داء يعبِّر عن نفوس المنافقين المريضة، فالمرء يطلب عيب غيره بمقدار تشرُّب قلبه بهذا العيب. قال عون بن عبد الله: «ما أحسب أحدًا تفرَّغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه».

١٠٨٨ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ... فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]:

هاتوا لي نظامًا بشريًا بلغ من رحمته وحرصه على مصالح الناس أن يحاسب من لم يدفع من ماله للمحتاج.

١٠٨٩ ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١]:

أي يقبل كل ما يُقال له، ولا يميِّز بين صادق وكاذب، ويقصدون بذلك النبي ﷺ، وذبَّ الله عن نبيه: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، فإعراضه وعدم تعنيفه لأصحاب الأعذار الكاذبة، بسبب حُسْن خُلُقه.

١٠٩٠ ﴿تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٤]:

مِنْ أسرار عظمة القرآن، إخباره عما يدور في القلوب!

١٠٩١ ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]:

من أمر بالمنكر ونهى عن المعروف بقلمه أو لسانه فقد التحق بزمرة المنافقين.

١٠٩٢ لا جديد في الظلم ومعاداة الدين، لكن الجديد هو الزمان والمكان والأشخاص: ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩].

١٠٩٣ ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ﴾ [التوبة: ٧٢]:

نعيم فوق كل نعيم يناله أهل الجنة، فإن أعظم نعيمهم ليس النعيمَ الحسي بالحور والقصور والأنهار والخمور، لكنه النعيم القلبي الذي ينبع من رضوان الله عن عباده المؤمنين.

١٠٩٤ أمر الله نبيه باللين عند الدعوة فقال: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فلما أصروا- بعد بيان الحجّة- قال: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة : ٧٣]؛ لأن هذا في حال إصرارهم وزوال أعذارهم.

١٠٩٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة :٧٣]:

فائدة الجمع بين الكفار والمنافقين في الجهاد: إلقاء الرعب في قلوب المنافقين، فإنهم يخشون افتضاح أمرهم فيعامَلوا معاملة الكفار المحاربين، وجهاد المنافقين بالفعل متعذر؛ لأنهم لا يُظهرون كفرهم؛ ولذلك تأول أكثر المفسرين جهاد المنافقين بالمقارعة بالحجة، وإقامة الحدود عليهم إذا ظهر منهم ما يستوجب الحد.

١٠٩٦ ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾ [التوبة ٧٤]:

سبب نزولها:

لما نزل القرآن وفيه ذكر المنافقين قال الجلاس بن سويد: والله لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحن شر من الحمير، فسمعه عمير بن سعد فذكر ذلك للنبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ الجلاس عما قاله عمير، فحلف بالله ما قال ذلك، وزعم أن عميرًا كذب عليه، فنزلت الآية.

١٠٩٧ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة : ٧٧]:

لا تحتقر ذنبًا، فبعض الذنوب تنسف الدين، وتبقى إلى يوم الدين.

١٠٩٨ الفرح بفوات الطاعة وكراهية فعلها مرحلةٌ متقدمة من مراحل النفاق: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ ﴾[التوبة : ٨١].

١٠٩٩ كل مشقة تترك الطاعة من أجلها في الدنيا، تُعاقَب بأضعاف أضعافها يوم القيامة: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾[التوبة : ٨١].

١١٠٠ ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ ﴾ [التوبة : ٨٣]:

استحضار التاريخ وسوابق المرء ضرورة للتقديم والتأخير، وخاصة عند الترشح لعظائم الأمور والمهام.

١١٠١ ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة :٨٧]:

قد تتخلف عن الخير يومًا ما رغمًا عنك، فتجد نفسك بين غير المؤمنين، فاكره هذه الحال بقلبك وإياك أن ترضاها .. خطر!!

١١٠٢ يبدأ الشيطان خطة التدرج من كراهية الذنب، ثم اعتياده، ثم الرضا به.. كيد أبالسة!

١١٠٣ ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة : ٩٢]: ضاقت أيديهم عن بذل الأموال والنفقات، فتطوعت العيون بدلًا منها ببذل الدموع والحسرات.

١١٠٤ من العبادات الغائبة: الحزن على عدم القدرة على القيام بالطاعات.

١١٠٥ بكى قومٌ على فوات الطاعات، وبكى غيرهم على ارتكاب السيئات.. هم درجات عند الله.

١١٠٦ ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة :٩١]:

ليس لأحد أن يسلك أي سبيل أو طريق لمؤاخذة أو عتاب هؤلاء المحسنين، بعد أن أقعدتهم الموانع الحقيقية عن الجهاد، والمعنى: لا سبيل يستطيع أي معاتب أن يمر به إليهم، ولا حتى أن يقترب منهم، فما أبعد العتاب عنهم! وهذا من أفصح البيان.

الجزء الحادي عشر
من سورة التوبة الآية ٩٣
إلى سورة هود الآية ٥
عدد الفوائد ٩٧

١١٠٧ ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٩٦]:

المنافق مستعد للحلف كاذبا ليُرضي الخلق، أما رأي الله فيه فآخر اهتماماته.

١١٠٨ ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢]:

إذا لم تستطع التخلص من السيئات، فزاحمها بكثرة الحسنات، وستغلب الكثرة القِلة :﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

١١٠٩ اجعل من نياتك عند الشروع في طاعاتك أن تمحو بها أثر سيئاتك.

١١١٠ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣]:

شرع الله الصدقة من أجلك أنت قبل الفقير.

١١١١ ﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾(التوبة:١٠٣]:

كان بعض المتصدقين يضع الصدقة في يده، ثم يدعو الفقير لتناولها من يده، لتكون يد الفقير هي العليا، ويد المنفق هي السفلى!

١١١٢ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة:١٠٣]:

التوبة المالية!! إذا ابتليت بذنب وأردتَ أن تتطهر منه، فاستعن عليه بالصدقة.

١١١٣ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ (التوبة:١٠٤]: قال ابن كثير: «هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحقها».

١١١٤ ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة:١٠٥]:

كل طاعاتك يراها الله، فلا تشرك معه فيها غيره؟!

١١١٥ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة:١٠٧]:

اتخذ النفاق في العهد النبوي أشكالًا لا يُتصوَّر أن يتسلل إليها النفاق، وهي بناء المسجد، فكيف بعهدنا اليوم؟! الحذر أولى.

١١١٦ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة:١٠٨]:

إذا أردت أن تطهِّر قلبك وتزكِّي روحك، فاعتكف في مسجد، واذكر الله تعالى فيه.

١١١٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]: ماذا تساوي نفوسنا المعيبة -وإن طهرت- حتى يشتريها الله منا بهذا الثمن؛ لذا قال الحسن البصري: «بايعهم والله فأغلى ثمنهم».

١١١٨ قال محمد بن الحنفية يحثك على تزكية النفس بالعمل الصالح: «إن الله عز وجل جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها».

١١١٩ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة:١١١]:

أنت لا تملك نفسك، ولا يحق لك التصرف فيها دون إذن مالكها، فإنما يتصرف في ما اشتراه منك وبعته له، وأعطاك في المقابل الجنة، أرجعت في بيعتك؟! أم أنك لم تبع وزهدت في الجنة من الأساس؟! وإذا بعت.. أيحسن لمن باع شيئًا أن يغضب على المشتري إذا تصرَّف فيه حسب ما يراه؟ وماذا لنا فينا حتى نتكلم!!

١١٢٠ كيف بعت النفس الثمينة بشهوة تنقضي في لحظة؟! وبلذة لا تبقى سوى ساعة؟! وهبها بقيت أيامًا أو أعوامًا فماذا تساوي بجوار لذة الخلد؟! وبعتها لمن؟! لأعدى أعدائك: شيطانك!!

١١٢١ حُكِي عن مالك بن دينار أنه مرَّ بقصر يُبنَى، فسأل العُمَّال عن أجرتهم، فأجاب كل واحد منهم بأجرته، ولم يجبه واحد، فقال: ما أجرتك؟ فقال: لا أجر لي؛ لأني عبد صاحب القصر، فقال مالك: إلهي.. ما أسخاك، الخلق كلهم عبيدك، كلَّفتهم العمل ووعدتهم الأجر.

١١٢٢ البائع لا يستحقّ الثمن إذا امتنع عن تسليم ما باع، فكذلك لا يستحق عبدٌ الجنة إلا بعد تسليم النّفس والمال.

١١٢٣ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ [التوبة:١١٤]:

تأمل هذا الوصف البليغ في الولاء والبراء، فاقْتفِ أثر خليل الرحمن، وتبرّأ من كل عدو لك ولدينك ورسولك والمؤمنين.

١١٢٤ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤]:

تأمّل كيف اجتمعت صفة الحلم والغلظة في شخص واحد، فالحلم ليس معناه التهاون في أمر الدين.

١١٢٥ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة:١١٧]:

قال ابن القيم: «وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فإنه تاب عليه أولًا إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد، فتاب الله عليه ثانيًا، قبولًا وإثابة».

١١٢٦ قال ابن القيم: «التوبة نهاية كل عارف، وغاية كل سالك، وكما أنها بداية فهي نهاية، والحاجة إليها في النهاية أشد من الحاجة إليها في البداية، بل هي في النهاية في محل الضرورة؛ لذا كان ﷺ في آخر حياته أشد ما كان استغفارا وأكثره، وأنزل الله بعد غزوة تبوك، وهي آخر الغزوات التي غزاها ﷺ بنفسه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾».

١١٢٧ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]:

وصف الله العسر بأنه ساعة من نهار؛ كي لا تضجر من الأقدار!

١١٢٨ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [التوبة:١١٧]:

صحابة، ومجاهدون، وفي معية النبي ﷺ، ومع هذا تكاد قلوب بعضهم أن تزيغ، وبعضنا واثق في قلبه، ومطمئن على إيمانه! على أي أساس؟!

١١٢٩ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:١١٧]:

تحتاج لأن يتوب عليك أولًا لتتوب، فالتوبة ليست مجرد قرار شجاع، هي قبل ذلك هداية ورحمة وتوفيق من الرحمن.

١١٣٠ ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة:١١٨]:
أضيق ما يكون الأمر قُبيل الفرَج!

١١٣١ قال مجاهد: «ما كان من ظن في القرآن فهو يقين»، فلما أيقنوا ألا ملجأ إلا الله، صدق منهم اللجوء إليه، فتداركهم بالشِّفاء، وأسقط عنهم البلاء.

١١٣٢ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة:١١٩]:
كونوا معهم، ولا تتفردوا في السير من دونهم، كي لا يستفرد بكم الشيطان، فالجماعة بركة، والفرقة عذاب.

١١٣٣ ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة:١١٩]:
لن تستطيع أن تكون تقيًا إلا إن كنتَ في بيئة صالحة!

١١٣٤ الصدق من أهم معايير اختيار الصحبة، فلا يصلح أن تصاحب كاذبًا.

١١٣٥ ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[التوبة:١٢٠]:
الوطء في سبيل الله هو أن تدوس أرض العدو بما يغيظه، فإن العدو يأنف من وطء أرضه، وقد يكون الوطء استعارة لإذلال العدو وإغاظته، فكل عمل تغيظ به أعداء الله، فلك به أجر، ولو كان خطوة واحدة.

١١٣٦ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً ﴾[التوبة:١٢١]:
لا تحقرن صغيرة من خير، فأصحاب الأعراف يوم القيامة يوقفون عن دخول الجنة، لنقصان حسنة واحدة!

١١٣٧ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[التوبة:١٢٤-١٢٥]:
تنزل الآية على القلوب، فتكون سببًا في زيادة إيمان قوم، وزيادة رجس -أي كفر وشك- قوم آخرين.

١١٣٨ ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة:١٢٧]:

- قصة حديث تشرح آية!:

بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما الأول فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فقال ﷺ: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

١١٣٩ ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[التوبة: ١٢٧]:

إعراض مديره عنه يُقلِقه، فكيف بإعراض الله؟!

١١٤٠ سين: لم صرف الله قلوبهم؟!

جيم: لأنهم انصرفوا، فصرف الله قلوبهم عن الهدى؛ عقوبة على انصرافهم أولًا.

١١٤١ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾

[التوبة: ١٢٧]:المنافق تُقلِقه سورة! فكيف بالقرآن كلِّه؟!

١١٤٢ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التوبة : ١٢٩]:

قل لكل شيء فقدته، ولكل غالٍ هجرك، ولكل قريب تخلى عنك: حسبي الله .. يكفيني ويؤويني.

سورة يونس

١١٤٣ ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ [يونس:٢]:

تبشير المؤمنين سُنَّة غفل عنها الكثيرون، وما أكثر ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه كلمة (أبشِر)، وبها أمرنا: «بشِّروا ولا تنفِّروا».

١١٤٤ ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾[يونس:٢]:

حقيقة القدم ما قدَّم العبد، ويَقدُم عليه يوم القيامة، والمؤمنون قدَّموا العمل الصالح، والإيمان بمحمد ﷺ، فيقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك، فهذه ثلاثة تفسيرات لقدم صدق.

١١٤٥ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[يونس:٣]:

قال السعدي: «مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله».

١١٤٦ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[يونس:٣]:

فرِّغ قلبك من همومك وتدبيرك، وفوِّض أمرك وأسلِم قيادك لمن وعدك بتدبير الأمر لك ولغيرك.

١١٤٧ قال سهل التستري: «يقضي القضاء وحده، فيختار للعبد ما هو خير له، فخيرة الله خير له من خيرته لنفسه».

١١٤٨ تكررت في كتاب الله أربع مرات؛ لتنزع من قلبك أوهام أن أمرك بيد أحد غير الله.

١١٤٩ ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾[يونس:٧]:

لا يأمرك بترك الدنيا، لكن يأمرك بعدم الاطمئنان بها والركون إليها، كي لا تقدِّمها على آخرتك، أو تحصِّل شهواتها من أي طريق فتهلك!!

١١٥٠ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[يونس:٩]:

ليست الهداية درجة واحدة ولا الإيمان، بل درجات، وتتناسب هدايتك طرديًّا مع إيمانك، فكلما زاد الإيمان زادت الهداية.

١١٥١ الإيمان باقة نور يهتدي بها المؤمنون في ظلمات الفتن ومتاهات الغربة، حتى يصلوا إلى الهدف المنشود: الجنة.

١١٥٢ قال ابن جريج: يُمثَّل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره، يعارِض صاحبه ويبشِّره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيُجعَل له نوره من بين يديه حتى يُدخِله الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾.

١١٥٣ ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[يونس:١٠]:

الدعوى هنا الدعاء، ومعنى قولهم ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: نسبِّحك وننزِّهك عما لا يليق بك، فعبادة أهل الجنة التسبيح والحمد، ليس على سبيل التكليف بل تلذذا، وهو لهم بمنزلة النَّفَس، من دون كلفة أو مشقة.

١١٥٤ ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾[يونس:١٢]:

قال الآلوسي: «وفي الآية ذمٌّ لمن يترك الدعاء في الرخاء، ويهرع إليه في الشدة، واللائق بحال العاقل التضرع إلى مولاه في السراء والضراء، فإن ذلك أرجى للإجابة، ففي الحديث الشريف: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»».

١١٥٥ قال أبو الدرداء: «ادعُ الله يوم سرائك، يستجب لك يوم ضرائك».

١١٥٦ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾[يونس:١٢]:

لا تحزن إن جحد الناس إحسانك، فمنهم من جحد فضل الخالق مِنْ قبل، فكيف لا يجحد فضل المخلوق؟!

١١٥٧ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: ١٥]:

ما أشبه الليلة بالبارحة! بعض من ينادون بتخفيف لهجة الخطاب الديني أو تجديده!

١١٥٨ ﴿ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾[يونس:١٥]:

هذا سبب تعنت المنافقين والكافرين تجاه القضايا الإسلامية والأحكام الشرعية، وأما من آمن بلقاء الله فلا بد أن ينقاد لأحكامه.

١١٥٩ ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[يونس:١٥]:

قال الطبري: «والتبديل الذي سألوه أن يحوِّل آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا، والحرامَ حلالًا، والحلال حرامًا، فأمر الله نبيَّه ﷺ أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه، وأن ذلك إلى من لا يُرَدُّ حكمه، ولا يُتعقَّب قضاؤه، وإنما هو رسول مبلِّغ ومأمور مُتَّبِع».

١١٦٠ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا ﴾ [يونس:٢١]:
مهما أسرع الماكرون وتفننوا وتستروا، فقد سبق مكرُ الله مكرَهم؛ لأنه أحاط علمًا بمكرهم قبل أن يفعلوه، وقادر على إبطاله بعد أن فعلوه.

١١٦١ ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ﴾ [يونس:٢٢]:
مشركون .. دعوا الله حين أحاطت بهم الأمواج، فنجاهم الله، فكيف تيأس وتنقطع عن الدعاء وأنت المؤمن؟!

١١٦٢ ﴿ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس:٢٢]:
قال القرطبي: «المضطر يجاب دعاؤه، وإن كان كافرًا، لانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحد رب الأرباب».

١١٦٣ ﴿ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ [يونس:٢٣]:
قال مكحول: «ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر، والبغي، والنكث. قال تعالى: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾ [فاطر:٤٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[يونس:٢٣]».

١١٦٤ أنفع موعظة ما كانت من أجل منفعتك أو صرف السوء عنك؛ ولذا كانت هذه الآية صيحة تحذير وصرخة نذير تقول لك: أنت لا تضر إلا نفسك!

سهم البغي سيرتد على صاحبه عاجلًا أو آجلًا!

١١٦٥ ﴿ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا ﴾ [يونس:٢٤]:
الاغترار بالقوة أولى علامات الانهيار.

١١٦٦ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس:٢٤]: الدنيا أقصر ما تكون، وكأنها موسم زراعة واحد!!

١١٦٧ ﴿ كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾ [يونس:٢٤]: جملة كفيلة بأن تزهِّدك في الدنيا بأسرها لأنها زائلة ومنسية، وترغِّبك في الآخرة الخالدة.

١١٦٨ ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[يونس:٢٥]:
قال ابن كثير: «لما ذكر الله الدنيا وسرعة زوالها، رغَّب في الجنة ودعا إليها، وسمّاها: دار السلام، أي من الآفات والنقائص والنكبات».

١١٦٩ من أجاب النداء من الدنيا دخل الجنة، ومن أجاب من القبر فهو المحروم.

١١٧٠ تجيب أمك وأباك إذا ناداك، ولا تجيب ربك إذا دعاك! مع أن دعوته لك إلى سعادة الأبد في جنة الخلد لتكون مثواك!

١١٧١ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾[يونس:٢٦]:
بقدر إحسانك في الدنيا تكون زيادة نعيمك في الآخرة .

١١٧٢ ﴿ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ ﴾[يونس:٢٦]:
قال السعدي: «لا ينالهم في الجنة أي مكروه بوجه من الوجوه، لأن المكروه إذا وقع بالإنسان تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدَّر».

١١٧٣ تغير وجه صاحبك علامة نزول مكروه به، فتفقَّد أحوال صاحبك عند تغير وجهه.

١١٧٤ ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ [يونس:٣٩]:
الإنسان عدو ما جهل!

١١٧٥ ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ ﴾[يونس:٤٣]:
النظرة واحدة لكن الأثر يختلف بحسب نوع القلب. قال ابن كثير: «المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار، والكافرون ينظرون إليك بعين الاحتقار: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ ».

١١٧٦ ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾[يونس:٤٥]:
عشرات السنين ستصبح بعد معاينة الآخرة أقصر ما تكون، وكأنها لحظات تعارف!

١١٧٧ ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾[يونس:٤٦]:
وعد الله بالنصر قائم، وقادم لا محالة، لكن لا يلزم أن يراه المستضعفون بأعينهم اليوم، والدليل: ما قاله الله لرسوله هنا.

١١٧٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]:

قال ابن عاشور: «وقد عبَّر عنه بأربع صفات هي أصول كماله وخصائصه، وهي: أنه موعظة، وأنه شفاء لما في الصدور، وأنه هدى، وأنه رحمة للمؤمنين».

١١٧٩ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]:

وهذا الشفاء لن يتحصل عليه إلا من التزم شرطه، وشرطه: التدبر.

١١٨٠ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]:

جاءت كلمة(شفاء) قبل كلمة(هدى)؛ لتبيِّن أن إخراج ما في القلب من أهواء وأمراض مطلوب أولًا لحصول هداية القلب.

١١٨١ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:٥٨]:

قال بعض العارفين: «ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه».

١١٨٢ ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[يونس:٦١]:

هذه الآية من أشد آيات المراقبة، فإذا كان هذا علمه بحركات الذرات، فكيف علمه بحركات العباد؟!

١١٨٣ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]:

أي لا خوف يخافه خائفٌ عليهم، فهم بمأمن من أن يصيبهم مكروه، وليس المعنى هنا أنهم لا يخافون، لكن إذا اعتراهم خوفٌ انقشع عنهم بفضل اعتصامهم بالله وتوكلهم عليه.

١١٨٤ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]:

وإن كانوا يحزنون لما يصيبهم من أمور في الدنيا، فهذا حزنٌ عابر لا يستقر، بل يزول بالصبر وذكر الأجر، ولا يلحقهم الحزن الدائم المؤدي لانكسار النفس والاكتئاب.

١١٨٥ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]:
قال ابن عاشور: «فالكلام يفيد أن الله ضمن لأوليائه أن لا يحصل لهم ما يخافونه، وأن لا يحل بهم ما يحزنهم، ولما كان ما يُخاف منه من شأنه أن يُحزن من يصيبه، كان نفي الحزن عنهم مؤكدًا لمعنى نفي خوف الخائف عليهم».

١١٨٦ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤]:
قال السعدي: «أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، وفي القبر: ما يبشَّر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم.

وفي الآخرة: تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم».

١١٨٧ ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس:٦٤]:
اطمئن واستبشر!

١١٨٨ كل ما وعد الله به فهو حق، ولا يمكن تغييره أو تبديله أو الرجوع عنه؛ لأنه الصادق في قوله، ولا يقدر أحد على مخالفه ما قدَّره وقضاه، ومن ذلك وعوده للمؤمنين؛ ولذا قال بعدها مبشّرا: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

١١٨٩ ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس:٧٢]:
الداعية لا يرجو بدعوته مالا ولا جاها، وكلما زَهد داعية في دنيا الناس أقبل الناس عليه؛ ليفيدهم في أمر آخرتهم.

١١٩٠ ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس:٧٢]:
فلا تأبه إن شكرك الناس على صنع المعروف أو نسوك، ولا تحزن لجحود الناس؛ لأنك تستلم أجرتك من جهة واحدة: الله رب العالمين.

١١٩١ ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٧٨]:

يظن الظالم أن الناس كلهم مثله، فيرميهم بالداء الذي فيه، ولا يتصور أن أحدًا يعمل لمهمة سامية وغاية نبيلة، أو رجاء ثواب الله والدار الآخرة.

١١٩٢ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس:٨٣]:

الذرية هم الشباب، وهم أمل المستقبل ومفتاح التغيير.

١١٩٣ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:٨٥]:

أي يا رب لا تمكّنهم من عذابنا، لئلا يقول الظالمون وأتباعهم: لو كان هؤلاء على الحق لنصرهم الله!

١١٩٤ ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾[يونس:٨٩]:

شكر نعمة الإجابة! قال ابن عاشور: «وفرَّع على إجابة دعوتهما أمرهما بالاستقامة، فعُلِمَ أن الاستقامة شكر على الكرامة، فإن إجابة الله دعوة عبده إحسان للعبد وإكرام، وتلك نعمة عظيمة تستحق الشكر عليها، وأعظم الشكر طاعة المنعم».

١١٩٥ ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ [يونس:٨٩]:

سين: ما فائدة أمر المستقيم بالاستقامة؟ فموسى وهارون حازا أعلى استقامة، وهي استقامة النبوة.

جيم: المعنى الأمر بالمداومة عليها.

١١٩٦ ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا﴾ [يونس:٨٩]:

الاستقامة على فعل الطاعات، من أعظم أسباب إجابة الدعوات.

١١٩٧ ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٨٩]:

أول انحراف عن طريق الاستقامة سببه اتباع طريق المنحرفين، فحذر المؤمن وخوفه الدائم من الانحراف من أهم أسباب الاستقامة.

1198 ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس:٩٤]:

قال البيضاوي: «وفيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم».

1199 ﴿ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:١٠٣]:

قال البقاعي: «في كل زمن وإن لم يكن بين ظهرانيهم رسولٌ؛ لأن العِلَّة الاتصاف بالإيمان الثابت».

1200 ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس:١٠٧]:

لا رادَّ لفضله ولو كانت الدنيا بأسرها، فمن الذي يحرِم من أراد الله عطاءه، ومن يُشقي من أراد الله إسعاده؟!

سورة هود

1201 ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود:٣]:

الاستغفار جسر موصِلٌ إلى التوبة.

1202 ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[هود:٣]:

أعظم متعة هي التي تجدُها في قلوب المستغفرين التائبين.

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢]: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا يستسقي، فما زاد على الاستغفار حتى رجع قالوا: ما رأيناك استسقيت، قال: لقد طَلَبتُ المطر بمجاديح جمع مجدح وهو نجم كانت العرب تزعم أنها تُمطر به السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢].

1203 ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣]:

قال سعيد بن جبير: «من عَمِل حسنة كُتِبَت له عشر حسنات، ومن عمِل سيئة كُتِبَت عليه سيئة واحدة، فإن لم يعاقَب بها في الدنيا، أُخِذ من العشرة واحدة، وبقيت له تسع حسنات، لذا قال ابن مسعود: «هلك من غلب آحاده أعشاره».

من روائع المتدبرين

عن عبد الله بن مسعود قال:

«إني لأعلم آيتين في كتاب الله عز وجل، لا يقرأهما عبد عند ذنب يصيبه ثم يستغفر الله منه إلا غفر له».

قلنا: أي شيء في كتاب الله؟ فلم يخبرنا، ففتحنا المصحف فقرأنا البقرة فلم نُصِب شيئا، ثم قرأنا النساء فانتهينا إلى هذه الآية: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ١١٠] قلت: أمسك هذه، ثم انتهينا إلى النساء إلى هذه الآية التي يذكر فيها: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٣٥]، فأطبقنا المصحف، فأخبرنا بها عبد الله، فقال: «هما هاتان».

شعب الإيمان للبيهقي ٩-٣٤٦- ط مكتبة الرشد

الجزء الثاني عشر
من سورة هود الآية ٦
إلى سورة يوسف الآية ٥٢
عدد الفوائد ١٠٦

١٢٠٤ ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]:

لم يقل: رزقها على الله، وتقديم ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ قبل كلمة ﴿رِزْقُهَا﴾ لإفادة القصر، أي على الله لا على غيره، و﴿عَلَى﴾ تدل على اللزوم، ومعلومٌ أن الله لا يلزمه أحد بشيء، فأفاد معنى اللزوم ضمان الرزق لكل الخلق؛ لأن الله إذا وعد وجب وقوع ما وعد به.

١٢٠٥ ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]:

قال ابن مسعود: «مُسْتَقَرُّها: الأرحام، ومُستوْدعها: الأرض الَّتي يموت فيها».

١٢٠٦ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [هود: ١٢]:

وهو استفهام في معرض النهي، فإياك أن يضيق صدرك، فلا تُبلِّغهم شيئًا مما أُنزِلَ إليك.

١٢٠٧ ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢]:

قال ابن جزي: وإنما قال ضائق، ولم يقل ضيِّق؛ ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه.

١٢٠٨ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]:

ليس معنى يتلوه هنا من التلاوة؛ بل المعنى: يتبعه.

١٢٠٩ ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧]:

عندما تغيب الموضوعية، ينصرف الناس عن الكلام إلى المتكلم، وعن القول إلى القائل، وعن الفكرة إلى صاحبها.

١٢١٠ ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧]:

عندما تغدو الدنيا معيار التمايز؛ يتحول الأفضل إلى الأرذل، والأتقى إلى الأغبى، والأقرب إلى الله إلى الأبعد عن الناس.

١٢١١ قال القرطبي: «الأراذل هنا هم الفقراء والضعفاء، كما قال هرقل لأبي سفيان: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال: هم أتباع الرسل. قال علماؤنا: إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف، وصعوبة الانفكاك عنها، والأنفة من الانقياد للغير، والفقير خلي عن تلك الموانع، فهو سريع إلى الإجابة والانقياد».

١٢١٢ ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧]:

اتهموا المؤمنين الذين اتبعوا نوحًا بالسطحية. قال ابن جزي: «أول الرأي من غير نظر ولا تدبير، والمعنى: اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت».

١٢١٣ ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: ٢٨]:

العمى الحقيقي ألا يبصر قلبك رحمات ربك المنزلة.

١٢١٤ ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ [هود: ٣٠]:

مجرد طرد المؤمنين يستوجب عقوبة الله، فكيف بسجنهم وإيذائهم؟!

١٢١٥ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [هود: ٣١]:

صدَق نوح عليه السلام: فلا يستطيع أحد أن يحكم على (نية) أحد إلا الله، ولا يعلم نوايا القلوب إلا علام الغيوب.

١٢١٦ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]:

ما أعظم تسلية المحزون .. الله يتولاها بنفسه، فجزى الله خيرًا كل من اقتسم معنا كسرة حزن.

١٢١٧ قال الرازي: «أي لا تحزن من ذلك، ولا تغتم، ولا تظن أن في ذلك مذلة، فإن الدين عزيز، وإن قلَّ عدد من يتمسك به، والباطل ذليل، وإن كثر عدد من يقول به».

١٢١٨ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود: ٤٠]:
طوفان يخرج من تنور (فرن) !! درس إلهي: أستطيع أن أنصرك بالسبب، وبلا سبب، وبعكس السبب.

١٢١٩ ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود: ٤٠]:
لا تستطل طريق الدعوة، فنوح مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولا تضجر من قلة من استجاب لك، فما آمن مع نوح إلا قليل.

١٢٢٠ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾[هود: ٤١]:
قال القرطبي: «وفي هذه الآية دليل على ذكر البسملة عند ابتداء كل فعل».

١٢٢١ ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢]:
ولم يقل: مع الغارقين لأن مصيبة الدين أعظم المصائب.

١٢٢٢ ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود: ٤٣]:
إذا جاء أمر الله فلا ينجي إلا الله، ولو لجأتَ إلى أعظم جبل، ولو كان أبوك خير البشر.

١٢٢٣ ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ [هود: ٤٦]:
صحّح الله مفهوم الأهل لدى نوح عليه السلام، فالمؤمنون هم أهله الحقيقيون.

١٢٢٤ قال القرطبي: «وقال الجمهور: ليس من أهل دينك ولا ولايتك، وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب».

١٢٢٥ ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾ [هود: ٤٦]:
تعزية! قال القرطبي: «في هذه الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين».

١٢٢٦ ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]:
لماذا الصبر؟! قال ابن عاشور: «لأن داعي الصبر قائم، وهو أن العاقبة الحسنة ستكون من نصيب المتقين، فستكون لك وللمؤمنين معك».

١٢٢٧ واللام في ﴿ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ للاختصاص والملك، فيقتضي امتلاك المتقين لجنس العاقبة الحسنة، فهي ثابتة لهم لا تفوتهم، ومنتفية عن أضدادهم من غير المتقين».

١٢٢٨ ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [هود: ٥٢]:

ما أجمل هذا الحديث: «من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» صحيح الجامع: ٦٠٢٦.

١٢٢٩ ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٥٥]:

هذه معجزة نبي الله هود، فقد تحدى أمة بأسرها أن يصبوا عليه كيدهم بلا تريث أو انتظار، وكان سر قوته ومصدر منعته: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

١٢٣٠ ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: ٦١]:

يجيبُ دعوة عباده مهما كانوا، فيجيب دعوة المضطر ولو كان كافرًا، ودعوة المظلوم ولو كان فاجرًا، فكيف بالأبرار والأتقياء!

١٢٣١ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [هود: ٦٥]:

قال القرطبي: «إنما عقرها بعضهم، وأضيف إلى الكل؛ لأنه كان برضا الباقين».

١٢٣٢ ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠]:

الحق الأعزل بلا قوة لا تأثير له ولو كان صاحبه نبيًّا، فلا بد للحق من قوة تحميه.

١٢٣٣ ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٣]:

هذا هو قانون التماثل، وهو تهديد للظالمين الحاليين، بأنهم ليسوا بعيدين عن عقوبة الظالمين السابقين؛ لاشتراكهم معهم في نفس الجريمة.

١٢٣٤ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ [هود: ٨٤]:

قالها شعيب لأمة وثنية، لكنه مع ذلك أقرَّ برخائهم ورغد عيشهم، فالإنصاف من سمات المصلحين، وهم أبعد ما يكونون عن تشويه الحقائق أو الكذب لينصروا قضيتهم.

١٢٣٥ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [هود: ٨٦]:

مال قليل مبارك خير من مال كثير غير مبارك! قال القرطبي: «أي ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة، وأحمد عاقبة مما تبقونه أنتم لأنفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم».

١٢٣٦ ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾ [هود: ٨٧]:

هذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم حقيقي، فالصلاة تأمر صاحبها وتنهاه، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وإلا كانت مظهرًا بلا جوهر.

١٢٣٧ فصل الدين عن الحياة وعن واقع الناس ليس أمرًا جديدًا، بل له جذور قديمة، وهي سُنَّة جاهلية.

١٢٣٨ ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[هود: ٨٨]:

قال ابن القيم: «وقد أجمع العارفون على أن كل خير، فأصله بِتوفيق الله للْعَبد، وكل شَرّ فأصله خذلانه لعَبْدِه، وأَجْمَعُوا أن التَّوْفِيق أن لَا يكلك الله إلى نفسك».

١٢٣٩ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ [هود: ١٠٢]:

قانون التماثل مرة أخرى، فمن سلك نفس طريق الظالمين نال نفس عقوبتهم.

١٢٤٠ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]: الظلم إعلان حرب مع الله، ولا بد أن ينتهي بانتقام الله.

١٢٤١ ﴿سُعِدُوا۟﴾[هود: ١٠٨]:

لم ترد كلمة السعادة في القرآن إلا مرة واحدة ﴿سُعِدُوا۟﴾، وفي الجنة فقط؛لأنه لا سعادة حقيقية إلا في الجنة.

١٢٤٢ ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[هود: ١١٢]:

قال ابن عباس رضي الله عنه: «ما نزل على النبي ﷺ آية كانت أشق ولا أشد من قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾؛ ولذلك قال ﷺ لأصحابه حين قالوا: أسرع إليك الشيب. قال: «شيبتني هود وأخواتها».

١٢٤٣ ما معنى الاستقامة؟! قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب».

١٢٤٤ أمر الله رسوله بالاستقامة وفق أمره، فنحن أحق بالنظر في استقامتنا منه، وهل هي وفق ما أراد الله أم لا.

١٢٤٥ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[هود: ١١٣]:
قال القشيري: «لا تعملوا أعمالهم، ولا ترضوا بأعمالهم، ولا تمدحوهم على أعمالهم، ولا تتركوا الأمر بالمعروف لهم، ولا تأخذوا شيئًا من حرام أموالهم، ولا تساكنوهم بقلوبكم، ولا تخالطوهم، ولا تعاشروهم ... كل هذا يحتمله الأمر، ويدخل تحت الخطاب».

١٢٤٦ قال السعدي: «وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية».

١٢٤٧ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤]:
إكثار المرء من الحسنات هو سبيل محاصرة السيئات، والتغلب على تغلغلها في قلوب العباد.

١٢٤٨ قال الحسن البصريُّ: «استعينوا على السيِّئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنَّكم لن تجدوا شيئًا أذهب بسيئةٍ قديمةٍ من حسنةٍ حديثةٍ، وأنا أجد تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾».

١٢٤٩ قال ابن قدامة: «مثال ما ذكرنا: أن يكفِّر سماع الملاهي بسماع القرآن ومجالس الذكر، ويكفِّر مسح المصحف بغير طهارة بإكرامه وكثرة القراءة فيه، وإن أمكنه أن يكتب مصحفًا ويقفه فليفعل، ويكفِّر شرب الخمر بالتصدق بالشراب الحلال، وعلى هذا فاسلك سبيل المضادة، فإن الأمراض إنما تعالج بضدها».

١٢٥٠ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]:
المصلحون صمام أمانٍ للمجتمع لا الصالحون، فإن قلَّ عدد المصلحين أو حوصروا فقلَّ تأثيرهم، فهي نُذُر الهلاك.

١٢٥١ لا يكفي أن تكون صالحًا سلبيًّا لتنقذ أمتك بل لا بد أن تكون مصلحًا إيجابيًّا.

١٢٥٢ عفوًا! صلاحك وحده لا يكفي! إيجابيتك وإصلاح ما حولك هي وحدها ضمان نجاة مجتمعك من الهلاك.

١٢٥٣ ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[هود: ١٢٠]:

من أهم أسباب الثبات مطالعة سير الصالحين والأنبياء، وليس أفضل من مطالعة ذلك في خير الكتب: كتاب الله تعالى.

١٢٥٤ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[هود: ١٢٣]:

من إحياء وإماتة، وهداية وضلال، وصحة ومرض، ونصر وهزيمة، فكل هذا يرجع إلى الله، وإلى علمه وقدرته.

١٢٥٥ ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[هود: ١٢٣]:

التوكل من العبادة، لكن الله خصَّه بالذِّكر هنا اهتمامًا به، فهو نعم العون على سائر أنواع العبادات، وهو سبحانه لا يُعبَد إلا بمعونته.

سورة يوسف

١٢٥٦ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾[يوسف:٥]:

قال الآلوسي: وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنها من الله تعالى فليحمد الله تعالى، وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ومن شرها، ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره» .

١٢٥٧ صح عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاثًا، وليستعذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه».

١٢٥٨ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾[يوسف: ٥]:

رؤيا المؤمن تسرُّه ولا تغرُّه، أي يستبشر بها لكن لا تقعده عن العمل والأخذ بالأسباب.

١٢٥٩ من الحكمة كتمان الأخبار التي هي مظنة الغيرة أو الحسد.

١١٦٠ ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف: ٥]:

قال ابن العربي: «هذا يدل على معرفة يعقوب بتأويل الرؤيا؛ لأن نهيه لابنه عن ذكرها، وخوفه على إخوته من الكيد له من أجلها علم بأنها تقتضي ظهوره عليهم وتقدمه فيهم، ولم يبالِ بذلك يعقوب؛ فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه».

١١٦١ ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]: انظر كيف خدعهم الشيطان! قال السعدي: «فقدَّموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلًا لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطًا من بعضهم لبعض».

١١٦٢ ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]:

لا تنخدع بحيل المحتالين! قال الشعبي: كنت جالسًا عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاء شديدًا، فقلت: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة. قال: وما علمك؟ قلت: لبكائها. قال: لا تفعل؛ فإن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون، وهم له ظالمون.

١١٦٣ ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يوسف: ١٨]:

قال سفيان الثوري عن بعض أصحابه: «ثلاث من الصبر: ألا تحدِّث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تزكِّي نفسك».

١١٦٤ ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢١]:

الابتلاء أول درجة في سُلَّم التمكين؛ لذا قال الله بعد ذكر إلقاء يوسف في الجب وبيعه بثمن بخس: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾.

١١٦٥ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]:

جاءت الجملة بالسياق الاسمي، ولم ترد بالسياق الفعلي، فلم يقل الله: (ويغلب الله)؛ وذلك لأن هذا الحكم كالقانون الذي لا يتبدل مع يوسف عليه السلام أو مع غيره.

١٣٦٦ عجيب أن تأتي هذه الآية عقب ذكر بيع يوسف كعبد يخدم في قصور الملوك، ففي أشد اللحظات قسوة يأتي ذكر أعظم البشارات، وكأن الله يختصر القصة المطوَّلة للابتلاء والتمكين في آية واحدة؛ لتغرس اليقين بموعود الله وسط الأعاصير ووقت الزلزلة.

١٣٦٧ الناس لا يرفعون ولا يضعون، ولا يقدِّمون ولا يؤخِّرون، ولا يقرِّبون ولا يُبعِدون؛ لأن الأمر كله بيد الله.

١٣٦٨ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٢١]:

قال أبو السعود: «لا يعلمون أنَّ الأمر كذلك، فيأتون ويذرون زعمًا منهم أنَّ لهم من الأمر شيئًا، وأنَّى لهم ذلك! وإن الأمر كله لله عز وجل، أو لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا لطفه».

١٣٦٩ تكرَّر في سورة يوسف قول ربي: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في ثلاث آيات رقم: ٢١، ٤٠، ٦٨، ولم يتكرر نفس هذا التكرار في أي سورة أخرى، تذكيرا لنا بخفي لطف الله وعجيب أقداره.

١٣٧٠ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٢١]:

قال ابن الجوزي:

«ومن عجائب الجزاء في الدنيا أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف. ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، امتدت أكفهم بين يديه بالطلب يقولون: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨]».

١٣٧١ ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[يوسف: ٢٣]:

كانت محنة يوسف مع امرأة العزيز أشد من محنته مع إخوته، وصبره عليها أعظم أجرًا؛ لأنه صبر اختيار مع وجود دواعي السقوط الكثيرة، وأما محنته مع إخوته، فصبره فيها صبر اضطرار، وليس له إلا الصبر عليها، طائعًا أو كارهًا.

١٢٧٢ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[يوسف: ٢٤]:

قال ابن تيمية: «وهو برهان الإيمان الَّذي حصل في قلبه، فصرف الله به ما كان همَّ به، وكتب له حَسَنَة كامِلَة».

١٢٧٣ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾[يوسف: ٢٤]:

متى ينقلب الهمُّ بالسيئة إلى حسنة؟! الإجابة في الحديث: «قالت الملائكة: يا رب ذاك عبدك يريد أن يعمل بسيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرّاي» صحيح الجامع رقم: ٤٣٥٦.

١٢٧٤ ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾[يوسف: ٢٤]:

إذا جاهدت نفسك بالانصراف عن السوء والفحشاء فترة من الزمن، كافأك الله وأمر السوء والفحشاء أن ينصرفا عنك.

١٢٧٥ قال ابن مفلح: «ولا يُبتَلى بالعشق غالبًا إلا من غفل قلبه عن الله وعن ذكره وعن أمره ونهيه. قال تعالى في حق يوسف: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، يدل ذلك على أن الإخلاص سبب لدفع السوء والفحشاء، فالقلب إذا امتلأ من ذلك استحلاه على كل شيء، وتغذّى به، واستغنى به عما سواه».

١٢٧٦ **داء العشق ودواؤه!**

قال ابن عقيل: قال بعض الحكماء: «ليس العشق من أدواء الحكماء، إنما هو من أمراض الخلفاء الذين جعلوا دأبهم ولهجتهم متابعة النفس، وإرخاء عن الشهوة، وإفراط النظر في المستحسنات من الصور، فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس، ثم تألف، ثم تتوق، ثم تتشوق، ثم تلهج فيقال عشق، والحكيم من استطال رأيه على هواه وتسلطت حكمته أو تقواه على شهوته، فرعونات نفسه مقيدة أبدًا، كصبي بين يدي معلّمه، أو عبدٍ بمرأى سيده، وما كان العشق إلا لأرعن بطّال، وقلَّ أن يكون في مشغول ولو بصناعة أو تجارة فكيف بعلوم شرعية أو حكمية؟ فإنها صارفة عن ذلك».

١٢٧٧ أمام أعاصير الفتن إياك أن تركن لسابق صلاحك أو شهرة عبادتك، فلا عاصم إلا الله، فاستغث به، وسله النجاة.

١٢٧٨ ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ [يوسف: ٢٥]:

إذا كنت خاليًا، وحاصرتك الشهوة، فاهرب على الفور، وابحث عن الباب.

مهما بلغت درجة صلاحك وعلمك، فاهرب من الفتن ومن كل ما أدّى إليها، فهذا فرار الشجعان، وهو فرار محمود.

١٢٧٩ ﴿ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ ﴾[يوسف: ٢٥]:

قال البقاعي: «ولم يقل: سيدهما، لأن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يدخل في رِقٍّ (وإنما اشتُرِي ظلمًا)، ولأن المسلم لا يُملَك وهو السيد (فلا سيادة لكافر على مسلم)».

١٢٨٠ ﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[يوسف: ٣٠]:

قيل لهند بنت الخُسِّ إحدى أميرات العرب -وقد زنت بعبدها-: لم زنيت وأنت سيدة قومك؟! فقالت: قُرب الوِساد وطول السُّهاد، تريد قرب مضجعه منها، وطول مسارَّته (حديثه معها في السِّر) إياها.

١٢٨١ ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ ﴾[يوسف: ٣١]:

رأى النسوة جمال يوسف، فلم يشعرن بألم تقطيع أيديهن، فكيف بك إذا رأيت غدًا جمال خالق يوسف؟! ولذا كان من الدعاء النبوي: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك».

١٢٨٢ ﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[يوسف:٣٢]:

(لَيُسۡجَنَنَّ) بالنون المثقلة، (وَلَيَكُونٗا) بالنون المخففة؛ لأن سجنه بيدها، أما جعله صاغرًا فليس إليها، فقد رفع الله شأنه في العالمين، وجعل له سورة باسمه في كتابه إلى يوم الدين.

١٢٨٣ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾[يوسف: ٣٣]:

يفضِّل الصالحون بذل حريتهم على أن يمسَّ أحدٌ دينهم.

١٢٨٤ ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

هكذا تنقلب الموازين إذا نزل الإيمان في قلوب المؤمنين.

١٢٨٥ عندما تكون المساومة على الدين قد يكون السجن خيارَ المؤمنين.

١٢٨٦ ﴿ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف: ٣٣]:

ولم يقل: الزنى، فالمؤمن كامل العفاف حتى في لسانه.

١٢٨٧ ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

هذا مقام الصبر.

١٢٨٨ ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

وهذا مقام الاستغاثة.

١٢٨٩ الأعمال القلبية هي زاد الأعمال البدنية، ولولاها ما ثبت يوسف.

١٢٩٠ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف: ٣٣]:

قد يكون السجن ثمن إجرام، لكن أحيانًا يكون ثمن ثبات على مبدأ وضريبة الإيمان.

١٢٩١ ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣]:

قد يخونك قلبك في مواجهة الفتن والمغريات، فسَل الذي يملك أمر القلوب أن يلهمك الثبات.

١٢٩٢ ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣٤]:

لم يقل: فأدخله السجن! لا تنظر إلى ظلمة المحنة وما أصاب دنياك، بل انظر إلى الخير الذي وراءها وما أفاد دينك.

١٢٩٣ ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]:

رياح المحسنين تفضحهم مهما استتروا، وصدق القائل: (ما أسرَّ عبدٌ سريرة إلا أظهرها الله على قسمات وجهه وفلتات لسانه).

١٢٩٤ ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٣٨]:
قالها يوسف بعد أن سُجِن ظلمًا في ديار الغربة، فمهما تكن آلامك؛ فهناك دومًا من نعم الله ما يمكنك التسلي به والتحدث عنه.

١٢٩٥ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ٤١]:
يا كل داعية: حافظ على قواسمَ مشتركةٍ مع الجميع، فهو أدعى لأن يُستَمَع إليك.

١٢٩٦ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٤١]: نفوس المصلحين لا تتوقف عن حمل هَمِّ الدعوة حتى في ظلمات السجن ومن وراء القضبان!

١٢٩٧ ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]:
هب أن الساقي ذكر يوسف عند الملك، كان يوسف سيرجع خادمًا في القصر، لكن تأخره بضع سنين أخرجه عزيزًا لمصر.. بعض التأخير فيه ألطاف خفية.

١٢٩٨ ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢]:
من سنن الله في خلقه: لما طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها، ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا، لبث في السجن بضع سنين.. لا تعلِّق قلبك بغير الله.

١٢٩٩ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦]:
الكريم لا يعلِّق لوحةً بارزة فيها ذكر شهاداته وإنجازاته، بل يترك أفعاله تتكلم عنه.

١٣٠٠ ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٦]:
نسيه في السجن بضع سنين، ثم عاد يستفتيه في رؤيا الملك، فأفتاه دون كلمة عتاب! أيُّ نفوس هذه!

١٣٠١ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧]:
قدَّم يوسف -من داخل السجن- نصائحه بإشفاق إلى مجتمعه الذي سكت عن إلقائه في السجن ظلمًا. انظر كيف عبرت أرواح العظماء أنهار الضغينة.

١٣٠٢ ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾[يوسف: ٤٩]:

الفرج يأتي بعد بلوغ الشدة منتهاها، فمهما اشتد إغلاق الأبواب ستتسلل إليك رحمات الوهاب.

١٣٠٣ ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾[يوسف: ٥١]:

أفضل من يدافع عنك في غيابك هو سمعتك الطيبة.

١٣٠٤ ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[يوسف: ٥١]:

لا بد لبراءة المظلوم أن تظهر يومًا، فالصبر الصبر!

١٣٠٥ ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[يوسف: ٥١]:

دليل على أن الصدق فيه النجاة وإن رأيت فيه الهلاك.

١٣٠٦ ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾[يوسف: ٥٢]:

هذا كلام يوسف عليه السلام يقول: ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب، وإنما رددت الرسول ليعلم كذلك الملك براءتي.

١٣٠٧ ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[يوسف: ٥٢]:

قال الشوكاني: «فيه تعريض بامرأة العزيز؛ حيث وقع منها الكيد له والخيانة لزوجها، وتعريض بالعزيز؛ حيث ساعدها على حبسه بعد أن علم براءته ونزاهته».

١٣٠٨ قال ابن عاشور: «لا ينفذه ولا يسدِّده، فأُطلِقت الهداية التي هي الإرشاد إلى الطريق الموصلة على تيسير الوصول، وأطلق نفيها على نفي ذلك التيسير، أي إن سنة الله في الكون جرت على أن فنون الباطل وإن راجت أوائلها لا تلبث أن تنقشع».

١٣٠٩ فيه أن الخائن مفتضح ولو بعد حين، ويوسف يصرِّح هنا أنه لو كان خائنًا لما خلَّصه الله من هذه الورطة، وحيث إنه خلَّصه، فهو دليل على أنه بريء مما نسبوه إليه.

الجزء الثالث عشر
من سورة يوسف الآية ٥٣
إلى سورة إبراهيم الآية ٥٢
عدد الفوائد ١١٣

١٣٦٠ ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ ﴾ [يوسف: ٥٣]:
أعلى درجات الصدق، أن تبدأ بإلقاء اللائمة على نفسك قبل اتهام غيرك.

١٣٦١ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف: ٥٤]:
الدعاة والمصلحون شخصيات مخلصة ومبهرة ومقنعة؛ لذا يحرص المفسدون في كل عصر على أن يحولوا بينهم وبين صُنّاع القرار.

١٣٦٢ ﴿ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا ﴾ [يوسف: ٦٣]:
﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١]: عندما كانت لهم مصلحة قالوا: ﴿أَخَانَا﴾، وعندما انتهت قالوا: (ابنك)، فتغيرت لغة الخطاب مع تغير المصلحة!

١٣٦٣ ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ ﴾ [يوسف: ١١]:
قالها يعقوب، فغاب عنه ابنه، فلما قال: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا ﴾ [يوسف: ٦٤]: عاد إليه.. احذر كلماتك وراقب ألفاظك!

١٣٦٤ ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ ﴾: فيه دلالة على جواز اتخاذ الأسباب الواقية من الحسد والعين.

١٣٦٥ ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾ [يوسف: ٦٧]:
أحيانًا تحتاج لأن تعلن عجزك أمام أولادك حتى يتعلقوا بالله وحده، ولا يعتمدوا عليك في كل شيء.

١٣٦٦ ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ [يوسف: ٦٩]:

وجود الأخ يُذهِب البؤس ويعين على نوائب الدهر ويبرِّد حرارة الحزن .. من فوائد الأخوة.

١٣٦٧ ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]:

عندما يكيد لك الخلق بغير الحق ، فانتظر كيد الله بهم، فالجزاء من جنس العمل.

١٣٦٨ صبر على كيد إخوته، فكاد الله له.

١٣٦٩ ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾[يوسف:٧٧]:

أحيانا يكون الصمت أبلغ من كثير الكلام.

١٣٦٠ ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ﴾[يوسف:٧٧]:

ما أجمل ما قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.

١٣٦١ ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾[يوسف: ٧٧]:

رحم الله امرءًا كتم سرًا، وتنازل عن حق؛ ليؤلِّف بين القلوب وينزع الأضغان.

١٣٦٢ ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ﴾[يوسف: ٧٧]:

احمل الكلمات الموجعة، وضعها تحت ثرى الذاكرة، وادفنها في قبر النسيان.

١٣٦٣ ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾[يوسف: ٧٧]:

ليست الصراحة ممدوحة على الدوام، فالمداراة مطلوبة أحيانا تأليفًا للقلوب واتقاء للشرور.

١٣٦٤ التغافل من أخلاق العظماء.

١٣٦٥ ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[يوسف: ٨٤]:

قال ابن الجوزي: «فإن قيل: هذا لفظ الشكوى فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين أحدهما: أنه شكا إلى الله لا منه ، والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى يا رب ارحم أسفي على يوسف».

١٣٦٦ ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾[يوسف: ٨٤]:
ابيضت عينا يعقوب ولم تبيض عينا يوسف، هذا هو الفارق بين الآباء والأبناء؟!

١٣٦٧ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]:
بعض أوجاعك لن يفهمها البشر، ولا بمقدورهم تخفيفها.

١٣٦٨ لا تبث شكواك إلا للقادر على كشف بلواك!!

١٣٦٩ ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]:
الأولياء يلتمسون الفرج عند اشتداد الابتلاء، فشيخ كبير يوصي أبناءه بعد أن كفّ بصره من الحزن على أبنائه الثلاثة.

١٣٣٠ ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨]:
قال ابن الجوزي: من تأمّل ذلّ إخوة يوسف؛ عرف شؤم الزلل!

١٣٣١ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨]:
سبحان الله! الأيدي التي ألقت يوسف في الجب هي نفس الأيدي التي امتدت إليه تسأله.

١٣٣٢ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾[يوسف: ٨٩]:
الكريم لا يُكثر عتاب من يحب بل يعذره، وانظر كيف نسب يوسف محاولة قتلهم له إلى الجهل!

١٣٣٣ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف: ٩٠]:
هذه خلاصة (أحسن القصص: سورة يوسف)، وأهمُّ دروسها في عشر كلمات.

١٣٣٤ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ تعليل لجملة ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾، فبسبب التقوى والصبر منَّ الله عليهم.

١٣٣٥ على الداعية أن يغتنم الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي عند تأثر السامع وانفعاله كما فعل ذلك يوسف حين قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٩٠].

١٣٣٦ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[يوسف:٩٢]:
من أتاك معتذرًا، فلا تكثر عليه اللوم، يكفيه ما به من ندم.

١٣٣٧ النفوس الكبيرة تتسامى فوق الجراح، وتتناسى الآلام، وتغفر زلات الكرام.

١٣٣٨ ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[يوسف: ٩٤]:
لم يقل: أشم أو أحس دلالة على يقينه وثقته، فللفرج رائحة لا يجدها إلا المتفائلون.

١٣٣٩ ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾[يوسف: ١٠٠]:
قال الزركشي: «ولم يذكر خروجه من الجب، مع أن النعمة فيه أعظم؛ لوجهين: أحدهما: لئلا يستحيي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولاسيما في وقت الصفاء.

والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الجب».

١٣٤٠ ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾[يوسف: ١٠٠]:
وصف محاولات قتلهم له بأنها نزغات شيطان! نفوس كبيرة.

١٣٤١ ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[يوسف: ١٠٠]:
لا يلمح لطف الله إلا من نظر في حكمته، وأيقن أن قضاءه كله خير.

١٣٤٢ ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[يوسف: ١٠١]:
هذه أسمى أمنيات الأنبياء، ومع هذا فلا تخطر على بال كثير من الخلق!

١٣٤٣ رُوِي في تفسير البغوي أن يعقوب قال للبشير حين جاءه بقميص يوسف:
كيف تركت يوسف؟

قال: إنه مَلِك مصر.

فقال يعقوب: ما أصنع بالمُلك؟! على أي دين تركته؟

قال: على دين الإسلام.

قال: الآن تمت النعمة.

١٣٤٤ دعوة يوسف- عليه السلام- بعد أن تربع عرش مصر وملك خزائنها، دلالة على زهده في الملك، وشوقه إلى لقاء الرب، وإيثار الدار الآخرة.

١٣٤٥ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]: لا يوجد أداة عطف بين ﴿كُذِبُواْ﴾ و ﴿جَآءَهُمۡ﴾ إشارة إلى نزول النصر فورًا، وبلا تريث أو تأخير.

سورة الرعد

١٣٤٦ ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الرعد: ٢]:

أي أمر، مهما كان عظيمًا أو حقيرًا، سيدبره الله، ويسخِّر لك مِنْ خلقه من يقضي حاجتك، ويفتح لك الأبواب المغلقة.

١٣٤٧ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ [الرعد: ٦]:

قال ابن عباس: هذه أرجى آية في القرآن.

١٣٤٨ علت المغفرة فوق الظُّلم، فالظلم يتطلب العقاب، لكن رحمة الله لم تُعامِل الظالم بما يستحق؛ لأن رحمته سبقتْ غضبه.

١٣٤٩ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]: قال ابن كثير: «قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب؛ ليعتدل الرجاء والخوف».

١٣٥٠ ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]:

خطوات حياتك مرسومة بأدق مما تتصور، ولحكمة بالغة لا يبصرها إلا أصحاب البصائر والإيمان.

١٣٥١ ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ ﴾[الرعد: ١١]:
أنت في موكب حفظ إلهي وحراسة ملائكية خاصة، فلا تقلق!

١٣٥٢ قال الآلوسي: «فوائد الحفظة للأعمال أن العبد إذا علم أن الملائكة عليهم السلام يحضرونه ويحصون عليه أعماله، كان أقرب إلى الحذر من ارتكاب المعاصي، كمن يكون بين يدي أناس أجلاء من خُدّام الملك، مُوَكَّلين عليه، فإنه لا يكاد يحاول معصيةً بينهم».

١٣٥٣ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[الرعد: ١١]:
كلنا يشكو حال الأمة، وينسى أنه من أسباب الغُمّة!

١٣٥٤ قال ابن الجوزي: «ومتى رأيت تكديرًا في حال، فاذكر نعمة ما شُكِرت، أو زلة قد فُعِلت، قد قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾».

١٣٥٥ ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾[الرعد: ١٣]:
نظام كوني بأكمله يسبِّح الله، والتسبيح هنا بصيغة المضارع ليفيد الاستمرار، فكن جزءًا من هذا النظام.

١٣٥٦ كان عبد الله بن الزبير إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث، وقال: (سبحان من يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته).

١٣٥٧ ﴿ وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾[الرعد: ١٥]:
سبحان الله! ظلال ساجدة، وأجساد جاحدة. قال مجاهد: «ظل المؤمن يسجد طوعًا وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعًا وهو كارِه».

١٣٥٨ ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗا ﴾ [الرعد: ١٥]: قال القرطبي: «ضرب مثلًا للحق والباطل، فشبَّه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتدفعه الرياح، فكذلك يذهب الكفر ويضمحل».

١٣٥٩ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗ﴾ [الرعد:١٥]:

ولو انخدعت به الجماهير، وانجرفت معه زمنًا، سيبقى الزبد عند الله زبدًا.

١٣٦٠ ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الرعد:١٥]:

العمل الصالح هو الذي يبقى أثره في الأرض ما دام نفعه للناس باقيًا.

١٣٦١ اصنع في حياتك ما ينفع الناس بعد مماتك.

١٣٦٢ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾[الرعد:٢١]:

قال جعفر بن محمد: «صلة الرحم تهوِّن على المرء الحساب يوم القيامة، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾».

١٣٦٣ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾[الرعد: ٢٢]:

لا بد أن تكون الأعمال كلها خالصة لوجه الله حتى الصبر، فبعض الصبر يكون لمجرد ألا يُشمِت الأعداء، ، وبعض التجلد حتى يُقال شجاع.

١٣٦٤ ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾[الرعد: ٢٣]:

أبشروا! قال ابن كثير: «يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين؛ لتقر أعينهم بهم، حتى إنه تُرفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته، بل امتنانًا من الله وإحسانًا».

١٣٦٥ هو اللقاء الذي لا فراق بعده، ونهر الحب الذي لا ارتواء منه، والقاء أوجاع الفراق إلى غير رجعة.

١٣٦٦ تأمل هذه الإيماءة إلى شرط الصلاح عند اختيار الزوج، وكيف أن بركة هذا الاختيار تمتد إلى جنات الخلود.

١٣٦٧ ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[الرعد: ٢٣]:

كناية عن كثرة دخول الملائكة عليهم، بحيث لا يخلو باب من أبواب قصورهم لا تدخل منه ملائكة، فهو دخولٌ من أماكن كثيرة، ومتكرر كذلك في أزمان كثيرة، وكثرة الأبواب دليل على كثرة الملائكة، فما دخلوا من كل باب إلا لأن كل باب مشغول بطائفة من الملائكة، مما يضاعف سرور المؤمنين.

١٣٦٨ ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد: ٢٤]:

اذكروا أن هذا التكريم لم تكونوا لتنالوه لولا صبركم، فاعرفوا قيمة البلاء إن صاحبه الصبر.

١٣٦٩ ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨]:

قلب بلا ذكر هو قلب خائف مضطرب حزين تائه.

١٣٧٠ وَالذِّكْرُ فيه حياةٌ للقلوب كما		تَحيا البلاد إذا ما جاءها المطَرُ

١٣٧١ قال ابن عون: «ذِكْرُ الناسِ داءٌ، وذِكْرُ الله دواءٌ». قال الذهبي معلِّقًا: «إي والله، فالعجبُ منا ومن جهلنا كيف ندعُ الدواء ونقتحمُ الداء؟!».

١٣٧٢ عندما يعترضك أمر يضطرب منه قلبك حتى ينخلع؛ فالتفت إلى السلاح الذي أمدك به خالقك، واستعمله في الحال كما قال هاشم الرفاعي: ويهدُّني ألمي فأنشد راحتي .. في بضع آيات من القرآن!

١٣٧٣ ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾[الرعد: ٣١]:

حلول الكوارث قريبًا من بلادنا هو إنذار رباني لإصلاح قلوبنا وأحوالنا.

١٣٧٤ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾[الرعد: ٣٣]:

قال ابن جزي: «أي حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يُعبَد أم غيره؟».

١٣٧٥ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[الرعد: ٤١]:
الخطاب لمشركي مكة، ومن كان على شاكلتهم في الكفر والضلال في كل زمان، والمراد بالأرض هنا: أرض الكفار والظالمين، سيُنقِصها الله بانتشار الإسلام، فالآية بشارة للمؤمنين، وإنذارٌ للكافرين.

سورة إبراهيم

١٣٧٦ ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ٢]:
فكيف تقف بباب غيره؟! وتلتمس النجدة من فقير مثلك؟!

١٣٧٧ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم: ٤]:
تعرَّفوا على لغة الشباب اليوم أيها الدعاة، فجيل اليوم غير جيلكم، وإلا لم يصل البيان، فوقع الشباب في حبائل الشيطان.

١٣٧٨ ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[إبراهيم: ٥]:
ليس المقصود أيام الأسبوع ،بل المقصود تذكيرهم بالنعم والنقم التي حلت بالأمم السابقة كي تكون عبرة لهم.

١٣٧٩ ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[إبراهيم: ٥]:
قال ابن تيمية: «وهي تتناول أيام نعمه وأيام نقمه، ليشكروا ويعتبروا، فإن ذكر النعم يدعو إلى الشكر؛ وذِكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، وعن المحظور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة».

١٣٨٠ ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[إبراهيم: ٥]:
التاريخ دورات مكرورة، فمن عرف الماضي فهم الحاضر وخطط للمستقبل.

١٣٨١ ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[إبراهيم: ٦]:
ليس من الحياء؛ بل من الحياة؛ أي يتركونهن على قيد الحياة، ولا يقتلونهن كقتلهم الصبيان.

١٣٨٢ ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧]:

يشمل شكر النعم الدنيوية والأخروية، فيدخل فيه شكر الطاعات، فمن شكر الله على الطاعات زاده الله أعمالاً صالحة.

١٣٨٣ أي نعمة تخشى أن تفقدها أحدِث لها شكرًا، وأبشِر بوعد الله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧].

١٣٨٤ شكر النعمة بالإنفاق منها على الخلق، فأنفِق من المال بالصدقة وسيزداد، ومن الصحة بمعاونة غيرك وستقوى، ومن الجاه بالشفاعة وستعلو.

١٣٨٥ ألا تعرف نعمة الله عليك إلا عند فقدها؟! وما أصدق ما قيل: الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.

١٣٨٦ الشكر يسمَّى الجالب والحافظ؛ لأنه جالب للنعم المفقودة، وحافظ للنعم الموجودة.

١٣٨٧ ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[إبراهيم: ٩]:

إما أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظًا من الرسل كعض الأنامل من الغيظ، أو استهزاء وضحكًا، كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه، وإما أنهم ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتًا لهم، وردا لقولهم، فصبرًا أخي الداعية!

١٣٨٨ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠]:

قال ابن عباس: «لم أكن أعرف معنى فاطر حتى تخاصم أعرابيان في بئر لأي منهما تعود، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي بدأتها!».

١٣٨٩ ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[إبراهيم: ١٠]:

إذا أخطأت في حق بشر، فستحرص على ألا يراك أو يقابلك، أما مع الله فمع أنك كثير الخطأ في حقه إلا أنه يناديك ليغفر عنك.

١٣٩٠ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[إبراهيم: ١١]:

كلما زاد الإيمان كان التوكل أكمل.

١٣٩١ أكمل أنواع التوكل؟! قال السعدي: «واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب، وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل».

١٣٩٢ ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾[إبراهيم: ١٣]:
طرد الدعاة من بلادهم عادة قديمة جرت سابقًا على الأنبياء والمرسلين، وتسري على أتباعهم من المؤمنين إلى يوم الدين.

١٣٩٣ يرى الطغاة أن الأرض ملكٌ لهم، وأنهم إنما يتفضلون على غيرهم بأن سمحوا لهم بالإقامة فيها.

١٣٩٤ ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾[إبراهيم: ١٧]:
قال الضحاك: «يأتيه الموت من كل مكان وناحية، حتى من إبهام رجليه»، وهو عذاب نفسي رهيب بالرعب يفوق العذاب الحسي بالنار.

١٣٩٥ ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[إبراهيم: ٢١]:
كانوا يخفون فواحشهم ويظنون أنها تخفى عن الله، فإذا بهم يوم القيامة ينكشفون، وإنما ذكر البروز بلفظ الماضي لتحقق وقوعه.

١٣٩٦ ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾[إبراهيم: ٢١]:
أسوأ حماقة يمكن أن يرتكبها إنسان أن يتبع شخصًا لا فكرة، وفردًا لا منهجًا.

١٣٩٧ ﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾[إبراهيم: ٢١]:
الهداية كنز متوفر بين يديك اليوم، فاحرص عليه قبل أن يحال بينك وبينه غدا.

١٣٩٨ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[إبراهيم: ٢١]:
الصبر اليوم على الطاعات أو عن المعاصي هو خيار من خياراتك، أما غدًا فلن ينفعك صبر ولا جزع.

١٣٩٩ ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾[إبراهيم: ٢٢]:

لم خطب إبليس في أهل النار؟! ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فهذه الخطبة جزء من عذاب أهل النار.

١٤٠٠ لم قصَّ الله علينا خبر هذه الخطبة؟! قال الآلوسي: «وحكى الله تعالى عنه ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون تنبيهًا للسامعين، وحثًّا لهم على النظر في عاقبتهم، والاستعداد لما لا بد منه، وأن يتصوروا ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما ينفعهم هناك».

١٤٠١ ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[إبراهيم: ٢٥]:

كلماتك الطيبة ثمرتها مؤكدة ولو بعد حين، فلا تستعجل ثمرة دعوتك وأثر كلمتك.

١٤٠٢ ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[إبراهيم: ٢٥]:

لقد أسمعت لو ناديتَ حيا.. ولكن لا حياة لمن تنادي، أو (مفيش فايدة)! وهذا خطأ يعارضه قول ربي عن الكلمة الطيبة: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.

١٤٠٣ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]:

الثبات على الحق في الدنيا علامة مبكِّرة على ثبات صاحبه في الآخرة.

١٤٠٤ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ﴾[إبراهيم:٣٢]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ﴾[إبراهيم:٣٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ﴾[إبراهيم:٣٣]، كل شيء مسخر لك يا ابن آدم، فأي كرامة هذه الكرامة، وهل يُقابل إكرام الرحمن بالعصيان والسير في ركب الشيطان؟!

١٤٠٥ ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾[إبراهيم: ٣٤]:

إجابة دعائك أكيدة! قال ابن حجر: «كل داعٍ يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعِوَضه».

١٤٠٦ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[إبراهيم: ٣٤]:

إن عجزت عن إحصاء نعم الله، فكيف تزعم أنك شكرتها؟!

١٤٠٧ سين: كيف نعُدُّ نعمة واحدة؟! جيم: النعمة الواحدة مشتملة على آلاف النعم.

قال ابن القيم: «ويكفي أن النَّفَس من أدنى نعمه التي لا يكادون يعدونها، وهو أربعة وعشرون ألف نفَس في كل يوم وليلة، فلله على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون ألف نعمة كل يوم وليلة، دع ما عدا ذلك من أصناف نِعَمِه على العبد».

١٤٠٨ ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]:

خاف خليل الرحمن من الكفر بعد الإسلام، فكيف لا يخاف غيره؟!

١٤٠٩ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]:

ظل طيلة عمره يدعو ربه بهذا الدعاء، ولم ييأس إلى أن نزل به العطاء.

١٤١٠ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: ٤٠]:

كم يداوي هذا الدعاء فينا من أدواء! تهاوننا وتثاقلنا وتكاسلنا وتأخيرنا للصلاة، خاصة صلاة الفجر.

١٤١١ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [إبراهيم: ٤١]:

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». صحيح الجامع رقم: ١٦١٧.

١٤١٢ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]:

من الحقائق التي لا يعرفها كثير من الناس ما قرَّره الإمام المناوي: «فأكثر ما يُدخِل الموحِّدين النَّار مظالم العباد».

١٤١٣ ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]:

قارن تجبر الظلمة اليوم وقسوتهم على المؤمنين وشخوص أبصارهم يوم القيامة حتى لا تطرف لهم عين من الرعب، وخروج قلوبهم عن صدورهم حتى تبلغ الحناجر من شدة الهول والفزع.

١٤١٤ ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]:

من باب التشبيه البليغ الذي حُذِف فيه حرف التشبيه، والتقدير: وقلوبهم كالهواء في الخلو من الإدراك من شدة الهول.

١٤١٥ ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾[إبراهيم: ٤٩]:
رؤية هؤلاء المجرمين مقصودة غدًا لشفاء صدور المؤمنين.

١٤١٦ ﴿ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾[إبراهيم: ٤٩]:
جُمِعوا مع غيرهم في قيد واحد، قد ضُمَّ كل قرين إلى من يشبهه في الكفر والفسوق والعصيان، فعابد الصنم مع عابد الصنم، وشارب الخمر مع شارب الخمر، والظالم مع الظالم، كما قال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

١٤١٧ ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾[إبراهيم: ٥٠]:
جُعِلت الملابس من قطران لأنه شديد الحرارة، فيحرق الجلد الواقع عليه، فيعذَّبون بهذا اللباس قبل دخول النار، كلون من العذاب المبكِّر.

١٤١٨ ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[إبراهيم: ٥٠]:
وذكروا أن تخصيص الوجوه بالإحراق مع عمومه لسائر الجسد لأسباب:

١٤١٩ كونها أعزَّ الأعضاء الظاهرةِ وأشرفَها.

١٤٢٠ ولأنها مجمع المشاعرِ والحواس التي خُلقت لإدراك الحق، وقد أعرضوا عن الحق، ولم يستعملوها في استقباله وتدبره، فعوقبوا فيها.

١٤٢١ أو لخلوِّها عن القطِران الذي يعذِّب الجسد، فذكر تعذيبها بالنار بدلا منه، ولعل تخلية الوجوه من القطِران ليتعارفوا عند انكشافِ ألسنة اللهب، ويتضاعف عذابُهم بالخزي والفضيحة على رءوس الأشهاد.

١٤٢٢ ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾[إبراهيم: ٥٢]:
سئل أبو الحسن الرماني: كل كتاب له ترجمة (أي عنوان يلخص محتواه) فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾.

الجزء الرابع عشر
من سورة الحجر الآية ١
إلى سورة النحل الآية ١٢٨
عدد الفوائد ٨٩

سورة الحجر

١٤٢٣ ﴿ وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[الحجر: ١٦]:
زيَّنها لك لتنظر إليها، وتتأمل جمالها وعظمة الله فيها، فتزداد إيمانًا.. الله أعانك على عبادة التفكر.

١٤٢٤ ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾[الحجر: ٢١]:
خزائن الله لا تنفد مهما أنفق منها، فلا تحرم نفسك ما فيها بإمساك لسانك عن الطلب.

١٤٢٥ العطاء معلَّق بالدعاء، فلا يغفل عنه إلا الأغبياء!

١٤٢٦ ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[الحجر: ١٩]:
آية قرآنية وكونية معجزة، فالتوازن البيئي من أهم أسباب استمرار الحياة على وجه الأرض! ويشمل كل شيء في الأرض، فوجوده بنسب محددة مقدَّرة، بحسب حاجة الأرض وسكانها للحياة.

١٤٢٧ ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[الحجر:٢٢]:
كان ﷺ إذا اشتدَّت الريح قال كما في حديث سلمة بن الأكوع: «اللهم لقحًا لا عقيمًا».. أي ريحًا تلقح السحاب فيمتلئ بالماء.

١٤٢٨ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[الحجر: ٣٦:٣٧]:
قال السعدي: «وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه، وإنما ذلك امتحان وابتلاء من الله له وللعباد، ليتبين الصادق الذي يطيع مولاه دون عدوه ممن ليس كذلك».

١٤٢٩ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[الحجر: ٣٩]:
بابان للشيطان! قال القرطبي: «وتزيينه هنا يكون بوجهين: إما بفعل المعاصي، وإما بشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة».

١٤٣٠ ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[الحجر: ٤٢]:
قال ابن تيمية: «فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم؛ ولهذا يهربون (الشياطين) من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة، ويهربون من قراءة آية الكرسي، وآخر سورة البقرة، وغير ذلك من قوارع القرآن».

١٤٣١ ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[الحجر: ٤٢]:
الاحتماء بحصن العبودية هو أفضل وقاية من إبليس وجنوده؛ لأنه يضعف سلطانهم عليك، ويقوّي سلطانك، فتنتصر.

١٤٣٢ سئل سهل التستري: متى يصح للعبد مقام العبودية؟ قال: «إذا ترك تدبيره ورضي بتدبير الله فيه».

١٤٣٣ ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الحجر: ٤٣]:
اجتمعوا في الدنيا على الباطل وقضاء الشهوات المحرمة، فاجتمعوا غدًا لمقاساة العقاب على جرائمهم في جهنم.

١٤٣٤ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾[الحجر: ٤٤]:
قال ابن عباس عن أسماء أبواب النار: لها سبعة أبواب: جهنم، والسعير، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي أسفلها.

١٤٣٥ ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[الحجر: ٤٤]:
لكل دركة قوم يسكنونها بقدر ذنوبهم، وقال الآلوسي: «عدد الحواس الخمس والقوتين الشهوية والغضبية، وهاتان القوتان بابان عظيمان للضلالة المفضية إلى النار».

١٤٣٦ ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[الحجر: ٤٤]:

قال هشام بن حسان: خرجنا حُجاجًا، فنزلنا منزلاً في بعض الطريق، فقرأ رجل كان معنا هذه الآية: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[الحجر: ٤٤]، فسمعته امرأة فقالت: أعِد رحمك الله، فأعادها، فقالت: خلَّفتُ لي في البيت سبعة عبيد، أُشهِدكم أنهم أحرار، لكل باب واحد منهم.

١٤٣٧ ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[الحجر: ٤٦]:

قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة»صحيح الجامع رقم: ٦٢٧٥.

١٤٣٨ اختفاء الخوف إلى الأبد مع دوام الأمن هو نعيمٌ لا يستشعر قدره إلا من فقَده؛ ولذا كان من عظيم نعيم أهل الجنة، فلا عذاب ولا موت ولا خروج ولا زوال.

١٤٣٩ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[الحجر: ٤٧]:

قال ابن عباس: «أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيُذهِب الله ما في قلوبهم من غلٍّ، ثم يدخلون العين الأخرى، فيغتسلون فيها، فتُشرِق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم».

١٤٤٠ ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[الحجر: ٤٧]:

أكثر ما يخيف المتنعِّمين اليوم في الدنيا هو زوال النعمة وسلبها، ولأن الجنة لا خوف فيها، فينزع الله الخوف من زوال النعيم في جنة النعيم.

١٤٤١ زوال النعيم من أعظم أنواع العذاب، بل مجرد تصور زوال النعيم عذاب، لا يلذ معه عيش؛ ولذا قيل:

إذا شئت أن تحيا حياة هنية   فلا تتخذ شيئًا تخاف له فقدا

وهذا منتفٍ في الجنة.

١٤٤٢ ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾[الحجر: ٤٨]:

حتى في قمة أحداثنا السعيدة يدركنا التعب، وأما الجنة فسعادة الأبد بلا أدنى تعب.

١٤٤٣ ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾[الحجر:٥٤:٥٥]:

لا تيأس ولو كنت في سِنِّ اليأس.

١٤٤٤ ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾[الحجر: ٥٥]:

أحِطْ نفسك بالمتفائلين المستبشرين، فإنهم مفاتيح السعادة وأسباب السرور، ومغاليق التعاسة وأقفال الشرور.

١٤٤٥ ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[الحجر: ٥٦]:

اليأس ضلال عن طريق الله، وفيك من الهداية بقدر ثقتك في رحمة الله.

١٤٤٦ ﴿ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾[الحجر: ٦٥]:

القائد دومًا خلف الجند! قال ابن كثير: «وأن يكون لوط - عليه السلام - يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزو إنما يكون ساقة يزجي الضعيف، ويحمل المنقطع».

١٤٤٧ ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾[الحجر:٦٥]:

الانشغال بالمعارك الجانبية يستهلك طاقتك، ويمنعك من بلوغ هدفك.

١٤٤٨ ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾[الحجر:٧٢]:

لم يقسم الله بحياة بشر إلا بحياة نبيه تكريمًا له وتشريفًا.

١٤٤٩ ﴿ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[الحجر:٧٢]:

للهوى سُكرٌ أشد من سُكر الخمر، وما أكثر مخموري العقول اليوم بالأهواء والشهوات.

١٤٥٠ ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[الحجر: ٨٥]:

عشاق الآخرة لا وقت لديهم للعداوات والضغائن وتوافه الأمور.

١٤٥١ استحضار قرب الرحيل خير ما يُعين العبد على الصفح والتسامح.

١٤٥٢ قيل لأبي الفضل يوسف بن مسرور: فلان يتكلم فيك، فقال: إنما مثلي ومثله كمثل رجل حُمِلَ لضرب عنقه، فقذفه رجل في الطريق، فقال لنفسه: أنت تُحْمَل للقتل تسأل عمن يقع فيَّ؟! وأنا سائر إلى الموت لا أدري متى يأتيني!! أسأل عمن يتكلم فِيَّ؟! في الموت ما يشغلني عن ذلك.

١٤٥٣ ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]:

قال علي بن أبي طالب: «الصفح الجميل صفح لا توبيخ فيه، ولا حقد بعده».

١٤٥٤ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧]:

هي سورة الفاتحة لأنها تُثنَّى في كل صلاة أي تُكرَّر وتعاد في كل ركعة، وسُمِّيت سبعًا لأنها سبع آيات وفي صحيح البخاري: «الحمد لله ربِّ العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» صحيح الجامع رقم: ٣١٨٥.

١٤٥٥ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾[الحجر: ٨٨]:

قال ابن جزي: «أي لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم، فلا تنظر إلى الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها».

١٤٥٦ علام تحسَّر الإمام أحمد؟! قال الإمام أحمد: «عزيزٌ عليَّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن».

١٤٥٧ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨]:

قال القرطبي: «المعنى: قد أغنيتُك بالقرآن عما في أيدي الناس».

١٤٥٨ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «مَنْ أوتيَ القرآنَ فرآى أن أحدًا أوتيَ أفضل مما أوتي، فقد صغّر عظيمًا وعظّم صغيرًا».

١٤٥٩ الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد أمته؛ لأنه ﷺ كان أبعد ما يكون عن إطالة النظر إلى زينة الدنيا وزخارفها، وكيف وهو القائل: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا، أو متعلّمًا». صحيح الجامع رقم: ١٦٠٩.

١٤٦٠ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾[الحجر: ٨٧، ٨٨]:

قال سفيان بن عُيَيْنة: «من أُعطِي القُرْآن فمدَّ عَيْنَيْه إلى شيْء منها، فقد صغَّر القرآن، ألم تسمع قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[طه: ١٣١]: يعني القرآن».

١٤٦١ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾[الحجر: ٨٨]:

كان حزنه عليهم لا منهم، رغم أنهم آذوه وأخرجوه من أرضه وحاولوا قتله!

١٤٦٢ ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾[الحجر: ٩٠،٩١]:

أي أنزلنا عليك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم كما أنزلنا على اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، لكنهم اقتسموا القرآن المنزَّل عليك، فصدَّقوا بعضه وهو ما وافق كتابيهما، وكفروا ببعضه المخالف لأهوائهم مثل نسخ شريعتهم وإبطال بنوة عيسى لله تعالى، والعضين: جمع عضو أي أجزاء.

١٤٦٣ ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾[الحجر: ٩٠]:

القرآن دائمًا مستهدَف! قال الفرَّاء: «هم ستة عشر رجلًا، بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقتسموا أنقاب مكة وفجاجها يقولون لمن دخلها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا فإنه مجنون، وربما قالوا ساحر، وربما قالوا شاعر، وربما قالوا كاهن، فقيل لهم مقتسمين؛ لأنهم اقتسموا هذه الطرق».

١٤٦٤ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]:

جاء في تفسير الآلوسي أنَّ أعرابيًّا لما سمع هذه الآية، سجد وقال: سجدت لبلاغة هذا الكلام.

١٤٦٥ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[الحجر: ٩٥]:

لم يقل سنكفيك، بل جاء بصيغة الماضي للتحقيق والتوكيد، فنبينا مكفيٌّ بالله حتمًا.

١٤٦٦ ذكر ابن القيم في كتاب (الصارم المسلول) أن المسلمين كانوا يحاصرون الحصن أو المدينة الشهر وهو ممتنع عليهم حتى يكادوا ييأسون، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه، فعُجِّل فتحه وتيسَّر، ولم يكد يتأخر.

١٤٦٧ مزّق كِسرى رسالة النبي ﷺ فمزّق الله مُلكه!

١٤٦٨ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[الحجر: ٩٧]:

من الكلام ما هو أشد وقعًا من الحسام.. انتبه!

١٤٦٩ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[الحجر:٩٧، ٩٨]:

دواء ضيق الصدر بالوصفة القرآنية في أمرين: التسبيح والسجود.

١٤٧٠ أن تبوح لله في سجودك وتدخل عليه في أي وقت، فيضمن لك الراحة، خير لك من أن تبوح لمن يتهرب منك أو تحتاج إلى ترتيب موعد سابقًا للقائه، ولا تضمن أن يريح لقاؤه صدرك.

سورة النحل

١٤٧١ ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [النحل: ٢]:

سمَّى الوحي روحًا، فكل من لم يتصل بالوحي من كتاب وسُنَّة بمثابة الميت.

١٤٧٢ ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ٤]:

لو كنت نطفة سقطت على الأرض لغُسِلت! فلما مدَّ الله في عمرك، خاصمت ربك واعترضت عليه!

١٤٧٣ ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨]: آية جمعت بين الماضي والحاضر في وسائل المواصلات.

١٤٧٤ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣]:

مرَّ الحسن بن علي على مساكين يأكلون، فدعوه فأجابهم وأكل معهم، وتلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

١٤٧٥ ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]:

قال حبيب الفارسي: «إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه».

١٤٧٦ قال بعض الصالحين: «إنفاق درهم مزيَّف أشد من سرقة مائة درهم؛ لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت، وإنفاق المزيف قد يكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفنى ذلك الدرهم، ويكون عليه ما فسد من نقص أموال الناس».

١٤٧٧ ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ [النحل: ٢٦]:

عاقبة المكر وخيمة وأكيدة، فيجتثه الله من قواعده وجذوره.

١٤٧٨ ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل:٢٩]:
﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]

خير من ماذا؟! خير من كل حسنات الدنيا ولذاتها، فالقادم أجمل!

١٤٧٩ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]:

قال ابن القيم: «فالجنة لا يدخلها خبيث، ولا من فيه شيء من الخبث، فمن تطهر فى الدنيا ولقي الله طاهرًا من نجاساته دخلها بغير معوِّق، ومن لم يتطهر فى الدنيا فإن كانت نجاسته عينية، كالكافر، لم يدخلها بحال، وإن كانت نجاسته كسبية عارضة دخلها بعد ما يتطهر فى النار من تلك النجاسة، ثم يخرج منها».

١٤٨٠ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]:

الاحتجاج بالأقدار وغيرها من الأعذار الواهية لتبرير الانحراف هي سُنَّة قديمة متكررة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾.

١٤٨١ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦]:

اتخذها البعض حجة لعدم اهتدائه، وأن الهداية بيد الله لا بيده، والحقيقة أن الهداية هدايتان: هداية دلالة وإرشاد وهذه للجميع من مؤمن وكافر، وهداية اختيار وهذه باختيار العبد (أنت مخيَّر لا مسيَّر).

١٤٨٢ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]:

هو تقريب للأذهان؛ والحقيقة أن الله تعالى لو أراد شيئًا لكان؛ بغير حاجة إلى لفظ «كن».

١٤٨٣ ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]:

لم يقل: من عنده ذكر، بل لا بد أن يكون من أهل التخصص والاحتراف.

١٤٨٤ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]:

النعم بنوعيها من الله وَحده؛ نِعَم الطَّاعَات، ونِعَم اللَّذَات، فالجأ إليهِ كي يعينك على شكرها.

١٤٨٥ قال ابن القيم: «وإذا كانت القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وكل إحسان وصل إلى العبد فمن الله عز وجل، فلا ألأم ممن شغل قلبه بحب غيره دونه».

١٤٨٦ لا خروج للعبد عن نعمة الله وفضله وإحسانه طرفة عين، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومع هذا فبعضهم يجادل ويقول: إنما أوتيته على علم!

١٤٨٧ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: ٥٨]:

هذا صنيع مشركي العرب أخبركم الله تعالى بخبثه، فأما المؤمن فحقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له، وقضاء الله تعالى خير من قضاء المرء لنفسه، ولا ندري.. لرب جارية خير لأهلها من غلام، وإنما أخبركم الله عز وجل بصنيعهم لتجتنبوه ولتنتهوا عنه.

١٤٨٨ ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]:

ومن العجائب قول القرطبي وغيره: «لم يغصَّ أحدٌ باللبن قط».

١٤٨٩ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]:

قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر».

١٤٩٠ كان من دعائه ﷺ كما أخرجه البخاري. وابن مردويه عن أنس: «أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

١٤٩١ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥]:

قال ابن جزي: «مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوي بينه وبين الأصنام».

١٤٩٢ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [النحل: ٨١]:

ظِلُّ الأشجار والأبنية من النعم المنسية، ولا يشعر بها إلا العامل المحترق تحت حر الشمس!

١٤٩٣ ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]:

قال قتادة: هذه السورة تسمى سورة النِّعَم.

١٤٩٤ ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]:

خلق الله النعم لتستدل بها عليه لا لتنشغل بها عنه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي تنقادون لأمره.

١٤٩٥ ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ٨٦]:

أي ألقت إليهم الآلهة القول، فنطقت الأصنام بتكذيب من عبَدَها بأنها لم تكن آلهة، ولا أمرتهم بعبادتها، وفي إنطاق الله للأصنام ظهور فضيحة الكفار.

١٤٩٦ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]:

قال الفيروزآبادي: «فالإحسان فوق العدل، وذلك أنَّ العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقلَّ مما له، فالإحسان زائد عليه، فتحرِّي العدل واجب، وتحرِّي الإحسان نَدْب وتطوع؛ ولذلك عظم الله ثواب أهل الإحسان».

١٤٩٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]:

قال ابن مسعود: «ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية».

١٤٩٨ ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾ [النحل: ٩٢]:

قال ابن كثير: «هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئًا نقضته بعد إبرامه».

١٤٩٩ والمعنى: كونوا أوفياء بعهودكم، ولا تنقضوها بعد إبرامها، فإن فعلتم كنتم مثل تلك المرأة الحمقاء.

١٥٠٠ قال مجاهد: «كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز، فنهوا عن ذلك».

١٥٠١ ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ [النحل: ٩٤]:

قدم ثابتة ومع هذا زلَّت؟! فكيف بقدم مضطربة مهتزة؟!

١٥٠٢ ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ [النحل: ٩٦]:

بأي شيء بعنا ما عند الله من نعيم باقٍ بمتاع زائل.

قال الفضيل: «لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفًا يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنى على ذهب يبقى!».

١٥٠٣ ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩]: قال الثوري: «ليس للشيطان عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه».

١٥٠٤ ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [النحل: ١١٦]:

عن أبي نضرة قال: «قرأتُ هذه الآية في سورة النحل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا».

١٥٠٥ ﴿ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ﴾ [النحل: ١١٩]:

والمراد بالجهالة: الجهل والسفه اللذان يحملان صاحبهما على ارتكاب ما لا يليق بالعقلاء، وليس المراد بها عدم العلم.

١٥٠٦ قال ابن عطية: الجهالة هنا بمعنى تعدى الطور، وركوب الرأس: لا ضد العلم.

١٥٠٧ ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠]:

حاز من الفضائل البشريةِ ما لا يكاد يوجد إلا متفرّقا في أمة.

١٥٠٨ قال مجاهد: «سُمِّي - عليه السلام- أمة لانفراده بالإيمان في وقته، ففي صحيح البخاري أنه قال لزوجته سارة: «ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك».

١٥٠٩ كيف تكون أمة؟!

١٥١٠ قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل كان أمّة قانتًا لله حنيفًا. فقيل: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٠] . فقال: ما نسيتُ، هل تدري ما الأمّة، وما القانت؟ فقلت. الله أعلم فقال: الأمّة، الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله عز وجل وللرسول. وكان معاذ بن جبل يعلّم الناس الخير، وكان مطيعًا لله عز وجل ورسوله.

١٥١١ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل: ١٢٥]:

إلى سبيل ربك لا إلى تشييد مجدك وإبراز شخصك.. جدِّد نيتك.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]

قال ابن القيم:

«جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريق الحكمة.

والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يجادَل بالتي هي أحسن.

هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية».

الجزء الخامس عشر
من سورة الإسراء الآية ١
إلى سورة الكهف الآية ٧٤
عدد الفوائد ١٦٣

سورة الإسراء

١٥١٢ كان رسول الله ﷺ يقرأ سورة الإسراء كل ليلة! جاء في حديث عائشة: «كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر» صحيح الجامع رقم: ٤٨٧٤

١٥١٣ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١]:

الليل..موسم المنح الربانية والعطايا الإلهية.

١٥١٤ ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١]:

من طيبه بارك الله حوله، فهل بلغ من طيبك أن تنشر الخير حولك؟

١٥١٥ عن أبي ذر- رضي الله عنه- قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ: أيهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلَّى، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطَن (هو الحبل) فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا أو قال: خير من الدنيا وما فيها».

١٥١٦ ﴿ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء: ٣]:

قال محمد القرظي: «كان نوح إذا أكل وإذا شرب وإذا لبس وإذا ركب قال: الحمد لله، فسماه الله عبدًا شكورًا».

١٥١٧ ﴿ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء:٦]:

والنفير يُطلق اليوم غالبًا على الإعلام، واليهود اليوم سيطرتهم على الوسائل الإعلامية مشاهدة معلومة.

١٥١٨ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥاْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾[الإسراء: ٧]:
ليس المقصود به وعد يوم القيامة؛ بل وعد الإفساد الثاني لبني إسرائيل.

١٥١٩ ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾[الإسراء: ٨]:
لا يزال العرض جاريًا على بني إسرائيل: أي إن عدتم للإفساد في الأرض بعثنا عليكم عبادًا يؤدِّبونكم.

١٥٢٠ قال (عُدْنَا) ولم يقل سيعود عبادنا، وهذا من عظيم تأييد الله للمؤمنين.

١٥٢١ كلما ازداد اليهود علوًّا وإفسادًا، اقتربت نهايتهم.

١٥٢٢ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي﴾[الإسراء: ٩]:
القرآن مصدر الهداية، ومفتاح تقويم الفِكر والأخلاق، وهو وحده مقياس معرفة الخطأ من الصواب، ومن دونه تغرق البشرية في الضلال.

١٥٢٣ ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِ﴾[الإسراء: ١١]:
قد تدعو وأنت لا تعلم أنك تدعو على نفسك، فلا يستجيب الله لك، رحمةً بك وشفقة عليك.

١٥٢٤ ربما كان تأخير الإجابة حمايةً للداعي من حُمق الدعاء؛ لأنه دعا بما يضره وهو يظن أنه ينفعه.

١٥٢٥ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾[الإسراء: ١٣]:
عبَّر عن عمل الإنسان بطائره، وجعل عمله في عنقه إشارة لشدة الارتباط بين الإنسان وعمله، وكأن عملك هو الذي يقودك، ويقودك إلى الجنة أو النار كما تُقاد الدابة بالحبل من عنقها.

١٥٢٦ ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾[الإسراء: ١٤]:
أنت اليوم كاتب، وغداً قارئ، فراجِع ما كتبت.

١٥٢٧ تُملي اليوم على الملائكة ما يسطرونه في صحيفتك، وغدًا ينشرون ما أمليت من أعمال وأقوال ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾.

١٥٢٨ ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾[الإسراء:١٦]:

فِسْقُ أهل بلدة ما إيذانٌ بقرب هلاكها.

١٥٢٩ ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾[الإسراء: ١٦]:

المأمور به هنا هو الإيمان والعمل الصالح، أي أمرناهم بالطاعة ففسقوا، وليس المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا؛ لأن الله لا يأمر بالفسق، وهو مثل أن تقول: أمرتُه فعصاني، أي أمرته بطاعتي فعصاني، وليس معناه: أمرته بالعصيان فعصاني.

١٥٣٠ ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾[الإسراء: ١٩]:

من أراد يعني من الإرادة، فليس شراء الآخرة بالأماني والأحلام.

١٥٣١ ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا ﴾[الإسراء: ١٩]:

أي السعْيَ اللائقَ بالآخرة، وهو الإتيان بما أمر الله، والانتهاء عما نهى عنه، وفائدةُ (لَهَا): اعتبار النية والإخلاص، وفائدة ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾: أن الكافر إذا قدَّم عملًا صالحًا في الدنيا، فلن ينفعه في الآخرة لفقده شرط الإيمان.

١٥٣٢ ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾[الإسراء: ١٩]:

شرط الإيمان! روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يُعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها» السلسلة الصحيحة رقم: ٢٧٧٠.

١٥٣٣ ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ ﴾[الإسراء: ٢٠]:

هذه الآية تنبيه أن الله لم يترك خلقه من أثر رحمته حتى الكفرة منهم، فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على حسب ما قدر لهم، وأعطى المؤمنين خيري الدنيا والآخرة.

١٥٣٤ معلوم أن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، لكنه لا يعطي الدين إلا من يحب.

١٥٣٥ فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسن ... إذا لم يكن فيها معاشٌ لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامةً ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

١٥٣٦ ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]:

عطاء الله على قدره، وطلب العبد على قدره، وعطايا الله ليست عطاء ملك من ملوك الأرض، كمًّا ولا نوعًا، وهي غير محظورة عن أحد، بل متاحة للجميع.

١٥٣٧ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١]:

الخطاب للنبي ﷺ، والمقصود إسماع قومه، وهذا مشاهد في الدنيا، فطُلاب الآخرة يتفاضلون في الإيمان والعمل الصالح، وطلاب الدنيا يتفاضلون في المال والثروات.

١٥٣٨ حضر جماعة من الناس باب عمر رضي الله عنه وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب، فأذن عمر لصهيب وبلال وأهل بدر وكان يحبهم، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط! إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يُلتفت إلينا، فقال سهيل -وكان أعقلهم-: أيها القوم .. إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دُعِي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه!

١٥٣٩ ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]:

لا تظن الدنيا آخر المطاف! قال ابن كثير: «ولَتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا، فإن منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها، ومنهم من يكون في الدرجات العلا ونعيمها وسرورها.

ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون، فإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

١٥٤٠ ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ [الإسراء: ٢١]:

قال الضحاك: «الأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه، والأسفل لا يرى أن فوقه أحدًا».

١٠٤١ ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء: ٢٣]:

ما هي آخر مرة أحسنت فيها إلى والديك؟!

١٠٤٢ ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾[الإسراء: ٢٣]:

(عندك) : وكأنه حثٌّ على أن (يسكن) والداك معك عند كبرهما.

١٠٤٣ ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[الإسراء: ٢٣]:

قال ابن عقيل: «من حسن ظني بربي أنه بلغ من لطفه أن وصَّى ولدي إذا كبرت فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾».

١٠٤٤ ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء: ٢٣]:

قيل لسعيد بن المسيب: كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، فما القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفَظِّ الغليظ.

١٠٤٥ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[الإسراء: ٢٤]:

قال عروة: «إن أغضباك فلا تنظر إليهما شزرًا، فإنه أول ما يُعرَف غضب المرء بِشدَّة نظره إلى من غضب عليه». يا هذا.. ليست المعاملة معهما بالمثل!

١٠٤٦ قال زُهَيْر بن محمد: «إن سبّاك أو لعناك فقل: رحمكما الله .. غفر الله لكما».

١٠٤٧ عن عبد الله بن عون أنه نادته أمه، فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين.

ليس من البر! سأل رجلٌ الإمام أحمد: إن أبي يأمرني أن أطلّق زوجتي؟! قال له الإمام: لا تطلّقها، فقال: أليس النبي ﷺ قد أمر ابن عمر أن يطلق زوجته حين أمره عمر بذلك؟ قال الإمام أحمد: وهل أبوك مثل عمر؟!

١٠٤٨ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٤]:

ومن رحمة الله لهما أن يهديهما للإيمان والعمل الصالح، فالدعاء بالرحمة لوالديك يشمل صلاح دينهما وعمران آخرتهما.

١٠٤٩ قال الآلوسي: «والظاهر أن الأمر للوجوب، فيجب على الولد أن يدعو لوالديه بالرحمة». اجعل لنفسك وِردًا ثابتًا للدعاء لوالديك.

١٠٥٠ ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٥]:

قال سعيد بن المسيب: «الأواب الذي يذنب ثم يستغفر، ثم يذنب ثم يستغفر».

١٠٥١ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[الإسراء: ٢٦]:

قدَّم القرابة على المساكين؛ لأن عدم إحسان الغني إلى أقاربه يثير ضغائن قلوبهم وحزازات نفوسهم.

١٠٥٢ وصى الله في كتابه بابن السبيل ثماني مرات، فآنِس وحشة الغريب، وأحسن إليه، ولا تجمع عليه مرارة الغربة مع مرارةَ الحرمان.

١٠٥٣ ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[الإسراء: ٢٧]:

قال ابن عاشور: «التبذير يدعو إليه الشيطان؛ لأنه إما إنفاق في الفساد، وإما إسراف يستنزف المال في السفاسف واللذات، فيعطِّل الإنفاق في الخير، وكل ذلك يرضي الشيطان، فلا جرم أن كان المتصفون بالتبذير من جند الشيطان وإخوانه».

١٠٥٤ ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[الإسراء: ٢٨]:

وهذا متعلق بقوله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾، فلا ترد المسكين إلا بإحدى ثلاث: بعطاء، أو وعد بعطاء، أو دعاء!

١٠٥٥ في هذا الأمر تأديب للمؤمن إن هو فقد المال، أن يرجو من الله تيسير أسبابه، وأن لا يحمله الشح على السرور بعدم امتلاك المال؛ كي يتخلص من الإنفاق على المحتاج، بل الأَوْلى أن يدعو الله -إن كان فقيرًا وعُدِم المال- أن يرزقه به في المستقبل حرصًا على ثواب الصدقة.

١٠٥٦ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[الإسراء: ٣٢]:

لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ولأن مشوار الألف ميل في الحرام يبدأ بخطوة، ولأن الاستدراج أخفى حيل إبليس.

1557 قال يونس بن عبيد: احفظوا عني ثلاثاً مت أو عشت: ومنها: ولا يخل رجل بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن.

1558 ﴿فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ﴾[الإسراء: ٣٣]:

غضب أهل القاتل لا يسوّغ لهم انتهاك العدالة، وتحقيق القصاص لا يجب أن يجرّ إلى ظلم.

1559 ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾[الإسراء: ٣٤]:

النهي عن القرب منه هو مبالغة في النَّهي عن التعرض له؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يستحلون أموال اليتامى لضعفهم وقلة نصيرهم، فحذَّر الله المسلمين من ذلك لإزالة ما عسى أن يكون بقي في نفوسهم من رواسب الجاهلية.

1560 ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾[الإسراء: ٣٦]:

قال قتادة: «لا تقل: رأيت ولم ترَ، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله».

1561 في الحديث: (بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَموا): أي يقولون؛ لأنها بداية الإشاعة وبوابة الكذب، وكان عبد الله بن عمر يقول: «(زعموا) مطِيَّة الكذِب».

1562 يُقال: قفَّيتُه إذا اتبعت أثره، ومنه جاء اسم (القافة) وهم الذين يتبعون آثار الأقدام، وقافية كل شي آخره، ومنه قافية الشعر، ومنه اسم النبي ﷺ المُقفَّى، لأنه جاء آخر الأنبياء.

1563 ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[الإسراء: ٣٦]:

قدَّم السمع على البصر لأنه يحصل من ضروب المعرفة عن طريق السمع ما لا يحصل عن البصر، فبشار بن برد كان أعمى، ومع ذلك كان صاحب البيت المشهور الذي يمتلئ بالبصيرة والإحساس:

كأن مَثارَ النَّقع فوق رؤوسِنا   وأسيافَنا ليْلٌ تهاوى كواكِبُه

1564 ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[الإسراء: ٤٤]:

قال ابن عون المصري: «أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركب، وثوبه الذي يلبس، أكثر ذكرًا لله منه».

١٥٦٥ الإنسان البليد! قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء إلا وهو أطوع لله تعالى من ابن آدم» صحيح الجامع رقم: ٥٣٩٣.

١٥٦٦ تصريح بأن كل جماد وحيوان وطير وحشرة في الوجود تسبِّح الله تعالى، وهذا حريٌّ أن يدفع كل عاقل على طاعة ربه وكثرة ذكره كي لا يكون- بعد ما فضَّله على سائر خلقه- أقلَّ طاعةً لله منهم، فينحط قدره.

١٥٦٧ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]:
تطبيقها العملي: «أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحان الله وبحمده» صحيح الجامع رقم: ١٧٤، وقوله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» صحيح الجامع رقم: ٦٤٣١

١٥٦٨ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]:
عسى مع الله تحقيق وليست ظنًّا، فحطِّم بهذه الآية أسوار يأسك، ودع نور الأمل ينتشر في ربوع قلبك!

١٥٦٩ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢]:
قال سعيد بن جبير: «ينفضون (أي الموتى) التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك».

١٥٧٠ ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]:
إذا احتار عقلك بين قولين حسنين فآثر أحسنهما.

١٥٧١ من تمام العبودية لله: (حسن الكلام)، وإن (سوء اللسان) يقدح في العبودية.

١٥٧٢ في سنن البيهقي أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى البصير الذي في بني واقف نعوده»، وكان رجلًا أعمى! فانظر رِقَّته وحسن كلامه وعدم جرحه للرجل بكلمة ولو كان فيها صادقًا!

١٥٧٣ قال رجلٌ لرجل أمام عمر بن عبد العزيز: تحت إبطك، فقال عمر: وما على أحدكم أن يتكلَّم بأجمل ما يقدِر عليه؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: لو قال: تحت يدك كان أجمل.

١٥٧٤ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ ﴾[الإسراء: ٥٣]:
انتقاء كلماتك فيه إفشال مؤامرة شيطانية.

١٥٧٥ ﴿ يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ ﴾[الإسراء: ٥٣]:
كان الإمام البخاري مع أن صنعته الكلام في الرجال بالجرح والتعديل، يتورع عن الألفاظ القاسية، مثل كذاب، أو وضّاع، أو متروك، ويختار كلامًا أحسن مثل: فيه نظر، وإذا قال البخاري عن رجل: فيه نظر، فهو متروك لا يُقبل حديثه.

١٥٧٦ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[الإسراء: ٥٧]:
يعني أولئك الذين تدعون من دون الله كعيسى والعُزيْر والملائكة الذين زعمتم أنهم بنات الله، هؤلاء جميعًا يتوسلون إلى الله ويتقربون إليه.

١٥٧٧ ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورًا ﴾[الإسراء: ٥٨]:
هل سيفني الله كل قرية قبل يوم القيامة؟ يجيب الطاهر بن عاشور بما مختصره: «المراد: القرى الكافر أهلها؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾[هود:١١٧]، وليس المقصود شمول ذلك القرى المؤمنة؛ لأن ذلك معارِضٌ لآيات أخرى، ولأنه منافٍ لغرض تحذير المشركين من الاستمرار على الشر».

١٥٧٨ ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا ﴾[الإسراء: ٥٩]:
ومن الآيات كسوف الشمس وخسوف القمر، فلا بد بعد مشاهدة هاتين الظاهرتين أن نكون أكثر خوفًا من الله وأحسن عملًا.

١٥٧٩ ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ ﴾[الإسراء: ٦٠]:
قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس، إذ رأى بيت المقدس ورأى عيرهم وحال رجالهم، فوصفه لهم، فكان الأمر كما وصف، وكان ما رآه ﷺ فتنة للناس، فارتد بعضهم عن الإسلام، وتردد آخرون في قبوله.

١٥٨٠ ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]:

والشجرة عطف على الرؤيا، فكلاهما كان فتنة للناس، والشجرة هي شجرة الزقوم، فروي أن أبا جهل قال: «زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول بأن في النار شجرة لا تحرقها النار»، وروي أن بعضهم قال: إن الزقوم هو التمر بالزبد بلغة أهل اليمن، وأن أبا جهل أمر جارية فأحضرت تمرًا وزبدًا وقال لأصحابه: تمزَّقوا، فكانت شجرة الزقوم سبب فتنتهم وانصرافهم عن الإيمان.

١٥٨١ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا﴾ [الإسراء: ٦٠]:

آيات الله الزاجرة إن لم تزد في إيمانك كانت وبالًا عليك، وأدّت إلى قسوة قلبك، وقادت لاجترائك على محارم الله.

١٥٨٢ ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٦٢]:

قال ابن جزي: «معناه لأستولين عليهم ولأقودنهم، وهو مأخوذ من تحنيك الدابة، وهو أن يشدّ على حنكها بحبل فتنقاد معه».

١٥٨٣ ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]:

مِنَ الفَز، وهو «ولد البقرة الوحشيَّة لما فيه من عدم السُّكون والفرار»، وتستنهض ولدك الذي تكاسل، وتقول له: فز يعني انهض، والمعنى: استنهض أيها الشيطان من استطعت (بصوتك) أي بوسوستك، سواء أكان هذا الصوت من جندك من الأبالسة مثلك، أو جندك من شياطين الإنس الذين يعاونونك.

١٥٨٤ يتحدى الله بها إبليس، بأن بعض عباد الله لا يستطيع الشيطان غلبته والانتصار عليه مهما فعل! اللهم اجعلنا منهم.

وكأن الله يقول لعدوه إبليس:

افعل ما بدا لك .. كِد وامكر .. دبِّر وخطِّط .. فكل مكرك عليك .. وكل خططك ضدك .. وسيفك قاتلك .. وسهمك راميك .. ولن توقف دعوة الله مهما فعلت وحاولت، وهذه طمأنة لكل مؤمن أنه لن يضره كيد إبليس ما دام بالله معتصمًا.

١٥٨٥ ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[الإسراء: ٦٤]:

هذه معركة حقيقية، فأجمِع يا إبليس لبني آدم كل ما استطعت من وسائل الفتنة والإغواء لإضلالهم، وهو تمثيل لحال الشيطان الذي يحاربنا بمختلف قواته وكافة فصائل جيشه من فرسان ومشاة!

١٥٨٦ ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾[الإسراء: ٦٤]:

مشاركة الشيطان للإنسان في المال بثلاثة أشياء:

- الطلب المحرم: بأن يطلب زيادة المال عن طريق ربا، أو قمار، أو سرقة، أو غصب، أو غش، أو رشوة، أو بيع حرام كالخمر ونحوه.
- الإنفاق المحرم: مثل ما يُعطى الكاهن أو العراف أو الساحر، أو مهر البغيِّ، أو شراء خمر، أو يسافر لمواطن ينفق فيها ما يلبي شهواته ونزواته المحرمة، أو يقع في الإسراف والتبذير الذي يلحقه بزمرة الشياطين.
- المنع المحرم: مثل منع الزكاة المفروضة، وعدم أداء حج الفريضة، وعدم الوفاء بالنذر، والتقصير في النفقة على النفس والأهل.

١٥٨٧ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[الإسراء: ٦٥]:

طريق التخلص من أغلال الشيطان سهل يسير: العبودية لله والاستعانة به!

١٥٨٨ ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ..﴾ [الإسراء: ٧٢]:

ليست وَصْفًا، وإنما تفضيل لعمى الآخرة على عمى الدنيا، أي أنه في الآخرة أشدّ عمىً، وعماه في الدنيا عمى بصيرة، لكن عَماه في الآخرة عمى بصر.

١٥٨٩ ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٧٢]:

سين: معلوم أنه كان ضالاً في الدنيا، فكيف يكون أضلَّ في الآخرة؟

جيم: لأن ضلاله في الدنيا كان يمكن تداركه بالرجوع إلى الحق، وأما ضلال الآخرة فلا يمكن تداركه.

١٥٩٠ ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٧٤]:

أكمل الخلق مفتقر إلى تثبيت الله، وهو القائل ﷺ: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، فكيف بغيره؟!

١٠٩١ ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٥]: يُضاعف العقاب على من زاغ بقدر علمه، وأن هبوط الأكابر على حسب صعودهم، وأن أخطاء الأحبة وإن قلَّت جلَّت.

١٠٩٢ ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ ﴾[الإسراء: ٧٩]:

قال البغوي: «قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد إذا قام بعد ما نام»، وكان التهجد فريضة على النبي ﷺ وعلى أمته، لكن نُسِخ هذا في حق الأمة، وبقي واجبًا قائمًا في حق نبينا ﷺ.

١٠٩٣ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[الإسراء: ٨١]:

لا يزهق (باطل) إلا إذا خنقته يد أهل الحق.. مضى زمن المعجزات.

١٠٩٤ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء: ٨١]:

مهما أمدوه بأسباب الحياة، فإن روح الباطل سوف تُزهق، الباطل سيموت! ويشمل هذا كُلَّ باطل في أي زمان ومكان.

١٠٩٥ من صفات الباطل الثابتة أنه زهوق، فإذا غلب، فما هذا لقوته، بل لعيب وتقصير في أهل الحق الذين يواجهونه.

١٠٩٦ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾[الإسراء: ٨٢]:

يشمل ذلك كونه شفاء القلب من أمراضه، كالشك والنفاق، وكونه شفاء للأجسام إذا رُقِي عليها به، كقصة الذي رقى الرجل اللديغ بالفاتحة، فشفاه الله، وهي قصة صحيحة مشهورة.

١٠٩٧ القرآن شفاء، فمرضك على قدر بعدك عن مصحفك، وصحتك على قدر أخذك من القرآن.

١٠٩٨ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[الإسراء: ٨٢]:

قال الحسن: والله ما جالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، ثم قرأ هذه الآية.

١٥٩٩ ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٤]:

قال أبو بكر الصديق ﷺ: «قرأت القرآن من أوله إلى آخره، فلم أرَ فيه آية أرجى وأحسن من قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾، فإنه لا يشاكِل بالعبد إلا العصيان، ولا يشاكِل بالرب إلا الغفران».

الشاكلة تأتي بمعنى الأخلاق. قال ابن القيم:

١٦٠٠ «أي على ما يشاكله ويناسبه، فهو يعمل على طريقته التي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إنسان يجري على طريقته ومذهبه وعادته التي ألفها وجبل عليها، فالفاجر يعمل بما يشبه طريقته من مقابلة النعم بالمعاصي والإعراض عن النعم، والمؤمن يعمل بما يشاكله من شكر النعم ومحبته والثناء عليه والتودد إليه والحياء منه والمراقبة له وتعظيمه وإجلاله».

قال ذو الأصبع العدواني:

كُلُّ امرئٍ صائرٌ يوما لِشيمته وإن تخلَّق أخلاقًا إلى حين

١٦٠١ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]:

هذا هنا أعظم تحدٍّ على وجه الكون !

١٦٠٢ ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٩٧]:

في حديث أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله، الذين يحشرون على وجوههم، أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»: قال قتادة حين بلغه الحديث: بلى وعزة ربنا. أخرجه البخاري ومسلم.

١٦٠٣ ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧]:

سين: إن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم وقد قال: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾ [الكهف-٥٣] وقال: ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان-١٣] وقال: ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان-١٢] أثبت الرؤية والكلام والسمع؟

جيم: يحشرون عميانًا، ثم تعاد إليهم حواسُّهم إذا دخلوا النار.

١٦٠٤ ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾[الإسراء: ١٠٣]:
السادة والأتباع يسيرون في طريق واحد، بدايته العمل، ونهايته الهلاك.

١٦٠٥ ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[الإسراء: ١٠٦]:
لا يكن همك آخر السورة! اقرأ قراءة مسترسلة بتدبر وتمهل، وإلا لم تجنِ ثمار الوحي، ولم تستخرج درر المعاني.

١٦٠٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[الإسراء: ١٠٧]:
العالِم ليس بكثرة العلم بل بوجود البكاء. سئل الإمامُ أحمدُ عن معروف الكرخي: هل كان معه علمٌ؟! فقال: كان معه أصلُ العلم، خشيةُ الله عزَّ وجل.

١٦٠٧ قال عبد الأعلى التيمي: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ١٠٧] إلى قوله ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾[الإسراء: ١٠٩]».

١٦٠٨ قرأ عمر بن الخطاب- رضى الله عنه -يومًا هذه الآية، فسجد وقال: هذا السجود فأين البكاء؟!

سورة الكهف

١٦٠٩ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[الكهف: ١]:
إنزال القرآن من أعظم النعم التي تستوجب حمد الله؛ لذا حمِدَ الله ذاته العلية على هذه النعمة تذكيرًا لعباده بالحمد وتعليمًا لهم.

١٦١٠ ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[الكهف: ٢]:
من أهم حِكَم إنزال القرآن الإنذار، فلا تُلغِ هذا الفصل من قاموسك بحجة سماحة الإسلام وعدم التشدد.

١٦١١ وصف الله القرآن بقوله: ﴿قَيِّمًا﴾ أي مستقيمًا لا ميل فيه ولا زيغ، وكل من حمله بحق سيكون مستقيمًا، لا ميل فيه ولا زيغ.

١٦١٢ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ ﴾[الكهف: ٦]:
كاد الهَمُّ أن يقتل نبينا لأجل هدايتنا، وبعضنا لا يزال غير مهموم بأمر هدايته!

١٦١٣ ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ ﴾[الكهف: ٧]:
كلُّ ما في الكون هو مجرد زينة غرضها الاختبار والابتلاء، وكلما زادت الزينة ازدادت صعوبة الاختبار، ونجاحك الحقيقي ألا تصرفك الزينة الفانية عن الآخرة الباقية.

١٦١٤ ﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾[الكهف: ٧]:
لم يقل: (أكثر) لأن العبرة بالأحسن لا الأكثر!

١٦١٥ نافس أعمالك .. تحدَّ إنجازاتك، واحرص كل يوم أن تكون (أحسن) من اليوم الذي قبله، فمن راقب أعماله بغرض التقويم والتحسين، وُفِّق للخير كله.

١٦١٦ اجعل من دعواتك اليومية: «اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت».

١٦١٧ ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴾[الكهف: ٨]:
كل ما في هذه الحياة من جمال وطيب أحوال فهو إلى زوال، إما بالقيامة الصغرى بالموت، أو القيامة الكبرى.

١٦١٨ ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]: ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا. قال مجاهد: «قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك».

١٦١٩ ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾[الكهف: ١٠]:
ضيق الكهف أحب إليهم من سعة القصور وفاخر الدور إن كانت ستنال من دينهم وطاعة لربهم.

١٦٢٠ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾[الكهف: ١٠]:
الدعاء من أعظم أسباب النجاة من الفتن، وتأمل دعاء أصحاب الكهف، ثم واظِب عليه.

١٦٢١ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾ [الكهف: ١٠]:
واستجاب الله لهم وآتاهم رحمته، فوَصَلتهم بلا تأخير على العنوان الجديد، داخل الكهف: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾.

١٦٢٢ ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣]:
ابدأ أول خطوة في طريق الهداية، وسيأخذ الله بيدك، وسينعم عليك بالمزيد، فالحركة بركة، والبركة زيادة، ولا أحلى ولا أعظم من زيادة الكريم الوهّاب.

١٦٢٣ ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الكهف: ١٤]:
قد يخونك قلبك أثناء سيرك، فتتعثر في طريق الحق، وقد يتسرب نور الإيمان من قلبك فيظلم، وما لم يربط الله على قلبك برباط التثبيت، فلا أمل لك في الثبات.

١٦٢٤ لا تغتر كثيرًا بصلاح قلبك، فما سُمِّي القلب قلبًا إلا من تقلُّبه، واجعل خوفك من الزلل أعظم حافز لك على الأخذ بأسباب الثبات.

١٦٢٥ الربط على القلوب تصوير لقوة الإيمان،وكأن الله أودع الإيمان في قلوبهم وربط عليه برباط محكم فلا سبيل لخروجه منها أو تزلزله.

١٦٢٦ ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]:
مفارقة الأبدان لأماكن المعصية لون من الإنكار، وراحة لقلوب الأبرار، وصيانة لها من التعلق بالأوزار.

١٦٢٧ ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: ١٦]:
سبحان من جعل السعادة في كهف، والشقاء في قصر..سعادتك من داخلك لا من خارجك!

١٦٢٨ ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ [الكهف: ١٨]:
كلبٌ حرَس الصالحين وليس منهم، فخلّد الله ذكره في كتابه، والرسالة: سِر مع الصالحين وإن لم تكن منهم: (هم القوم لا يشقى جليسهم).

١٦٢٩ قال القشيري: «كلبٌ خطا مع أحبّائه خطوات، فإلى يوم القيامة يقول الصبيان بل يقول الحق سبحانه: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾، فهل ترى أن مسلمًا يصحب أولياء الله من وقت شبابه إلى وقت مشيبه، يردُّه الله يوم القيامة خائبًا؟! إنه لا يفعل ذلك.

١٦٣٠ ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾[الكهف: ١٨]:
الوصيد هو الباب. قال ابن كثير: «وكان جلوسه خارج الباب؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب كما ورَد في الصحيح».

١٦٣١ ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[الكهف: ١٨]:
قال ابن القيم: «الغفلة نوم القلب، ولهذا تجد كثيرًا من الأيقاظ في الحس نيامًا في الواقع».

١٦٣٢ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[الكهف: ١٨]:
اذا كنتَ مع الله، فستشملك رعايته في كل لحظة حتى في تقلبك أثناء نومك.

١٦٣٣ ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: ١٩]:
في الحديث: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود» صحيح الجامع رقم: ٩٤٣ .

١٦٣٤ ﴿ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾[الكهف: ١٩]:
قال ابن عباس: أحلُّ ذبيحة، وكانوا يذبحون للطواغيت أو يذبحون الخنازير.

١٦٣٥ مطارَدون ومهدَّدون بالقتل، ومع هذا (أحرص) على (أزكى) طعام أي أكثره حلالًا، وليس أي طعامٍ حلال.. ما أجمل أن تقتدي بهؤلاء!

١٦٣٦ ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ ﴾[الكهف: ٢٠]:
لا تتعجَّب: هناك في هذا العالم المتحضِّر من يرغب في قتلك وتمزيقك بأبشع طريقة، فقط لأنك مسلم.

١٦٣٧ نتيجة ظهور أهل الكفر على أهل الإسلام إما القتل أو الردة، وهو ما حدث ويحدث وسيحدث في كل زمان.

١٦٣٨ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]: لا تهتم كثيرًا بالشكليات، وركِّز على جوهر الموضوع وأصله.

١٦٣٩ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]: قال القرطبي: «عاتب الله نبيه ﷺ على قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذي القرنين: غدًا أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثنِ في ذلك، فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يومًا حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرّجة. وأمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور إني أفعل غدًا كذا وكذا، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله».

١٦٤٠ ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]:

أي: لا تقولن سأفعل غدًا شيئًا إلا مع قولك (إن شاء الله)، وإذا نسيت ذكر المشيئة، ثم تذكرتها، فقلها عند تذكرك واستدرك.

١٦٤١ ذكر الله هنا ما يعينك على التذكر. كان ابن تيمية يقول كما يحدِّث عنه أحد تلامذته: «إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي، فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر، وينحلَّ إشكال ما أشكل».

١٦٤٢ ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]:

هذا تعجب من سعة علم الله ومدحٌ لقدرته، فكأنه قال: ما أبصر الله وأسمَعَه!

١٦٤٣ قال قتادة: لا أحد أبصر من الله و لا أسمع !! فلا تقلق والله يرعاك ويسمعك ويراك.

١٦٤٤ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]:

صُحبة الصالحين تحتاج إلى صبر، ولا بد من عدم مفارقتهم ولو للحظة: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، فالالتفات لغير الصالحين قد يودي بصلاحك.

١٦٤٥ ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]:

أعظم علاج للغفلة: ذكر الله، لكنه ليس أي ذكر، إنما ذكر القلب؛ لأن الغفلة مصدرها القلب، وليس من الحكمة أن تعالج القنوات وتترك العين وأصل الداء.

١٦٤٦ ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]:

قال أبو حامد الغزالي: «الفاسق المُصِرُّ على الفسق، فلا فائدة في صحبته؛ لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تُؤمَنُ غائلتُه، ولا يوثَق بصداقته، بل يتغيَّر بتغيُّر الأغراض».

١٦٤٧ ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[الكهف: ٢٨]:
ضيَّق الظالمون على المؤمنين في الدنيا، وحاصروهم في أرزاقهم وأوطانهم، وأحاطوهم بسرادقات الإيذاء والعناء، فعاملهم الله بالمثل، وضيَّق عليهم في الآخرة، وأحاطهم بسرادقات النار.

١٦٤٨ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾[الكهف: ٣١]:
من يحليهم بالأساور؟ أهي الحور العين؟ أم الملائكة؟ أم الولدان المخلدون؟ أم هو الله جل جلاله؟ أطلق لها خيالك!

١٦٤٩ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]: قال السعدي: «فأي تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب».

١٦٥٠ ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[الكهف: ٤٤]:
(خَيْرٌ ثَوَابًا) لأن غير الله يثيب على العمل بمثله، ولكن الله يثيب عليه بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، (وَخَيْرٌ عُقْبًا) جلَّ جلاله؛ لأن من تولاه الله فاز في الدنيا والآخرة.

١٦٥١ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]:
كلمة (زِينَةُ) أي: ليست من ضرورات الحياة، بل مجرد شكل وزخرف؛ فالمؤمن يعيش سعيدًا راضيًا بما قسم الله له حتى لو كان بلا مال ولا ولد؛ بينما يشقى بعضهم بماله أو ولده.

١٦٥٢ ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]:
لأن المال والبنون لن يدخلا القبر معك، ولن يمنعا عنك العذاب، ولن ينفعك إلا الباقيات الصالحات.

١٦٥٣ ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ ﴾ [الكهف: ٤٦]:

معنى هذا أن ما قبلها لم يكُنْ من الباقيات بل زائل بزوال الدنيا، ووصف الباقيات لا يستحقه إلا ما ينفع في الآخرة.

١٦٥٤ قال عبد الله بن مسعود عن الصدقة: «من استطاع منكم أن يضع كنزه حيث لا يأكله السوس، ولا يناله السَّرَق فليفعل».

١٦٥٥ ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾[الكهف: ٤٩]:

ويلنا من هذا الويل! قال التابعيُّ عون بن عبد الله: «ضجَّ والله القوم من الصِّغار قبل الكبار!».

١٦٥٦ ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾[الكهف: ٥٢]:

والموبق هو المهلك، أي أن الله جعل بين المشركين ومن اتخذوهم شركاء تواصلًا في الدنيا كان سبب هلاكهم في الآخرة، وذكر الإمام الرازي أن بعض المشركين اتخذوا من عيسى عليه السلام والملائكة آلهة، فدعوهم يوم القيامة فلم يستجيبوا لهم، ثم حيل بينهم وبين عيسى والملائكة، وأُدخِل عيسى الجنة، وصارت الملائكة إلى حيث أراد الله من دار الكرامة، ثم حصل بين أولئك الكفار وبين الملائكة وعيسى عليه السلام هذا الموبق، وهو وادٍ في جهنم.

١٦٥٧ ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣]:

تُعرَض عليهم النار ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، فيكون في ذلك عذاب نفسي معجَّل بالهم والرعب، قبل العذاب الحسي في النار. قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك»

١٦٥٨ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[الكهف: ٥٤]:

لا يجوز التعلل بالقدَر لتبرير ذنب أو القعود عن طاعة، وفي الصحيح أن النبي ﷺ طرق عليًا وفاطمة ليلًا فقال: ألا تصليان!؟ فقال علي: يا رسول الله .. إنما

أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فانصرف رسول الله حين قلت له ذلك ولم يرجع إلي شيئًا، ثم سمعته يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

١٦٥٩ قال ابن عمر: «ولن يصيب رجل حقيقة الإيمان حتى يترك المراء وهو يعلم أنه صادق، ويترك الكذب في المزاحة».

١٦٦٠ في النفس رغبة جامحة في الجدال والخصام، لذا فقاومها بهذا الحديث: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحِقًّا» صحيح الجامع رقم: ١٤٦٤.

١٦٦١ قال مهدي بن ميمون: سمعت محمدًا -يعني ابن سيرين- وماراه رجل في شيء- فقال محمد: «إني أعلم ما تريد؛ وأنا أعلم بالمراء منك؛ ولكني لا أماريك».

١٦٦٢ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]: مسألة وقت!!

١٦٦٣ ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]:

أصدر القرار، وأخفى موعد التنفيذ!!

١٦٦٤ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]: في مسند أحمد والترمذي: «من فرَّق بين والدة وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» صحيح الجامع رقم: ٦٤١٢

١٦٦٥ ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]:

فيه استحباب إطعام الإنسان خادمه من طعامه، وأكلهما سويًا؛ لأن هذا ظاهر قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ بصيغة الجمع، مما يدل على أنهما أكلا جميعًا.

١٦٦٦ ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]:

قال القرطبي: «وفي هذا دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط».

١٦٦٧ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥]:
قدَّم الرحمة على العلم، فلولا رحمتنا به ما علِم شيئًا.

١٦٦٨ أو المراد أن كل علم لا تصحبه الرحمة بالخلق فهو عين الجهل.

١٦٦٩ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[الكهف: ٦٨]:
سبب قلة الصبر هو قلة العلم، ولو زاد علم العبد بحكمة الرب ولطفه به لصَبَر.
مظهر من مظاهر أدب المعلِّم مع تلميذه. حيث التمس له العُذْر مقدَّما إن اعترض عليه.

١٦٧٠ ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾[الكهف: ٧١]:
كم خُرِقت لنا في بحر الحياة سفن، فنجانا الرحمن بها من شر أكبر وضرر أعظم! ولم نعرف ذلك إلا بعد حين.

١٦٧١ فيه إشارة إلى أن قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، ولا تتحمل الصبر عليه، فموسى مع أنه وعد الرجل الصالح بالصبر على ما يراه منه، إلا أنه لم يصبر على المنكر حين رآه.

١٦٧٢ قال القاسمي: «ولم يقل (لتغرقنا) فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول (نفسي نفسي) لا يلوي على مال ولا ولد. وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم».

١٦٧٣ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾[الكهف: ٧١]،
﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾[الكهف: ٧٤]: في خرق السفينة استعمل كلمة ﴿إِمْرًا﴾، وهو الأمر العجب، وفي قتل الغلام استعمل شيئا ﴿نُّكْرًا﴾، والذي لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل أو الدين، لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي هلك.

١٦٧٤ ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[الكهف:٧٤]:
قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبَر لرأى من صاحبه العَجَب»
صحيح الجامع رقم: ٣٥٠١ .. الصبر مفتاح باب العلم، ومن أسباب مزيده.

الجزء السادس عشر
من سورة الكهف الآية ٧٥
إلى سورة طه الآية ١٣٥
عدد الفوائد ١٠٧

١٦٧٥ ﴿ اَسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾[الكهف:٧٧]:

لم يقل: فأبوا أن يطعموهما، بل قال:﴿ فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾، وفرق بين الإطعام والضيافة، فقد أبى القوم الضيافة، وهي تعني كل ما يمكن أنْ يُقدَّم للضيف ولو كان مجرد الاستقبال والإيواء، وهذا يدل على شدة بخلهم ولؤم طباعهم

١٦٧٦ ﴿ فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾[الكهف:٧٧]:

أبى القوم ضيافة نبي وولِيّ، فلا تبتئس إن لم يعرف الناس قدرك، ويكفيك معرفة الله لك، وصدق القائل:

فإنْ رُدِدتَ فما في الرد منقصةٌ عليك، قد رُدَّ موسى قبل والخضر

١٦٧٧ ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾[الكهف:٨٠]:

قال قتادة: «قد فرح به أبواه حين وُلِد، وحزنا عليه حين قُتِل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤٌ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب».

١٦٧٨ ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[الكهف:٨١]:

حقَّق صفات الابن الصالح:

﴿ زَكَوٰةً ﴾: صلاحا وطهارة واستقامة.

﴿رُحْمًا﴾: رحمة بوالديه.

١٦٧٩ ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ ﴾[الكهف:٨١]:

الفقد قد يفتح بابًا أروع من أبواب العطاء!

١٦٨٠ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾:

كل ما يجري حولك هو تنفيذٌ لإرادة الله، والواجب عليك أن تتعرف على حكمته في أقداره، ورحمته في أفعاله.

١٦٨١ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[الكهف:٨٢]:

قال عمر بن عبد العزيز: «ما من مؤمن يموتُ إلاَّ حفظه الله في عقبه وعقبِ عقبه (أولاده وأحفاده)».

١٦٨٢ قال محمد بن المنكدر: «إن الله تعالى يحفظ المؤمن في ولده وولدَ ولده، ويحفظه في دُويرته وفي دُويراتِ حوله، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم».

١٦٨٣ قال سعيد بن المسيب: «يا بني .. إني لأزيد في صلاتي من أجلك، رجاءَ أن أحفَظ فيك»، وتلا الآية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.. اجعل لصلاتك اليوم نيات عديدة!

١٦٨٤ تبلى عظامك، وتذروك الرياح، ولا يزال أثر صلاحك باقيًا في دنيا الناس عن طريق ذريتك..اللهم ارزقنا هذا النسل المبارك.

١٦٨٥ حين أتكاسل عن الطاعة أتذكر أبنائي ومصائب الدنيا، وأتأمل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، وكيف أن صلاحه كان سبب حفظ كنزهم وتأمين مستقبلهم، فأرحمهم وأجتهد.

١٦٨٦ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[الكهف:٨٣]:

قال البقاعي: «كانت قصة موسى مع الخضر مشتملة على الرحلات من أجل العلم، وكانت قصة ذي القرنين مشتملة على الرحلات من أجل الجهاد في سبيل الله، ولما كان العلم أساس الجهاد تقدمت قصة موسى والخضر على قصة ذي القرنين».

١٦٨٧ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾[الكهف:٩٥]:

ما بسطه الله لي من النعم والمال خيرٌ من مالكم الذي تعرضون عليَّ، فوفِّروا أموالكم.

١٦٨٨ ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:٩٥]:
المصلح لا ينوب عن الأمة في الإصلاح، لكن يقودها ويتقدمها.

١٦٨٩ تلاحم القائد مع الجنود، ومشاركته لهم من أسباب بث الحماسة في صفوفهم وتقديمهم أفضل ما لديهم.

١٦٩٠ لم يكن موقفه أن يدافع عنهم، بل أن يعلِّمهم كيف يدافعون عن أنفسهم، ويورِّثهم أسباب القوة ليستعملوها إن غاب عنهم.

١٦٩١ ﴿تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف:٩٤]. ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٥]:
الردم أكبر من السد وأوثق، فلمروءته وكرمه وعدهم بأكثر مما طلبوه، ووفَّى بوعده.

١٦٩٢ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨]:
نسب ذو القرنين هذا العمل العظيم الذي قام به إلى رحمة الله، فلم يأخذه غرور وعُجْب، بل تبرأ من حوله وقوته، ونسب الفضل كلَّه لله.

١٦٩٣ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف:١٠١]:
قال ابن القيم: «وهذا يتضمن معنيين.
- أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده، وعجائب قدرته.
- والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به».

١٦٩٤ ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨]:
ساكن شقة سكنية يتمنى التحول إلى (فيلا)، فإذا تملَّكها تمنى (قصرًا)، فإذا تملَّك القصر تمنى وتمنى.. أما ساكنو الجنة فهؤلاء ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

١٦٩٥ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨]:
طبيعة الإنسان أنه ملول، فماذا يفعل مع الخلود؟! اطمئن فالجنة محصَّنة ضد الملل والسأم والرغبة في التغيير أو التطلع إليه.

١٦٩٦ رغم التفاوت العظيم في درجات الجنة حتى تصل إلى مائة درجة، لكن لا أحد يتمنى غير منزلته. في صحيح مسلم: «آخر من يدخل الجنة رجلٌ... »، إلى أن قال على لسان هذا الرجل: «لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين».

١٦٩٧ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]: عن مجاهد يقول: قال رجل: يا رسول الله .. أرأيت الرجل يتصدق بالصدقة، يلتمس بها وجه الله، ويحب أن يُقال له خيرًا، قال: فنزلت هذه الآية. ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

١٦٩٨ قال الفضيل بن عياض: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، الخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ﴾.

سورة مريم

١٦٩٩ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢]:
كلما زادت عبودية العبد تدفقت رحمات الرب.

١٧ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]:
فيه فضل الدعاء الخفي، وأنه أفضل من الدعاء الجهري، وهذا عام في جميع العبادات، كالقراءة والصدقة والقيام، فما كان سرًّا فهو أفضل، إلا إذا كان في الإعلان مصلحة.

٠ قال ابن القيم: «وكم من صاحب قلب وحال مع الله تعالى قد تحدث بها، وأخبر بها، فسلبه إياها الأغيار، ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله تعالى، وألا يطلع عليه أحد».

١٧٠٢ ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[مريم: ٤]:

أي أنك عوَّدتني إجابتك. قال القرطبي: «وهذه وسيلة حسنة، أن يتشفع إليه بنعمه، ويستدر فضله بفضله، يروى أن حاتم لقيه رجل فسأله، فقال له حاتم: من أنت؟ قال: أنا الذي أحسنت إليه عام أول (أي العام السابق)، فقال: مرحبًا بمن تشفَّع إلينا بنا».

١٧٠٣ لا يشقى مع الدعاء أحد! ولا يجتمع دعاءٌ مع شقاء.

١٧٠٤ قال سفيان بن عيينة: «سعِدتُ بدعائك وإن لَمْ تعطني!».

١٧٠٥ ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾[مريم: ٩]:

لا يموت أمل في قلبٍ وعى هذه الآية.

١٧٠٦ عند دعائك لا تطلب على قدر حاجتك، بل على قدر من تدعوه.

١٧٠٧ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾[مريم: ١١]:

مُنِعَ من الكلام، فدعا إلى الله بالإشارة! يا لها من هِمَم!

١٧٠٨ ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾[مريم: ١٤]:

قال وهب بن منبِّه: «إنَّ البرَّ بالوالدين يزيد في العمر».

١٧٠٩ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٣]:

ما معنى ﴿فَأَجَآءَهَا﴾؟! قال ابن عباس: أي ألجأها.

١٧١٠ ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[مريم: ٢٣]:

تمنت الموت، ثم أصبحت بعد ذلك أم (نبي)، فرُبَّ محبوب في مكروه، ومنحة في قلب محنة.

١٧١١ ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[مريم: ٢٥]:

لا تحقِر جهدًا مهما قلَّ، فالمهم أن تبذل ما تستطيع، لأن الله يجبر قصور العبد لا تقصيره.

١٧١٢ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾[مريم: ٢٨]:

قال ابن كثير: «أي يا شبيهة هارون في العبادة». انظر من تشبه اليوم، فسوف تُحشَر معه غدًا!

١٧١٣ ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾[مريم: ٣٠]:

قال الشنقيطي: «إن أول كلمة نطق لهم بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبد الله، وفي ذلك أعظم زجرٍ للنصارى عن دعواهم أنه الله أو ابنُه أو إلهٌ معه».

١٧١٤ ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾[مريم: ٣٢]:

هل أنت بارٌّ بوالدتك؟! قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله عز وجل من برِّ الوالدة».

١٧١٥ ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[مريم: ٣٣]:

أصعب ثلاثة أيام! قال سفيان بن عيينة: «أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم».

١٧١٦ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾[مريم: ٤٥]:

تعريف قرآني للحب! الحُبُّ أن تخاف على من تُحِب من عذاب الله، أن يستوجبه بتفريط في واجب أو وقوع في ذنب.

١٧١٧ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[مريم: ٤٧]:

من الحفاوة وهي الرأفة والرحمة والتكريم، وإن من أسباب إجابة الدعاء حُسْنَ الظن بالله عن طريق استشعار قلبك لهذه الحفاوة الربانية.

١٧١٨ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا * وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾

[مريم: ٤٧،٤٨]: أقصى (عقوبة) -إن جاز التعبير- من الابن لأبيه ولو كان كافرًا محاربًا- هو الدعاء له (وليس عليه) واعتزاله.

١٧١٩ ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾[مريم: ٤٩]:

من تركَ شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، ومن خيرٌ من نبيينِ مُرسلَيْن؟

١٧٢٠ ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾[مريم: ٥٥]:

إذا أردت أن تفوز بنفس الثناء، فكرِّر نفس الفعل مع أهلك! وناده‍م مع كل أذان: قوموا إلى الصلاة!

١٧٢١ ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[مريم: ٥٩]:

قال ابن تيمية: «قيل لابن مسعود وغيره: ما إضاعتها؟ فقال: تأخيرها عن وقتها، فقالوا: ما كنا نظن ذلك إلا تركها فقال: لو تركوها لكانوا كفارًا».

١٧٢٢ ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[مريم: ٦٢]:

ليس في الجنة ليلٌ ولا نهار، لكن المقصود مقدار البُكْرة ومقدار العشي من أيام الدنيا، أو وقت الغَداء ووقت العَشاء.

١٧٢٣ ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[مريم: ٦٤]:

* **سبب نزولها:**

سبب نزولها أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾.

١٧٢٤ ﴿ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾[مريم: ٦٥]:

زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، يعني: يصبر ثم يزيد فوق الصبر بالاصطبار، فالاصطبار للأشياء التي تتطلب استمرارًا ومداومة وقوة؛ لأن الهمم قد تتثاقل عن أداء النوافل مع مرور الأيام.

١٧٢٥ ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾[مريم: ٦٩]:

الجزاء من جنس العمل! من كان قائدًا إلى الضلالة والإفساد اليوم، فهو قائد نفس الجمع إلى النار غدًا..

١٧٢٦ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم: ٧١]:

كان عبد الله بن رواحة واضعًا رأسه في حجر امرأته، فبكى، فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فلا أدري أنجو منها، أم لا؟

١٧٢٧ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [مريم: ٧٢]:

التقوى سبب النجاة من كرب النار، ومن باب أَوْلى النجاة من كُرَب الدنيا.

١٧٢٨ ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾[مريم: ٧٦]:

قال أبو الحسن المزيِّن: «الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ عقوبة الذَّنب، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة».

١٧٢٩ قال ابن القيم: «فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جانبها: اعملني أيضًا، فإذا عملها قالت الثانية كذلك، وهلم جرًّا، فتضاعف الربح، وتزايدت الحسنات».

١٧٣٠ ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٨٤]:

فقط .. راقِب كيف ستكون نهاية الظالم!

١٧٣١ ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٨٤]:

قرأ المأمون هذه السورة، فمرَّ بهذه الآية وعنده جماعة من الفقهاء، فأشار برأسه إلى ابن السماك أن يعظه، فقال: «إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفد!».

١٧٣٢ كان ابن عباس- رضي الله عنهما- إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: «آخر العدد خروج نفسك. آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخول قبرك».

١٧٣٣ ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦]:

قال السعدي: «يُساقون إلى جهنم وِردًا، أي: عطاشًا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سَوْقُهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصَبِهم».

١٧٣٤ ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٠، ٩١]:

الجمادات أعقل من بعض البشر! قال ابن عباس: «إن الشِّرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق، إلا الثقلين».

١٧٣٥ ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]:

في الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلِّمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة».

١٧٣٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]: قال ابن المنكدر لأبي حازم: يا أبا حازم .. ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيرا قط! قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك، ولكن انظر الذي ذلك من قِبَله فاشكره، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ .

سورة طه

١٧٣٧ ﴿طه﴾ [طه: ١]:

من معاني كلمة (طه) ما ذكره القرطبي أن بعض العرب درَجَتْ على مناداة من تحب بكلمة طه، ودرجت بعض القبائل كذلك على مناداة الرجل العظيم المحترم بالكلمة نفسها طه، وكأن الله (في ضوء هذين المعنيين) ينادي رسوله الكريم محمدا ﷺ بأحب نداء وألطفه.

١٧٣٨ ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢]:

الشقاء والقرآن لا يجتمعان.

١٧٣٩ ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]:

قال سفيان بن عُيينة: «أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه».

١٧٤٠ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[طه: ١٧]:

ما فائدة هذا السؤال والله يعلم كل شيء؟

أجاب الرازي: «أن من أراد أن يُظهر من الشيء الحقير شيئًا شريفًا، فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم: هذا ما هو؟ فيقولون: هذا هو الشيء الفلاني، ثم إنه بعد إظهار صفته الفائقة فيه يقول لهم: خذا منه كذا وكذا، فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة كانقلابها حية، وكضربه البحر حتى انفلق، وفي الحجر حتى انفجر منه الماء، عرضه أولًا على موسى، فكأنه قال له: يا موسى .. هل تعرف حقيقة هذا الذي بيدك، وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع، ثم إنه قلبه ثعبانًا عظيمًا، فيكون بهذا الطريق قد نبَّه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته من حيث إنه أظهر هذه الآيات العظيمة من أهون الأشياء عنده».

١٧٤١ ﴿اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾[طه: ٣١]:

آزر الله موسى بأخيه هارون، وأعان عمر بن عبد العزيز بابنه عبد الملك وغلامه مزاحم، وأمد صلاح الدين بالقاضي الفاضل.. حتى أتقى الأتقياء بحاجة لصحبة!

١٧٤٢ ﴿هَٰرُونَ أَخِى * اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣٠، ٣١]:

موسى وهو من أولي العزم من الرسل احتاج صاحبًا يعينه، فكيف بك؟ هل لك صاحب يعينك؟!

١٧٤٣ ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣، ٣٤]:

هذه أسمى مقاصد الأخوة، وعلامات الحب في الله، أن تعين أخاك على طاعة الله وذكره.

١٧٤٤ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[طه: ٣٩]:

المحبة رزق رباني، وليس بحاجة لسبب، فموسى الطفل الرضيع لم يصدر منه ما يوجب المحبة، ومع ذلك أحبه كل من رآه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه.

١٧٤٥ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [طه: ٤٠]:

القاتل مغموم لا يفارقه غمُّه حتى يموت!

١٧٤٦ ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: ٤٢]:

لا تترك الذكر في أي حال، وأحوج ما تكون إلى الذكر في مواجهة الشدائد، وعند مقابلة ما تخاف.

١٧٤٧ ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]:

قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: «هذا رفقك بمن يقول أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله؟!».

١٧٤٨ ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]:

دخل رجلٌ من الزهاد على هارون الرشيد يومًا، فقال: يا هارون، اتقِ الله، فأخذه فخلا به، وقال: يا هذا أنصفني، أنا شرٌّ أم فرعون؟ قال: بل فرعون، قال: فأنت خير أم موسى؟ قال: بل موسى، قال: أفما تعلم أن الله تعالى لما بعثه وأخاه إليه قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]

١٧٤٩ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦]:

أعظم ما يطرد الخوف من قلبك استشعار معية الله ومعونته.

١٧٥٠ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]:

إعلان خيبة المفتري منشور على صفحات القرآن!

١٧٥١ ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢]:

لم يمضِ على إيمانهم سوى دقائق، ومع ذلك عرفوا حقيقة الدنيا، وحقارتها بجوار نعيم الآخرة.

١٧٥٢ ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]:

حياة أهل النار: لا مع الأموات فيستريحون، ولا مع الأحياء فيسعدون !

١٧٥٣ ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]:

قال ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك قال: إن رضا الرب في العجلة إلى أوامره».

١٧٥٤ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨]:

لما رأى بنو إسرائيل العجل الذي صنعه لهم السامري قالوا: هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه، فإن موسى نسي إلهه هنا، وذهب يبحث عنه في مكان آخر! وهذا دليل فجور اليهود وبلادة فهمهم وسوء أدبهم مع ربهم ونبيهم، فلم يكتفوا بعبادة العجل، بل زعموا أن نبيهم كان يعبده، وأنه قد نسي مكانه، فذهب للبحث عنه!

١٧٥٥ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٠]:

قال الرازي:

«واعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه؛

لأنه زجرهم عن الباطل- أولًا- بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾

ثم دعاهم إلى معرفة الله- ثانيًا- بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾

ثم دعاهم- ثالثًا- إلى معرفة النبوة بقوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾

ثم دعاهم- رابعًا- إلى الشرائع بقوله: ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾.

وهذا هو الترتيب الجيد؛ لأنه لا بد قبل كل شيء من إماطه الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات، ثم معرفة الله تعالى هي الأصل، ثم النبوة، ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب على أحسن الوجوه».

١٧٥٦ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه: ٩٤]:

عدل هارون عن ندائه بـ (يا أخي) إلى ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾؛ لأن ذكر الأم فيه تذكير بأواصر الأخوة، وهذا من شأنه أن يهدئ من غضب موسى.

١٧٥٧ ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾[طه: ٩٧]:

الجزاء من جنس العمل، فكما أن السامري مسَّ ما لا يحل له من أثر الرسول جبريل عليه السلام، فقد عوقب بأن لا يَمس أحدًا من الناس و لا يمسه أحد، وكما أراد بالعجل الذي صنعه أن يجمع الناس حوله، فعاقبه الله بعكس مقصوده، فلا يتواصل معه أحد.

١٧٥٨ ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾[طه: ١٠٤]:

أي يقول أعلمهم بالأمور: إن لبثتم في الدنيا إلا يومًا.. ما أحقر الدنيا وأقصرها!

١٧٥٩ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[طه: ١١١]:

والعاني هو الأسير، والعناء هو الذُّل، وتخصيص الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة، وآثار الذل أول ما تظهر فيها، وهو تمثيلٌ لحال المجرمين يوم القيامة.

١٧٦٠ ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[طه: ١١٢]:

الفرق بين الظلم والهضم: أن الظلم يكون بمنع الحق كله، أما الهضم فهو منع بعض الحق، والآية بشَّرت المؤمنين أن الله سيوفّيهم أجورهم يوم القيامة دون أدنى نقص، فالتنكير في قوله ﴿ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ للتقليل.

١٧٦١ ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾[طه: ١١٣]:

كرَّرنا ونوَّعنا ألوان الوعيد، وهذا من رحمة الله بعباده، ليزجرهم عن التمادي في العصيان، وفيه ردٌّ على من يجتنب من الدعاة خطاب الترهيب والوعيد.

١٧٦٢ قال السعدي: «أي: نوَّعْناها أنواعًا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثلات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنوع العقاب وأصناف العذاب».

١٧٦٣ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [طه: ١١٤]:

تمهل في قراءتك، وعلى رسلك، فلربما تجد في طيات حروفه رسالة ربانية خاصة بك، تشفي صدرك، وتمحو قلقك.

١٧٦٤ كان ﷺ إذا ألقى عليه جبريل عليه السلام القرآن يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة خوفًا أن يصعد عليه السلام ولم يحفظه صلّى الله عليه وسلّم، فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك؛ إذ ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها، ونزل عليه أيضًا ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ﴾ [القيامة: ١٦].

١٧٦٥ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]:

من شرف العلم أن النبي ﷺ ما أُمِر بطلب الزيادة من شيء سوى العلم، وكان ﷺ يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علما».

١٧٦٦ كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: «اللهم زدني إيمانًا ويقينًا».

١٧٦٧ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]: لم قابل الجوع بالعري، والظمأ بالضحى؟! قال ابن القيم: «لأن الجوع ألم الباطن والعري ألم الظاهر، فهما متناسبان في المعنى، وكذلك الظمأ مع الضحى؛ لأن الظمأ موجب لحرارة الباطن، والضحى موجب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية نفي جميع الآفات ظاهرًا وباطنًا».

١٧٦٨ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه:١٢١]:

تركُ المأمورِ أشدُّ خطرًا مِن فعل المحظور؛ وفعل المأمور أحب إلى الله من ترك المحظور، وذنبُ آدم عليه السلام كان بفعلِ المحظورِ، فكان عاقبته أن اجتباه ربُّه، فتابَ عليه وهدَى، وذنبُ إبليس كان بتركِ المأمور، فكان عاقبتُه ما ذكَر اللهُ سبحانه من معاقبته.

١٧٦٩ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]:

قال ابن عباس: «فضمِن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة».

١٧٧٠ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه: ١٢٤]:

قال الإمام ابن كثير: «أي في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة».

١٧٧١ ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٦]:

النسيان في الآية هو الترك، أي تُترَك في العذاب وكأنك منسيٌّ.

١٧٧٢ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]:

أرشد الله نبيه إلى ما يشرح صدره، ويجلو همَّه، ويفرِّج كربه.

١٧٧٣ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[طه: ١٣٠]:

ارتباط (التسبيح) و (الرضا) ارتباط وثيق، فالتسبيح سائر اليوم من أسباب الرضا النفسي، ويؤكِّده قول الله في آخر سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ولم يبقَ إلا أن تجرِّب؟!

١٧٧٤ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[طه: ١٣١]:

تشبيه الحياة الدنيا بالزهرة إشارة إلى قصر الدنيا، فكم تعيش الزهرة قبل أن تذبل وتموت؟!

١٧٧٥ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ١٣١]:

مدُّ النظر هو تطويله فلا يكاد صاحبه يرده استحسانًا للمنظور إليه، وإعجابًا به، وتمنيًا أن يكون له، فلا تمد نظرك لنعيم الدنيا، وانظر إلى ما زادك الله في الدين.

١٧٧٦ كان عروة بن الزبير إذا رأى شيئًا من أخبار السلاطين وأحوالهم بادر إلى منزله فدخله، وهو يقرأ الآية: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ..﴾، ثم ينادي بالصلاة: الصلاة يرحمكم الله، ويصلي.

١٧٧٧ ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [طه: ١٣١]: قال ابن رجب:

«مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله عز وجل، وتُعظِّم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب السخط بالرزق، ومدَّ العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله عز وجل نبيه عن ذلك فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٣١].

١٧٧٨ ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]:

قال القشيري: «القليل من الحلال- وفيه رضاء الرحمن- خير من الكثير من الحرام والحطام، ومعه سخطه، ويُقال: قليلٌ يُشهِدك ربَّك خيرٌ من كثيرٍ يُنسيك ربَّك».

١٧٧٩ سين: لم قال رزق ربك مع أن الرزق كله رزق الله؟! جيم: إضافة الرزق لله إضافة تشريف، وإلا فالرزق كله من الله، لكن رزق الكافرين والفاسقين لما صاحبه غضب الله ومخالفة أمره، جُعِل كالمنكور انتسابه إلى الله، وجُعِل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران والعصيان.

١٧٨٠ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]:

كان عمر بن الخطاب ﷺ يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ويقول لهم: الصلاة، الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾.

١٧٨١ ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ [طه: ١٣٢]:

قال ابن جزي: «أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرَّغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة (فقر) قال: قوموا فصلوا.. بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية».

الجزء السابع عشر
من سورة الأنبياء الآية ١
إلى سورة الحج الآية ٧٨
عدد الفوائد ١٠٤

سورة الأنبياء

١٧٨٢ ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾[الأنبياء: ١]:
احذر .. الموت يقترب والغفلة كما هي.

١٧٨٣ ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ ﴾[الأنبياء: ٢]:
أتاك الذكر دون أن تتعب في الوصول إليه، وصلك وأنت متكئ على سريرك، أو مستريح على أريكتك، مع أنه الذي ينبغي أن يؤتى، وتُقطَع إليه المسافات، فأي تدليل هذا ؟وأي عناية؟!

١٧٨٤ ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾[الأنبياء :٦]:
طلبوا منك آية كونية كالتي جاء بها الأنبياء الذين سبقوك، ولما لم يؤمن بها أقوامهم أهلكناهم، ولو أعطيناك نفس الآيات ولم يؤمنوا بها لأهلكناهم كما أهلكنا السابقين؛ لذا كان من رحمتنا أن نمنع عنهم ما طلبوه، وإلا هلكوا.

١٧٨٥ ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾[الأنبياء :٦]:
أي أن الكافرين من أمتك- يا محمد- لن يؤمنوا بالخوارق التي طلبوها متى جاءتهم؛ لأنهم لا يقلون عتوًا وعنادًا عن من سبقهم، فأهلكهم الله.

١٧٨٦ ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ ﴾[الأنبياء :١٠]:
أي شرفكم وعزكم، يعلّمنا الله أن العز الحقيقي بالقرآن والإيمان لا بالأموال والتطاول في البنيان والعمران.

١٧٨٧ بقدر عنايتك بالقرآن تزداد عزًا وشرفًا عند الله وعند الناس.

١٧٨٨ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأنبياء ١٨]:
الحق قذيفة تمزِّق الباطل وتُجهِز عليه، بشرط أن يكون الحق حقًّا كاملًا، والباطل باطلًا كاملًا.

١٧٨٩ الباطل يحمل بذور فنائه! قال الآلوسي: «وفي (إذا) الفجائية، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ زَاهِقٌ﴾ من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى، فكأنه زاهق من الأصل».

١٧٩٠ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]: ﴿إِلَّا﴾ هنا صفة بمعنى غير، وليست إلا الاستثنائية كما يتبادر إلى الذهن.

١٧٩١ ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [الأنبياء: ٣٠]: الفتق هو الفصل بين الشَّيئين، والرَّتق: عكس الفَتْقِ وهو الالتئام، فإن قيل: لم يرَ الكافرون السماوات والأض حين كانتا رتْقًا؟ فالجواب: أن القرآن -وهو المعجزة الخالدة- قام إخباره بذلك مقامَ المرئيِّ المشاهد، وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي التي قررت مسألة لم تكن معروفة يومئذٍ.

١٧٩٢ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]:
قال القرطبي: «نزلت حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون، وذلك أن المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون: شاعر نتربص به ريب المنون، ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان، فقال الله تعالى: قد مات الأنبياء قبلك يا محمد، وتولى الله دينه بالنصر والحياطة، فهكذا نحفظ دينك وشرعك».

١٧٩٣ ﴿ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]:
للإنكار والنفي، ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال:

تمنى أناس أن أموت، وإن أمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهيَّأ لأخرى مثلها، وكأن قد

١٧٩٤ ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء:٣٥]:

قال سيد قطب: «إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، فكثيرون يصمدون أمام الابتلاء بالشر، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير.

كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف، وقليلون هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة.

كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان، فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل. وقليلون هم الذين يصبرون على الثراء ومغرياته وما يثيره من أطماع.

كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح، وقليلون هم الذين يصبرون على الدعة، ولا يصابون بالحرص الذي يذل أعناق الرجال».

١٧٩٥ قال ابن زيد: «نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون».

١٧٩٦ البلاء ليس بالضرورة أن يكون شرًّا، فالبلاء امتحان، فإن نجحت فيه كان خيرًا، وإن لم تنجح كان شرًّا، ولما نجح إبراهيم في الامتحان كافأه الله بالإمامة فقال: ﴿وَإِذِ ابتلى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

١٧٩٧ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[الأنبياء:٣٧]:

لما ذكر الله المستهزئين برسوله ﷺ وقع في نفوس الصحابة سرعة انتقام الله من المستهزئين، فأخبرهم بسنته في الإمهال، وأنه سيريهم آيات انتقامه وعلامات اقتداره على من خالف أمره وعصاه.

١٧٩٨ ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:٤٢]:

ذكر الله هو الذي يحفظك، ومن أعرض عن الذكر فقد نزع حماية الله عنه.

1799 ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[الأنبياء :٤٤]:

أخرج مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زويَ لي منها».

١٨٠٠ ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾[الأنبياء: ٤٥]:

قال قتادة: «إن الكافر قد صُمَّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به، ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان».

١٨٠١ ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٦]: هذا ألَمُ نفحة، فكيف بألم من غُمِسَ في النار غمسًا؟!

١٨٠٢ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[الأنبياء :٤٧]:

قال القرطبي: «يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزانًا توزن به أعماله، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة.

١٨٠٣ وقيل: يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله».

١٨٠٤ ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء :٦٩]:

عناية الله حين تطال عبدًا! قال كعب: «ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه».

١٨٠٥ أتى جبريل - عليه السلام- إلى إبراهيم، فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم!!

١٨٠٦ قال ابنُ عطاء: «وكنْ أيُّها الأخ إبراهيميًّا إذْ زُجَّ به في المنجنيق، فتعرَّض له جبريل فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما إلى ربي، فبلى.

١٨٠٧ فانظرْ كيف رفع هِمَّتَهُ عن الخلق، ووجَّهَهَا إلى الملك الحقِّ، فلم يستغث بجبريل، ولا احتال على السؤال، بل رأى رَبَّهُ تعالى أقربَ إليه من جبريل ومن سؤاله، فلذلك سَلَّمَهُ من نمرودَ ونكاله، وأنعم عليه بنواله وأفضاله».

١٨٠٨ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء: ٧٢]:

قال القرطبي: «أي زيادة، لأنه دعا في إسحاق، وزيد يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلة، أي زيادة على ما سأل»، فاصدق مع الله في الطلب، وسيعطيك فوق ما تمنيت.

١٨٠٩ ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾[الأنبياء :٧٨]:

ذكر المفسِّرون رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب زرع، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع لداود: إن غنم هذا قد نفشت في حرثي، فلم تُبقِ منه شيئًا، فحكم داود لصاحب الزرع أن يأخذ غنم خصمِه في مقابل إتلافها لزرعه، ثم التقيا بسليمان- عليه السلام- فأخبراه بحكم أبيه، فدخل سليمان على أبيه فقال له: يا نبي الله، إن القضاء غير ما قضيت، ادفع الغنم إلى صاحب الزرع لينتفع بها، وادفع الزرع إلى صاحب الغنم ليقوم عليها حتى يعود كما كان، ثم يعيد كل منهما إلى صاحبه ما تحت يده، فيأخذ صاحب الزرع زرعه، وصاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت يا سليمان.

١٨١٠ ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾[الأنبياء :٧٩]:

هو صاحب الحكم الأنسب في هذه القضية؛ لأن داود اتجه في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث، وهذا عدل فحسب.

١٨١١ أما حكم سليمان فقد تضمن مع العدل البناء والتعمير، وهذا هو العدل الإيجابي في صورته الهادفة البانية.

١٨١٢ الله هو سبب كل خير! كان بعض الصالحين يدعو: يا مُعلِّم إبراهيم علِّمني، ويا مفهِّم سليمان فهِّمني.

١٨١٣ ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾[الأنبياء :٨٠]:

مرَّ النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، فوقف واستمع إليه وقال: « لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»، وفي رواية: «أما إنِّي لو عَلِمْتُ بِمَكانِك لَحَبَّرْتُهُ لك تحبيرًا».

١٨١٤ والتحبير: التحسين والتزيين، وفي هذا جواز تحسين الصوت وتجويد التلاوة لأجل انتفاع السامعين.

١٨١٥ قال صاحب الكشاف: «فإن قلتَ: لم قدَّم الجبال على الطير؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب، وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق، رُوِيَ أنه كان يمر بالجبال مسبحًا وهي تجاوبه، وقيل: كانت تسير معه حيث سار».

١٨١٦ ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾[الأنبياء:٨٣]:

تعلم أدب الطلب وفن الخطاب، وكأنه قال لربه: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي.

١٨١٧ نسب الضر والمرض للمجهول تأدبًا مع الله، ولما أراد الخير نسبه إلى رحمة الله: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

١٨١٨ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٣]:

قال صاحب الكشاف: «ألطف- أيوب- في السؤال، حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب. ويحكى أن عجوزًا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين، مشت جرذان- أي فئران- بيتي على العصى!! فقال لها: ألطفت في السؤال، لا جرم لأجعلنها تثب وثب الفهود، وملأ بيتها حبًّا».

١٨١٩ قال ابن القيم: «جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في المتملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مرات ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره».

١٨٢٠ ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء:٨٤]:

لم خص العابدين بالذكر؟! قال ابن كثير: «وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء أنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك».

١٨٢١ قال القرطبي: «ابتليناه ليعظم ثوابه غدًا، ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ أي وتذكيرا للعباد، لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحنته له -وهو أفضل أهل زمانه- وطَّنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيهًا لهم على إدامة العبادة، واحتمال الضرر».

١٨٢٢ وخص- سبحانه- العابدين بالذكرى؛ لأنهم أكثر الناس بلاء وامتحانًا. ففي الحديث الشريف: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل».

١٨٢٣ ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء ٨٧]: قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به ففُرِّج عنه؟ دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» صحيح الجامع رقم: ٢٦٠٥.

١٨٢٤ ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنبياء:٨٧]:

في ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل، ومع هذا: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾.. لا مستحيل مع الله!

١٨٢٥ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨]:

ليست ليونس وحده، بل لكل مؤمن دعا بدعاء يونس، وافتقر افتقار يونس، ليس الدعاء كلامًا باللسان بل حالا بالجنان.

١٨٢٦ ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٧]:

صحَّ عن حذيفة -رضي الله عنه- موقوفًا عليه: «يأتي عليكم زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغريق».

١٨٢٧ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]:

جاءت هذه الآية بعد ذكر دعاء الأنبياء واستجابة الله لهم، إرشادا لنا إلى طريق إجابة الدعاء الذي سلكوه: المسارعة إلى الخيرات، مع الدعاء وخشوع القلب.

١٨٢٨ ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[الأنبياء :٩٥]:

الكل سيرجع إلى الله تعالى ليجازيه بما يستحق يوم القيامة، وقد نفت الآية عن الأذهان ما قد يتبادر من أن هلاك الكافرين بالعذاب في الدنيا، قد ينجيهم من عقاب يوم القيامة.

١٨٢٩ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[الأنبياء:٩٨]:

قال السعدي: «والحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم».

١٨٣٠ ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[الأنبياء :٩٨]:

وفي إلقاء أصنامهم معهم في النار مع أنها لا تعقل، زيادة في حسرتهم وتبكيتهم؛ حيث رأوا بأعينهم مصير ما كانوا يتوهمون من ورائه المنفعة، فهو عذاب نفسي مع العذاب البدني الحسي.

١٨٣١ ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾[الأنبياء :١٠٠]:

أي وهم في جهنم لا يسمعون ما يريحهم، وإنما يسمعون ما فيه توبيخهم وعذابهم، فحتى السماع في النار لون من ألوان العذاب!

١٨٣٢ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾[الأنبياء: ١٠٢]:

وفي المقابل.. لا كدر للمؤمن في الجنة ولو بأدنى صوت، فالجنة انتهاء الألم وانتهاء الحزن وانتهاء الهم وانتهاء كل ما ينال من راحتك.

١٨٣٣ ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾[الأنبياء :١٠٣]:

المؤمنون غدًا في أمان وبلا أحزان! قال ابن عباس: الفزع الأكبر أهوال يوم القيامة والبعث، وقال الحسن: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار، وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو إذا أطبقت النار على أهلها، وذُبِحَ الموت بين الجنة والنار.

١٨٣٤ تنمحي كلمة الحزن من قاموس أهل الجنة ابتداء من يوم القيامة ووصولًا إلى حياة الأبد في الجنة.

١٨٣٥ ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[الأنبياء :١٠٣]:
هذا حفل استقبال ملائكي يليق بأهل الجنة، جاري الإعداد له من الآن!

١٨٣٦ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٤]: عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بموعظة، فقال: «يا أيها الناس .. إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾».

١٨٣٧ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] :
وعدٌ إلهي لا يتخلف، لكن المهم ألا تتخلف أنت عن ركب الصالحين.

١٨٣٨ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]:
قال: «تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم قبله».

١٨٣٩ قال ابن القيم:
«عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته.
أما أتباعه: فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.
وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عُجِّل قتلهم وموتهم خير لهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة.
وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته.
وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الايمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم.
وأما الأمم النائية عنه: فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته».

سورة الحج

١٨٤٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج: ١]:

بدأت سورة الحج بذكر يوم القيامة؛ لأن الحج هو أشبه مشاهد الدنيا بيوم الحشر.

١٨٤١ ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ [الحج: ٢]:

قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: لم قيل مُرْضِعَةٍ دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع: التي من شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة؛ ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عن إرضاعها».

١٨٤٢ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [الحج: ٣]:

هناك ارتباط عكسي بين العلم والجدال، كلما قلَّ (العلم) زاد (الجدال).

١٨٤٣ ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤]:

سئل الحسين بن الفضل: إنك تُخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله: (أعان ظالمًا سُلط عليه)؟ فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

١٨٤٤ ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٩]:

ثانِيَ من الثَّني بمعنى اللَّيِّ، والميلَ عن الاستقامة، والعطف- بكسر العين- الجانب، وهذا التعبير كناية عن غروره وصلفه مع جهله.

١٨٤٥ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ... خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [الحج: ١١]:

حرف: أي على حال واحدة، فإذا تغيَّرت ترك ما كان عليه من عبادة ربه.

١٨٤٦ ﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ [الحج: ١١]:

قال ابن جزي: «نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به، وارتدَّ عن الإسلام».

١٨٤٧ ﴿ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾[الحج: ١٢]:
قال ابن القيم: «إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره والتفاته إلى سواه، فلا على نصيبه من الله حصل، ولا إلى ما أمَّله ممن تعلق به وصل».

١٨٤٨ قال ابن جزي: «فيها إشكالان: الأول كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرَّها أقرب من نفعها، فنفى الضرَّ ثم أثبته، فالجواب: أن الضر المنفي أولًا يراد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئًا، والضر الثاني: يراد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره».

١٨٤٩ ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾[الحج: ١٥]:
المعنى: إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يظن من أعدائه أن الله لا يفعل، فليستفرغ جهده في إزالة غيظه، بأن يفعل فعل من بلغ به الغيظ منتهاه، حتى مد حبلًا إلى سماء بيته فشنق به نفسه، فلينظر إن فعل ذلك هل يذهب غيظ قلبه؟ كلا، فإن ما فعله بنفسه من الاختناق والغيظ، لن يغير شيئًا من نصر الله تعالى لنبيه، فليمت بغيظه وكمده.

١٨٥٠ ﴿ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ ﴾[الحج: ١٨]:
لم ذكر هذه الثلاثة؟! قال ابن كثير: «إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عبدت من دون الله، فبيَّن أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة».

١٨٥١ ﴿ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾[الحج: ١٨]:
كل هذه الجمادات والحيوانات بلا استثناء تسجد لله، وهي بلا عقل، فكيف لعاقل أن يُسلَب عقله، فلا يسجد لمن خلقه؟! ولذا وُصف هؤلاء أنهم أضل من الأنعام.

١٨٥٢ ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[الحج: ١٩]:

قال الألوسي: «وكأنه شبَّه إعداد النار المحيطة بهم بتقطيع ثياب وتفصيلها لهم على قدر جثثهم، ففي الكلام استعارة تمثيلية تهكمية، وليس هناك تقطيع ثياب ولا ثياب حقيقة، وكأن جمع الثياب للإيذان بتراكم النار المحيطة بهم، وكون بعضها فوق بعض، وعبَّر بالماضي ﴿قُطِّعَتْ﴾؛ لأن الإعداد قد وقع».

١٨٥٣ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[الحج: ٢٢]:

قرأها الفضيل بن عياض فبكى، وقال: «والله ما طمعوا في الخروج، وإن الأيدي لموثوقة، والأرجل لمقيدة، وكلما رفعهم لهيبها يصيرون في أعلاها، فردَّدهم الزبانية بمقامع من حديد إلى أسفلها».

١٨٥٤ ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢]:

جواب لقول محذوف تقديره: (وقيل لهم) على لسان خزنة النار: ذوقوا العذاب الحارق لأبدانكم.

١٨٥٥ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[الحج: ٢٣]:

لبس الحرير في الجنة له شرط! قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» صحيح الجامع رقم: ٦٥٢٥.

١٨٥٦ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]:

تفيد أن من أراد سيئة في مكة ولم يعملها يحاسب على مجرد الإرادة، وهو قول ابن مسعود وعكرمة. سئل ابن عمر وكان منزله في الحِلِّ ومسجده في الحرم: لم تفعل هذا؟ فقال: لأن العمل في الحرم أفضل، والخطيئة فيه أعظم.

١٨٥٧ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾[الحج: ٢٧]:

رجالًا أي على أقدامهم، بمعنى مشاة، وليس المراد الذكور.

١٨٥٨ قال ابن عباس: «ما آسي على شيء فاتني إلا أن لا أكون حججت ماشيًا، فإني سمعت الله يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾».

١٨٥٩ ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[الحج: ٢٨]:

جاء لفظ «منافع» بصيغة التنكير، للتعميم والتعظيم والتكثير، أي منافع عظيمة شاملة لأمور الدين والدنيا، فمن مظاهر منافعهم الدينية: غفران ذنوبهم، وإجابة دعائهم، ورضا الله عنهم.

١٨٦٠ ومن مظاهر منافعهم الدنيوية: اجتماعهم في هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء.

١٨٦١ ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾[الحج: ٢٨]:

والأمر هنا للإباحة بناء على أن الأكل كان منهيًا عنه شرعًا؛ لقوله ﷺ: «إني نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث، فكلوا وادخروا»، وقيل: لأن أهل الجاهلية كانوا يتحرجون عن الأكل منها، أو للحث على مواساة الفقراء ومساواتهم في الأكل منها.

١٨٦٢ ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج: ٢٩]:

قال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة: «سُمِّي عتيقًا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط».

١٨٦٣ ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[الحج: ٣٠]:

لم يعطف قول الزور على الرجس، بل أعاد النهي: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ لمزيد العناية والتحذير من قول الزور.

١٨٦٤ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢]:

ومن شعائر الله: المصحف، فلا تضعه على الأرض، ولا خلف ظهرك، ولا تضع فوقه كتابًا، ولا تضع فيه ورقة مهمة، فليس هناك ما هو أهم منه.

١٨٦٥ ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج: ٣٣]:

المعنى: أن شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق، فقوله: ﴿مَحِلُّهَآ﴾ مأخوذ من تحلل المحرم من إحرامه.

١٨٦٦ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[الحج: ٣٤]:

قال ابن عاشور: «وقد أتبع صفة المخبتين بأربع صفات وهي: وجل القلوب عند ذكر الله، والصبر على الأذى في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وكل هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع، فليس المقصود من جَمْعَ تلك الصفات؛ لأن بعض المؤمنين لا يجد ما ينفق منه، وإنما المقصود من لم يُخِلَّ بواحدة منها عند إمكانها».

١٨٦٧ ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾[الحج: ٣٦]:

أي: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن استعدادًا للذبح! أي: إذا ما هيأتم هذه الإبل للذبح، فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها.

١٨٦٨ ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[الحج: ٣٦]:

ليس الوجوب الذي بمعنى الإلزام؛ بل المعنى: سقطت جنوبها بعد نحرها أي الإبل.

١٨٦٩ ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾[الحج: ٣٦]:

وهو الفقير المتعفِّف الذي لا يُعلَم حاله، فمن مهامِّ الاتقياء في الحياة البحث عن الفقراء.

١٨٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[الحج: ٣٨]:

الله معك بقدر إيمانك، فإيمانك صمام أمانك.

١٨٧١ عندما يدافع الله عنك، ما مصير من يعاديك؟!

١٨٧٢ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[الحج: ٥٢]:

قال الآلوسي: «ألقى الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرؤه على أوليائه، ليجادلوه بالباطل، وهذا كقولهم عند سماع قراءة الرسول ﷺ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾: إن محمدًا يحل ذبيحة نفسه ويحرِّم ما ذبحه الله. وكقولهم عند سماع قراءته؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: إن عيسى قد عبد من دون الله، وكذلك الملائكة قد عُبِدوا مَن دون الله».

١٨٧٣ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣]: الحكمة من إلقاء الشيطان لهذه الشبهات هو امتحان الناس.

١٨٧٤ يلقي الشيطان من تلك الشبهات في القلوب ما يعدُّ فتنة واختبارًا وامتحانًا للذين في قلوبهم مرض، وهم المنافقون، وللذين قست قلوبهم، وهم الكافرون المجاهرون بالجحود والعناد.

١٨٧٥ ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦١]:

* سبب نزولها:

سبب النزول! قال مقاتل: نزلت هذه الآية في قوم من مشركي مكة. لقوا قومًا من المسلمين لليلتين بقيتا من المُحرَّم: فقالوا: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام، فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال، فحملوا عليهم، فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين، وحصل في أنفس المسلمين شيء من القتال في الشهر الحرام، فأنزل الله هذه الآية.

١٨٧٦ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]:
جمع بين الرجاء في قوله ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾، والخوف في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾.

١٨٧٧ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨]:
قال القرطبي: «في هذه الآية أدب حسن، علَّمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتًا ومراء، ألا يجاب، ولا يُناظَر، ويُدفَع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه ﷺ».

١٨٧٨ ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]:
في الحديث القدسي كما في البخاري ومسلم: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقي فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة».

١٨٧٩ ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾[الحج: ٧٣]:

قال القرطبي: «وخصَّ الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته، وضعفه، ولاستقذاره، وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره، لا يقدر من عبدوه من دون الله- تعالى- على خلق مثله، ودفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين، وأربابًا مطاعين، وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان».

١٨٨٠ ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨]:

الجهاد هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو، ولا يجب أن يخلو منه مسلم، وهو على ثلاثة وجوه: مجاهدة العدو الظاهر كالكفار، ومجاهدة المنافقين بالحجة والبيان، ومجاهدة النفس والشيطان.

١٨٨١ قال الحسن البصري: «إن الرجل ليجاهد فِي الله حق جهاده وَمَا ضرب بِسيف». ويعني بها جهاد الحجة والبيان.

١٨٨٢ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨]:

فهم الكثيرون خطأ أن إبراهيم عليه السلام هو الذي سمانا المسلمين، والصحيح أن الله هو سمانا المسلمين من قبل نزول هذا القرآن في ملل الأنبياء المتقدمين والكتب السابقة: الزبور والتوراة والإنجيل، وسمانا كذلك مسلمين في هذا القرآن.

١٨٨٣ ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [الحج:٧٨]:

اصطفانا نحن أمة محمد، فكنا خير الأمم، ونبينا خير الأنبياء، وديننا أتم الأديان وآخرها، وفي مقابل هذا التشريف كان التكليف، والتكليف هو دعوة الناس وأن نكون شهداء عليهم.

١٨٨٤ ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج: ٧٨]:

هذه الآية أصل قاعدة فقهية مهمة وهي: (المشقة تجلب التيسير).

١٨٨٥ رحم الله الإمام القرطبي حين قال: «رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السُّرّاق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين».

الجزء الثامن عشر
من سورة المؤمنون الآية ١
إلى سورة الفرقان الآية ٢٠
عدد الفوائد ١٠٣

سورة المؤمنون

١٨٨٦ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ [المؤمنون:٢-٤]:

أدرج الله الإعراض عن اللغو بين ركنين من أركان الإسلام، وهما الصلاة والزكاة، وهذا دليل على أهمية الإعراض عن اللغو.

١٨٨٧ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣]:

قال ابن الجوزي: «وفي المراد باللغو هنا خمسة أقوال: أحدها: الشِّرك، والثاني: الباطل، والثالث: المعاصي، والرابع: الكذب، والخامس: الشتم والأذى، واللغو: كل لعب ولهو، وكل معصية فهي مطَّرحة مُلغاة، فالمعنى شغلهم الجِدُّ فيما أمرهم الله به عن اللغو».

١٨٨٨ ومن اللغو: تكلم الرجل في ما لا يعنيه، ومنه الخوض في ذكر أخبار الفجار والفجور، ومنه التوسع في الحديث لغير حاجة.

١٨٨٩ ﴿ ..... فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ [المؤمنون: ٧]:

ذكرها الله بعد ذكر الزوجة وملك اليمين لتشمل هذه الآية كل صور الانحرافات الأخلاقية والشهوانية.

١٨٩٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨]:

قال القرطبي: «والأمانة والعهد يجمع كلَّ ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه، قولًا وفعلًا»، وهذا يشمل معاملة الخالق ومعاملة الخلق، وحق الله وحقوق العباد.

١٨٩١ ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾[المؤمنون: ١٧]:

ما كنا غافلين عن القيام بمصالحكم وحفظكم ولو مقدار لحظة، وإلا سقطت السماء عليكم فأهلكتكم، أو انقطع الهواء عنكم فاختنقتم، فما أشمل هذه العناية الإلهية التي تحفظ الكون من الزَّوال أو الاختلال.

١٨٩٢ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[المؤمنون: ١٨]:

هل شكرتَ نعمة الماء! قال الزمخشري: «فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء، ويقيّدوها بالشكر الدائم، ويخافوا نفارها، إذا لم تشكر».

١٨٩٣ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٩]:

قال القرطبي: «فالآية تعليم من الله عز وجل لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا. روي عن علي - رضي الله عنه أنه كان إذا دخل المسجد قال: اللهم أنزلني منزلًا مباركا وأنت خير المنزلين».

١٨٩٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[المؤمنون: ٥١]:

قدواتنا هم الأنبياء، وهم أساتذة الأجيال في مدرسة أكل الحلال.

١٨٩٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾

[المؤمنون: ٥١]: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء .. يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك».

١٨٩٦ ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[المؤمنون: ٥١]:

قال ابن كثير: «يأمر الله تعالى عباده المرسلين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدلَّ هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح».

١٨٩٧ ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦]: كل نعمة تباعد عن ربك ليست خيرًا، بل هي شر! الخير هو ما قرَّبك من الله.

١٨٩٨ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

قال الحسن: «كانوا يعملون ما يعملون من أعمال البر وهم مشفقون ألا ينجيهم ذلك من عذاب الله».

١٨٩٩ قال الحسن: «لقد أدركنا أقوامًا كانوا من حسناتهم أن تُردَّ عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذَّبوا عليها».

١٩٠٠ ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]:

قال القشيري: «يُخلِصون في الطاعات من غير إلمام بتقصير، أو تعريج في أوطان الكسل، أو جنوح إلى الاسترواح بالرُّخص، ثم يخافون كأنهم ألمّوا بالفواحش، ويلاحظون أحوالهم بعين الاستصغار، والاستحقار، ويخافون بغتات التقدير، وقضايا السخط».

١٩٠١ ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]: هناك ارتباط وثيق بين الخوف والمسارعة إلى الخيرات، فالخوف سوط دافع إلى كثرة العمل.

١٩٠٢ ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٩]:

قال ابن عباس: «أليس قد عرفوا محمدًا ﷺ صغيرًا وكبيرًا، وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ لهم».

١٩٠٣ إشارة إلى أن الناس تستنكر دعوة الغريب ومن لا يعرفونه، وأن هذا أمرٌ فطري، مما يستدعي من كل داعية أن يزيل الحواجز بينه وبين الناس قبل دعوتهم.

١٩٠٤ ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠]:

قال ابن عاشور: «وإنما أسنِدت كراهية الحق إلى أكثرهم دون جميعهم إنصافًا لمن كان منهم من أهل الأحلام الراجحة الذين علموا بطلان الشرك وكانوا يجنحون إلى الحق، ولكنهم يشايعون طغاة قومهم مصانعة لهم، واستبقاء على حرمة أنفسهم». ما أجمل إنصاف القرآن!

١٩٠٥ ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]:

يُؤمِّن الله مَنْ شاء من عباده، ولا يستطيع أحد أن يؤمِّن مَنْ أخافه الله.. أمانك بيد الله وحده!

١٩٠٦ ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]: مناقشة عقلية وبرهان منطقي، فلو كان هناك إلهان في هذا الكون لتنازعا واختلفا، واضطرب الكون.

١٩٠٧ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]:

قال ابن عباس: «الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة».

١٩٠٨ قال ابن القيم: «كان بعض أصحاب ابن تيمية يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه!».

١٩٠٩ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]:

فن التفويض لله والتوكل! قال ابن عاشور: «والتخلق بهذه الآية هو أن المؤمن الكامل ينبغي له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله، فهو يتولى الانتصار لمن توكل عليه، وأنه إن قابل السيئة بالحسنة كان انتصار الله أشفى لصدره وأرسخ في نصره».

١٩١٠ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]:

قال ابن عقيل: «ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر، فليس بمنافق لكنه يستصلح ألا تسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

١٩١١ فهذا اكتساب استمالة، ودفع عداوة، وإطفاء لنيران الحقائد، واستنماء الود، وإصلاح العقائد، فهذا طب المودات واكتساب الرجال».

١٩١٢ قال أنس بن مالك: «يقول الرجل لأخيه ما ليس فيه، فيقول له: إن كنت كاذبًا، فإني أسأل الله أن يغفر لك، وإن كنت صادقًا فإني أسأل الله أن يغفر لي».

١٩١٣ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾[المؤمنون: ٩٩]:

قال القرطبي: «ودلَّت الآية على أن أحدا لا يموت حتى يعرف اضطرارا أهو من أولياء الله أم من أعداء الله، ولولا ذلك لما سأل الرجعة».

١٩١٤ ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١]: قال رجل لزهير بن نعيم: ممن أنت؟ قال: من المسلمين. قال: أسألك عن النسب. قال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾

١٩١٥ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠٢]:

قال ابن عباس: «أي من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة». بعض الناس سيدخل النار بسبب نقصان حسنة!

١٩١٦ ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٠]: صفة متكررة في القرآن لأهل النار، فالويل للمستهزئ بالدين وأهله!

١٩١٧ ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ﴾[المؤمنون: ١١١]:

لم يقل بما صلوا أو صاموا أو أنفقوا؛ لأن الصبر عبادة تؤديها متألمًا، وغيره من العبادات تؤديها متلذذًا.

[illegible] ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣]: سُئلوا عن السنين فأجابوا بالأيام! لأن فزع يوم القيامة أطار عقولهم، وأراهم عشرات السنين أقل من يوم في جوار الخلود.

سورة النور

١٩١٩ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١]:

كتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: «علِّموا نساءكم سورة النور»؛ لأن مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وصون العرض..

١٩٢٠ ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١]:

فرضنا ما فيها من الأحكام، وشدَّدها ابن كثير وأبو عمر ﴿وَفَرَّضْنَاهَا﴾ لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم، أو للمبالغة في إيجابها.

١٩٢١ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢]:

بدأ الله سورة النور بذكر عقوبة الزنى، فمن زنى محى الله نور الإيمان من وجهه وقلبه وعمله، فيسير متخبِّطًا في ظلمات الذنب.

١٩٢٢ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]:

بدأ بالمرأة لأنها الداعي الأول إلى جريمة الزنا، فلو تعففت لتعفف الرجل، ولو ضعفت واجترأت لتجرَّأ، بعكس السرقة التي فيها ذكر الرجل أولاً (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ..) إذ الرجل مكلَّف بالإنفاق والحصول على المال.

١٩٢٣ ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]:

ليس في إقامة الحدود شدة أو غلظة، بل فيها الخير الكثير لأنها تردع من تسوِّل له نفسه بالعدوان، ففي الحديث: «حدٌّ يقام في الأرض أزكى فيها من مطر أربعين يومًا».

١٩٢٤ ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]:

مشاهدة تنفيذ أحكام الله مقصود شرعي يحدِث أثر الردع في قلوب من شاهده.

١٩٢٥ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣]: هذا يماثل المثل القائل: (الطيور على أشكالها تقع).

١٩٢٦ ﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور: ٢١]:

طلب مرثد ابن أبي مرثد من النبي ﷺ أن يتزوج امرأة اسمها عناق، فهو ما يزال يحبها، وهي بغيٌّ كان يأتيها في الجاهلية ،وما زالت على فجورها وجاهليتها، فنزلت هذه الآية.

١٩٢٧ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾[النور: ٤]:

عاقب الله من قذف محصنة بثلاث عقوبات: حسية ومعنوية ودينية، فالحسية جلد ثمانين جلدة، والمعنوية: عدم قبول شهادته ليكون في المجتمع كالمنبوذ، والدينية: وصف الله له بالفسق، وسر تغليظ عقوبة القذف: حماية أعراض المسلمين من ألسنة السوء.

١٩٢٨ ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[النور: ١١]:

حزنك أو فرحك، وتشاؤمك أو تفاؤلك هو قرارك الشخصي واختيارك المبدئي.

١٩٢٩ قال الزمخشري: «ومعنى كونه خيرًا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة، بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلَّم في ذلك، أو سمع به فلم تمجُّه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها».

١٩٣٠ ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾[النور: ١٢]:

بقدر إيمانك يكون حسن ظنك في المؤمنين!

روي أن أبا أيوب الأنصاري لما بلغه خبر الإفك قال لزوجه: ألا ترين ما يقال؟ فقالت له: لو كنتَ بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا؟ قال: لا. قالت: ولو كنتُ أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله، فعائشة خير مني وصفوان خير منك. قال: نعم.

١٩٣١ ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾[النور: ١٥]:

وقت الإشاعات والتربص يكون مصدر التلقي هو اللسان لا السمع ولا العقل، فلا تثبُّت من الأخبار، ولا رويَّة في نشرها.

١٩٣٢ ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [النور: ١٥]:
قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدَّق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم

١٩٣٣ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]:
كلمة واحدة قد تهوي بصاحبها في قعر جهنم، فإياك ومحقَّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل فيُهلِكنه.

١٩٣٤ كلما عظم الذنب في عينك صغر عند الله، وكلما صغر في عينك عظم عند الله.

١٩٣٥ في حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»، ومعنى «ما يتبين فيها»: أي لا يتأملها أخير هي أم شر، ولا يحسب تبعاتها.

١٩٣٦ جاء في حديث بلال بن الحارث عن خطورة الكلمة: «ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت». فالاستخفاف باللسان موردٌ من موارِد الهلاك!

١٩٣٧ ما آخر ذنب لم تتألم لحدوثه؟! أو استهنت به؟! احذر أن يتعاظم ذنبك عند الله وأنت لا تشعر!

١٩٣٨ ﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]: مجرد حب إشاعة الفاحشة يستحق صاحبه العذاب الأليم، فكيف بمن نشرها وحضَّ الناس عليها؟!

١٩٣٩ ﴿يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النور: ١٩]:
استدل العلماء بهذه الآية على أن الله يؤاخذ بعض أعمال القلوب؛ حيث رتَّب الله العذاب على فعل القلب وهو (حبُّ) إشاعة الفاحشة.

١٩٤٠ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[النور: ٢١]:

هـذه الآيـة فيهـا أربـع تأكيـدات عـلى أن الفضـل لله في طاعـة العبـد، فقولـه (ولـولا) للامتناع، وقولـه (مـا) للنفـي التـام، وقولـه (منكـم) معنـاه أيّ أحـد، وقولـه (أبـدًا): لإطـلاق النفـي.

١٩٤١ ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[النور: ٢٢]:

بشـارة للمذنبـين! الجـزاء مـن جنس العمـل، فكـما تعفـو عـن النـاس سـيعفو الله عنـك، وكـما تغفـر زلاتهـم سـيغفر الله زلتـك.

١٩٤٢ أذنـب خـادم لعبـد الله بـن عمـر، فـأراد ابـن عمـر أن يعاقبـه عـلى ذنبـه فقـال: يـا سـيدي .. أمـا لـك ذنـب تخـاف مـن الله فيـه؟ قـال: بـلى، قـال بالـذي أمهلـك لمـا أمهلتنـي!

١٩٤٣ ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ﴾[النور: ٢٦]:

قـال أبـو السـائب القـاضي: «كنـت يومًـا بحضـرة الحسـن بـن زيـد الداعـي بطبرسـتان، وكان بحضرتـه رجـل ذكـر عائشـة بذكـر قبيـح من الفاحشـة، فقـال: يا غـلام .. اضرب عنقـه، فقـال لـه العلويـون: هـذا رجـل مـن شـيعتنا فقـال: معـاذ الله هـذا رجـل طعـن عـلى النبـي ﷺ. قـال الله تعـالى: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، فـإن كانـت عائشـة خبيثـة فالنبي خبيـث فهو كافـر، فاضربـوا عنقـه، فضربوا عنقـه وأنا حاضـر».

١٩٤٤ ﴿وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[النور: ٢٦]:

قـال ابـن عبـاس: «والطيبـات مـن الأقـوال للطيبـين مـن الرجـال»، فمقيـاس طيـب العبـد بحسـب ألفـاظ لسـانه وكلماتـه.

١٩٤٥ ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [النور: ٢٦]:

لـن يرتـاح زوجـان إلا حـين يكونـان متوافقـين أخلاقيًـا ودينيًـا، وإلا انقلبـت الحيـاة الزوجيـة سـاحة قتـال بـدلًا مـن السـكن والمـودة والرحمـة.

١٩٤٦ ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]:

قال قتادة: قال رجل من المهاجرين: «لقد طلبتُ عمري كله هذه الآية، فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط، لقوله: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾».

١٩٤٧ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]:

قدّم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنى، ومفتاح الفواحش.

١٩٤٨ قال الإمام القرطبي: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته. ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يُخشى الفتنة من أجله».

١٩٤٩ ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]:

نستنبط منها قاعدة سد الذرائع، فالضرب بالأرجل مباح للنساء، لكنه قد يفضي إلى الحرام، وهو لفت الأنظار إلى زينة المرأة؛ ولذا نهى الله عنه.

١٩٥٠ ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]:

قال الضحاك: «البَرُّ والفاجر»، فالتوبة تلزم الجميع.

١٩٥١ قال ابن القيم: «وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علّق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي، إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم».

١٩٥٢ ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور: ٣١]:

التوبة درجات!! قال عبد الله بن علي بن محمد التميمي: «شتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات».

١٩٥٣ قال ابن الجوزي في حقيقة التوبة: «أتعتقد أن التوبة قول باللسان، إنما التوبة نار تحرق الإنسان، جرِّد قلبك من الأقذار، ثم ألبسه الاعتذار، ثم حَلِهِ حُلة الانكسار، ثم أقمه على باب الدار».

١٩٥٤ لماذا أتوب؟! قال ابن جزي: «والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم المقام، وشكر الإنعام».

١٩٥٥ ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]:

ملاحظة دقيقة! قال ابن تيمية: «أمره لجميع المؤمنين بالتوبة في هذا السياق تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التي هي: ترك غض البصر وحفظ الفرج وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فمُستقِلٌّ ومُستكثِرٌ».

١٩٥٦ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ [النور: ٣٧]:

* سبب نزولها:

عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾.

١٩٥٧ ما الفرق بين التجارة والبيع؟ التجارة هي العمل برؤوس الأموال بحثاً عن الأرباح، وأما البيع فهو أخص من التجارة، فلا يلزم أن يكون فيه ربح، فقد تضطر لبيع شيء غالٍ لاحتياجك إلى المال، فتبيعه بأقل من قيمته.

١٩٥٨ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]:

مثل ضربه الله لرجل عَطِش، فاشتدَّ عطشه، فرَأى سرابًا، فحسبه مَاء، فَظن أنه قدر عليه، فلما أتاه لم يجده شيئًا، وكذلك الكافر لا يكون على شيْء، حتَّى يأتيه الموت، فيكتشف ذلك.

١٩٥٩ ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠]:

ذكر الله ثلاث ظلمات: ظلمة البحر، وظلمة الأمواج، وظلمة السحاب؛ وكذلك الكافر له ظلمات ثلاثة. قال ابن عباس: شبَّه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث، وقال غيره: الكافر لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، ويعتقد أنه يدري، فهذه المراتب الثلاث شبه تلك الظلمات الثلاث.

١٩٦٠ ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ [النور: ٤٧]:

* سبب نزولها:

قال الطبري: إن رجلًا من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض، فدعاه اليهودي إلى التحاكم عند رسول الله ﷺ، وكان المنافق مبطلًا، فأبى ذلك وقال: إن محمدًا يحيف علينا، فلنحكِّم كعب بن الأشرف، فنزلت الآية فيه.

١٩٦١ وكان كعب يأخذ الرشوة، فإذا أعطاه الرشوة حكم له، والنبي ﷺ يحكم بالحق، وهو مبطل.

١٩٦٢ ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[النور: ٤٩]:

المنافقون أصحاب إيمان مصلحي، وتدين نفعي، فلا يستفتون العلماء إلا إذا عرفوا أن الحكم في صالحهم، ولا يسترشدون بأحكام الشرع إلا إن حكم لهم.

١٩٦٣ قيِّم عبوديتك! قال السعدي: «فليسوا ممدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مذعنين؛ لأن العبد حقيقة، من يتبع الحق فيما يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد على الحقيقة».

١٩٦٤ بعض الناس يأتي إلى العالم ليستفتيه، ويبتغي منه جوابًا محددًا قد بيَّته قبل أن يعرض سؤاله، فإن لم يحصل على هذه الفتوى انطلق في طلب عالم آخر، ولا يزال كذلك حتى يسمع ما يريد!

١٩٦٥ من طريف ما يُروَى: خاصمت امرأة جميلة زوجها إلى الإمام الشعبيّ، فحكم الإمام للمرأة دون الرجل، فلما وجد الرجل أن الشعبي لم يحكم له اتهمه بالجور قائلًا:

فُتِنَ الشعبي لما ... رفع الطرف إليها
سحرته ببنان وخـ ... ـضاب في يديها
كيف لو أبصر منها ... نحرها أو ساعديها
لصبا حتى تراه ... ساجدًا بين يديها

فولِع الناس بهذه الأبيات وتناشدوها، حتى اضطر الشعبي إلى الاستعفاء من القضاء، وقال: أوجعتُ ظهره (بالعدل) حين جوَّرَني في شعره.

١٩٦٦ فما أقبح هذه الصفة المتأصلة في نفوس المنافقين: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾.

١٩٦٧ ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[النور: ٥٠]، فهذه الثلاث مجتمعة فيهم، وليس المقصود التساؤل: هل فيهم مرض أم ارتياب أم خوف من الجور؟ بل المقصود التدرج في وصف أخلاق المنافقين، فهذه الصفات الثلاثة موجودة فيهم، ففي قلوبهم مرض النفاق والكفر؛ ولذا فهم مرتابون شاكون في نبوة النبي ﷺ وعدله؛ ولذا يخافون أن يجور عليهم، وصيغة الاستفهام هنا أشد في التوبيخ.

١٩٦٨ ﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[النور: ٥٠]:

﴿بَلْ﴾ هنا للإضراب الانتقالي أي للانتقال من الاستفهام إلى خبر آخر مهم، وليست ﴿بَلْ﴾ للإبطال لأنه لا يستقيم إبطال المرض أو الارتياب أم الخوف من الجور، فهذا ثابت في حق المنافقين، وفائدة ﴿ بَلْ﴾ ترقب ماذا سيؤول إليه تحقيق حالهم، فكان قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ بيانًا لما يترقبه المستمعون، وإفادة اتصافهم بالظلم دون غيرهم.

١٩٦٩ ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾[النور: ٥٣]:

أقسم المنافقون بالأيمان المؤكدة أنه متى أمرهم رسول الله ﷺ بالجهاد ليخرجن، فأمر الله نبيه أن يردَّ عليهم في تهكم: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾: أي معروفٌ أن طاعتكم طاعةٌ باللسان فحسب، وتكذِّبها الأفعال والأحوال.

١٩٧٠ ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ﴾[النور: ٥٨]:

منع الأولاد من الدخول على الوالدين في بعض الأوقات حفظًا للأبصار، فكيف تركنا أولادنا سائر الأوقات فريسة لما هو أخطر من الشاشات والصفحات والمجلات؟!

١٩٧١ ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور:٦١]:

اعرف قدر الصديق! قال ابن عباس: «الصديق أوكد من القرابة، ألا ترى استغاثة الجهنميين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾».

١٩٧٢ قال مَعْمَر: «دخلت بيت قتادة فأبصرت فيه رطبا فجعلت آكله، فقال: ما هذا؟ فقلت: أبصرتُ رطبا في بيتك فأكلت، قال: أحسنت. قال الله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾».

١٩٧٣ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور:٦١]:

سبب نزولها:

نزلت في بني ليث بن بكر، وكان الرجل منهم لا يأكل وحده، ويمكث أياما جائعا حتى يجد من يؤاكله! وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن إبراهيم عليه السلام، فإنه كان لا يأكل وحده، فكونوا مثل أبي الضيفان إبراهيم.

١٩٧٤ ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢]:

العمل الجماعي والقيادة الموحَّدة هدي نبوي وأمرٌ رباني.

١٩٧٥ ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ﴾ [النور:٦٢]:

أذِن لهم، ومع هذا استغفر لهم؛ لأن الإذن في التخلف لا يبرِّؤك من التقصير، بل يفرض عليك مراجعة نفسك لتعرف سبب حرمانك من الثواب الجزيل.

١٩٧٦ ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣]:

قال ابن عباس: «لا تتعرضوا لدعاء الرسول عليكم بإسخاطه، فإن دعوته موجِبة»، وقد لعن النبي ﷺ (أي دعا بالطرد من رحمة الله) آكل الربا وشارب الخمر والراشي والمرتشي والمتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء.

١٩٧٧ المراد بالدعاء هنا: النداء، أي لا تقيسوا نداء النبي ﷺ إياكم بنداء بعضكم على بعض، بل عليكم إذا دعاكم لأمر أن تلبوا فورًا بلا تقاعس أو تباطؤ.

١٩٧٨ ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]: مخالفة واحدة قد تؤدي لانتكاستك وانهيار إيمانك، وقد تكون عقوبتها معجلة أو مؤجَّلة.

١٩٧٩ ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور:٦٣]:

قال الطاهر بن عاشور: «وهذه الآية أصل من نظام الجماعات في مصالح الأمة؛ لأن من السنة أن يكون لكل اجتماع إمام ورئيس يدير أمر ذلك الاجتماع.

وقد أشارت مشروعية الإمامة إلى ذلك النظام.

ومن السنة أن لا يجتمع جماعة إلا أمروا عليهم أميرًا، فالذي يترأس الجمع هو قائم مقام ولي أمر المسلمين، فهو في مقام النبي ﷺ، فلا ينصرف أحد عن اجتماعه إلا بعد أن يستأذنه، لأنه لو جعل أمر الانسلال لشهوة الحاضر لكان ذريعة لانفضاض الاجتماعات دون حصول الفائدة التي جمعت لأجلها، وكذلك الأدب أيضًا في التخلف عن الاجتماع عند الدعوة إليه كاجتماع المجالس النيابية والقضائية والدينية أو التخلف عن ميقات الاجتماع المتفق عليه إلا لعذر واستئذان».

سورة الفرقان

١٩٨٠ ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]:

الرسول العالمي! أي لعالم الإنس وعالم الجن، فكل الخلق مخاطبون برسالته، ومطالبون بالإيمان به.

١٩٨١ ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢]:

النار كائن حي يرى ويسمع ويتكلم وله شهيق وزفير، وقد قال الله عن كلام النار: ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾: ، وقال ﷺ: «شكت النار إلى ربها، فقالت: ربِّ.. أكل بعضي بعضًا،..».

١٩٨٢ ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾ [الفرقان: ١٣]:

المكان الذي يلقون فيه ضيق، ليزداد كربهم وعذابهم، ولا يكون لهم أدنى مهرب، وشبَّهوا ضيق النار بالوتد حين يُدْخَل في الحائطِ بقوة.

١٩٨٣ ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [الفرقان: ١٥]:

لا مجال للمقارنة بين الجنة والنار، وإنما يغزو الشيطان قلوبنا حين تغيب هذه المقارنة عن الأذهان، فنؤثر لذة حقيرة تورث عذابًا طويلًا، ونزهد في طاعة يسيرة تورث نعيمًا مقيمًا.

١٩٨٤ وأخبرني: أي لقاء هنا لم يعقبه فراق؟! أي لذة ليس بعدها ألم؟! أي زيادة لم يلحقها نقصان؟! أهذه دار تُشترى على حساب الجنة؟!

١٩٨٥ ﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا﴾ [الفرقان: ١٥]:

المسؤول هو الذي يسأله من له حق عنده ويطالب به، فمن الذي له حقٌّ عند الله حتى يسأل ويطالب بحقِّه؟ الحقيقة أن هذه مبالغة في تحقيق وعد الله، كما يشكرك شاكرٌ على إحسانك، فتقول له: لا شكر على واجب، وإلا فلا حق لأحدٍ على الله.

١٩٨٦ ﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ [الفرقان: ١٨]:

نسيان الذِّكر بوار! قال قتادة: «والله ما نسي قومٌ ذكر الله عز وجل إلا باروا وفسدوا».

١٩٨٧ ﴿وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]:

هذا حال الأنبياء، فأين الدعاة من هذه الآية؟! وكيف وصولهم وانتشارهم إلى الشرائح التي لا تغشى المساجد، اهدم صومعتك أيها الداعية.

١٩٨٨ ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]:

قال البغوي: «أي بلية، فالغني فتنة للفقير، يقول الفقير: ما لي لم أكن مثله؟ والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع».

الجزء التاسع عشر
من سورة الفرقان الآية ٢٢
إلى سورة النمل الآية ٥٥
عدد الفوائد ٩٥

١٩٨٩ ﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[الفرقان: ٢٢]:
أي حرامًا محرَّمًا، والقائلون هم الملائكة، فيكون المعنى: تقول الملائكة للكفار حجرًا محجورًا. أي: حرامًا محرَّمًا أن تكون لكم اليوم بشرى، أو يغفر الله لكم، أو يدخلكم جنته.

١٩٩٠ أو القائل الكفار: ﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ أي: حرامًا محرمًا عليكم أن تُنزِلوا بنا العذاب، فنحن لم نرتكب ما نستحق بسببه العذاب.

١٩٩١ ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان: ٢٣]:
ما صفة هذا العمل؟! قال ابن المبارك: «كل عمل صالح لا يراد به وجه الله».

١٩٩٢ ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[الفرقان: ٢٤]:
استنبط بعض العلماء من هذه الآية أن حساب أهل الجنة يسير، وينتهي في وقت قصير، وهو نصف نهار ، ووجه ذلك أن ﴿ مَقِيلًا ﴾ أي مكان قيلولة، وهي الاستراحة في منتصف النهار.

١٩٩٣ ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[الفرقان: ٣٠]:
كل من هجر القرآن بأي لون من ألوان الهجر: سواء بتلاوته، أم بتدبره، أم بالعمل به، أم بتحكيمه والتحاكم إليه.

١٩٩٤ ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[الفرقان: ٣٠]:
هذا قول نبينا يشتكينا إلى ربنا، فما ردُّنا على هذه الشكوى؟!

١٩٩٥ ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٤]:

في الصحيح عن أنس: أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يُمشِيَه على وجهه يوم القيامة».

١٩٩٦ ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفرقان: ٤٠]:

المراد بالقرية هنا قرية سدوم، وهي أكبر قرى قوم لوط، والتي جعل الله عاليها سافلها، والمراد بها أمطرت به الحجارة التي أنزلها الله عليها.

١٩٩٧ ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ [الفرقان: ٤٢]:

عجيبٌ تواصي الكفار بالصبر على الباطل وجلدهم في الذود عنه، مع ما نرى من جزع بعض أهل الحق وتخاذلهم عن نصرة الحق.

١٩٩٨ ﴿وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]:

بعض الناس لن يكتشف حقيقة ضلاله وفساد سعيه إلا على عتبة جهنم.

١٩٩٩ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الفرقان: ٥٢]:

قال الآلوسي: «السورة مكية ولم يشرع في مكة الجهاد بالسيف، ومع هذا لا يخفى ما فيه، ويستدل بالآية على الوجه المأثور على عظم جهاد العلماء لأعداء الدين بما يوردون عليهم من الأدلة، وأوفرهم حظًّا المجاهدون بالقرآن منهم».

٢٠٠٠ ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٥]:

قال ابن القيم: «هذا من ألطف خطاب القرآن وأشرف معانيه، فالمؤمن دائمًا مع الله على نفسه وهواه وشيطانه، وهذا المعنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه، وعبارات السلف على هذا تدور».

٢٠٠١ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢]: قال عمر بن الخطاب والحسن وابن عباس: معناه لِمَنْ أراد أن يذَّكَّر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في أحدهما (أي الليل أو النهار)، فيستدركه في الذي يليه.

٢٠٠٢ أطال عمر بن الخطاب صلاة الضحى فقيل له: صنعتَ اليوم شيئا لم تكن تصنعه! فقال: إنه بقي عليَّ من وِردي شيء، وأحببت أن أتمه -أو قال أقضيه- وتلا هذه الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾.

٢٠٠٣ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[الفرقان:٦٣]:
أي يمشون بتواضع وسكينة. قال الإمام الشافعي: «أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله».

٢٠٠٤ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[الفرقان:٦٤]:
قدَّم السجود على القيام مع أن القيام يقع قبله إشارة إلى الاهتمام بالسجود؛ لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وقال ﴿سُجَّدًا ﴾ولم يقل ساجدين للمبالغة في كثرة السجود.

٢٠٠٥ ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾[الفرقان: ٧٠]:
التائبون الصادقون موعودون من الله بأن يبدِّل سيئات أعمالهم بمحاسن الأعمال، فبدلًا من الزنى تكون العفة والإحصان، وبدلًا من السرقة وأكل حقوق الناس يبذل الصدقات والزكوات، وبدلًا من الغيبة وفحش القول يتلو القرآن والذكر والطيِّب من القول.

٢٠٠٦ تنقلب السيئات الماضية بالتوبة النصوح إلى حسنات، فكلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فانقلبت السيئة إلى حسنة بهذا الاعتبار.

٢٠٠٧ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢]:

هؤلاء ليس فقط لا يقترفون شهادة الزور، بل لا يحضرون مجالسه، ولا يجالسون أهله، فالشهادة تشمل هنا القول والمخالطة.

٢٠٠٨ ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢]:

قال الرازي: «الأصح أن اللغو كل ما يجب أن يُلغى ويترك، ومنهم من فسَّر اللغو بكل ما ليس بطاعة، وهو ضعيف لأن المباحات لا تعد لغوًا، فقوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾ أي بأهل اللغو».

٢٠٠٩ ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]:

(إِمَامًا) وهو مفرد مع أن الأَوْلى من حيث الظاهر أن يكون واجعلنا للمتقين أئمة؛ وفي هذا إشارة أن يكون كلٌّ واحد منهم إمامًا يُقتدى به.

سورة الشعراء

٢٠١٠ ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٠]:

أكثر الناس يتبعون الغالب ولو كان على باطل، ويخذلون صاحب الحق ولو كان ضعيفًا، وهذا طبعٌ في النفس البشرية، ولا يختص بشعب دون شعب، ولكن الإسلام هذَّبه.

٢٠١١ ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]:

القسَم تعظيم، والتعظيم فيه تسوية بين المقسَم به والله رب العالمين. قال البقاعي: «فكل من حلف بغير الله، كأن يقول: وحياة فلان، وحق رأسه، ونحو ذلك، فهو تابع لهذه الجاهلية».

٢٠١٢ ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]:

من الشِّرك الحلف بغير الله سبحانه كما رواه أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك».

٢٠١٣ ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت. كما ثبت عن النبي ﷺ «أنه قال له رجلٌ: ما شاء الله وشئتَ. قال: أجعلتني لله ندًّا؟ قل: ما شاء الله وحده».

٢٠١٤ ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [الشعراء: ٤٩]:

قال ابن كثير: «وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل». لكنه نهج الطغاة في كل عصر.

٢٠١٥ ﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠]:

لا يضرنا إيذاؤكم لأن مرجعنا إلى الله، وهو سيجزينا على إيماننا أتم الجزاء وأوسع العطاء.. لاحظوا أن هذا ثمرة إيمان ساعة!

٢٠١٦ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]:

قال البغوي: «أضاف المرض إلى نفسه وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالا لحسن الأدب كما قال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]».

٢٠١٧ ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١]:

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]:

سين: لماذا جاء بكلمة هُوَ في الثانية ولم يأتِ بها في الأولى؟

جيم: لتأكيد الفعل الإلهي وصرف ادعاء المدّعين أنهم سبب الإطعام، بينما في الأولى لن يدعي أحد أنه سبب خلق الإنسان وإماتته وإحيائه، فلم تكن ضرورة للتوكيد.

٢٠١٨ ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]:

قال ابن عطية: «ولسان الصدق في الآخرين هو الثناء وخلد المكانة بإجماع من المفسرين».

٢٠١٩ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]:

لم خصَّ الله القلب بالذكر؟ لأنه الملِك الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح.

٢٠٢٠ قال ابن القيم: «وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم. والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلِم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله».

٢٠٢١ ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٩٤]:
قال الزمخشري: «الكبكبة تكرير الكَبّ، وجعل التكرير في اللفظ دليلًا على التكرير في المعنى، كأنه: إذا ألقي في جهنم ينكبُّ مرة بعد مرة حتى يستقرَّ في قعرها».

٢٠٢٢ ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]:
دخلوا النار حين سوَّوا بالله غيره، فالمطلوب منك حتى تدخل الجنة أن يكون الله أكبر وأعظم في صدرك من كل شيء.

٢٠٢٣ ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٩]:
وظيفة المجرمين في الدنيا هي أن يوهِنوا تعظيم أمر الله في قلب العبد؛ حتى يكون لتعظيم الخلق الغلبة عليه!

٢٠٢٤ ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]:
قال قتادة: «يعلمون -والله- أن الصديق إذا كان صالحًا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع». من أعظم الآيات التي تحث على الصحبة الصالحة!

٢٠٢٥ ما أقل الأصدقاء! ال الزمخشري: «وجمع الشافع لكثرة الشافعين، ووحَّد الصديق لقلته».

قال الحسن البصري: «استكثِروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة».

٢٠٢٦ ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٠١]:
كان علي ﷺ يقول: «عليكم بالإخوان، فإنهم عدة الدنيا وعدة الآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾».

٢٠٢٧ ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٩]:
الداعية لا يطلب مقابلًا لجهده المبذول في دعوته، وهذا سر إخلاصه، وسبب وضع القبول له بين الخلق.

٢٠٢٨ الدعوة إلى الله عمل عظيم ثمين لا يستطيع دفع مقابله إلا الله رب العالمين، وكيف لا تكون غالية ثمينة، وكلمة واحدة قد تنقذ عبدًا من الخلود في النار.

٢٠٢٩ ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ [الشعراء:١٤٥]:

لو أن داعية طلب من الناس أجرًا لكان هذا سببًا لنفور الناس منه؛ وقبول بعض كلامهم وردّ بعضه؛ ولذا كان لكل نبي حرفة يأكل بها، ففي صحيح البخاري: «ما أكل أحد طعاما قط، خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

٢٠٣٠ كل الأنبياء في سورة الشعراء قالوا لقومهم: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ إلا موسى وإبراهيم عليهما السلام .. لماذا؟ لأن موسى تربى في قصر فرعون، وإبراهيم لم يقلها لقومه لأن فيهم أباه الذي رباه، فاستحيا أن يقول ذلك له.

٢٠٣١ ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]:

قال ابن تيمية: «والقلي بغضه وهجره، والأنبياء أولياء الله يحبون مَا يحب الله، ويبغضون مَا يبغض».

٢٠٣٢ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]:

قال السعدي: «وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين».

٢٠٣٣ ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣]:

كيف خوطب النبي ﷺ بهذا وهذا مستحيل في حقه؟! قال الآلوسي: «تهييجًا وحثًا لازدياد الإخلاص، فهو كناية عن: أخلص في التوحيد حتى لا ترى معه عز وجل سواه».

٢٠٣٤ ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]:

القرب في الأنساب لا ينفع مع العد في الأسباب.

٢٠٣٥ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٦]:

لم يقل: إني بريء منكم، فتبرأ من الفعل ولم يتبرأ من الفاعل، وكره المعصية لا العاصي، فتعلَّم يا كل داعية.

٢٠٣٦ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[الشعراء: ٢١٧]:

قال القشيري: «انقطِع إلينا، واعتصم بنا، وتوسَّل إلينا بنا، وكن على الدوام بنا، فإذا قلتَ فقل بنا، وإذا صُلتَ فَصُلْ بنا، واشهد بقلبك- وهو في قبضتنا- تتحقق بأنك بنا ولنا».

٢٠٣٧ لكن لماذا العزيز والرحيم؟! قال الآلوسي: «فهو سبحانه يقهر من يعصيك منهم ومن غيرهم بعزته، وينصرك برحمته.

وفيه لطف لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث يُنهى عنه من لم يمكن صدوره عنه، فكيف بِمن عداه؟!».

٢٠٣٨ اقترن اسم (ٱلْعَزِيزِ) باسم (ٱلرَّحِيمِ) ٩ مرات في سورة الشعراء؛ لأن الله بعزته قادرٌ على أن ينصرك على عدوك الأقوى منك، وأنه برحمته يعصمك منهم.

٢٠٣٩ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[الشعراء: ٢٢٤]:

قال عبد الرحمن بن زيد: قال رجل لأبي: يا أبا أسامة، أرأيت قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾، فقال له أبي: إنما هذا لشعراء المشركين، وليس شعراء المؤمنين، ألا ترى أنه يقول: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، فقال: فَرَّجت عني يا أبا أسامة، فرَّج الله عنك.

٢٠٤٠ من هم شعراء الرسول ﷺ؟! قال ابن كثير: «لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون وقالوا: قد علم الله تعالى أنا شعراء، فتلا عليهم النبي ﷺ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾. قال: أنتم. ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾. قال: أنتم. ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾. قال: أنتم».

٢٠٤١ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٧]:
وأبهم المنقلَب لتذهل نفوس الظالمين، وتذهب كل مذهب ممكن من هول ما ينتظرها، وكان السلف يتواعظون بهذه الآية، وختم بها أبو بكر ﷺ وصيته حين عهد لعمر رضي الله عنهما.

٢٠٤٢ لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت: يا أحمد يا ابن طولون، فلما رآها عرفها، فترجَّل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها، فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخُوِّلتم فعسفتم، ورُدَّت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، فعدل لوقته.

سورة النمل

٢٠٤٣ ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
[النمل: ١٠، ١١]: ما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة؟ قال القرطبي: «هذه سبيل العلماء بالله عز وجل أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين، وهم أيضا لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشراط التوبة شيء لم يأتوا به، فهم يخافون من المطالبة به».

٢٠٤٤ ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[النمل: ١٤]:
كم من نفوس تعرف الحق، لكن عنادها وكبرها منعها من الانقياد إليه.

٢٠٤٥ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦]:
ورثه في النبوة لا في المال، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، فاحرص على توريث دينك لأولادك، فهو وحده ما ينفعهم في الآخرة.

٢٠٤٦ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [النمل: ١٥]:

إذا زادك الله علمًا، فازدد له شكرًا، فلا تتضاعف النعم إلا بالشكر.

٢٠٤٧ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ [النمل: ١٥]:

أوسع عطاء هو عطاء العلم، فإذا آتاك الله إياه، فأنفق منه على غيرك، فتكون متعلّمًا ومعلّمًا.

٢٠٤٨ ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥]:

قال السعدي: «عنوان سعادة العبد أن يكون شاكرًا لله على نعمه الدنيوية والأخروية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكرًا كثيرًا».

٢٠٤٩ (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ) [النمل: ١٨]:

قال عنها السيوطي: «جمعت أحد عشر جنسًا من الكلام:

النداء، والكناية، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والقصص، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والعذر، فأدّت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق نبيها، ورعيته».

٢٠٥٠ ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨]:

اعتذرت هذه النملة عن الخطأ قبل وقوعه، فليتنا نتعلم منها حسن الظن والتماس الأعذار.

٢٠٥١ يقول أهل البلاغة أن هذه النملة جمعت ثلاثة عشر أمرًا:

أَحَسَّتْ: أحست بوجودِ الخطر.

وبادرت: بادرت بإبلاغ النمل بما سيأتي.

ونادت: يا.

ونبهت: أيها.

وأمرت: ادخلوا.

ونهت: لا يحطمنكم.

وأكَّدت: نون التوكيد في يحطمنكم.

ونصحت: بنوع الفعل الواجب عمله.

وبالغت: يحطمنكم كلكم.

وبيَّنت: من الذي أتى بالخطر.

وأنذَرت: أنذرت النمل.

وأعذرت: وهم لا يشعرون.

ونفَت: لا يشعرون.

٢٠٥٢ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]:

قال الزجَّاج: «أكثر ضحك الأنبياء التبسم». اقتدِ بالأنبياء فأكثر من التبسم.

٢٠٥٣ التبسُّم ضحك أهل الوقار.

٢٠٥٤ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ [النمل: ٢٠]:

قال القرطبي: «في هذه الآية دليل على تفقد الإمام لأحوال رعيته، والمحافظة عليهم، ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن بغلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليُسأل عنها عمر، فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرَّعية ويضيع الرعيان».

٢٠٥٥ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]:

لم يُقسِم على تعذيبه أو قتله إلا إذا لم يقدِّم عذرًا مقبولًا لتخلفه، فهذا مقتضى العدل.

٢٠٥٦ ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢]:

في حضرة الأنبياء وهم أعظم العظماء تمتلك الطيور الجرأة على إبداء الرأي وقول الحق.. إنها الحرية!

٢٠٥٧ أفادت أنه قد يوجد من العلم عند الأصاغر ما لا يوجد عند الأكابر، وعند المتأخرين ما لم يكن عند المتقدِّمين!

٢٠٥٨ تعلموا الشجاعة في النطق بكلمة الحق من الهدهد.

٢٠٥٩ عجيب أمرك أيها الداعية أو الأمير أو صاحب المنصب الكبير.. تأنف من نصح الآخرين لك، وتراه انتقاصًا من مقامك وسببًا لإحراجك!

٢٠٦٠ ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٢٤]:

غار الهدهد على محارم الله، فمتى نغار إذا انتهكت محارم الله!

٢٠٦١ ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ﴾ [النمل: ٢٥]:

طائر غير مكلف ينكر المنكر، ويتعجب بفطرته السليمة من عدم القيام بأمر الله، فبعض الحيوانات أعقل من بعض البشر.. اللهم اجعل أفئدتنا كأفئدة الطير.

٢٠٦٢ كيف كافأ الله الهدهد.! قال القرطبي: نهى عن قتل الهدهد، لأنه كان دليل سليمان على الماء ورسوله إلى بلقيس. عن ابن عباس أن النبي ﷺ «نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد، والصَّرَد».

٢٠٦٣ ﴿ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ﴾ [النمل: ٣٢]:

قيل: إن بلقيس هي أول من سنَّ سُنَّة طلب المشورة.

٢٠٦٤ قال القشيري: «أخذت في المشاورة كما تقتضيه الحال في الأمور العظام، فإن الملك لا ينبغي أن يكون مستبدًا برأيه، ويجب أن يكون له قوم من أهل الرأى والبصيرة».

٢٠٦٥ ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٣٢]: تعلموا السياسة ولباقة الحديث من بلقيس؛ حيث جمعت القادة واستشارتهم، وأعلمتهم أن هذه عادتها الراسخة، فطابت نفوسهم، وازدادت بها ثقتهم.

٢٠٦٦ ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٣٢]:

هذا فن الحوار واستمالة القلوب لئلا يخالفوها في الرَّأي والتدبير.

٢٠٦٧ ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل: ٣٣]:

القوة مغرية والسلاح باطش! أحسَّت بلقيس من قادة الجيش الطيش والميل إلى الحرب والاستقواء بالسلاح، والميل عن الصواب، فشرعت في رد مقالتهم.

٢٠٦٨ ﴿قَالُوا۟ نَحۡنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٖ وَأُو۟لُوا۟ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]:

أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة، فميداننا ساحات القتال لا قاعات السياسة.

٢٠٦٩ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٣]:

تصديقٌ لرأي بلقيس من جهة الله تبارك وتعالى، وهو كذلك إبراز لقيمة هذه المرأة ونضج رأيها.

٢٠٧٠ ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]:

قال قتادة: «رحمها الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس». تهادوا تحابوا!

٢٠٧١ ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ [النمل: ٣٥]:

قد تمنع الهدية حربًا! قال ابن عباس: «قالت لقومها: إن قبِل الهدية فهو ملكٌ فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه».

٢٠٧٢ ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُا۟ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]:

لم خصَّ العرش بالذكر؟!

قال أبو جعفر الطبري: «وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويُعرِّفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلَّفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليِّه من خلقه، وسلَّمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوَّته».

٢٠٧٣ ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]: دليل على أنه يتأتى بالعلم ما لا يتأتى بالقوة، وأن الحكمة مكتسبة لقوله: ﴿عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وأن الحكمة طريق امتلاك القوة.

٢٠٧٤ ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[النمل: ٤٠]:
الفارق بين الملوك الجاهلين والملوك الشاكرين! قال السَّعْدِي: «أي ليختبرني بذلك، فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين، بل علِم أن ذلك اختبار من ربه، فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة».

٢٠٧٥ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[النمل: ٤٠]:
لأن نفع الشكر يعود إليه دنيويًّا بدوام العافية، وأخرويا بالأجر العظيم، وقد قيل: الشكر قيد النعم الموجودة، وصيد النعم المفقودة.

٢٠٧٦ ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[النمل: ٤٦]:
استنزلوا رحمات الله بالاستغفار، وإذا كان الخطاب هنا للكافر ليستغفر ويرجو الرحمة، فكيف بالمؤمن؟!

٢٠٧٧ ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[النمل: ٤٧]:
أي تشاءمنا، والشؤم: النحس. قال القرطبي: «ولا شيء أضرَّ بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطِّيَرة، ومن ظنَّ أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرُدُّ قضاء، أو يدفع مقدورًا فقد جهل».

٢٠٧٨ في الحديث النبوي: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ».

٢٠٧٩ ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[النمل: ٤٧]:
استعير اسم الطائر للتعبير عما حل بهم من مصائب للمشاكلة في قولهم (اطيرنا)، ومخاطبة لهم بما يفهمون لإصلاح ما يعتقدون.

٢٠٨٠ ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[النمل: ٤٧]:
لما جاءهم صالح عارضوه، فأصابهم قحط شديد، وضنَّت السماء بالمطر، فقالوا: إن صالح سبب القَحْط لا الذنب، فكانت هذه فتنتهم.

٢٠٨١ ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا ﴾ [النمل: ٥٠]:

قال ابن عاشور: «سمَّى الله تآمرهم مكرًا لأنه كان تدبير ضر في خفاء، وأكد مكرهم بالمفعول المطلق للدلالة على قوته في جنس المكر، وتنوينه للتعظيم».

٢٠٨٢ ﴿ وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠]:

قال سيد قطب: «وأين مكرٌ من مكر؟ وأين تدبير من تدبير؟ وأين قوة من قوة؟ وكم ذا يخطىء الجبارون وينخدعون بما يملكون من قوة ومن حيلة، ويغفلون عن العين التي ترى ولا تغفل، والقوة التي تملك الأمر كله، وتباغتهم من حيث لا يشعرون».

٢٠٨٣ ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ [النمل: ٥٢]:

قال الآلوسي: «وفي هذه الآية دلالة على أن الظلم يكون سببًا لخراب الدور، وروي عن ابن عباس أنه قال: أجد في كتاب الله تعالى أن الظلم يخرب البيوت وتلا هذه الآية، وفي التوراة: ابن آدم .. لا تظلم يُخرَب بيتك، قيل: وهو إشارة إلى هلاك الظالم إذ خراب بيته عقب هلاكه».

من روائع المتدبرين

خرج عمر يعسُّ (يطوف بالليل) بالمدينة ذات ليلة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿وَالطُّورِ .. ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور: ٧-٨]. قال: قسَمٌ وربِّ الكعبة حق، فنزل عن حماره، واستند إلى حائط، فمكث مليًّا، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه، رضي الله عنه(١).

وعلَّق سيد قطب على هذه الحادثة بقوله:

"وعمر ﷺ سمع السورة قبل ذلك، وقرأها، وصلى بها، فقد كان رسول الله ﷺ يصلي بها المغرب، وعمر يعلم ويتأسى، ولكنها في تلك الليلة صادفت منه قلبا مكشوفًا، وحسًا مفتوحًا، فنفذت إليه وفعلت به هذا الذي فعلت، حين وصلت إليه بثقلها وعنفها وحقيقتها اللدنية المباشرة؛ التي تصل إلى القلوب في لحظات خاصة، فتتخللها وتتعمقها، في لمسة مباشرة كهذه اللمسة، تلقى فيها القلب الآية من مصدرها الأول كما تلقاها قلب رسول الله ﷺ فأطاقها لأنه تهيأ لتلقيها، فأما غيره فيقع لهم شيء مما وقع لعمر رضي الله عنه حين تنفذ إليهم بقوة حقيقتها الأولى"(٢).

(١) تفسير ابن كثير ٧-٤٠٠- ط دار الكتب العلمية

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٩٤

الجزء العشرون
من سورة النمل الآية ٥٣
إلى سورة العنكبوت الآية ٤٥
عدد الفوائد ١٢٠

٢٠٨٤ ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ [النمل: ٥٧]:

الهداية توفيق إلهي قد تُحرَم منه زوجة نبي، وتهتدي إليه قبل موتها امرأة بَغِي!

٢٠٨٥ ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [النمل: ٥٩]:

في الحديث: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله» صحيح الجامع رقم: ١١٠٤.

٢٠٨٦ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[النمل: ٦٢]:

جاءت امرأة إلى الإمام الجنيد تشتكي أن ابنها ضاع، فقال لها: اذهبي واصبري، فعادت إليه ففعلت مثل ذلك مرات إلى أن قالت: عيل صبري (أي نفد صبري)، ولم يبق لي طاقة، فادعُ لي، فقال الجنيد: إن كان كما قلت، فاذهبي، فقد رجع ابنك، فمضت ثُمَّ عادت تشكره، فقيل للجنيد: كيف عرفت ذلك؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

٢٠٨٧ قال عبد الله بن أبي صالح المكي: دخل طاووس يعودني (أي في مرض)، فقلت: يا أبا عبد الرحمن .. ادعُ الله لي، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

٢٠٨٨ قال ابن الجوزي:

«فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك..

وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح..

وإلى أنه يريد اختبارك، ليبلو أسرارك..

وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك..

وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك إلى غير ذلك.

وإلى أنه يبتليك بالتأخير، لتحارب وسوسة إبليس.

وكل واحدة من هذه الأشياء تقوّي الظن في فضله، وتوجِب الشكر له، إذ أهّلك بالبلاء لتلتفِت إلى سؤاله، وإن فقرَ المضطر إلى اللجوء إليه غنًى كله».

٢٠٨٩ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: ٧٤]:

أنت أمام الله كتاب مفتوح، فمهما تزينت أمام الخلق لتخفي عنهم سيئاتك، فأنت عند الله مكشوف بحسناتك وسيئاتك.

٢٠٩٠ ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩]:

لماذا التوكل؟! لأنك على الحق، والله هو الحق، وناصر الحق، وخاذلٌ كلَّ من خذل الحق.

٢٠٩١ ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢]: مرض آخر الزمان هو ضعف اليقين؛ ولذا قال ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل» صحيح الجامع رقم: ٣٨٤٥

٢٠٩٢ تنزل الدابة ناطقةً كعلامة من علامات الساعة، ولا يُقبَل عندها الإيمان. قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض».

٢٠٩٣ ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النمل: ٩٢]:

تلاوة القرآن على الناس من أعظم أسباب الهداية، وكم من مهتدٍ في ليلة من ليالي رمضان، بعد أن سمع القرآن في خشوع بصلاة التهجد أو التراويح.

٢٠٩٤ ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النمل: ٩٢]:

فيه المواظبة على قراءته على الناس للدعوة والإرشاد، أو المواظبة على قراءته لزيادة الإيمان والاسترشاد، وليكون نعم الزاد.

٢٠٩٥ في كم تختم القرآن؟! في الحديث: «اقرأ القرآن في كل شهر، اقرأه في خمس وعشرين، اقرأه في خمس عشرة، اقرأه في عشر، اقرأه في سبع، لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث» صحيح الجامع رقم: ١١٥٧.

سورة القصص

٢٠٩٦ ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص: ٤]:

تكريس الفرقة وتقسيم الناس إلى طوائف منهج فرعوني قديم.

٢٠٩٧ ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ [القصص: ٤]:

لا بد لكل طاغية أن يتخذ جماعة أو طائفة من الناس يُعمِل فيهم سيف بطشه وانتقامه؛ ليردع بهم بقية الشعب، ويضمن إسكاتهم وخضوعهم.

٢٠٩٨ ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]:

وإذا أراد الله أمرًا، فمن الذي يقف أمام إرادة الله؟! ولاحظ استخدام نون العظمة أربع مرات في آية واحدة!

٢٠٩٩ ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ [القصص: ٥]:

كن فيكون، فمن العبودية إلى السيادة، ومن الخدمة إلى الرفعة، ومن الرعية إلى الملكية.

٢١٠٠ أرى الله فرعون وقومه ما كانوا يخافون منه، وهو ما رآه فرعون في رؤياه أن هلاكه سيكون على يد رجل من بني إسرائيل.. بعض الرؤى تتحقق، ولو كانت من كافر!

٢١٠١ لا يُغني حذر من قدَر، ولا يوقف إرادة الله بشر، فلا رادَّ لقضائه، ولا معارض لسلطانه.

٢١٠٢ دوام الحال من المحال، والأيام دُوَل، فلا ييأسْ المستضعفون، ولا يغترَّ المستكبرون.

٢١٠٣ ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ [القصص: ٧]:

تنتهي مخاوف العبد على عتبة الثقة في وعد الله.

٢١٠٤ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾

سبحان الله! التقطوه من البحر الذي أغرقهم الله فيه.

٢١٠٥ ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]:

اللام للتعليل، أي أن الله ألهم آل فرعون ليلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وعقوبة على ظلمهم، أو هي لام العاقبة والصيرورة، أي أن الوليد الذي التقطوه سيكون سبب القضاء على ملكهم وسلطانهم.

٢١٠٦ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]:

الثلاثة في الخطأ سواء، فرعون الملك، وهامان الوزير، وسائر الجند، لعنة الظلم حين تحل على الجميع!

٢١٠٧ قال أبو حيان في البحر المحيط: «أضيف الجند إلى فرعون وهامان، وإن كان هامان لا جنود له؛ لأن أمر الجنود لا يستقيم إلا بالملك والوزير، إذ بالوزير تحصل الأموال، ولا يكون قوام الجند إلا بالأموال».

٢١٠٨ ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]:

قال الآلوسي: «وعدلت عن قولها (لنا) إلى قولها: ﴿لِّي وَلَكَ﴾ لتفخيم شأن القُرَّة، وقدَّمت نفسها عليه لما تعلم من مزيد حب فرعون إياها، وأن مصلحتها أهم عنده من مصلحة نفسه، فيكون ذلك أبلغ في ترغيبه بترك قتله».

٢١٠٩ مغاليق القلوب لا تنفتح إلا لمن أذن الله له، فيُلقي الله محبتك في قلوب الخلق إن أحبَّك وقرَّبك.

٢١١٠ ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ [القصص: ٩]:

كم ستزن هذه الكلمة يوم القيامة في ميزان آسيا بنت مزاحم؟! لا تستهِن أبدًا بكلمة حق!

٢١١١ ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠]:

لولا أن الله ربط على قلبها لذهب عقلها، ولا سلطان لأحد على قلب أحد إلا الله.

٢١١٢ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص: ١٠]:

أصح الآراء أي فارغًا من كل شيء إلا من موسى.. إنها عاطفة الأمومة.

٢١١٣ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٧]:
النعمة التي ترفل فيها ستزول إذا نصرتَ ظالمًا أو مجرمًا!!

٢١١٤ أيكون شكر نعمة الله عليك أن توالي مجرمًا وتؤيد طاغية؟! لا تكن ممن بدَّلوا نعمة الله كفرًا!

٢١١٥ ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]:
لم يمنعه بعد المسافة ومشقة الطريق من السعي في الخير، فهنيئًا لمن غبَّر قدمه ساعة في طريق الخير.

٢١١٦ ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾ [القصص: ٢٠]:
الناصح يسعى .. يبادر .. لا يتأخر .. لا يتكاسل .. ينتهز الفرص .. يثب إلى مواطن الأجر .. يبحث عن طرق الخير.

٢١١٧ ﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ ﴾ [القصص: ٢٠]:
فيه دليل على جواز النميمة لمصلحة دينية.

٢١١٨ ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢]:
موسى وحيدًا طريدًا فقيرًا ضعيفًا ولا يعلم الطريق إلى مدين، فاستغاث بالله فأغاثه، واستجاب دعاءه، فكلما ازداد فقر العبد، غمره غنى الرب.

٢١١٩ ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ ﴾ [القصص: ٢٣]:
العفيفات المؤمنات لا يزاحمن الرجال في الطرقات!

٢١٢٠ ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَا ﴾ [القصص: ٢٣]:
أصحاب الهمم العالية وحدهم من يسعون في قضاء حوائج الآخرين.

٢١٢١ ﴿ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ [القصص: ٢٣]:
إجابة مختصرة في ثماني كلمات دون كلمة زائدة! فحشمة المرأة في كلامها كما في ثيابها.

٢١٢٢ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]:

لم ينتظر كلمة ثناء، فالصادق لا يبحث عن الأضواء، بل يؤثر الظل والخفاء!

٢١٢٣ قالوا في تعريف الجواد: إنه الذي يعطي قبل السؤال صيانة للآخذ من ذل الطلب، فإن تصدقت فأسرع بالانصراف قبل أن ترى ذل الطلب على وجه السائل.

٢١٢٤ ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]:

دعاء عظيم يفيض بالافتقار، علَّمنا الله أن ندعوه به كما دعا به موسى عليه السلام.

٢١٢٥ تعلَّموا فنَّ الدعاء، لم يقل: أنا جائع فأطعمني، وعطشان فاسقني، بل قال: أنا فقير إلى الخير الذي عوَّدتني إياه، فتوسَّلَ إلى الله بأمرين: فقره وحاجته، وفضل الله عليه وكرمه.

٢١٢٦ قال ابن عباس: «لقد قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهو أكرم خلقه عليه، ولقد افتقر إلى شق تمرة، ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع». ليس الفقر إذن علامة هوان، ولا الغنى علامة إكرام.

٢١٢٧ ﴿فَجَآءَتْهُ﴾ [القصص: ٢٥]:

الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، أي: فأجاب الله دعاءه في الحال، فما أسرع لطف الله بمن افتقر إليه ورجاه.

٢١٢٨ ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]:

الأنوثة حياء لا عرض أزياء!!

٢١٢٩ ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]:

رغم ازدحام القصة بالأحداث إلا أن الله ذكر الحياء، ليدلنا على عظيم مكانته، وأنه أجمل زينةٍ للمرأة.

٢١٣٠ ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]:

مشيتك أيتها الفتاة كلام يخبر عن كثير من خصالك وأحوالك.

٢١٣١ ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]:

قال ابن كثير: «وهذا تأدب في العبارة، لم تطلبه طلبًا مطلقًا لئلا يوهم ريبة».

٢١٣٢ ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]:

قال ابن جزي: «روي أن أباها قال لها: من أين عرفت قوته وأمانته؟! قالت: أما قوته ففي رفعه الحجر عن فم البئر، وأما أمانته فإنه لم ينظر إليَّ».

٢١٣٣ أصغِ لأصوات الناصحين، فرُبَّ نصيحة أورثت خيرا كثيرا، والدليل في هذه الآية!

٢١٣٤ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [القصص:٢٧]:

انظر حسن معاملة الرجل الصالح، وهو عكس سلوكِ غيرِ الصالح، ففي الحديث: «ومن شاقَّ شقَّ الله عليه يوم القيامة» صحيح الجامع رقم: ٦٣٠٤

٢١٣٥ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص:٣١]:

هذه آية أراها الله لموسى قبل لقاء فرعون ليكون يقينه أقوى، ويصبح أجرأ في مواجهته وأقوى وأصلب، ثم وعده بالأمن، فاندفع موسى غير خائف ولا وجِل، مطمئنًا واثقًا بوعد ربه.

٢١٣٦ ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص:٣٤]:

ما أجمل التجرد، والاعتراف بفضل الآخرين، والتكامل بين الإخوان، وغياب الحسد بين الأقران.

٢١٣٧ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص:٣٤]:

هذه وظيفة الأخ الصالح: أن يشدَّ عضدك، و(إذا سألته أعطاك، وإنْ سكتَّ ابتداك، وإنْ نزلت بك نازلة واساك).

٢١٣٨ ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص:٣٨]:

يبلغ الغرور بالمتجبرين أن يفقدوا عقولهم، ويطلبوا المحال، أعراض ما قبل النهاية!

٢١٣٩ ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾[القصص:٤٠]:
(أنا عبدٌ مأمور) .. كم أضاعت هذه الكلمة من رجال، وأهلكت من أجيال، وجلبت لأصحابها النار والوبال.

٢١٤٠ ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[القصص:٤٠]:
هي عاقبة كل ظالم في كل زمان، وما فرعون إلا مثال، فبشِّر بها المظلوم، وأنذر بها كل ظالم.

٢١٤١ ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[القصص:٤٠]:
فرعون وجنوده هم قدوة كل ظالم، وفي الآخرة سيرتفع لهم لواء ينضوي تحته كل المتجبِّرين الذين ساروا في ركابهم.

٢١٤٢ كم من مشهور كانت شهرته من متطلبات هذه الوظيفة غدًا: إمامة أهل النار .

٢١٤٣ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[القصص: ٤٣]:
قال ابن تيمية: «إن الله كانت سنته قبل إنزال التوراة، إذا كُذِّب نبي من الأنبياء ينتقم الله من أعدائه بعذاب من عنده، كما أهلك قوم نوح بالغرق، وقوم هود بالريح الصرصر، وقوم صالح بالصيحة، وقوم شعيب بالظلة، وقوم لوط بالحاصب، وقوم فرعون بالغرق».

٢١٤٤ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[القصص:٤٧]:
ما وقع بلاء إلا بذنب، ولا كُشِف إلا بتوبة.

٢١٤٥ قال ﷺ: «ما اختلج عرقٌ ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر» صحيح الجامع رقم: ٥٥٢١.

٢١٤٦ ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[القصص:٥٠]:
إما الاستجابة للوحي أو اتباع الهوى، ولا احتمال ثالث.

٢١٤٧ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[القصص:٥٠]:
أشد عقوبات الظالم على الإطلاق هي حرمانه من الهداية، واستدراجه إلى الغواية، حتى يهلكه الله، وهو عقاب مستحق له على ظلمه وعدوانه.

٢١٤٨ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص:٥١]:

وصَّل الله لنا القرآن، وعهد إلينا أن نوصله للعالم، فهل نفَّذنا وصيته؟ وهل وصَّلنا القرآن لدنيا الناس؟! هل وصَّلنا دنياهم بآخرتهم؟!

٢١٤٩ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص:٥٤]:

تمدح الآية قومًا من أهل الكتاب أسلموا، وذكروا أكثر من سبب في أنهم أوتوا أجرهم مرتين:

الأول: أنهم صبروا على الإيمان بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، ثُمَّ على اتباعه حين بُعِث.

الثاني: مرة بإيمانهم بأنبيائهم قبل محمد ﷺ، ومرة أخرى بإيمانهم به ﷺ.

الثالث: أن هؤلاء لما آمنوا بمحمد ﷺ شتمهم المشركون، فصفحوا عنهم، فلهم أجران: أجر الصفح، وأجر الإيمان.

٢١٥٠ في الحديث الصحيح: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدركني فآمن بي واتبعني وصدَّقني فله أجران، وعبدٌ مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدَّبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران» صحيح الجامع رقم: ٣٠٧٣.

٢١٥١ ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [القصص:٥٤]:

اغمر ذنبك بكثير الحسنات، فهذا أفضل طريق لمكافحة السيئات.

٢١٥٢ ومعناه على قولين: الأول: يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الأذى، والثاني: يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب.

٢١٥٣ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦]:

حتى نفسك التي بين جنبيك لا تملك هدايتها إلا أن يشاء الله، فأكثِر من سؤال الله الهداية لك ولغيرك.

٢١٥٤ ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص:٥٩]:

سبب هلاك المجتمعات الظلم، والظلم فقط، وطالعوا القرآن يا سادة قبل كتب علم الاجتماع: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾

٢١٥٥ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص:٦٠]:

قال سعيد بن المسيب: «كنا عند سعد بن أبي وقاص فسكت سكتة، فقال: إنه قد قلت في سكتتي هذه خيرًا مما يسقي الفرات والنيل، فقيل له: وما هو؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

٢١٥٦ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]:

يخلق من خلقه خلقًا كثيرًا، ويختار منهم لدينه وحمل رسالته خيارَ خلقه ومن يحب، فاللهم اجعلنا من هذه الصفوة.

٢١٥٧ ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨]:

قال القرطبي: «لا ينبغي لأحد أن يقدر على أمر من أمور الدنيا حتى يسأل الله الخيرة في ذلك، بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة».

٢١٥٨ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص:٧١]:

قال الزركشي: «اقتضت البلاغة أن يقول: (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار».

٢١٥٩ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[القصص:٧٦]:

قال مجاهد في معنى عدم الفرح: «لا تبغِ» من البغي، وأما الفرح مع العدل والطاعة فلا شيء فيه.

٢١٦٠ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾[القصص:٨٠]:

الفتنة إذا أقبلت لم يعرفها إلا العلماء، فإذا أدبرت عرفها كل الناس.

٢١٦١ ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾[القصص:٨٢]:

لو كان الله قد أجاب دعاءهم بإعطائهم مثل ما أوتي قارون، لكانوا قد هلكوا معه، لكن عدم إجابتهم لما يحبون كان سبب نجاتهم مما يكرهون.

٢٦٦٢ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]:

قال أبو بكر الصديق ﷺ: ما دخل قلبي رعبٌ بعد ليلة الغار، فإن النبي ﷺ لما رأى حزني قال لي: «لا عليك.. فإن الله تكفَّل لهذا الأمر بالتمام».

٢٦٦٣ ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]:

أي إلى مكة، وسمِّيت معادًا لأن العرب كانت تعود إليها كل عام لتزور البيت الحرام، وهذا وعدٌ من الله لنبيه وهو بمكة، أنه ﷺ يهاجر منها مطاردًا ويعود منتصرًا، ووجه تنكير لفظ ﴿معاد﴾ أنه ذلك اليوم له شأن عظيم، وهذا من دلائل نبوته؛ أنه أخبر عن الغيب، فوقع كما أخبر به تماما.

سورة العنكبوت

٢٦٦٤ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوب:٢]:

سُئل الشافعي: يا أبا عبد الله.. أيها أفضل للرجل: أن يُمكن أو يُبتلى؟ فقال: لا يُمكَّن حتى يُبتلى.

٢٦٦٥ قال ابن القيم: «فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم ألبتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا بألم منقطع يسير، وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر».

٢٦٦٦ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٣]:

من دلائل نسبة الفتنة إلى الله أنه سبحانه وتعالى القادر وحده على صرف الفتن عنهم؛ مما يستلزم منهم اللجوء إلى الله ودعاءه أن يقيهم شر الفتن.

٢٦٦٧ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣]: قال الحسن البصري: «كانوا يتساوون في وقت النعم، فإذا نزل البلاء، تباينوا».

٢١٦٨ ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت:٣]:

قال البغوي: «والله أعلم بهم قبل الاختبار. ومعنى الآية: فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجَد معلومُه، وقال مقاتل: فليرين الله».

٢١٦٩ قال ابن عطاء: «يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء، فمن شكَر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين، ومن بَرَّ في أيام الرخاء، وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين».

٢١٧٠ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ﴾[العنكبوت:٥]:

قال ابن جزي: «ومعنى الآية: من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا على المجاهدة في طاعة الله حتى يلقى الله، فيجازيه، فإن لقاء الله قريب الإتيان، وكل ما هو آت قريب».

٢١٧١ ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾[العنكبوت:٦]:

قال السعدي: «لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بُخْلًا عليهم».

٢١٧٢ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[العنكبوت:٨]:

ولم يقل إحسانًا كما في سورة الأحقاف؟ الإحسان أكرم من الحُسن، فتعاملك بشكل حسَن درجة، لكن الإحسان درجة أعلى، بل هو أعلى مراتب حسن التعامل واللين واللطف وخفض الجناح، فالحسن كان مع الوالدين الكافرين، والإحسان في سورة الأحقاف مع الوالدين المؤمنين.

٢١٧٣ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾[العنكبوت:٨]:

فتنة الوالدين شديدة، وأمر الله المؤمن أن يواجهها بشيئين: الإحسان إليهما مع عدم الطاعة في المعصية .

٢١٧٤ ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[العنكبوت:٨]:

إن الله عز وجل لم يجعل الابن ندًّا لوالده ولو كان كافرا، فقال: ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم﴾، ولم يقل: فأحكم بينكم؛ لأن التحاكم يقتضي النديّة والمساواة، وهذه لا تجوز بين الابن ووالده.

٢١٧٥ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[العنكبوت:١٠]:

أي يقول بلسانه دون أن يواطئ هذا القول قلبه. سأل رجلٌ الحسن: يا أبا سعيد، أمؤمن أنت؟! فقال له: «الإيمان إيمانان، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب فأنا به مؤمن. وإن كنت تسألني عن قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ..﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، فوالله ما أدري أنا منهم أم لا».

٢١٧٦ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠]: قال مجاهد: «نزلت في ناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك».

٢١٧٧ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت:١١]:

لا ذكر هنا للكفار، فليس أخطر على المسلمين من المنافقين.

٢١٧٨ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت:١٢]: قال الزمخشري: «ونرى في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه- إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم-: افعل هذا وإثمه في عنقي، وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامّة وجهلتهم».

٢١٧٩ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣]:

القاعدة المطردة ألا تزر وازرة وزر أخرى إلا هنا، فتضاف إليهم أثقال أخرى، ربما لم يعرفوا شيئًا عنها، وكأنهم نسوا أو تناسوا ما خاطبوا به غيرهم: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [العنكبوت:١٢].

٢١٨٠ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤]:

العام يطلق على الخصب والخير، والسنة تُطلَق على الشِّدة والقحط .. ٩٥٠ سنة قضاها نوح في شدة وقحط.

٢١٨١ ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت:٢٢]:

أي ما أنتم بقادرين على أن تفلتوا من لقاء الله وحسابه، سواء كنتم في الأرض أو في السماء، وقال الفراء: ولا من في السماء بمعجزين الله فيها.

٢١٨٢ ﴿إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت:٢٤]:

متى يلجأ الظلمة إلى استعمال القوة؟! قال ابن كثير: «قام عليهم البرهان، وتوجَّهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم».

٢١٨٣ ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦]:

هذه أول هجرة في الدين، ويُستفاد منها أن الإنسان إذا لم يجد في بلده سبيلاً لإقامة دين الله وعبادته، فالأَوْلى له أن يهاجر.

٢١٨٤ ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧]:

قال القرطبي: «الصالح في الآخرة هو الفائز».

٢١٨٥ قال معاوية بن قُرَّة: «اللهم إن الصالحين أنت أصلحتهم ورزقتهم أن عملوا بطاعتك فرضيت عنهم، اللهم كما أصلحتهم فأصلِحنا، وكما رزقتهم أن عملوا بطاعتك فرضيت عنهم، فارزقنا أن نعمل بطاعتك، وارض عنا».

٢١٨٦ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ [العنكبوت:٢٩]:

مع فداحة جريمة قوم لوط ذكر قطع الطريق معها، لأن إيذاء الناس كبيرة من الكبائر.

٢١٨٧ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت:٤٠]:

الذنوب سبب الإهلاك، ولا عقوبة بغير سبب.

٢١٨٨ لن يؤاخذك الله بذنب غيرك ، فاشتغل بذنوبك عن ذنوب غيرك.

٢١٨٩ قال ابن تيمية: «ومن ظن أن الذنوب لا تضره - لكون الله يحبه - مع إصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه!

٢١٩٠ ولو تدبر الأحمق ما قصَّ الله في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم، وتطهير؛ علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها، ولو كان أرفع الناس مقامًا».

٢١٩١ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾[العنكبوت:٤١]:

قال صاحب الكشاف: «الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم، بما هو مثلٌ عند الناس في الوهن وضعف القوة، وهو نسج العنكبوت، فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾، وكلُّ أحد يعلم وهن بيت العنكبوت؟ قلت:معناه: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلُهم، وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن».

٢١٩٢ ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [العنكبوت:٤١]:

علاقة هذا المثل بموضوع السورة أن الإنسان عند الفتن عليه ألا يلجأ إلى القوى الضعيفة الواهنة كالتجاء العنكبوت لبيت العنكبوت، بل يلجأ إلى الله القوي المتين، وكما تتشابك خيوط العنكبوت وتتعدد، فكذلك فتن الحياة متشابكة ومتعددة، لكن استعانة العبد بربه تبدد هذه الفتن، فتصبح واهية كبيت العنكبوت.

٢١٩٣ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣]: في القرآن ثلاثة وأربعون مثلًا، لا يتدبرها إلا العالِم، فمن العالم؟!

٢١٩٤ تلا جابر بن عبد الله هذه الآية، ثم قال: «العالم الذي عقل عن الله أمره، فعمِل بطاعة الله، واجتنب سخطه».

٢١٩٥ قال عمرو بن مُرَّة: «أكره أن أمُرَّ بمثل في القرآن فلا أعرفه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾».

٢١٩٦ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥]:

لو صلينا بحق، لاختفت كثير من المنكرات من حياتنا.

٢١٩٧ قال الحسن: «يا ابن آدم .. إنما الصَّلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن لم تنهك صَلَاتك عَن الفحشاء والمنكر، فَإنَّك لست تصلي».

٢١٩٨ عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله .. إن فلانًا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق! قال: «سينهاه ما تقول» السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٨٢.

٢١٩٩ ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]:

يقول ابن القيِّم: «إنّ أفضل أهل كلِّ عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عز وجل، فأفضلُ الصُّوَّام أكثرهم ذكرًا لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدّقين أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وأفضلُ الحجّاج أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وهكذا في سائر الأعمال».

٢٢٠٠ قال ابن عباس وابن مسعود: «ذكرُ الله لكم أكبرُ من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم، وهو ذاكرٌ مَن ذكَرَه».

٢٢٠١ قيل لسلمان الفارسي: أي الأعمال أفضل؟ فقال: ألا تقرأ القرآن؟! ألم تقرأ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾.

٢٢٠٢ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]:

قال ابن تيمية: «الصحيح في معنى الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر».

٢٢٠٣ ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]:

في هذه الآية بيان زاد الأتقياء في طريق المحن والبلاء، وهي تلاوة القران والصلاة وذكر الله.

الجزء الحادى العشرون
من سورة العنكبوت الآية ٤٦
إلى سورة الأحزاب الآية ٣٠
عدد الفوائد ٧٩

٢٢٠٤ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]:
إذا كان الله قد أمرك ألا تجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فما بالك بأخيك المسلم؟ أليس أولى بإحسانك؟!

٢٢٠٥ ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]:
حفظ القرآن! قال الحسن: «أعطيت هذه الأمة الحفظ، وكان من قبلها لا يقرؤون كتابهم إلا نظرًا، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا النبيون».

٢٢٠٦ ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [العنكبوت: ٥١]:
القرآن كنز! قال ابن تيمية: «كل علم دين لا يُطلب من القرآن فهو ضلال».

القرآن كفاية كل محتاج، ولا يكفيك ويروي روحك إلا القرآن!

٢٢٠٧ ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٥]: آيةٌ جمعت بين العذاب الحسي والعذاب المعنوي، فالحسي أن النار تغشاهم من جميع الجهات، والمعنوي هو التقريع والتهديد والتوبيخ في قوله: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

٢٢٠٨ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]:
جاء الفعل (صبروا) ماضيا من باب البشارة للمؤمنين، كأن العذاب والشدة أمر قد مضى، وأن المستقبل مشرق وآمن، بينما جاء الفعل (يَتَوَكَّلُونَ) مضارعًا؛ لأن التوكل في حياة المسلم أمر متجدد كل يوم، فلا يعمل المسلم عملا مهما دق أو عظم إلا متوكلًا على الله سبحانه.

٢٢٠٩ قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية:

«وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدًا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أُريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله».

٢٢١٠ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩]:

قدَّم الجار والمجرور ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ لقصر التوكل على الله، فهم لا يتوكلون إلا على الله سبحانه، وجاء التعبير بـ﴿رَبِّهِمْ﴾؛ لأن الرب هو الراعي والخالق والرازق، فناسب الأمر سياق التوكل.

٢٢١١ قال سعيد بن جُبير: «التوكُّل على الله جِماعُ الإيمان، وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدقَ التوكُّل عليك، وحُسنَ الظنِّ بك».

٢٢١٢ قال بعض الحكماء: «التوكل على ثلاث درجات، أولاها: ترك الشكاية، والثانية: الرضى، والثالثة: المحبة، فترك الشكاية درجة الصبر، والرضى سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين».

٢٢١٣ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]:

وكأين: للتكثير، فإن أكثر الحيوانات لا تحمل رزقها، ولا تقوم بتخزينه كما يفعل الإنسان، ومع هذا فقد ضمن الله لها رزقها طوال عمرها، فاهدأ أيها الإنسان ولا تضطرب.

٢٢١٤ قال ابن جزي: «والقصد بالآية: تقوية لقلوب المؤمنين، إذ خافوا الفقر والجوع في الهجرة إلى بلاد الناس: أي كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة، كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم».

٢٢١٥ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]:

قال مجاهد في تفسيرها: «لا موت فيها».

٢٢١٦ الدنيا حلم، والموت انتباهٌ من هذا النوم، ومع الموت بدء الحياة الحقيقية، والعيش بكماله ودوامه.

٢٢١٧ ﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[العنكبوت: ٦٧]:
كان الرجل من السلف الصالح يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.. كِدْتُ والله أن أكون أنا السواد المُخْتَطَف، فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهادًا.

٢٢١٨ جاء رجل إلى الفضيل بن عياض فقال له: أوصني. قال: هل مات والداك؟ قال: نعم، فقال: فَقُمْ عَنّي، فإن من يحتاج إلى من يعظه بعد موت والديه لا تنفعه موعظة.

٢٢١٩ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩]:
قال أبو سليمان الداراني: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله، وهو الجهاد الأكبر».

٢٢٢٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[العنكبوت: ٦٩]:
قال سفيان بن عيينة لابن المبارك: «إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾».

٢٢٢١ أبشروا! قال السعدي: «كل من اجتهد في الخير هداه الله الطريق الموصلة إليه، سواءً أكمل ذلك العمل، أو حصل له عائق عنه».

٢٢٢٢ قال ابن القيم: «كَثْرَة المزاولات تُعطي الملكات، فتبقى للنَّفس هيئة راسخة وملكة ثابتة».

سورة الروم

٢٢٢٣ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢، ٣]:

عن نيار بن مكرم الأسلمي: لما نزلت: الم غلبت الروم خرج بها أبو بكر إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، قال: الله أنزل هذا وكانت فارس قد غلبت الروم، فاتخذوهم شبه العبيد، وكان المشركون يحبون أن لا تغلب الروم فارس؛ لأنهم أهل جحود وتكذيب بالبعث، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب وتصديق بالبعث، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، قال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، قالوا: الوسط في ذلك ستة لا أقل ولا أكثر، قال: فوضعوا الرهان، وذلك قبل أن يحرم الرهان، فرجع أبو بكر ﷺ إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقالوا: بئس ما صنعت، ألا أقررتها كما قال الله: لو شاء الله أن يقول ستًّا لقال، فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان، فلما كان سنة سبع ظهرت الروم على فارس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾

٢٢٢٤ ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ [الروم: ٤]:

وعى أبو بكر الدرس، وجاء يوم الحديبية، ويُعلِن النبي ﷺ وعده بالاعتمار، ويستبشر المسلمون، لكن جاء المنع من أئمة الكفر، ثم كان صلح الحديبية، ولا عمرة إذن هذا العام! فصاح الفاروق: أليسَ كان يُحدِّثُنا أنّا سنأتي البيتَ ونَطُوف به؟! فيجيبه أبو بكر بعد أن وعى الدرس: أفأخبرك أنك تأتيه العامَ؟! فأجاب عمر نافيًا التحديد، وهنا يصدع بها أبو بكر ﷺ: «فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به»، وهكذا يجب أن يكون التصديق بالوعد واليقين بوقوعه ولو بعد حين، دون تحديد ما لم يُحدِّد الله، وعدم التألي على الغيب، أو تضييق واسع، أو القطع بما لا تعلم.

٢٢٢٥ لم أورد الله هذه الآية بعد ذكر المعركة بين فارس والروم؟! قال السعدي: «فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر».

٢٢٢٦ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]:

قال الحسن: «إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطىء، وهو لا يحسن أن يصلي».

٢٢٢٧ ليس الذم هنا للإحاطة بعلوم الدنيا، وإنما لسهوهم عن الآخرة، وجهلهم بها، وعدم تفكرهم فيها، أو العمل لها.

٢٢٢٨ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [الروم: ٢١]:

ترى الدكتورة عائشة بنت الشاطئ أن كلمة زوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريعًا وحُكمًا، كما في هذه الآية، فإذا تعطلت آيتها من السكن والمودة والرحمة، بخيانة أو تباين في العقدية، فامرأة لا زوج، كما في حالة امرأة العزيز لأنها خانته، وامرأة نوح وامرأة لوط لخيانتهما، وامرأة فرعون، وقد تعطلت آية الزوجية بينهما بإيمانها وكفره.

٢٢٢٩ وتوالي الدكتورة عائشة عبد الرحمن استقراء مواطن اختلاف الدلالة بين لفظتي الزوج والمرأة، مبينة أن عنصر الإنجاب عامل آخر لاستخدام لفظ الزوج دون لفظ المرأة، كما تضرع زكريا لربه قائلًا: ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥]، فلما استجاب الله له، وحققت الزوجية حكمتها كانت الآية: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فحتى تحظى المرأة بلقب الزوجة، لا بد أن تكون هذه العلاقة قد توطدت بالتآلف الفكري والنفسي والحسي، وذلك بأن تكون قد أنجبت له، وعلى دينه، وذات وفاء له، فإن اختل عنصر واحد من هذه العناصر كانت (امرأة) لا (زوج).

٢٢٣٠ ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]:

قال ابن القيم في روضة المحبين: «وأما الود فهو خالص الحب وألطفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة».

٢٢٣١ ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾[الروم: ٢٢]:

قال القرطبي: «اللسان في الفم، وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية. واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة، فلا تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل، فعُلِم أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر الباري».

٢٢٣٢ ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]:

قال الإمام القرطبي: «قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا، فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا أنفسكم عن مشاركة عبيدكم، وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي، فهذا حكم فاسد، وقلة نظر وعمى قلب!! فإذا أبطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة، والخلق كلهم عبيد الله تعالى، فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكًا لله تعالى في شيء من أفعاله».

٢٢٣٣ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[الروم: ٣٠]:

من الحَنَف، وهو الميل من الباطل إلى الحق، وضده الجَنَف، أي اثبت على ما أنت عليه من الحق، ولا تلتفت عنه إلى غيره.

٢٢٣٤ قال صاحب الكشاف: «أي فقوّم وجهك له وعدّله، غير ملتفت عنه يمينًا أو شمالًا، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدّد إليه نظره، وقوّم له وجهه، مقبلًا به عليه»، فهل هذا اهتمامك بدينك؟!

٢٢٣٥ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[الروم: ٣٦]:

تنبيه مهم إلى أن ما يصيبنا من مصائب سببه أفعالنا، فما علينا إلا محاسبة أنفسنا على السيئات، واستدراك ما فات، لكي يرفع الله عنا ما نزل من بلاء، وينجينا من القنوط والإحباط.

٢٢٣٦ ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]:

(بعض) الذي عملوا؛ لو أذاقهم الله جميع ما عملوا ما ترك على ظهرها من دابة!

٢٢٣٧ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]:

هدف الابتلاءات ردُّ الشاردين إلى رحاب الله، وجذب الغافلين إلى روضة الطاعة.

٢٢٣٨ ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الروم: ٤٢]:

تستطيع أن تسير في الأرض وأنت واقف! فالسير في الأرض سيران: سيرٌ بالأقدام لمشاهدة آثار السابقين، وسير القلوب بالتفكر في أحوال الظلمة والمعاندين.

٢٢٣٩ ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ [الروم: ٤٤]:

الكفار لا يضرون إلا أنفسهم، وذلك بأعظم الضرر! قال صاحب الكشاف: «قوله فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار؛ لأن من كان ضاره كفره، فقد أحاطت به كل مضرة».

٢٢٤٠ ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم: ٤٤]:

والمهاد: الفراش، ومنه مهاد الصبي أي فراشه، والجملة تصوير رائع للثمار الطيبة للعمل الصالح في الدنيا، فصاحبه قد مهّد لنفسه مكانًا مريحًا في كل منازل الآخرة، بدءًا من القبر ووصولًا لساحة الحشر، حتى يبلغ الجنة.

٢٢٤١ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الروم: ٤٥]:

قال ابن كثير: «ومع هذا فهو العادل فيهم الذي لا يجور».. كم دفعتنا كراهية البعض إلى ظلمهم!

٢٢٤٢ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤]:

الطفل = ضعف، والوالدان عند الكبر = ضعف + شيبة، فوالداك عند الكِبَر أشد ضعفًا من الأطفال؛ لذا يحتاجان رعايتك أكثر من أولادك.

٢٢٤٣ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[الروم: ٥٥]:

الدنيا كلها في جوار الآخرة ساعة، فكيف بعتم خلود الآخرة بنعيم ساعة، وليته كان نعيمًا خالصًا، بل معه تنغيص وهموم وأحزان وغموم!

٢٢٤٤ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[الروم: ٦٠]:

لماذا الصبر؟ لأن وعْدَ الله لك بالنصرة وإظهار الدين وإعلاء كلمة الحق محقق، ولا بد من إنجازه والوفاء به لا محالة! وهذا هو زاد الصبر إن أوشك صبرنا على النفاد!

٢٢٤٥ سورة الروم سورة مكية، والجهاد لم يؤذن به في مكة، فما هو إلا الصبر، يأمر الله به رسوله، ويأمر به رسوله الناس!

٢٢٤٦ خُتِمَت السورة بالوعد بالنصر، كما افتُتِحت بالوعد به، فسورة الروم هي مبشِّرة المؤمنين، ونازِعة القلق من قلوب المصلحين، وهي من أهم جرعات اليقين!

٢٢٤٧ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[الروم: ٦٠]:

قال السعدي: «أي لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علِم أن عمله غير ضائع، بل سيجده كاملًا هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسَّر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير».

٢٢٤٨ ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[الروم: ٦٠]:

أي لا تضطرب لكلامهم، ولا تقلق، ولا يذهب عقلك بسبب ما يصنع هؤلاء المجرمون، ولا تتسرع في قرارك، ولا تخرج عن طبعك وهدوئك ولا عن إيمانك، بل ثق في وعدنا، واطمئن لقضائنا!

سورة لقمان

٢٢٤٩ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: ٦]:

خطورة عمل القلب! قال قتادة: «والله لعله أن لا ينفق فيه مالًا، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع».

٢٢٥٠ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]:

الحكمة منحة ربانية وهدية إلهية، وليست بالضرورة عن كبر سِنٍّ، ولكن عطاء الله يعطيه من يشاء من عباده، فادع الله بالحكمة.

٢٢٥١ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]:

من وسائل التربية أنك إذا أمرت أحدًا بأمر أن تبيِّن له سببه، فهذا أدعى لقبول الأمر منك!

٢٢٥٢ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» صحيح البخاري رقم: ٣٤٢٩.

٢٢٥٣ قال رسول الله ﷺ: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله، فالشرك. قال الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان:١٣]، وأما الظلم الذي يغفره، فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم عز وجل، وأما الظلم الذي لا يتركه، فظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يقصَّ بعضهم من بعض» صحيح الجامع رقم: ٣٩٦١ والصحيحة رقم: ١٩٢٧

٢٢٥٤ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]:

قال سفيان بن عيينة عن هذه الآية: «من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين».

٢٢٥٥ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]: لا بد مع الدعوة إلى الله من أذى ينال الداعي، ولا يُدفَع الأذى إلا بالصبر!

٢٢٥٦ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]:

قال ابن عباس: «ولا تتكبر؛ فتحقر عباد الله، وتُعرِض عنهم بوجهك إذا كلموك»، ولو مع عامل النظافة أو المتسوِّل في الطرقات.

٢٢٥٧ ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]:

النعم دنيوية وأخروية:

فالدنيوية الظاهرة: الصحة والمال والعيال والأموال وحسن الخلقة، والدنيوية الباطنة: ستر عيوبك وقبيح أحوالك التي تكره أن يطلع عليها الناس.

والأخروية الظاهرة: الإسلام والقرآن، والأخروية الباطنة: ما ستر من عيوبك وأخفى من ذنوبك

٢٢٥٨ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٢٠]:

كلما قل (العلم) زاد (الجدال).

٢٢٥٩ ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: ٢١]:

كم أضاع التقليد الأعمى وتعطيل العقل أجيالًا من المسلمين!

٢٢٦٠ قال علي عزت بيجوفيتش: «حين نعلِّم الإنسان التفكير، فإننا نحرِّره، وحين نلقِّنه فإننا نضمُّه للقطيع».

٢٢٦١ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]:

لو اجتمعت مواهب أهل العلم والبلاغة والفصاحة أولهم وآخرهم على قلب رجل واحد ليُوَفُّوا هذه الآية حقَّها مِنْ بيان وبلاغة لما استطاعوا!

٢٢٦٢ أي لو أنَّ أشجار الأرض كلها بُرِيَتْ أقلامًا، وصار البحر مدادًا لها، ويُمَدُّ بسبعة أبحر أخرى، وكُتِب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله من علمه وحكمه، لتكَسَّرَتْ تلك الأقلام، ولَنَفِدَ ذلك المداد، ولم تَنْفَدْ كلمات الله التامة التي لا يُحِيطُ بها أحد.

٢٢٦٣ ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣]:
والغَرور بفتح الغين: هو ما غرَّ الإنسان من شيء كائنًا ما كان، شيطانًا كان أو إنسانًا، أو دنيا. قال الضحاك ومجاهد: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان.

قال سعيد بن جُبَير: «أن تعملَ بالمعصية وتتمنى المغفرة».

٢٢٦٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]: هذه الخمسة هي مفاتيح الغيب، ففي صحيح البخاري: «مفاتح الغيب خمسة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾».

سورة السجدة

٢٢٦٥ ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢]: سمِعوا وأبصروا، لكن للأسف! في الوقت الضائع، وبعد فوات الأوان!

٢٢٦٦ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧]:
قال الحسن: «أخفى قوم عملهم، فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر».

٢٢٦٧ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾[السجدة: ٢٤]:
سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فقال: ألم تسمع قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾، فقال: لما أخذوا بِرأسِ الأمر صاروا رؤوسًا.

٢٢٦٨ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]: ضَرَبَ أبو الدرداء مثلاً للصبر واليقين فقال: «مَثَلُ اليقين والصبر مَثَلُ فَدَّادِينَ يَحْفِرَانِ الأَرْض، فإذا جلَس واحِدٌ جلس الآخر».

٢٢٦٩ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [السجدة: ٢٨]:

يستعجل المجرمون العذاب، ويتعاملون معه باستخفاف، وهذا واضح من ذكر اسم الإشارة (هذا) قبل ذكر الفتح.

٢٢٧٠ ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٩]:

في الآية توجيهان من الله إلى طريقة التعامل مع المستخفين بالنصر الإلهي الذي وعده الله للمؤمنين:

الأول: عدم تعيين يوم الفتح في الدنيا، فأنا واثق في الوعد الإلهي، ولا أشغل نفسي بالموعد الزماني.

الثاني: ترك الحديث عن الفتح الدنيوي، والعدول عنه إلى بيان الفتح الحقيقي وهو يوم القيامة.

سورة الأحزاب

٢٢٧١ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١]:

يغضب أحدنا إذا قيل له اتقِ الله؛ وكأنها انتقاص أو اتهام، وقد قالها الله تعالى لسيد الخلق ﷺ.

٢٢٧٢ ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤]:

الأدعياء جمع دعيٍّ، وهو الذي يدَّعى أن فلانًا ولده وليس بولده، وسببها هو أمر زيد بن حارثة، وذلك أنه كان فتى سباه بعض العرب، وباعه لخديجة، فوهبته للنبي ﷺ فتبناه، فكان يُقال له زيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية، والتي أبطل الله بها التبني.

٢٢٧٣ ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]:

قال القرطبي: «أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال، وحرمةِ النكاح على الرجال».

٢٢٧٤ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]:

جنود لا نراها، تدفع عنا ما نكره، دون أن نعلم عنها شيئًا، وهذا من أجمل معاني اللطف الإلهي.

٢٢٧٥ ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الأحزاب: ١٣]:

قائمة أعذار المنافق لا تنتهي، وكلما زاد اعتذار المرء عن أعمال الخير ومواطن الأجر، اقترب من أرض النفاق!

٢٢٧٦ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩]:

قال صاحب الكشاف: «وهل يثبت للمنافقين عمل حتى يُردَّ عليه بالإحباط؟

قلت: لا، لكنه تعليم لمن عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان، وإن لم يواطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي، فبيَّن أن إيمانه ليس بإيمان، وأن كل عمل يوجد منه باطل، وفيه حثٌّ على إتقان المكلَّف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح، وتنبيهٌ على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء من غير أساس، وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورًا».

٢٢٧٧ ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]:

عملية (السلْق) هي وصف الله لعمل ألسنة المنافقين في المؤمنين، فلا تتعجبوا إذا قابلتم سلاطة ألسنة المنافقين وحِدَّة كلماتهم.

٢٢٧٨ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]:

جاءت ﴿أُسْوَةٌ﴾ نكرة لتفيد الاقتداء به في عموم أفعاله وأحواله وأخلاقه وعباداته ومعاملاته ﷺ! من هو مَثَلك الأعلى؟!

٢٢٧٩ هل لي أن أسألك في ضوء هذه الآية: من هو قدوتك ومثلك الأعلى؟! في الحديث: «انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام ،فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المتنسبين: أما أنت أيها المتنسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المتنسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة» صحيح الجامع رقم: ١٤٩٢.

٢٢٨٠ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب: ٢٣]:

* سبب نزولها:

نزلت في أنس بن النضر حيث لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر، فشقَّ ذلك عليه وقال: لئن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنع، فاستقبل سعد بن معاذ يوم أحد قائلًا: واهًا لريح الجنة، أجدها دون أحد، فقاتلهم حتى قُتِل، فمن شدة جراحاته قالت أخته الرُّبيِّع ابنة النضر: فما عرفتُ أخي إلا ببنانه! فنزلت هذه الآية.

٢٢٨١ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب: ٢٣]:

من علامات صدق العبد الثبات وعدم التبديل، فالزلل بعد الثبات مِنْ قلة الصدق.

٢٢٨٢ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[الأحزاب: ٢٣]:

باب التوبة مفتوح للكل حتى المنافقين، فلا تغلقه في وجه أحد، ولتكن هداية المجرمين أحب إليك من عذابهم، وتوبتهم أحب إليك من عقابهم.

الجزء الثاني والعشرون
من سورة الأحزاب الآية ٣١
إلى سورة يس الآية ٢٧
عدد الفوائد ٩٩

٢٢٨٣ ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

كلما زادت التقوى اختفى خضوع النساء بالقول، وما رقَّقت امرأة صوتها لرجل إلا لقلة تقواها.

٢٢٨٤ ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

والمرض هنا هو شهوة الزنى والفجور، فإن صاحبها مستعد متربص، ينتظر أدنى إشارة ليتحرك، فأدنى سبب يدعوه إلى الحرام يجيبه، ومن ذلك خضوع المرأة بالقول.

٢٢٨٥ ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]:

قال السعدي: ولما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: غير غليظ ولا جاف كما أنه ليس بِلَيِّنٍ خاضع.

٢٢٨٦ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]:

تبرج المرأة ارتداد ورجعية إلى عصور الجاهلية، قبل أن تعرف البشرية ستر العورات، واليوم انقلبت الموازين، فصار العري تحضرًا، والحجاب تخلفًا!

٢٢٨٧ ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]:

لم يأت الأمر بالذكر إلا بالكثرة، فهذه الكثرة هي علامة الإيمان، وإلا فإن المنافق أيضًا يذكر الله لكن قليلًا.

٢٢٨٨ سئل الإمام أبو عمرو ابن الصَّلاح عن القَدْر الذي يصير به العبد من ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾، فقال: «إذا واظبَ على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة، ليلًا ونهارًا، وهي مُبيَّنة في كتاب: عمل اليوم والليلة، كان من ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾».

٢٢٨٩ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٦]:

كلما زاد إيمانك زادت ثقتك بحسن اختيار الله ورسوله، ورأيت أنه الأفضل والأصلح لك دنيا وآخرة.

والخير أجمعُ فيما اختار خالقنا   وفي اختيار سواه اللؤم والشؤم

٢٢٩٠ الاعتراض على حكم الله وعدم الانقياد لأمره هو قرع لباب الشرك، فمن لم يتب منه في الحال وقع في ما هو أخطر.

٢٢٩١ روى أبو نُعيم في الحلية عن الشافعي أنه أتاه رجل، فسأله عن مسألة فقال: قضى رسول الله ﷺ بكذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال الشافعي: سبحان الله! أتراني في كنيسة؟ تراني في بيعة؟ تراني على وسطي زنارًا؟ أقول: قضى رسول الله ﷺ كذا وكذا وأنت تقول لي: ما تقول أنت؟!

٢٢٩٢ ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾[الأحزاب: ٣٧]:

نخاف من الناس أكثر من خوفنا من الله. وفي الحديث: «أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك». صحيح الجامع رقم: ٢٥٤١.

٢٢٩٣ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾[الأحزاب:٣٧]:

إن الله عز وجل لما منع زيدًا من ذلك الشرف الذي شرَّفه الله به بكونه كان يُدعَى زيد بن محمد، فعوَّضه عن هذا بأن ذكر اسمه صراحة في القرآن، قال الله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ [الأحزاب:٣٧]، وكذلك ربك إذا سلب عبدًا نعمة فصبر، عوَّضه الله عز وجل بأحسن منها.

٢٢٩٤ ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]:

كانت زينب بنت جحش تفتخر على أمهات المؤمنين أن أهاليهن زوجوهن، وأن الله جل وعلا زوَّجها من فوق سبع سماوات.

٢٢٩٥ ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ [الأحزاب:٣٧]: أي: السبب في ذلك لكي يزول هذا الحكم الباطل، وهذه البنوة الباطلة، وهذا الأثر الذي لا يكفي فيه القول، بل لا بد من التمثيل بمثال عملي.

٢٢٩٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]:

قال كعب: «من أكثر ذكر الله برئ من النفاق».

٢٢٩٧ كلَّما زاد الإيمان، زاد ذكر الله، وكلما ضعف الإيمان قل الذكر، واقترب العبد من ساحة النفاق.

٢٢٩٨ قال مجاهد: «لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا».

٢٢٩٩ الذكر الكثير أن تقوم الليل مصليًا مع زوجتك تعينها وتعينك. قال رسول الله ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصلَّيا ركعتين كُتِبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات» صحيح الجامع رقم: ٦٠٣٠

٢٣٠٠ قال أبو عثمان الحيري: «الذكر الكثير أن تذكر في ذكرك له أنك لا تصل إلى ذكره إلا به وبفضله».

٢٣٠١ ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٦]:

وصف الله القمر فقال: ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ [الفرقان: ٦١]. ، ووصف الشمس فقال: ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾، لكنه حين وصف الحبيب ﷺ جمع بين الوصفين فقال: ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

٢٣٠٢ ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧]:

سيروا على خطى الحبيب، بشِّروا ولا تنفِّروا، يسِّروا ولا تعسِّروا، تفاءلوا ولا تتشاءموا، وكونوا مفاتيح خير مغاليق شر.

٢٣٠٣ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]:

قال ابن عطية: «قال لنا أبي رضي الله عنه: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأنَّ لَهُمْ عنده فضلًا كبيراً، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢]، فالآية التي في هذه السورة خبر، والتي في حم عسق تفسير لها».

٢٣٠٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩]:

هذا دليل على أن ليس للمطلقة قبل الدخول بها عِدَّة.

٢٣٠٥ ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]:

حسن الخلق عملة نادرة لا تظهر إلا وقت الخلاف. قال القشيري: «لا تذكروهن بعد الفراق إلا بخير، ولا تستردوا منهن شيئا تخلّفتم به معهن، فلا تجمعوا عليهن الفراق بالحال والإضرار من جهة المال».

٢٣٠٦ ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]:

قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ ذكره مفردًا، وقال: ﴿وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ فذكرهن جمعًا، وكذلك قال: وبنات خالك فردًا وبنات خالاتك جمعًا، فما الحكمة؟! قال ابن العربي: «والحكمة في ذلك أن العم والخال في الإطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز، وليس كذلك في العمة والخالة، وهذا عرف لُغَوي».

٢٣٠٧ ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب ٥٣]:

يقول سيد قطب: «فلا يقل أحد غير ما قال الله!

لا يقل أحد إن الاختلاط وإزالة الحجب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعوان على تصريف الغريزة المكبوتة .. إلى آخر مقولات الضعاف المهازيل

الجهال الحجوبين، لا يقل أحد هذا والله يقول ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب٥٣] يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق».

٢٣٠٨ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]:

شاركهم نفس الصلاة، وأطلق لسانك، وثقّل ميزانك، ورمّم إيمانك.

٢٣٠٩ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]:

في الحديث: «من صلى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه؛ صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات» صحيح الجامع رقم: ٦٣٦٠

٢٣١٠ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]:

يصلون فعل مضارع يفيد الاستمرار وعدم التوقف، فلماذا توقفتم؟! صلوا عليه.

٢٣١١ قال الرازيّ: «إذا صلّى الله وملائكته عليه، فأي حاجة إلى صلاتنا؟

نقول: الصلاة عليه ليس لحاجته إليها، وإنما هو لإظهار تعظيمه كما أن الله تعالى أوجب علينا ذكر نفسه، ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا، رحمة بنا، ليثيبنا عليه، ولهذا جاء في الحديث: «من صلى عليّ مرة، صلى الله عليه بها عشرا» .

٢٣١٢ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]:

قال ابن جزي: «وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء.

وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله، والأوّل أرجح، لأنه ورد في الحديث يقول الله تعالى: «يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويُكذّبني وليس له أن يكذّبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني» وأما إذاية رسول الله ﷺ، فهي التعرض له بما يكره من الأقوال أو الأفعال».

٢٣١٣ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[الأحزاب: ٥٨]:

في الحديث: «من ضار أضر الله به، ومن شاق شق الله عليه»، وفي المقابل قال عمر ابن عبدالعزيز: ما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة.

٢٣١٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]: هذه آية الحجاب، وأمر الله نبيه أن يبدأ بنسائه أولًا؛ لأن الآمر لغيره يجب أن يبدأ بنفسه.

٢٣١٥ ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الأحزاب: ٦٠]:

قال الإمام القرطبي: «في الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه ﷺ حتى مات، والمعروف من أهل الفضل إتمام وعدهم وتأخير وعيدهم».

٢٣١٦ ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[الأحزاب: ٦٧]:

النفس مجبولة على اتباع القوي.. الغني.. المشهور.. فإن كان صالحًا، وإلا فالملتقى جهنم!

٢٣١٧ ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[الأحزاب: ٧٠، ٧١]:

من طاب قوله حسن عمله.

٢٣١٨ قال يونس بن عبيد: «ما من الناس أحد يكون لسانه منه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله».

سورة سبأ

٢٣١٩ ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [سبأ: ١]:

يظهر من حمد الله في الآخرة ما لا يظهر في الدنيا، بعد أن يرى كل الخلق كمال عدله وحكمته، فيحمدونه على ذلك.

٢٣٢٠ ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦]:

وعبَّر الله بكلمة يرى بدلًا من يعلم للإشارة للعلم اليقيني لا الظني، فكأنهم يرونه بأعينهم.

٢٣٢١ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]:

قال ابن عاشور: «وتنكير ﴿فَضْلًا﴾ لتعظيمه، وهو فضل النبوة، وفضل الملك، وفضل العناية بإصلاح الأمة، وفضل القضاء بالعدل، وفضل الشجاعة في الحرب، وفضل سعة النعمة عليه، وفضل إغنائه عن الناس بما ألهمه من صنع دروع الحديد، وفضل إيتائه الزبور، وإيتائه حسن الصوت، وطول العمر في الصلاح، وغير ذلك».

٢٣٢٢ ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]:

كيف أشكره؟! الشكر ثلاثة أركان: بالجوارح باستعمالها في مرضاة الله، واللسان بالشكر والحمد، والقلب بالمحبة والامتنان. قال الشاعر:

أفادتكُمُ النَّعْماءُ مِنِّي ثلاثة ... يدي ولساني والضَّمِيرَ المُحَجَّبا

٢٣٢٣ روي أن داود عليه السلام قال: يا رب .. كيف أطيق شكرك على نعمك، وإلهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك، فقال: يا داود .. الآن عرفتني.

٢٣٢٤ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]:

لما توعد إبليس بني آدم بالغواية، لم يكن متيقنًا أنه يقدر على ذلك، وإنما قال ذلك ظنًّا، فلما اتبعوه صدَق عليهم ظنُّه فيهم. قال الحسن: إنه لم يسُلّ عليهم سيفا، ولا ضربهم بسوط، وإنما وعدهم ومنّاهم فاغتروا.

٢٣٢٥ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٢٣]:

هؤلاء الملائكة، وهذا يكون عند الوحي الإلهي إلى جبريل عليه السلام، فإن الملائكة إذا سمعوا الوحي إلى جبريل فزعوا فزعًا عظيمًا، فإذا زال الفزع قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟! فيقولون: قال الحق.

٢٣٢٦ ومتى هذا؟! في كل وقت يقضي الله به أمرًا كما في سنن الترمذي من حديث أبي هريرة وهو صحيح، قال: «إذا قضى الله في السماء أمرًا».

٢٣٢٧ ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤]:

يساوي النبي ﷺ بين نفسه وبينهم في احتمالات الهداية والضلال.. تعلموا أدب الحوار وفن الدعوة وكيفية اكتساب القلوب.

٢٣٢٨ قال الزركشي: «هنا نكتة هو أنه خولف في هذا الخطاب بين(على) و(في) بدخول(على) على الحق، و(في)على الباطل؛ لأن صاحب الحق كأنه على فرس جواد يركض به حيث أراد، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام لا يدري أين يتوجه».

٢٣٢٩ ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥]:

ما هذا اللطف في الدعوة؟! من الذي أجرم؟! إنهم المشركون، لكن النبي ﷺ ينسب هذا لنفسه تلطفًا وتوددًا!

٢٣٣٠ ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ [سبأ:٣٣]:

أسرَّ من ألفاظ الأضداد، فيكون معناها الجهر ويكون معناها السر، أي: جهروا بالندامة، فأخذ بعضهم يوبخ بعضًا، وكفر الأتباع بالزعامات والسيادات وتبرأ الكبراء من الصغراء، ولن يفيدهم ذلك هيهات!

٢٣٣١ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ:٣٩]:

قال ابن جزي: «إخبار يتضمن الردَّ عليهم، بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلَّق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي، ويضيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة».

٢٣٣٢ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]:

قال ابن كثير: « يخلفه عليكم بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب».

٢٣٣٣ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ:٥١]:

وهذا الفزع للكافرين يكون عند خروجهم من قبورهم للبعث والحساب، أو عند قبض أرواحهم، وقوله ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: فلا مهرب لهم ولا نجاة .

٢٣٣٤ ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[سبأ:٥٢]:

أنى لهم تناول الإيمان وتعاطيه، وقد صاروا في مكان بعيد عن الدنيا، فبالموت انتهى كل شيء، ورأوا ما كانوا يكفرون به رأي العين، فلم يعد هناك فرصة للإيمان، هيهات هيهات.

٢٣٣٥ ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[سبأ:٥٤]:

إذا تحسَّرتَ يومًا على أرباح ضائعة أو تجارة خاسرة؛ فاذكر أشد الحسرات: حسرة أهل النار على ما فات من حسنات، وضاع من فرص النجاة، ثم اغتنم ما فات!

سورة فاطر

٢٣٣٦ ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[فاطر:٢]:

لو هربت من هذه الرحمة إلى جو السماء أو باطن الأرض لأدركتك!

من الأذكار المأثورة التي نقولها بعد كل صلاة: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

٢٣٣٧ ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[فاطر:٦]:

التنبيه الإلهي على الخطر قبل وقوعه يُربِّي في النفس المناعة المطلوبة، ويحصِّنها ضد الأمراض لتأخذ نصيبها من المناعة اللازمة.

٢٣٣٨ ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[فاطر:٦]:

فلا يحفِّز النفس على بذل غاية الجهد مثل الإحساس بالعداوة والصراع، ولا يستخرج منها أقصى ما تستطيع مثل الحرب، فهي آية تأمرنا برد العداوة بمثلها، وابتداء العدو بالهجوم قبل أن يفترسنا.

٢٣٣٩ أمرٌ مُخيف أنْ نتعامَل مع عدوٍّ يكِنُّ لنا أقصى مشاعر الحقد والعداوة والبغضاء، ولا يرضى لنا بأقل منَ النار؛ يَرانا ولا نَراه، نغفل عنه ولا يغفل عنَّا، ما هذا الطيش!

٢٣٤٠ قال ابن القيم: «والأمر باتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته كأنه عدو لا يفتر [ولا يَقْصُر] عن محاربة العبد على عدد الأنفاس».

٢٣٤١ ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر:٨]:

كان من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «اللهم أرنا الحق حقًا فنتبعه، والباطل باطلاً فنجتنبه، ولا تجعل ذلك علينا متشابهًا فنتبع الهوى».

٢٣٤٢ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]:

قال الحسن البصري: «العمل الصالح يرفع الكلام الطَّيِّب إلى الله تعالى، ويُعرَض القول على العمل، فإن وافقه رُفِعَ وإلا رُدَّ».

٢٣٤٣ قال وهب بن مُنبِّه: «مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر»، وعنه قال: العمل الصالح يبلِّغ الدعاء. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾.

٢٣٤٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:١٥]:

الفقير إلى الله هو من استغنى بالله عن الناس، فصار أغنى الناس.

٢٣٤٥ كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: «يا أخي، من استغنى بالله اكتفى، ومن انقطع إلى غيره تعنَّى (تعِب)».

٢٣٤٦ ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:١٥]:

قال أبو الحسن المزيِّن: «من لمْ يستغن بالله أحوجه الله إلى الخلق، ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الخلق».

٢٣٤٧ ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ [فاطر:١٨]:

من مشاهد يوم القيامة! قال ابن عباس: «يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حمل شيء، حسبي ما عليَّ».

٢٣٤٨ ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا ﴾ [فاطر:٢٧]:

جُدَد: جمع جُدَّة، والجُدَّة هي الطريق، أي خلق الله من الجبال طُرُقًا، وهذه الطرق تارة بيضاء، وتارة حمراء، وليس معناها جُدُدٌ جديدة أو حديثة.

٢٣٤٩ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]:

قال عبد الله بن مسعود : : «ليس العلم عن كثرة الحديث، إنما العلم خشية الله»، وعنه رضي الله عنه قال: «كونوا للعلم رُعاةً، ولا تكونوا له رواة؛ فإنه قد يرْعوي ولا يَروي، وقد يروي ولا يرعوي».

٢٣٥٠ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا تكون تقيًا حتى تكون عالمًا، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً».

٢٣٥١ قال الحسن: «العالِم: الذي وافق علمُه عملَه، ومن خالف علمَه عملُه فذلك راويةُ حديث، سمع شيئًا فقاله»، وقال رحمه الله: «الذي يفوق الناسَ في العلم جدير أن يفوقهم في العمل».

٢٣٥٢ ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]:

من هؤلاء؟! الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته، ويقيمون الصلاة، وينفقون في سبيل الله سرًّا وجهرًا، فاعرف رأس مالك، وقدْر الجواهر التي أعطاك الله، ولا تضيِّعها فترد الآخرة صفر اليدين ومن المفاليس.

٢٣٥٣ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فاطر:٣٠]:

وليسرح خيالك في قوله: ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾، ففضله على قدر عظمته، وعقلك لن يحيط بعظمته؛ ولذا لن يحيط أبدًا بفضل الله!

٢٣٥٤ ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٠]: قال سهل التستري: «السابق العالم، والمقتصد المتعلم، والظالم الجاهل».

٢٣٥٥ قال جعفر الصادق: «بدأ بالظالمين إخبارًا بأنه لا يُتقرَّب إليه إلا بكرمه، وأن الظلم لا يؤثِّر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحدٌ مكره».

٢٣٥٦ ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٠]:

لئلا يغتر السابق بالخيرات بعمله، فلولا الله ما سبق إلى الخيرات هو ولا غيره.

٣٥٧ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]:

قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾».

٣٥٨ من أعظم دواعي فرح أهل الجنة أن الله عز وجل أذهَب عنهم الحزن إلى الأبد!

٣٥٩ اعتبر ابن قيم الجوزية الحزن مرضًا من أمراض القلب (التي تمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، والثواب عليه ثواب المصائب التي يُبتَلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما).

٣٦٠ ما هو الحزن المحمود؟! قال ابن القيم: «يحمد في الحزن سببه ومصدره ولازمه لا ذاته، فإن المؤمن إما أن يحزن على تفريطه وتقصيره في خدمة ربه وعبوديته، وإما أن يحزن على تورطه في مخالفته ومعصيته وضياع أيامه وأوقاته، وهذا يدل على صحة الإيمان في قلبه وعلى حياته؛ حيث شغل قلبه بمثل هذا الألم، فحزن عليه».

٣٦١ ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٥]:

قال السعدي: «أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن.

٣٦٢ ويدل ذلك على أنهم لا ينامون في الجنة؛ لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه».

٣٦٣ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر:٣٧]:

ما أوضح حجة الله علينا! قال قتادة: «اعلموا أن طول العمر حجة».

٣٦٤ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر:٣٧]:

وفي صحيح ابن حبان: «مَنْ عَمَّرَهُ الله ستين سنة، فقد أعْذَر إليه في العمر». قال ابن حجر: «الإعذار: إزالة العذر، والمعنى: أنه لم يُبقِ له اعتذارًا كأن يقول: لو مدَّ لي في الأجل لفعلتُ ما أُمِرتُ به».

٢٣٦٥ ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧]:

قالوا: النذير: النبي، وقالوا: القرآن، وقيل: موت الأحباب، وقيل: الشيب، ففي بعض الآثار: قالت شعرة وقد ابيضت لجارتها: استعدي للموت، فقد جاءك النذير.

٢٣٦٦ ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]:

قال الألوسي: «والآية عامة على الصحيح، والأمور بعواقبها، والله تعالى يُمهل ولا يُهمل، ووراء الدنيا الآخرة، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، وبالجملة: من مَكَر به غيره، ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر، ففي الحقيقة هو الفائز، والماكر هو الهالك».

٢٣٦٧ في الحديث: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار» صحيح الجامع رقم: ٦٤٠٨، فالذي يمكر ويدبِّر الحيل والمكايد ليغش الناس يستحق النار.

٢٣٦٨ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]: قال يحيى بن أبي كثير: «أمر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر، فقال له رجل: عليك بنفسك فإن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال أبو هريرة: كذبت؟ والله الذي لا إله إلا هو، ثم قال: والذي نفسي بيده .. إن الحبارى لتموت هزلًا في وكرها بظلم الظالم».

٢٣٦٩ ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر:٤٥]:

ولم يقل إذا جاء أجلهم أهلكهم؛ لأنه بصير بأعمال عباده، فيغفر للمؤمن المستغفر، أو يحاسبه فيعذِّبه، وإن كان كافرًا خُلِّد في النار، وهكذا تختلف مصائر العباد بحسب أحوالهم.

سورة يس

٢٣٧٠ ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:١١]:

قال ابن عاشور: «والتعبير بوصف الرحمن دون اسم الجلالة لوجهين: أحدهما: أن المشركين كانوا ينكرون اسم الرحمن، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]. والثاني: الإشارة إلى أن رحمته لا تقتضي عدم خشيته، فالمؤمن يخشى الله مع علمه برحمته فهو يرجو الرحمة».

٢٣٧١ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس:١٢]:

الآثار هي ما يبقى من أثر أعمالك الصالحة أو السيئة بعد موتك؛ ليظل نهر أجرك أو وزرك جاريًا عليك وأنت في القبر وحتى يوم الحشر!

٢٣٧٢ نكتب! معناها أنك مراقبٌ على مدار اللحظة!

٢٣٧٣ ما هي آثار الأعمال الصالحة؟! في الحديث: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علَّم علمًا أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلًا أو بنى مسجدًا أو ورث مصحفًا أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته». صحيح الجامع رقم: ٣٦٠٢.

٢٣٧٤ ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:٢٠]: رجل لم نعرف اسمه ولا لقبه، إنما عرفه الله، وشرَّفه بذكر خبره في القرآن، وكفاه فخرًا وشرفًا أن تتحدث عنه الأجيال على مر الأزمان!

٢٣٧٥ لم يُلقِ بمسؤولية الدعوة على الأنبياء والمرسلين، بل شاركهم لما علم عدم حصول الكفاية في تبليغ أمر الدين، ولا يزال الأمر قائمًا إلى اليوم.

٢٣٧٦ ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يس:٢٠]:

أقصى: لفظ مقصود لتنبيه الدعاة على المضي في الخير، واستصغار أي جهد مبذول فيه، فمن عرف شرف الأجر هان عليه جهد التكلف.

٣٧٧ ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ [يس:٢٣]:

التلميح وعدم التصريح أسلوب دعوي راقٍ، فمؤمن آل يس نسب سيئة قومه لنفسه ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾، تلطفًا وتأليفًا لقلوبهم.

٣٧٨ ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾ [يس:٢٣]:

حتى ما نزل بك من مصائب فهو من رحمة الله، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه.

٣٧٩ ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ * قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾ [يس:٢٥، ٢٦]:

آذوه واحتقروه وقتلوه، ومع هذا يتمنى لو علموا بمقعده في الجنة.. إنها رحمة الداعية بقومه مهما آذوْه!

٣٨٠ ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾ [يس:٢٦]:

دعا قومه بعد موته! قال ابن عباس: «نصح قومه حيًّا وميتًا».

٣٨١ ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس:٢٦، ٢٧]:

قال القرطبي: «وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحِلْم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمُّر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه.. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام!».

من روائع المتدبرين

عن جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما قال:

« عجبتُ ممن يُبتَلى بأربع، كيف يغفل عن أربع..

عجبتُ لمن يُبتَلى بالهم كيف لا يقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨].

وعجبتُ لمن خاف شيئًا من السوء، كيف لا يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٤].

وعجبتُ لمن يخاف مكر الناس، كيف لا يقول: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٥].

وعجبتُ لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف:٤٠] ».

تنبيه الغافلين للسمرقندي ٥٤٨-٥٤٩- ط دار ابن كثير

الجزء الثالث والعشرون
من سورة يس الآية ٢٨
إلى سورة الزمر الآية ٣١
عدد الفوائد ٧٩

٢٣٨٢ ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس: ٤٩]:

أي وهم لا هون عنها حال خصومتهم وتشاجرهم بينهم، أو عند اختصامهم في أمور الدنيا من بيع وشراء في المجالس والأسواق، وهذا لا يكون إلا في أشد أوقات الغفلة.

٢٣٨٣ ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٥٠]:

الموت يأتي بغتة، وملَك الموت لن يُمكِّنَ أحدًا من فعل أي شيء حتى الوصيَّة؛ ولذا كان الندب إلى كتابة الوصية فورًا (ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه)

٢٣٨٤ ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [يس: ٥٥]:

من كان مشغولًا في الخير هنا كان مشغولًا مع الحور هناك، شغل في مقابل شغل، لكن مع الفارق!

٢٣٨٥ ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ [يس: ٥٧]:

أي يتمنون. عن كُثيِّر بن مُرَّة قال: «إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تشاءون أن أُمطِرَكُمْ؟ فلا يسألون شيئًا إلا مطرتهم، فقال كثير بن مرة: لئن أشهدنا الله ذلك المشهد لأقولن أمطرينا جَوَارِيَ مُزَيَّنَاتٍ».

٢٣٨٦ ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩]:

من وقف على الحياد بين الحق والباطل، فلن يكون في مقدوره القيام بنفس الدور يوم القيامة.

٣٨٧ انفصِلوا عن المؤمنين.. لا تسيروا في ركابهم، فارقتموهم في الدنيا في الأعمال،
فلتفارقوهم اليوم في الأحوال: هم في النعيم، وأنتم في الجحيم.

٣٨٨ قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميَّزوا... مضى عهد
الاندساس في صفوف المؤمنين!

٣٨٩ قال الضحاك: «إن لكل كافر في النار بيتًا يدخل ذلك البيت، ويُردَم بابه بالنار،
فيكون فيه أبد الآبدين لا يَرى ولا يُرى».

٣٩٠ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾
[يس: ٦٠]: ما أقسى هذه العبارة مع ما فيها من تقريع ولوم وتبكيت بعد أن
أمرهم بالتمايز، ثم أمرهم بمقاساة النار، فدائمًا ما يرتبط العذاب البدني في النار
بالعذاب النفسي.

٣٩١ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾
[يس: ٦٥]: يجادل العبد يوم القيامة ربه، فيقول: يا رب .. ألم تُجِرْني من الظلم،
فيقول بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول الله: كفى
بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه (فمه)،
فيقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله!

٣٩٢ ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]:
ظننتَ نفسك في الدنيا خاليًا، وما علمتَ أن جوارحك كانت معك! شهدت
عليك، وستؤدي الشهادة غدًا بين يدي الله!

٣٩٣ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾
[يس: ٦٥]: ولو نشاء طمس أعينهم لنمحو عنها الرؤية والإبصار لفعلنا، ولكنا
لم نفعل رحمة بهم، وكان الواجب أن يقابلوا النعمة بالشكر لا بالكفر، وقوله:
﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي لو أرادوا بعد الطمس على العيون المبادرة إلى الطريق
الذي اعتادوا سلوكه، لا يقدرون لأنهم لا يبصرون، وهذا تهديد شديد حالَ
استمرارهم في الكفر.

٢٣٩٤ ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠]:

الكافر ميت لأنه فقد القرآن، وأنت حي فقط بالقرآن!

٢٣٩٥ ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ [يس: ٧٠]:

الحياة حياة القلب، والموت موت القلب، والأكل والشرب علامة حياة الظاهر، والقرآن علامة حياة الباطن!

٢٣٩٦ ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧]:

لا يخاصم ربه إلا من نسي أصله!

٢٣٩٧ ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]:

أبعد المستحيلات تحدث لو أرادها الله وفي لمح البصر، فلا تيأس من انكشاف غمة أو نصر أمة!

سورة الصافات

٢٣٩٨ ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الصافات: ١٩]:

والمراد بهذه الزجرة: النفخة الثانية التي يقوم بها إسرافيل، والتعبير عن الصيحة بالزجرة للدلالة على شدتها وعنفها على الكافرين.

٢٣٩٩ ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]:

قال قتادة والكلبي: «كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنى مع أهل الزنى».. اختر صحبتك غدًا!

٢٤٠٠ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]:

هذا إيقافٌ على الصراط للمساءلة عن جميع الأقوال والأفعال، وهو حبسٌ يُجمَعون فيه مع أقرانهم قبل أن يُساقوا إلى الجحيم.

٢٤٠١ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الصافات: ٤٧]:

لا فيها غول أي لا تغتال عقولهم وتُذهِبُها، وإنما صرف الله السُّكر عن أهل الجنة كما صرف عنهم النوم- لئلا ينقطعوا عن التلذذ بالنعيم لحظة!

٢٤٠٢ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: ٤٧]:

قال الضحاك: «في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال».

٢٤٠٣ ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات: ٤٨]:

قال السعدي: «إما أنها قصرت طرْفها على زوجها؛ لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه.

وإما لأنها قصرت طرْف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها أن يقصر طرفه عليها».

٢٤٠٤ ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥٥]:

لولا أن الله عرَّفه بصاحبه ما عرفه، فقد تغير لونه وهيئته من أثر العذاب وألسنة النار.

٢٤٠٥ قال الآلوسي: «واطلاع أهل الجنة على أهل النار، ومعرفة من فيها، مع ما بينهما من التباعد غير بعيد بأن يخلق الله - تعالى - فيهم حِدَّة النظر، ويُعرِّفهم من أرادوا الاطلاع عليه.

وقيل: إن لهم طاقات (فتحات) في الجنة ينظرون منها من علو إلى أهل النار».

٢٤٠٦ ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [الصافات: ٦٢]:

في الحديث: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟!» صحيح الجامع رقم: ٥٢٥٠.

٢٤٠٧ ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٥]:

ومع أنه لم ير أحد الشيطان حتى يخاف منه، لكن كفى بصورته الغائبة المجهولة رعبًا، فليس الطعم المريع ما ينتظر المعذَّب فحسب، بل معه المنظر الفظيع والشكل المخيف، وهذا من العذاب النفسي الذي يضاعف أثر العذاب الحسِّي.

٢٤٠٨ ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٤]:

سئل محمد بن سيرين: ما القلب السليم؟ فقال: «الناصح لله عز وجل في خلقه».

٢٤٠٩ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]:

أي سقيم القلب بسبب ما هم فيه من كفر وضلال، فإن العاقل يقلقه ويزعجه ما هم فيه من الكفر، وقال لهم ذلك ليتركوه حتى ينفِّذ ما أقسم عليه من تحطيم الأصنام، فكلام إبراهيم حق، وقد ترك لقومه أن يفهموه بحسب ما يعتقدون.

٢٤١٠ فيه دليل على أن تعاطي الحيل الشرعية من أجل إزالة المنكر أمر مشروع، فإن إبراهيم اعتذر لقومه عن خروجه معهم في يوم عيدهم، وقال لهم: إني سقيم؛ ليختلي بالأصنام فيحطِّمها، ويثبت لقومه أنها لا تصلح للعبادة.

٢٤١١ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]:

قال مقاتل: «هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة إلى الأرض المقدسة، وهي أرض الشام..».

٢٤١٢ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]:

قال صاحب الكشاف: «وقد انطوت البشارة على ثلاثة: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليمًا».

٢٤١٣ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]: قال ابن جزي: «إن قيل: لم شاوره في أمر هو حتمٌ من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه، ويوطِّن نفسه على الصبر».

٢٤١٤ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]:

قال السعدي: «وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفي وُدَّه ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما قدَّم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾».

٣٤١٥ ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [الصافات: ١٤٠]:

عبَّر عن هروب يونس من قومه، بهروب العبد الآبق من مولاه؛ لأن يونس ترك قومه دون إذن ربه، فاشترك مع العبد الآبق في نفس الفعل.

٣٤١٦ ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصافات: ١٤٣]:

قال الحسن: «ما كان له صلاة في بطن الحوت، ولكنه قدَّم عملًا صالحًا في حال الرخاء، فذكره الله به في حال البلاء».

٣٤١٧ اجتهد أن يكون لك خصلة من عمل صالح، وأخلص فيها بينك وبين ربك، وادخرها ليوم بلائك وفقرك، واسترها عن عيون الخلق، يصلْ إليك نفعها أحوج ما تكون إليه.

٣٤١٨ ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات: ١٦٤]:

ما من مَلَك إلا له مكان معلوم في السماوات. قال ابن عباس: «ما في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبِّح».

٣٤١٩ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥، ١٦٦]:

كان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: «يا أيها الناس استووا، إن الله إنما يريد بكم هدي الملائكة» ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٦] «استووا، تقدَّم أنت يا فلان، تأخَّر أنت يا هذا، فإذا استووا تقدَّم فكبَّر».

٣٤٢٠ في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم» ؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمون الصفوف المتقدمة، ويتراصون في الصف» .

سورة ص

٤٤٢١ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦]:

«اتهام نيات المصلحين مسلك قديم! قال السعدي: «أي له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين».

٤٤٢٢ ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ١٦]:

والقِطُّ: النصيب والقطعة من الشيء، مأخوذ من قَطَّ الشيء إذا قطعه وفصله عن غيره، فأطلقوا على عذابهم وصف القطعة من العذاب، باعتبار أنها مقتطعة من العذاب الكلي المُعدِّ لهم.

٤٤٢٣ واستفتاح دعائهم بنداء الله بصفة الربوبية، هو استهزاء منهم بعذاب الله، واستخفافهم به.

٤٤٢٤ ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [ص: ١٧]:

بعض الكلام مثل وقع الحسام!

٤٤٢٥ ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ [ص: ١٧]:

يحب الله القوة ويمدحها في عباده، والقوة الممدوحة هي هنا قوة الإيمان وقوة الأبدان، فلا بد للعبد أن يسعى في امتلاك أسباب القوتين، ولا يتكاسل عن طلب واحدة منهما.

٤٤٢٦ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص: ٢١]:

ملخص القصة أن خصومة قامت بين اثنين من البشر، فجاءوا إلى داود ليقضي بينهما، لكنه ظن أنهم جاءوا لاغتياله وإيذائه، ثم تبين له أنهم ما جاءوا للاعتداء عليه، فاستغفر ربه من ذلك الظن السيئ، فغفر الله له.

٣٤٢٧ ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [ص: ٢٤]:

السجود طريق المغفرة! قال ﷺ: «ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله بذلك الذنب إلا غفر الله له» صحيح الجامع رقم: ٥٧٣٨.

٣٤٢٨ ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص: ٢٦]:

ليس أمامك إلا طريقان: إما اتباع الحق أو اتباع الهوى.

٣٤٢٩ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]:

لم يرتضِ الإمام الرازي التفسير الذي عليه أكثر المفسرين من أن سليمان ذبح الخيل لأنها ألهته عن الصلاة، فالمسح ليس الذبح، بل المسح عليها بيده حقيقي حبًّا لها وإعجابًا بها، وذكر سليمان أنه أحبها لا لأجل الدنيا وإنما أحبها لأمر الله، وطلب نصرة الدين.

٣٤٣٠ ما الغرض من هذا المسح؟! قال الرازي: «الغرض من المسح: التشريف لها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو ... وإظهار أنه خبير بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها، ويمسح سوقها وأعناقها، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض».

٣٤٣١ قال ابن حزم: «تأويل الآية على أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة، خرافة موضوعة.. قد جمعت أفانين من القول لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها، وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، وتنسب تضييع الصلاة إلى نبي مرسل! ثم يعاقِب الخيل على ذنبه لا على ذنبها!».

٣٤٣٢ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]:

أصحُّ ما قيل في فتنة سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على أربعين امرأة، تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة وجاءت بشق رجل، جاء هذا في صحيح البخاري، وقال ﷺ: «فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانًا»، وفيه أن الملَك قال له: قل إن شاء الله، فلم يقل على سبيل النسيان، والمراد بالجسد المُلقى على الكرسي ذلك الشِّق الذي وُلِد له.

٢٤٣٣ استنبط العلماء من هذا الحديث أن فتنة سليمان، هي تركه تعليق ما طلبه على مشيئة الله، وأن عقابه على ذلك كان عدم تحقق ما طلبه.

٢٤٣٤ فلا تنسَ أن تقيد أي شيء تنوي فعله بمشيئة الله.

٢٤٣٥ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ [ص: ٣٥]:
قال ابن جزي: «قدَّم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عندهم أهم من الدنيا، فقدَّم الأولى والأهمَّ».

٢٤٣٦ لا يمنعك اقتراف الذنب من الدعاء، فانقباضك بسبب الذنب يسطه رجاؤك في كرم الرب، واذكر دعوة نبي الله سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾.

٢٤٣٧ ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]:
لو أغلِقت أبواب الجنة لكانت سجنا، فالحرية من نعيم أهل الجنة!

٢٤٣٨ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤]:
قال الطبري: «كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبدًا، لا ينقطع».

٢٤٣٩ ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٦١]:
حذارِ حذارِ أن تكون سببًا في عصيان غيرك!

سورة الزمر

٢٤٤٠ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]:
قال ابن العربي: «هذه الآية تدل على وجوب النية الخالصة في كل عمل».

٢٤٤١ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]:
قال علي رضي الله عنه: «كل مطيع يكال له كيلًا ويوزن له وزنا إلا الصابرون، فإنه يُحثى لهم حثيا».

٢٤٤٢ عن الحسن أنه ذكر الوجع فقال: أما والله ما هو بِشَرِّ أيام المسلم.. أيامٌ ذُكِر فيها ما نسي من معاده. وكُفِّر بها عنه خطاياه.

٢٤٤٣ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ١٥]:

لا لقاء لأهل النار غدا مع أهلهم، وسواء ذهب أهلهم إلى الجنة وذهبوا هم إلى النار، أو سكن الجميع النار، فلا سرور لهم في اللقاء ولا في الفراق!

٢٤٤٤ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٥]:

الظلل من فوق لكن كيف تكون من تحت؟ قال الطاهر بن عاشور: «أما إطلاق الظلال على الطبقات التي تحتهم فهو من باب المشاكلة، ولأن الطبقات التي تحتهم من النار تكون ظللًا لكفار آخرين؛ لأن جهنم دركات كثيرة».

٢٤٤٥ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]:

كلمة مدحٍ من المدير تحفِّزك، ومدح رب العالمين لا يحرِّك فيك ساكنا! ويحك!!

٢٤٤٦ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]:

قال ابن عباس: «هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يتحدث به».

٢٤٤٧ وقيل: يستمعون القرآن وأقوال الرسول، فيتبعون أحسنه أي محكمه فيعملون به.

٢٤٤٨ قال وهب بن منبِّه: «من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى».

٢٤٤٩ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]:

في الكلام حذف تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه؟! كلا، ونزلت في قوم كان النبي ﷺ يحرص على إسلامهم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة. قال ابن عباس: «يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان».

٢٤٥٠ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]:

ما هي أعظم العقوبات؟! قال مالك بن دينار: «ما ضُرِب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم».

٢٤٥١ ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر:٢٣]:

أي يشبه بعضه بعضًا في البلاغة والفصاحة والحقائق والإعجاز، ويشبه بعضه بعضًا في أن الجميع وحي من الله، وحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢٤٥٢ ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]:

ما فائدة التكرار؟! قال السعدي: ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ أي: تُثَنَّى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائمًا إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعًا، ولم تحصل النتيجة منه؛ ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراع لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير».

٢٤٥٣ ﴿ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ [الزمر: ٢٣]:

عن ثابت البناني قال: قال فلان: «إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عيناي، فذلك حين يستجاب لي».

٢٤٥٤ ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٢٤]:

لماذا يتقي العذاب بوجهه لا بيده؟! لأن يديه مغلولتان بالسلاسل!

٢٤٥٥ ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ ﴾ [الزمر: ٢٨]:

قال ابن عباس: «غير مختلف»، فلا اختلاف فيه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، ولا تناقض ولا اضطراب، ولا كلام يلغي كلامًا آخر أو يخالفه أو ينازعه، وهذا من تمام الإعجاز.

٢٤٥٦ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]:

ضرب الله مثلاً للكافر والمؤمن، فالكافر كعبد تملكه جماعة: ﴿شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾، أي: متنازعون ومختلفون، فكل واحد يأمره بأمر غير الآخر، فهو في عذاب أليم بين هؤلاء السادة المتشاكسين.

٢٤٥٧ والمؤمن كعبد لا يملكه إلا رجل واحد: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾، فلا يحمِّله فوق طاقته، وهو مستريح معه، ويعيش في سلام وأمان.

٢٤٥٨ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]:

قال قتادة: «نُعِيَتْ إلى النبي ﷺ نَفْسُه، ونُعِيَتْ إليكم أنفسُكم»، وهذا تذكير بهذه الحقيقة إن غابت عن الأذهان بالغفلة والعصيان.

٢٤٥٩ قال القرطبي: «خطاب للنبي ﷺ أخبره بموته وموتهم، فاحتمل وجوها خمسة:

أحدها: أن يكون ذلك تحذيرا من الآخرة.

الثاني: أن يذكره حثا على العمل.

الثالث: أن يذكره توطئة (تهيئة) للموت.

الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الأمم في غيره.

الخامس: ليُعلِمه أن الله تعالى قد سوَّى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره، لتكثر فيه السَّلوة، وتقِلَّ فيه الحسرة».

٢٤٦٠ يقال: ميِّت بالتشديد لمن لا يزال حيًّا وسيموت يومًا، ويقال: مَيْت بالفتح لمن هو ميت فعلاً؛ ولذلك كان الخطاب ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] فهو لا يزال حيًّا ويخاطب بهذا، ومعناه: إنك صائر إلى الموت لا محالة.

الجزء الرابع والعشرون
من سورة الزمر الآية ٣٢
إلى سورة فصلت الآية ٤٦
عدد الفوائد ٨٧

٢٤٦١ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]:
قال ابن القيم: «فالكفاية التامة مع العبودية التامة والناقصة، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

❋ **سبب نزولها:**

قال قتادة في سبب نزولها: مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها بالفأس، فقال له سادنها: أحذِّركَها يا خالد، فإن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العُزّى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس، وتخويفهم لخالد تخويف للنبي ﷺ؛ لأنه الذي وجَّه خالدًا.

٢٤٦٢ تقوية لقلب كل مؤمن عند الشدائد، وإزالة للخوف الذي في قلبه تجاه أي خطر.

٢٤٦٣ قال الآلوسي: «إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه، كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها، أو يتلعثم في الجواب بوجودها».

٢٤٦٤ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]:
أي نومها، فجهِّز نفسك عند كل نومة أنك قد لا تقوم منها إلا على صيحة يوم القيامة.

٢٤٦٥ عن البراء بن عازب قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وضع يده تحت خده الأيمن، ويقول: «اللهم قني عذابك، يوم تبعث عبادك» صحيح الجامع رقم: ٤٧٩٠.

٢٤٦٦ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]:

كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

٢٤٦٧ قال سعيد بن جبير: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط، فسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

٢٤٦٨ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]:

قال مجاهد والسُّدِّي: «عملوا أعمالًا توهموا أنها حسنات، فإذا هي سيئات»، وقال سفيان الثوري في هذه الآية: «ويل لأهل الرياء.. ويل لأهل الرياء.. هذه آيتهم وقصتهم».

٢٤٦٩ ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩]:

أي لا يعلم هؤلاء الزاعمون أن ما هم فيه من الخير نتيجة علمهم وسعيهم، لا يعلمون أن عطاء المال فتنة واختبار، ينجحون فيه بالشكر أو يفشلون بالعصيان، فالتبس عليهم تمييز الخير من الشر.

٢٤٧٠ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]:

أكثر الناس لا يعلمون أن ما أوتوه من نعمة في الدنيا هو شرٌّ إن لم يقوموا بشكرها، فيرون المال خيرا كله، وهذا خطأ.

٢٤٧١ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]:

قال القشيري: «التسمية ب ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾، والوصف بأنهم ﴿أَسْرَفُوا۟﴾ ذم. فلمّا قال: ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ طمع المطيعون في أن يكونوا هم المقصودين بالآية، فرفعوا رؤوسهم، ونكَّس العصاة رؤوسهم وقالوا: من نحن.. حتى يقول لنا هذا؟! فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ فانقلب الحال، فهؤلاء الذين نكَّسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت ذلّتهم، والذين رفعوا رءوسهم أطرقوا وزالت صولتهم».

٢٤٧٢ قال عبد الله بن مسعود وغيره: «هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى».

٢٤٧٣ الإسراف على النفس بالعصيان لا يُخرج العبد من دائرة العفوّ والغفران.

٢٤٧٤ ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]:
قال القشيري: «هؤلاء الذين ادّعوا أحوالا ولم يصدقوا فيها، وأظهروا المحبة لله ولم يتحققوا بها، وكفاهم افتضاحا بذلك! وأنشدوا:

ولمّا ادّعيت الحبَّ قالت كذبتني ... فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا؟!

فما الحبّ حتى تنزف العين بالبكا ... وتخرَس حتى لا تجيب المناديا».

٢٤٧٥ قال ابن عاشور: «ويدخل في الذين كذبوا على الله كل من نسب إلى الله صفة لا دليل له فيها، ومن شرع شيئًا فزعم أن الله شرعه متعمدا قاصدا ترويجه للقبول بدون دليل، فيدخل أهل الضلال الذين اختلقوا صفات لله أو نسبوا إليه تشريعا، ولا يدخل أهل الاجتهاد المخطئون في الأدلة، سواء في الفروع بالاتفاق، وفي الأصول -على ما نختاره- إذا استفرغوا الجهود».

٢٤٧٦ ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]:
قال السعدي: «فكما أنه تعالى يُشكَر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك يُشكَر ويُثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة».

٢٤٧٧ في الشكر وقاية من العُجب، فلو عرف العبد حقيقة أن ما به من نعمة من الله لم يعجب بنفسه، و لم ينسب لنفسه ما ليس له.

٢٤٧٨ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]:
من أطال القيام في الصلاة هان عليه طول القيام يوم القيامة.

٢٤٧٩ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ [الزمر: ٧٣]:
قال القرطبي: «قال في حق الفريقين ﴿وَسِيقَ﴾ بلفظ واحد، فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل.

٢٤٨٠ وسوق أهل الجنان سوْق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان، لأنه لا يُذهَب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يُشرَّف ويكرَّم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السَّوْقَين».

٢٤٨١ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]: زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى، والتقدير حتى إذا جاءوها وأبوابها مفتحة، لكنه حذف الواو في قصة أهل النار؛ لأنهم وقفوا على النار، وفُتِحت أبوابها بعد وقوفهم عليها ترويعًا لهم وتخويفًا.

٢٤٨٢ ﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]:

قال ابن كثير: «أي ونطق الكون أجمعه ناطقه وبَهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله؛ ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه، فدلَّ على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد».

سورة غافر

٢٤٨٣ ﴿حمٓ﴾ [غافر: ١]:

قال ابن عباس: إن لكل شيء لبابًا، ولباب القرآن الحواميم، وقال مسعر بن كدام: كان يُقال لهن: العرائس.

٢٤٨٤ ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [غافر: ٣]:

صفتان إلهيتان متلازمتان ليبقى كل عبد متوازنًا دائمًا بين الخوف والرجاء.

٢٤٨٥ هذه الآية بعثها عمر بن الخطاب إلى رجل من أهل الشام كان يفد إلى عمر، ثم انتكس وتتابع في الشراب، ثم قال عمر لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقبِل بقلبه وأن يتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر - رضي الله عنه - جعل يقرؤه ويردده ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذَّرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددها على نفسه حتى تاب.

٢٤٨٦ ﴿ ذِى ٱلطَّوۡلِ﴾ [غافر: ٣]:

والطَّوْل يطلق على مطلق القدرة، فكل ما عجَزَتْ عنه قدرتك، فاطلبه من ﴿ ذِى ٱلطَّوۡلِ﴾.

٣٤٨٧ ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر: ٧]:

ما استطاعت الملائكة حمل العرش إلا بالتسبيح، فكل ما صعب عليك، فاستعن عليه بالتسبيح.

٣٤٨٨ ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]:

قال السخاوي: «في هذه الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم، فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي، ولا بين ملَك وبشر، ومع ذلك لما جمعتهم صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلى لأهل الأرضين السفلى».

٣٤٨٩ ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]:

قرأ رجل على سليم بن عيسى، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، بكى بكاءً شديدًا، ثم قال: «ألا ترى ما أعظم حق المؤمن! تراه نائمًا على فراشه والملائكة يستغفرون له».

٣٤٩٠ بشارة! هذا دليل محبة الملائكة للمؤمنين! قال السعدي: «الدعاء للشخص من أدلّ الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو أحد إلا لمن يحبه».

٣٤٩١ ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾ [غافر: ٩]:

قال ابن القيم: «فهذا يتضمن طلبَ وقايتهم من سيئات الأعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها، فإنه سبحانه متى وقاهم العملَ السيِّئَ وقاهم جزاءه السيِّئ».

٣٤٩٢ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ﴾ [غافر: ١٠]:

قال ابن جزي: «وهذه الحال تكون للكفار عند دخولهم النار، فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم، أي مقت بعضهم بعضًا، ويُحتمل أن يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم».

٢٤٩٣ ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]:
من ألوان العذاب فقد الأحبة الذي يشاركون المرء أوجاعه وآلامه؛ لذا كان من عذاب أهل النار: فقدان الحميم.

٢٤٩٤ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]:
أن تختلس نظرة إلى من حولك دون أن يشعر.. حتى هذه الله يعلمها.

٢٤٩٥ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]:
قال ابن عباس: «هو الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غضَّ بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها».

٢٤٩٦ ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٢٦]:
وما الذي يمنعك يا فرعون؟! لعله أراد: أوجِدوا لي الذرائع المناسبة لقتل موسى، وقوموا بتهيئة الرأي العام لعملية القتل!

٢٤٩٧ ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٦]:
الاستهزاء بدعوات الصالحين صفة مشتركة بين الطغاة.

٢٤٩٨ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]:
للطغاة ذرائع كاذبة لاضطهاد المصلحين وإيذائهم، يدلسون بها على الجماهير ويستخفونهم.

٢٤٩٩ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]: الكِبْر حجاب يحجب القلب عن تذكّر يوم الحساب.

٢٥٠٠ ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]: قدَّم مؤمن آل فرعون الكذب في خطابه على الصدق وذلك لئلا يعتقد القوم أنه متعصب لموسى.

٢٥٠١ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]:
أدخل نفسه في الخطاب ليستميل قومه، ويؤلِّف قلوبهم.. هذه حكمة كل داعية.

٢٥٠٢ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٤٤]:
من فوَّض أمره إلى الله لا يعتريه قلق؛ لأن قلبه صار معلَّقًا بالسماء.

٢٥٠٣ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[غافر: ٤٤]:
ذكر أن سبب تفويض أمره معهم إلى الله، بأن الله عليم بأحوال جميع العباد، فشمِله علم الله وشمِل خصومه.

٢٥٠٤ العمل: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، والنتيجة: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ هل رأيت أرباح التفويض؟ اللهم إني فوضتك في أموري كلها.

٢٥٠٥ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾[غافر: ٤٥]:
الله وحده القادر على أن ينجيك من كل من يمكر بك، بحسب ما في قلبك من قوة التفويض والتوكل على الله.

٢٥٠٦ ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ﴾ [غافر: ٤٦]:
قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور».

٢٥٠٧ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]: قال البغوي: «قال ابن عباس: بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحُجَّة، وفي الآخرة بالعذر. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قُتِلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قُتِل، قُتِل به سبعون ألفًا، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه».

٢٥٠٨ قال ابن عاشور: «والمعنى لا تستبطئ النصر فإنه واقع، وذلك ما نصر به النبي ﷺ في أيامه على المشركين يوم بدر ويوم الفتح ويوم حنين وفي أيام الغزوات الأخرى، وما عرض من الهزيمة يوم أحد كان امتحانًا وتنبيهًا على سوء مغبة عدم الحفاظ على وصية الرسول ﷺ أن لا يبرحوا مكانهم، ثم كانت العاقبة للمؤمنين».

٢٥٠٩ كيف يقع النصر في الدنيا؟ وقد قُتِل زكريا، ويحيى، وحاولوا قتل عيسى فرفعه الله إليه، وأُخرِج إبراهيم من أرضه، وهاجر محمد ﷺ؟ والجواب: أن النصر إما يكون في الحياة بمحق الأعداء، أو يكون بالانتقام من الأعداء لإيذائهم الأنبياء، وذلك في حياة الأنبياء أو بعد موتهم، فالوعد أكيد، لكن الميعاد مخفي.

٢٥١٠ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١]:

قال القشيري: «ننصرهم على أعدائهم بكيد خفيّ ولطف غير مرئيّ، من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون».

٢٥١١ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]:

الاعتذار اليوم سَمْتُ الأبرار، وما أحبه إلى الرحيم الغفار، لكن غدًا لا تُقبل الأعذار، ولا ينفع تبريرٌ من الفجار.

٢٥١٢ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر: ٥٥]:

قال القشيري: «الصبر في انتظار الموعود من الحقّ على حسب الإيمان والتصديق، فمن كان تصديقه ويقينه أتمّ وأقوى كان صبره أتمّ وأوفى».

٢٥١٣ قال القشيري في التفسير: «كن بقلبك فارغًا عنهم، وانظر من بعد إلى ما يُفعل بهم، واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم، فإن لقيت بعض ما نتوعدهم به وإلّا فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعد».

٢٥١٤ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]:

قل (سبحان الله وبحمده) كل صباح ومساء، ففي الحديث: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» صحيح الجامع رقم: ٦٤٣١.

٢٥١٥ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]:

قال البغوي: «أمره بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستنَّ به أمته».

٢٥١٦ قال الآلوسي: «أُمِر عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى، وأنها صفةُ الأنبياء، وبعثًا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجهٍ

وألطفه، فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزَّه عن شائبةِ اقترافِ ما يوجبها من الذنب وإن قلَّ، فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه أصلاً (أولى)».

٢٥١٧ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]:

كان سفيان الثوري يقول: «يا من أحبُّ عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب».

٢٥١٨ ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ﴾ [غافر: ٦٠]:

ليس أبسط ولا أروع ولا أجمل ولا ألطف من هذه الطلب!

٢٥١٩ ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]:

لو لم تُرِدْ نيلَ ما أرجو وأطلُبه ... مِن جودِ كفِّك ما عوّدتَني الطلبا.

٢٥٢٠ كان عمر - رضي الله - عنه يقول: «إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء، فإن الإجابة معه»، وكان يقول للصحابة: «إنكم لستم تُنصرون بكثرة، وإنما تُنصرون من السماء».

٢٥٢١ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]:

أكثر الناس لا يشكرون نعم الله عليهم؛ فكيف سيشكرون الناس؟!

٢٥٢٢ ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]:

قال السعدي: «وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]، وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح».

٢٥٢٣ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]:

الاحتمالان إذن قائمان!

أن ترى نهاية عدوك أو لا تراها ..

لكن الوعد الإلهي بالعقوبة الإلهية ليس خاضعًا للاحتمال.

٣٥٣٤ الرسالة هنا: العبد عبدٌ والربُّ ربٌ! وليس للعبد أو من مهماته تحديد ساعة الفرج ولا موعد النهايات ومصارع الطغاة .. بل الأمر في هذا إلى الله وحده.

٣٥٣٥ إما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ، فكيف بحالنا نحن؟! ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن يَحِلَّ بهم ذلك، فإلينا مصيرك ومصيرهم، لنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحقّ بأن ندخلهم النار، ونكرمك بجوارنا في جنات النعيم.

سورة فصلت

٣٥٣٦ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٧]:

قال الزمخشري: «فإن قلتَ لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونًا بالكفر بالآخرة؟ قلت: لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته».

٣٥٣٧ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]: الجمادات أطوع لله من بعض الأحياء!

٣٥٣٨ ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١]:

بعضنا يخضع لله كرها، فليتنا نخضع له طوعًا كما خضعت السماوات والأرض في رضا وسرور.

٣٥٣٩ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]:

«أي هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان؛ لأن آية ثمود آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة؛ فلهذا خصهم بزيادة البيان والهدى».

٣٥٤٠ ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧]:

الجزاء من جنس العمل، فمن استحب الضلال على الهدى كالذي أحب العمى على البصر، فكان جزاؤهم بالصاعقة لأنها تُعمي الأبصار قبل أن تهلكهم كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

٢٥٣١ ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]:

ولم لا؟ وقد تحررت الجوارح من أسرِ الإرادة، وجاء الوقت لتشتكيك إلى الله، وتنطق بكلمة الحق التي كتمْتَها تحت سطوة إرادتك وقهرك.

٢٥٣٢ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢]:

* سبب نزولها:

في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: «اجتمع عند البيت ثلاثة نفر، قرشيان وثقفي، قليلٌ فقْهُ قلوبهم، كثيرٌ شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله تعالى يسمع ما نقول؟! فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾».

٢٥٣٣ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]:

قال قتادة: «من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل، فإن الظن اثنان؛ ظن ينجي، وظن يُردي».

٢٥٣٤ قال عمر بن الخطاب في هذه الآية: «هؤلاء قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها، ويتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثم قرأ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾».

٢٥٣٥ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]: يُقال: ثوى فلان بالمكان، إذا أقام به إقامة دائمة، فهؤلاء إن صبروا واستسلموا فهم باقون في النار، وإن يستعتبوا أي يطلبوا العُتب والاعتذار لم ينفعهم ولم يُقبَل منهم، فهم أيضًا باقون في النار.

٢٥٣٦ ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]:

خطب رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده .. ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

٥٣٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]:

قال أبو بكر ثم استقاموا: لم يشركوا بالله شيئًا. وقال عمر: استقاموا على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب. وقال عثمان: ثم أخلصوا العمل لله، وقال علي: ثم أدوا الفرائض.

❊ سبب نزولها:

عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن المشركين قالوا: ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا. وقال أبو بكر: ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد ﷺ عبده ورسوله، فاستقام.

٥٣٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠]: متى هذا التنزل؟! قال الزهري وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت.

٥٣٩ ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]:

قال مجاهد: «لا تخافوا على ما تُقدِمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلَّفتم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله».

٥٤٠ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]: كان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: «هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه».

٥٤١ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]:

قال الشاعر:

وما شيءٌ أَحَبُّ إِلَى سَفيهٍ ... إذا سَبَّ الْكَريمَ مِنَ الجوابِ

متاركة السفيه بلا جواب ... وأشد على السَّفيهِ مِنَ السِّبابِ

٥٤٢ قال ابن عباس في تفسير الآية: «ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك».

٦٥٤٣ روي عن ابن عباس قوله: «أمر المسلمين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم».

٦٥٤٤ ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]:

قال أنس بن مالك: «هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا فغفر الله لي».

٦٥٤٥ ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]:

لو لم يكن الفوز غدًا إلا النجاة من أهوال النار وفزع يوم القيامة، والشعور بالأمان، لكفى، فكيف لو كان مع هذا الفوز العظيم جنات النعيم؟!

٦٥٤٦ ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]:

ولأنه عزيز؛ لذا لا يعطيك أعز معانيه إلا بعد أن تُعطِيَه أعز أوقاتك، ولا يمنحك بعضه إلا بعد أن تمنحه كلك، فغلو السلعة يقتضي غلو الثمن!

٦٥٤٧ ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]:

التُّهَم واحدة على مر العصور، ومع سائر الأنبياء، فكاذب وساحر وكاهن ومجنون ومتآمر، ليس في الأمر جديد!

٦٥٤٨ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]:

أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دُعِي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم.

الجزء الخامس والعشرون
من سورة فصلت الآية ٤٧
إلى سورة الجاثية الآية ٣٧
عدد الفوائد ٨٦

٢٥٤٩ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: ٤٧]:

اتخذ الكفار عدم العلم بوقت الساعة حجة على التكذيب بالساعة، فساق الله لهم ثلاثة نظائر، لا يعلمها إلا الله، وهي تجري أمام أعينهم: أولها: علم ما تخرجه أكمام الزرع من الثمار بكميته وجودته وموعد سقوطه، وثانيها: حمل الإناث من إنسان أو حيوان، ولا يعلم الولود من العقيم منها قبل الزواج إلا الله، وثالثها: وقت وضع الأجنة باليوم والساعة.

٢٥٥٠ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥٠]:

قال أبو السعود: «أي كثيرٍ، مستعارٌ مما له عَرْضٌ متسعٌ للإشعارِ بكثرتِه واستمرارِه وهو أبلغُ من الطويل؛ إذ الطول أطولُ الامتدادين، فإذا كان عرضُه كذلكَ، فما ظنُّك بطولِه؟».

سورة الشورى

٢٥٥١ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩]:

قال السعدي: «ومن لطفه .. أن قيَّض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩]: بحسب اقتضاء حكمته ولطفه».

٢٥٥٢ أوصى ابن قدامة إخوانه: «واعلم أن مَن هو في البحرِ على اللوح، ليس بأحوَج إلى الله وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله، فإذا حققتَ هذا في قلبك فاعتمد على الله اعتمادَ الغريقِ الذي لا يَعلَمُ له سببُ نجاةٍ غيرَ الله».

٢٥٥٣ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى: ٢٠]:
قال قتادة: «إن الله يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلا الدنيا».

٢٥٥٤ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]:

سبب نزولها:

جاء في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ كان له في كل بطن من قريش قرابة، فنزلت ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم.

٢٥٥٥ ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٢٧]:

سبب نزولها:

قال خباب بن الأرت: «فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية».

٢٥٥٦ قال شقيق بن إبراهيم: «إنَّ الله عز وجل لو رزقَ العباد مِنْ غير كسب، لَتفرَّغوا فتفاسدوا، ولَكِنْ شَغَلَهُم بِالكسب حتَّى لا يَتفرَّغوا للفساد».

٢٥٥٧ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [الشورى: ٢٨]:
يا رب.. هذا فعلك باليائسين القانطين، فكيف بالموقنين الذين أحسنوا الظن بك يا رب العالمين!

٢٥٥٨ ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ فقال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾

٢٥٥٩ قال الضحاك: «ما تعلَّم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب»، ثم قرأ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠]»، ثم قال الضحاك: «وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟!».

٢٥٦٠ دخلوا على عمران بن حصين في مرضه، فقال له رجل: والله إني لأيأس من بعض ما أراك. قال: «لا تفعل، فإن أحبَّه إليَّ أحبُّه إلى الله. قال الله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠] هذا مما كسبت يداي، ويأتي عفو ربي فيما يبقى».

٢٥٦١ قال ابن تيمية: «وإذا رأيتَ العبد يقع في الناس إذا آذوه، ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار، فاعلم أن مصيبته مصيبة حقيقية، وإذا تاب واستغفر وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة».

٢٥٦٢ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴾ [الشورى: ٣٢]:

جوارٍ جمع جارية وهي السفن، وسُمِّيَتْ جارية لجريانها.

٢٥٦٣ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٨]:

قيل لرجل من بني عبس: ما أكثر صوابكم! فقال: نحن ألف، وفينا حازم واحد، فكنا نشاوره ونطيعه، فصرنا ألف حازم.

قال علي رضي الله عنه: «نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد».

٢٥٦٤ قال عمر بن عبد العزيز: «إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يضلُّ معهما رأي، ولا يُفقَد معهما حزم».

٢٥٦٥ قال الحسن البصري: «والله .. ما استشار قوم قطُّ إلا هُدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٨].

٢٥٦٦ قال طلحة بن عبيد الله: «لا تشاور بخيلًا في صلة، ولا جبانًا في حرب، ولا شابًا في جارية». لماذا؟! لأن النتيجة معروفة مسبقًا!

٢٥٦٧ ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى: ٤٠]:

قال ابن جزي: «هذا يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار، لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤١]».

٢٥٦٨ يستحيل علينا بعقولنا القاصرة ومداركنا الضعيفة أن نتخيل عظمة هذا الأجر الذي على الله!! فمن يقدر الله قدره؟!

٢٥٦٩ كان الحسن البصرى يدعو ذات ليلة: اللهم اعف عمن ظلمنى، فأكثر فى ذلك، فقال له رجل: يا أبا سعيد، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك حتى تمنيتُ أن أكون فيمن ظلمك، فما دعاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾.

٢٥٧٠ ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [الشورى: ٤٢]:

كتب عمر إلى عامل له: «فلتجفَّ يدك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك عن أعراضهم! فإن فعلتَ فليس عليك سبيل، ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾».

٢٥٧١ ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣]:

يُحكى أن رجلًا سبَّ رجلًا في مجلس الحسن البصري، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: «عقلها والله وفهمها إذ ضيَّعها الجاهلون».

٢٥٧٢ متى يكون عدم العفو أولى؟! قال القرطبي: «وبالجملة العفو مندوب إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوبًا إليه، وذلك إذا احتيج إلى كفِّ زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يدل عليه، وهو أن زينب أسْمَعتَ عائشة رضي الله عنهما - بحضرته، فكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: (دونك فانتصري)».

لكنه قال في لقمان: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]، فلم الصبر في الأولى ﴿ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ وفي الثانية: ﴿ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾؟!

٥٧٣ سِرُّ التوكيد باللام في الأولى أنه صبر مضاعف؛ لأنه صبر على عدوانٍ له فيه غريم، وهو مطالب فيه بأمرين: الصبر والمغفرة معًا، وهو أمرٌ على النفس من الصبر على القضاء الإلهي الذي لا حيلة فيه.

٥٧٤ ﴿إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الشورى: ٤٥]:

قال القرطبي: «خسروا أنفسهم لأنهم في العذاب المخلد، وخسروا أهليهم لأن الأهل إن كانوا في النار فلا انتفاع بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينه وبينهم».

٥٧٥ ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]:

قدَّم الإناث اعتناء بهن وتأنيسًا لمن وُهِبَهُنَّ. قال واثلة بن الأسقع: «من يُمنِ المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر، لأن الله بدأ بالإناث».

سورة الزخرف

٥٧٦ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]:

مسؤولية العرب مضاعفة؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، فسيحاسبون مرتين!

كلما زاد فهمك وتذوقك للغة العربية، زاد تدبرك وتعقلك لما جاء في القرآن.

﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤]:

أي راجعون، وفيه أن على كل راكب أن يتذكر بِسَفره السَّفرة العظمى التي هي الانقلاب إلى الله تعالى للمساءلة والمحاسبة.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف: ١٨]:

ظاهر الآية يدل على أن النشوء في الزينة والنعومة مما يُعاب ويُذَمُّ، وأنه من صفات النساء، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك، ويربأ بنفسه عنه.

قال عمر رضي الله عنه: «اخشوشِنوا في اللباس، واخشوشنوا في الطعام، وتمَعْدَدوا»، أي اصبروا على عيش معد بن معدان في الحضر والسفر، وتشبهوا بلباسه، ولا تتشبهوا بزي الأعاجم.

فيه دلالة على أن التحلي بالذهب مباح للنساء، وحرام على الرجال؛ لأنه تعالى جعل ذلك عنوانًا للضعف والنقصان، وإنما زينة الرجال الصبر على طاعة الله، والتزين بزينة التقوى.

٢٥٨٢ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾ [الزخرف: ٢٠]:
الاعتذار بالقدَر لتبرير الضلالة مسلك قديم من مسالك المنحرفين.

٢٥٨٣ ﴿ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]: التحرر من العقل الجَمْعي وسياسة القطيع ضرورةٌ إن أردت النجاة من العذاب غدًا، لأن الكثرة منحرفة، والمؤمنون قلة.

٢٥٨٤ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]:
والرجلان: الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود من الطائف.. هذا إيمان على مقاس القوم، ووِفْق ما يشتهون! أي أيمان هذا؟

٢٥٨٥ داء الحسد قديم، وكثيرًا ما صدَّ أناسًا عن الهداية رغم معرفتهم بالحق.

٢٥٨٦ قال عثمان بن عفان ﷺ: «يكفيك من الحاسد أن يغتمّ وقتَ سُرورك».

٢٥٨٧ إن محمدًا فقير ليس معه شيء، فكيف يصير نبيًّا رسولًا!! إنها المقاييس المادية حين تكون سببًا في الضلالة وحرمان الهداية.

٢٥٨٨ ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]:
قال ابن كثير: «ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله عز وجل، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا، وأطهرهم أصلًا».

٢٥٨٩ الرحمة هنا هي النبوة، ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢]، والرحمة هنا هي الجنة.

٢٥٩٠ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢]:
قال حاتم الأصم: «نظرت إلى قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله تعالى، فتركتُ عداوة الخلق عني».

٢٥٩١ ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]: من عرض الله عليه خير المواهب، وأعظم العطايا، فأعرض عنها، عاقبه الله أشد عقوبة، وقيَّض له شيطانا يؤزه إلى المعاصي أزًّا، ويصرفه عن الطاعات.

٢٥٩٢ القرآن عزيز؛ لذا سخَّر الله شيطانًا لكل من أعرض عن كتابه، تلاوة أو عملًا.

٢٥٩٣ قال ابن القيم: «فمن لم يعذِّب شيطانه في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته، عذَّبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلا بد لكل أحد أن يعذِّب شيطانَه أو يعذِّبه شيطانُه».

٢٥٩٤ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٧]: أشد أنواع الضلال أن تتمسَّك بالباطل وتدعو إليه، وتصدَّ غيرك عن الحق وتحذِّرهم منه، ثم تحسب نفسك من المهتدين!

٢٥٩٥ سين: هل لهؤلاء عذر؟!

جيم: لا، لا عذر لهم ولا لأمثالهم؛ لأنهم بدؤوا العدوان بإعراضهم عن ذكر الله، وزهدوا في الهداية مع القدرة عليها، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

٢٥٩٦ ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٩]: هذا قول يُلقى على أسماع أهل النار يوم القيامة، قال السعدي: «ولن ينفعكم أيضًا روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، وتسلَّى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة».

٢٥٩٧ قالت الخنساء لما جاءها خبر قتل أخيها:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي

فلولا هذا التأسي لقتلت نفسها، لكن الله نفى عن أهل النار الانتفاع بمثل هذا التأسي.

٥٩٨ ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الزخرف: ٤٠]: استفهام بمعنى النفي، فليس يمكنك هداية من سددنا بصيرته، ومن صببنا في مسامع فهمه رصاص الشقاء والحرمان، وفيه تسلية لقلب النبي ﷺ الحزين على إعراض قومه.

٥٩٩ ﴿ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٤١]:

يعني: يا محمد .. إن انقضى أجلك ولم تشهد ما توعّدناهم به، فلا تشكَّ في صدق كلامنا، فإنّ ما أخبرناك عنه- لا محالة- كائن.

٦٠٠ ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الزخرف: ٤٣]:

على قدر تمسكك بالوحي من كتاب وسنة تكون استقامتك على الصراط المستقيم في الدنيا، وعلى الصرط فوق النار يوم القيامة.

٦٠١ ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]:

لم أطاعوه؟!

قال القشيري: «أطاعوه طاعة الرهبة، وطاعة الرهبة لا تكون مخلصة، وإنما تكون الطاعة صادقة إذا صدرت عن الرغبة».

لولا أنهم فاسقون ما استطاع الطاغية أن يستخفَّهم، فإن المؤمن لا يُستَخفُّ.

٦٠٢ ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾ [الزخرف: ٥٥]:

قال عمر بن ذر: «يا أهل المعاصي .. لا تغترّوا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسَفَه، فإنه تعالى ذكره قال: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾».

٦٠٣ ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧]:

ليست بالضم من الصدود؛ بل بكسر الصاد. قال ابن عباس: أي يضحكون، وهي الوحيدة في القرآن بالكسر.

٦٠٤ ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]:

كل الصداقات ستنقلب غدًا عداوات، إلا أخوة زيّنتْها التقوى!

اخترْ إخوانك! قال عمر بن الخطاب: لا تمشِ مع الفاجر فيُعلِّمك من فجوره.

٦٠٥ ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠]:

أي تُسَرّون وتُكرَمون، فما العمل الذي جمعك بزوجتك اليوم، وترجو أن يجمعكما الله به في الجنة؟!

٦٠٦ ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ ﴾ [الزخرف: ٧٠]:

ذهب الجنة ليس المعدن الأصفر الذي نعرفه اليوم، بل شيء مختلف، ففي الحديث: «ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء» صحيح الجامع رقم: ٥٤١٠ .

٦٠٧ ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١]:

ماذا تبقى من النعيم لم تذكره هذه الآية؟! أطلِق لها خيالك!

قال ابن أبي الإصبع: «فالمح إلى كلِّ ما تميل النفوس إليه من الشهوات، وتلذّه الأعين من المرئيات، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جدًّا عبّر عن معانٍ كثيرة لا تنحصر عدًّا».

٦٠٨ ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢]:

ليس الإيمان بالتمني، ولا يصح شراء الجنة دون دفع الثمن، فليست الجنة بالمجان.

٦٠٩ ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]:

قال ابن عباس في تفسيرها: فأجابهم بعد ألف سنةٍ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾.

سورة الدخان

٦١٠ ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤]:

والأمر الحكيم هو أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم في ذلك العام. قال الإمام الرازي: «واعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة، فإنه تعالى قدَّر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ، وهذا القول اختيار عامة العلماء».

٦١١ قال سعيد بن جبير: «يؤذَن للحُجّاج في ليلة القدر، فيُكتَبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يُزاد منهم، ولا يُنقَص منهم» .

٦١١٢ ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الدخان: ١٠]:

روى البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى لهم فسُقوا، وعلى هذا الرأي يكون الدخان قد وقع فعلًا، ثم كشفه الله عنهم ببركة دعاء النبي ﷺ.

٦١١٣ ورآى آخرون أنه من أشراط الساعة، ولم يجئ بعد، وأن الدخان يمكث في الأرض أربعين يومًا يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم، ويضيق أنفاسهم، وهو من آثار جهنم يوم القيامة، والأصح: الرأي الأول.

٦١١٤ ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴾ [الدخان: ١٨]:

قال السعدي: «أي رسول من رب العالمين أمين على ما أرسلني به، لا أكتمكم منه شيئا، ولا أزيد فيه، ولا أنقص، وهذا يوجب تمام الانقياد له»، وكل داعية عليه أن يكون أمينًا على رسالته.

٦١١٥ ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٩]:

قال مجاهد: إن السماء والأرض يبكيان على المؤمن أربعين صباحًا. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله فقال: «أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دويٌّ كدوي النحل».

٦١١٦ ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الدخان: ٤٠]:

يومٌ يجتمع فيه كل ظالم مع المظلوم، والقاتل والمقتول، فيقتص الله لهذا من هذا.

٦١١٧ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ [الدخان: ٤٣]:

هذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي كُتِبتْ فيه (شجرة) بالتاء المبسوطة والأصل أن تكتب مربوطة.

٦١٨ قاعدة في بسط التاء وقبضها! التاء المقبوضة تدل على أن الشيء مجهول كله أو بعضه، والتاء المبسوطة يدل بسطها على أن الشيء معلوم وبين واضح غير مجهول، ولما كانت شجرة الزقوم مجهولة في الدنيا، فكُتِبتْ التاء مقبوضة، ولما أكلوا منها في النار، وأصبحت معروفة لديهم، بُسِطتْ تاؤها في الرسم، وهذا من أسرار الرسم العثماني وملامح إعجازه.

٦١٩ ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]:

يقال على سبيل التوبيخ والتهكم، أي كنت العزيز الكريم عند نفسك، وقد رُوِي أن أبا جهل قال: «ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم»، فنزلت هذه الآية.

٦٢٠ كم من سيدٍ مطاع في الدنيا، ذليل مهانٍ في الآخرة، ففي صحيح البخاري: «إنه ليأتي الرَّجل العظيمُ السَّمين يوم القيامة؛ لا يزنُ عندَ الله جناح بعوضة».

٦٢١ ﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الدخان: ٥٣]:

كيف يجلس أهل الجنة؟ قال ابن كثير: «متقابلين أي على السُّرُر، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره».

٦٢٢ نعيم الجنة في كل شيء حتى في نظرة العين!

٦٢٣ ﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥٥]:

آمنين من انقطاع هذا النعيم، أو آمنين من أن ينالهم من أكلها أذى أو ملل أو مكروه.

٦٢٤ ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ ﴾ [الدخان: ٥٦]:

في الحديث: «يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقَف على السور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة! فيشرئبون ويقال: يا أهل النار! فيشرئبون فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم .. هذا الموت، فيضجع ويُذبَح، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحا، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحًا» صحيح الجامع رقم: ٧٩٩٨.

٦٢٥ ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ [الدخان: ٥٧]:

الجنة محض فضلٍ من الله؛ ولذا هتف الشافعي عند الموت:

فلولاك لم يَنْجُ من إبليس عابدٌ وكيف وقد أغوى صفِيّك آدما!

٦٢٦ ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الدخان: ٥٧]:

قال ابن السماك: سمعتُ امرأة تسكن البادية تقول: «لو تطالعت قلوب المؤمنين بفكرها إلى ما ادُّخِر لها في حُجُب الغيوب من خير الأجر، لم يصْفُ لهم في الدنيا عيشٌ، ولم تقَرَّ لهم في الدنيا عين!».

٦٢٧ ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ [الدخان: ٥٩]:

قال ابن جزي: «أي ارتقب نصرَنا لك وإهلاكَهم، فإنهم مرتقبون ضدَّ ذلك، ففيه وعدٌ له، ووعيد لهم».

سورة الجاثية

٦٢٨ ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ ﴾ [الجاثية: ١٨]:

سُمِّيت سورة الجاثية بسورة الشريعة؛ لأنه قال الله عز وجل قال فيها: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ ﴾.

٦٢٩ ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨]: لا يُعرِض أحد عن التحاكم إلى شريعة الله إلا لهوى في قلبه.

٦٣٠ ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]:

قال إبراهيم بن الأشعث: كثيرًا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها، ثم يقول: ليت شعري! من أي الفريقين أنت؟ وكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين.

٦٣١ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]:

قال سهل بن عبد الله التستري: «هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك».

٦٣٢ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥]: قال البقاعيُّ: «لم يجبهم إلى إحياء آبائهم إكرامًا لهذه الأمة لشرف نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام؛ لأن سنته الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات، أهلكه كما فعل بالأمم الماضية».

٦٣٣ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧]:

قدِم سفيان الثوري المدينة، فسمِع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس، فقال له: يا شيخ، أما علمت أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تُعرَف في المعافري حتى لحق بالله عز وجل.

٦٣٤ ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الجاثية: ٣٢]:

قال السعدي: «وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أنَّ عمله غير ضائع، بل سيجده كاملًا هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسَّر عليه كل عسير، واستقلَّ من عمله كل كثير».

الجزء السادس والعشرون
من سورة الأحقاف الآية ١
إلى سورة الذاريات الآية ٣٠
عدد الفوائد ١٢١

سورة الأحقاف

٦٣٥ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠]:

تكررت هذه العبارة في القرآن بهذه الصيغة المؤكدة ٤ مرات، فالظالم محروم من الهداية الربانية كعقوبة مستحقة على ظلمه، وهي أشد العقوبات.

٦٣٦ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]:

في القرآن كُره بالضم وأحيانًا بالفتح (كَرهًا)، والنطق بالضم أقوى وأشد؛ لذا جاء مع الثقل النفسي والبدني مثل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]: وأما بالفتح فمع الثقل النفسي فحسب مثل: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]:، فجاء التعبير الأثقل مع الأثقل، والأخف مع الأخف.

٦٣٧ ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

التوبة خير ما يتقدَّم الدعاء، ومن أراد صلاح ذريته، فليتب من ذنوبه أولًا.

٦٣٨ ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

أي ألهمني ووفِّقني، فلولا توفيق الله ما شكره أحد، ولولا عونه ما أطاعه منهم أحد.

٦٣٩ ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]:

من برِّ الوالدين أن تشكر الله على النعم التي أنعم بها على والديك!

٦٤٠ قال مالك بن مغول: اشتكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال: استعن عليه بهذه الآية، وتلا: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾.

٣٦٤١ ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٥]:

دمَّرتهم لإجرامهم، وتدمِّر مِنْ ورائهم كلَّ مجرم، فسبب التدمير الإجرام، وهو تحذير باقٍ لأصحاب العقول والأفهام.

٣٦٤٢ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

جلسة قرآنية واحدة مع إصغاء كانت سبب تحطيم سنوات طويلة من الضلالة والإغواء، فعليكم بمجالس القرآن!

٣٦٤٣ ﴿ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

حين تأدَّبوا مع كلام ربهم بالإنصات، كافأهم بأن وفَّقهم لأشرف المهام، وهي الدعوة إلى الله؛ لأن الحسنات ولود.

٣٦٤٤ ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

فيه فضل التذكير بالخير، والتواصي بالحق بين الإخوان.

٣٦٤٥ ﴿ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

أَوْلى الناس بدعوتك هم أهلك وعشيرتك.

٣٦٤٦ زكاة العلم تبليغه، وشكر نعمة الهداية أن تُهدِيَ منها إلى غيرك.

٣٦٤٧ ﴿ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

لا تأخير في البلاغ، ولا كسل في نشر الخير، ألا تغار من الجن أيها الإنسي!

٣٦٤٨ ﴿ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩]:

هل انتفعت بما سمعت اليوم من كتاب الله؟! من علامات انتفاعك ابتداؤك فورًا في تبليغ ما سمعت.

٣٦٤٩ ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]:

نحتاج دائمًا إلى مثالٍ للاقتداء؛ ولذا فحين أمر الله رسوله بالصبر أرشده أن يصبر كما صبر هؤلاء العظماء.

٦٥٠ ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]:
الصبر ضد الاستعجال، فبالصبر تتحقق الغايات، وبالاستعجال تيأس القلوب وتنقطع عن المواصلة.

سورة محمد

٦٥١ ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد: ٤]:
قدَّم (المن) على (الفداء)، إشارة إلى ترجيح حرمة النفس على طلب المال، فالمجاهد في سبيل الله يقاتل لإعلاء كلمة الله، لا لمغنم دنيوي.

٦٥٢ ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٍۗ ﴾ [محمد: ٤]:
للظالم دور مرسوم: يختبر الله به المظلوم؛ ليرى صبره، فإن نجح في الاختبار كافأه الله على صبره بالنصر المحتوم.

٦٥٣ ﴿ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾ [محمد: ٥]:
راحة بال الشهداء! قال البقاعي: «أي موضع فكرهم، فيجعله مهيأ لكل خير، بعيداً عن كل شر، آمنًا من المخاوف، مطمئنًا بالإيمان بما فيه من السكينة، فإذا قُتِل أحد في سبيله تولى سبحانه وتعالى ورثته بأحسن مِنْ تولي المقتول لو كان حيًّا».

٦٥٤ ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ [محمد: ٦]:
في صحيح البخاري: «فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا».

٦٥٥ قال مجاهد: «يمشي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وما قسم الله عز وجل لهم فيها، لا يخطئون شيئًا منها، كأنهم ساكنوها منذ خُلِقوا، لا يستدِلون عليها أحدًا».

٦٥٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]:
لا يتأخر نصر الله إلا إن تأخر نصر العبد لربه على نفسه، وذلك بطاعة أوامره واجتناب نواهيه.

٦٥٧ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٩]:
كراهية بعض ما أنزل الله من أحكام كفيل بإحباط الأعمال، وهنا تبرز خطورة عمل القلب!

٦٥٨ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [محمد: ١٠]:
قال ابن القيم: «وكذلك كل موضع أمر الله سبحانه فيه بالسير في الأرض، سواء كان السير الحسي على الأقدام والدواب، أو السير المعنوي بالتفكر والاعتبار».

٦٥٩ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [محمد: ١٢]: قال البقاعي: «فأنساهم دخولهم (الجنة) غصص ما كانوا فيه في الدنيا من نكد العيش ومعاناة الشدائد، وضموا نعيمها إلى ما كانوا فيه في الدنيا من نعيم الوصلة بالله، ثم لا يحصل لهم كدرٌ ما أصلاً، وهي مأواهم لا يبغون عنها حولاً، وهذا في نظير ما زُوي عنهم من الدنيا، وضيِّق فيها عيشهم نفاسة منهم عنها حتى فرَّغهم لخدمته، وألزمهم حضرته حُبًّا لهم، وتشريفًا لمقاديرهم».

٦٦٠ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]:
لم كان الكفار أسوأ حالًا من الأنعام؟! لأنهم تساووا مع الأنعام في الطعام، لكن زادوا عليهم في العذاب، فإن الأنعام غدًا تتحول إلى تراب وهم يعذَّبون.

٦٦١ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ [محمد: ١٢]:
قال الشيخ عبد القادر الجيلاني لغلامه: «ياغلام: لا يكن همك ما تأكل وما تشرب، وما تلبس وما تنكح، وما تسكن وما تجمع، كلُّ هذا همُّ النفس والطبع، فأين همُّ القلب، همُّك ما أهمك، فليكن همك ربك عز وجل وما عنده».

٦٦٢ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧]:
من ثواب الهدى الهدى بعده؛ ولذا جاء في بعض الآثار: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

٦٦٣ الربُّ شكور، طلبوا الهدىٰ فأعطاهم الله ما طلبوا و زيادة.

٢٦٦٤ ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]: سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال:

ألم تسمع قوله حين بدأ به: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾، فأمر بالعمل بعد العلم، وقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ إلى قوله: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ [الحديد: ٢١ - ٢٠].

وقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨]، ثم قال بعدها: ﴿فاحذروهم﴾ [التغابن: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ [الأنفال: ٤١]، ثم أمر بالعمل بعد».

٢٦٦٥ ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]:

ذكر القرطبي وجوهًا خمسة في استغفار النبي ﷺ:

الأول: يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب.

الثاني: استغفر الله ليعصمك من الذنوب.

الثالث: أمره بالثبات على الإيمان، أي اثبت على ما أنت عليه من التوحيد والإخلاص والحذر عما تحتاج معه إلى استغفار.

الرابع: الخطاب له والمراد به الأمة.

الخامس: كان عليه السلام يضيق صدره من كفر الكفار والمنافقين، فنزلت هذه الآية.

٢٦٦٦ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١]:

الصدق لا يأتي إلا بخير.

٢٦٦٧ قال ابن القيم: «ومن صدق الله في جميع أُموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره».

٢٦٦٨ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]: قال ابن عاشور: «وفي الآية إشعار بأن الفساد في الأرض وقطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر، فهما جُرمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما».

٢٦٦٩ إن توليتم عن الجهاد ولم تقوموا به عمَّ الفساد الأرض وقُطِّعت الأرحام.

٢٦٧٠ قال قتادة: «كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله؟! ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟».

٢٦٧١ قال البقاعي: «وقد عُلِم من هذا أن من أمر بالمعروف وجاهد أهل المنكر أمِن الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم، ومن تركه وقع فيهما».

٢٦٧٢ الخطاب هنا للمنافقين: إن كنتم توليتم عن الجهاد بذريعة أن فيه إفسادًا وقطع أرحام، لكون الكفار أقاربكم، فلا يُتوقَّع منكم إلا أن تفسدوا في الأرض بعدم معونة أهل الإسلام، فإن لم تعينوهم قطعتم ما بينكم وبينهم من أرحام.

٢٦٧٣ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]:

قال ابن القيم: «فلو رُفِعَت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان».

٢٦٧٤ كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «ثَوِّروا القرآن». أي: استخرجوا منه كنوزه بالتدبُّر.

٢٦٧٥ قرأها قارئ عند عمر رضي الله عنه، فقال شاب عنده: اللهم عليها أقفالها، وبيدك مفاتيحها لا يفتحها سواك، فأعجب به عمر واستعان به.

٢٦٧٦ ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]:

ولم يقل: (أم على قلوبهم)، وأراد بذلك العموم، والمعنى: أي قلوب هؤلاء وقلوب أمثالهم، فأي قلب لا يستمع لكتاب الله، ولا يعيه، ولا يتدبره، فعلى قلبه قفل.

ولم يقل: (أقفال)، وكأن كل قلب من قلوب هؤلاء المنافقين عليه قفل خاصٌّ يناسبه ويحكم إغلاقه.

٢٦٧٧ قيل لحكيم: ألا تعظ فلانًا، فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه، فلا سبيل إلى معالجة فتحه.

٢٦٧٨ ما الفارق بين الران والطبع والقفل؟ قال مجاهد: «الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله».

٦٧٩ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٦]:

قال المنافقون ذلك لليهود، فالمنافقون دائمًا طابور خامس لأعداء الله ومنهم اليهود، ويطيعون أوامر اليهود في الكيد والتآمر على الإسلام وأهله.

٦٨٠ ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]:

قال ابن عباس: «لا يُتوَفَّى أحد على معصية إلا بضرب شديد لوجهه وقفاه».

٦٨١ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩]:

قال عثمان رضي الله عنه: «ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله عز وجل على صفحات وجهه وفلتات لسانه»، وقال ابن عقيل في الفنون: «وقلَّ أن يضمر مضمِرٌ شيئًا إلا وظهر مع الزمان على فلتات لسانه وصفحات وجهه».

٦٨٢ قال عثمان رضي الله عنه: «لو أنَّ عبدًا دخل بيتًا في جوف بيتٍ فأدمن هناك عملًا، أوشك الناس أن يتحدَّثوا به، وما من عاملٍ يعمل إلا كساه الله رداء عمله؛ إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ».

٦٨٣ ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]:

المنافق مفضوح بفلتات لسانه وزلات قلمه.

٦٨٤ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]:

قال إبراهيم بن الأشعث: كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللهم لا تبتلينا، فإنك إذا بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا.

٦٨٥ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [محمد: ٣١]:

لا بد للمحبوب من اختبار المحب، ولا بد مع كل قول من تمحيص الصدق، وإلا كثر المدَّعون، وتزاحم على الغنيمة المنافقون!

سورة الفتح

٦٨٦ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]:

قال الزهري: «لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام».

٦٨٧ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]:

قال الرازي: «والسكينة: الثقة بوعد الله، والصبر على حكم الله، بل السكينة معين يجمع فوزًا وقوة وروحًا، يسكن إليه الخائف، ويتسلى به الحزين، وأثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم في الأمور».

٦٨٨ ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]:

أخذ العلماء من هذه الآية وأمثالها أن الإيمان يزيد وينقص. قال الإمام النووي وغيره: «إن الايمان بمعنى التصديق القلبي، يزيد وينقص أيضا بكثرة النظر، ووضوح الأدلة».

٦٨٩ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ [الفتح: ٦]:

قال ابن عاشور: «والابتداء بذكر المنافقين في التعذيب قبل المشركين لتنبيه المسلمين بأن كفر المنافقين خفي، فربما غفل المسلمون عن هذا الفريق أو نسوه».

٦٩٠ ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]:

من ظن أن الله لن ينصر دينه ولن يكتب لجنده العاقبة وأنهم يُستأصلون، فهو داخل تحت مظلة هذه الآية، وقد توعَّده الله بأن ما ظنَّ وقوعه بالمؤمنين سيقع به ودائر عليه.

٦٩١ وهذا عكس حال المؤمن! قال سيد قطب: «فالقلب المؤمن حسن الظن بربه، يتوقع منه الخير دائمًا، يتوقع منه الخير في السراء والضراء، ويؤمن بأن الله يريد به الخير في الحالين».

٦٩٢ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]:

قال سهل التستري: «أي تعظِّموه غاية التعظيم في قلوبكم، وتطيعوه بأبدانكم، ولهذا سُمِّي التعزير تعزيرًا لأنه أكبر التأديب».

٦٩٣ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]:

محظوظون ومحروم واحد! روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله أنه سئل: كم كان عددكم يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة، فبايعنا الرسول ﷺ على أن لا نفر- سوى الجد بن قيس فإنه اختفى تحت بطن بعيره، ولم يُسرِع مع القوم.

٦٩٤ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]:

الضَّم في كلمة ﴿عَلَيْهُ﴾ أنسب مع أن الكسر هو ما يناسب السياق؛ لأنه يؤدي لتفخيم لفظ الجلالة؛ المناسب لتفخيم العهد مع الله، والهاء مرفوعة لرفع شأن هذه البيعة، وسبب ثانٍ أن الضمة هي أثقل الحركات، وهذا العهد أثقل العهود؛ لأنه عهد على الموت وعدم الفرار؛ فجاء أثقل الحركات مع أثقل العهود.

٦٩٥ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١]: مهما كانت ارتباطاتك، فلا يشغلك عن ذكر الله شيء، فإن هذا علامة شؤم وحرمان وطرد وخذلان!

٦٩٦ ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]:

قال ابن جزي: «أي يريدون أن يبدِّلوا وعد الله لأهل الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوِّضهم من غنيمة مكة غنيمةَ خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصًا بهم دون غيرهم، وأراد المخلَّفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل».

٦٩٧ ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥]:

فسيقولون بعد أن منعتهم من الخروج معك إلى خيبر، تنفيذًا لحكم الله: إنما تمنعوننا من الخروج لأنكم تحسدوننا، وتريدون حرماننا من نصيبنا في الغنيمة، والله لم يأمركم بهذا.

٦٩٨ ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]: والقوم هم قبائل هوازن وثقيف الذين التقى بهم المسلمون في حنين بعد فتح مكة، وهذه الآية طمأنة للمخلَّفين بأنهم سينالون مغانم في غزوات آتية؛ ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر حرمان خاص بواقعة معينة، ووعدهم الله بالعوض ليزيل عنهم آلام الانكسار من جراء الحرمان، وقد تحقق ذلك العوض حين خرجوا إلى حنين، وحسن إسلام كثير منهم.

٦٩٩ ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]:

لو علم الله في قلبك رضا وتسليمًا ويقينًا، لأفاض عليك من وابل سكينته ما يكفيك، ويفيض على من حولك.

٧٠٠ ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٩]:

قال ابن جزي: «يعني: فتح خيبر، وقيل: فتح مكة، والأول أشهر، أي جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان، زيادة على ثواب الآخرة».

٧٠١ ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠]:

كفَّ عنكم مشركي قريش ومنعهم من حربكم، بأن قذف في قلوبهم الرعب منكم، وكان هذا نصرًا وفتحًا بدليل قول رسول الله ﷺ: «أي والذي نفسي بيده، إنه لفتح».

٧٠٢ ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١]: أرجح الأقوال أنه فتح مكة؛ لأنه ترتب على نقض المشركين لصلح الحديبية، وتمَّ دون قتال يُذكر، وسلَّم الله مكة للمسلمين بأقل أنواع القتال، وهذا دليل قدرته سبحانه.

٧٠٣ ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ [الفتح: ٢٥]:

أي الهدي محبوسًا أن يبلغ مكان نحره، وكان الهدي سبعين بَدَنة، وجعل الله الحديبية محل النحر، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله: «نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة».

٢٧٠٤ ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الفتح: ٢٥]:

كانوا تسعة نفر: سبعة رجال وامرأتين، كانوا في مكة بين كفارها يكتمون إسلامهم، والوطء الدَّوس، والمراد به الإهلاك، والمعرَّة هي المكروه والأذى، والمراد بالمعرَّة هنا: تعيير الكفار للمؤمنين بقولهم: لقد قتلتم من على دينكم، والمعنى: لولا كراهة أن تقتلوا أناسًا مؤمنين موجودين في مكة بين كفارها، لسلَّطكم الله على مشركي مكة فقتلتموهم.

٢٧٠٥ ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]:

لو تميز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات الذين يعيشون في مكة عن كفارها وفارقوهم وخرجوا منها، لعذَّبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا، فالمؤمنون هم سبب وقاية أهل مكة من العذاب.

٢٧٠٦ ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]:

قال الآلوسي: «وفيه تعريض بأن وقوع الدخول من مشيئته تعالى لا من جلادتهم وتدبيرهم».

٢٧٠٧ ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٧]:

السيما العلامة، فأثر الخشوع واضح في نور الوجه وحسن السمت، وهذا لا يكون إلا بالإخلاص والمداومة والكثرة.

٢٧٠٨ ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]:

قال أبو عروة: كنا عند مالك، فذكروا رجلًا ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩] حتى بلغ: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال مالك: «من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته الآية».

سورة الحجرات

٢٧٠٩ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]:

قال السعدي: «وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول ﷺ، على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنًا ما كان».

٢٧١٠ قال الإمام الفخر الرازي: «واعلم أن بقدر تقديمك للنبي عليه الصلاة والسلام على نفسك في الدنيا، يكون تقديم النبي عليه الصلاة والسلام إياك في العقبى».

٢٧١١ ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]:

❋ **سبب نزولها:**

قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع ابن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه الآية.

٢٧١٢ ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]:

❋ **سبب نزولها:** نزلت في أبي بكر وعمر وهما المبشَّران بالجنة، فكيف بمن سواهما؟!

٢٧١٣ ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢]:

لما نزلت هذه الآية بكى ثابت بن قيس، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أنا صيِّت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ، فقال له ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟ قال: رضيت، ولا أرفع صوتي أبدًا على صوت رسول الله ﷺ، ومات بعدها شهيدًا.

※ سبب نزولها:

قيل نزلت في الأقرع بن حابس، حين نادى رسول الله ﷺ يومًا من وراء الحجرات، فلم يجبه رسول الله ﷺ، فقال الأقرع: «إنَّ حَمدي زَيْنٌ، وإنَّ ذمِّي شَيْنٌ»، فقال له ﷺ: «ذاك اللهُ عز وجل»، وفي رواية: «كذَبتَ .. ذاك الله»، أي: هو سبحانه الذي مدحه جميل وذمُّه قبيح، فإذا مدحك الله ارتفع قدرك، ولو سخط عليك الناس، وإذا ذمَّك الله، فلست جميلاً ولو أثنى عليك كل الخلق.

٢٧١٤ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]:

الامتحان: التجربة والاختبار، أي مرَّن الله قلوبهم للتقوى، وهي كناية عن صبرهم على التقوى وثباتهم عليها.

٢٧١٥ قال الآلوسي: «أو المراد ضَرَب الله تعالى قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى، أي لتظهر ويُعلَم أنهم متقون، إذ لا تُعلَم حقيقة التقوى إلا عند المحن، والاصطبار عليها، وعلى هذا فالامتحان هو الضَّرب بالمحن».

٢٧١٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]:

قال السعدي: «أدب العبد عنوان عقله، وأن الله مريدٌ به خيرًا».

٢٧١٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]:

※ سبب نزولها:

نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه النبي ﷺ ليقبض الزكاة من الحارث بن أبي ضرار الخزاعي، فرجع من منتصف الطريق وأتى رسول الله ﷺ قائلًا له: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، وكان كاذبًا، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ ...﴾.

٢٧١٨ ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]:

وفي قراءة (فتثبَّتوا)، فلا يترك أحدٌ التثبت من الأخبار إلا ندِم.

٢٧١٩ في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع»، وفي حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه: «وكرِه لكم قيل وقال، ...».

٢٧٢٠ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]:

على قدر الإيمان تكون الأخوة؛ ولذا قال ﷺ: «ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه» صحيح الجامع رقم: ٥٥٩٤.

٢٧٢١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]: قال عبد الله بن مسعود: «البلاء موكَّل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيتُ أن أُحوَّل كلبًا».

٢٧٢٢ قال ابن زيد: «لا يسخر من ستَّر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله، فلعل إظهار ذنوبه في الدنيا خيرٌ له في الآخرة».

٢٧٢٣ ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]:

قال ابن عباس: «التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحق، فنهى الله تعالى أن يُعيَّر بما سلف من عمله».

٢٧٢٤ ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]:

الناس بموجب هذه الآية فريقان: تائب وظالم، ولا ثالث لهما.

٢٧٢٥ ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال الآلوسي: «ويُشترَط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منه التستر والصلاح وأونست منه الأمانة، وأما من يتعاطى الرِّيَب والمجاهرة بالخبائث، كالدخول والخروج إلى حانات الخمر وصحبة الغواني الفاجرات وإدمان النظر إلى المُرْد، فلا يحرم ظن السوء فيه».

٢٧٢٦ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]:

وقرأ الحسن وابن سيرين ﴿ولا تحسَّسوا﴾، قيل: التجسس بالجيم: تتبع الظواهر، وبالحاء تتبع البواطن.

٢٧٢٧ ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت لو كان في أخي ما أقول قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه».

٢٧٢٨ مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذَّبان وما يعذَّبان في كبير؛ أما أحدهما فيعذَّب في البول، وأما الآخر فيعذَّب في الغيبة» ولذا قال قتادة: «ذُكِر لنا أنَّ عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول».

٢٧٢٩ قال الغزالي: «والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات، ومَثَل من يغتاب كمن ينصب منجنيقًا، فهو يرمي به حسناته شرقًا وغربًا ويمينًا وشمالًا!».

٢٧٣٠ كان عمر بن عبد العزيز إذا ذُكِرَ عنده رجل بفضل أو صلاح. قال: كيف هو إذا ذُكِرَ عنده إخوانه؟ فإن قالوا: إنّه يتنقَّصُهم، وينال منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون.

٢٧٣١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال ﷺ: «لقد قلتِ كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته».

٢٧٣٢ ومعنى مزَجَتْه أي خالطته مخالطةً يتغيَّر بها طعم البحر كله أو ريحه لشدة قُبحِها!

٢٧٣٣ ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]: قال الآلوسي: «جاء الأمر أولًا باجتناب الطريق التي لا تؤدي إلى العلم وهو الظن، ثم نهى ثانيًا عن طلب تحقيق ذلك الظن ليصير علمًا بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، ثم نهى ثالثًا عن ذِكْر ذلك إذا عُلِم فهذه أمور ثلاثة مترتبة، ظنٌّ، فعلم بالتجسس، فاغتياب».

٢٧٣٤ ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]:

قال مقاتل: «فيه وجهان: أحدهما: يعني ظن السوء. الثاني: أن يتكلم بما ظنه فيكون إثمًا، فإن لم يتكلم به لم يكن إثمًا».

سورة ق

٢٧٣٥ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]:

عن أم هشام بنت حارثة قالت: ما أخذت ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ، كان يقرؤها كل يوم جمعة إذا خطب الناس. قال ابن كثير: «والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع؛ لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب».

٢٧٣٦ قال الرازي: «هذه السورة تُقرأ في صلاة العيد؛ لقوله تعالى فيها ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ﴾ [ق: ٤٤]، فإن العيد يوم الزينة، فينبغي أن لا ينسى الإنسان خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم فرحًا فخورًا، ولا يرتكب فسقًا ولا فجورًا».

٢٧٣٧ ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق: ٣]:

من الغباء أن يقارن أحدٌ عجزه بالعظمة الإلهية!

٢٧٣٨ ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]:

قال قتادة: «في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره، والتبس عليه دينه».

٢٧٣٩ ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [ق: ٣٣]:

لا تغتر بسعة رحمة الله، واجمع في قلبك مع رجاء الرحمة جرعة خشية.

٢٧٤٠ ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]:

قال ابن عمر: «إن أَحَقَّ ما طهَّر الرَّجلُ لسانَه».

٢٧٤١ قال ابن القيم: «وفي اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله، مُراءٍ مداهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاص لله».

٢٧٤٢ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ق: ١٩]:
نظرة المؤمن للموت! قال النورسي: «الموت تبديل مكان، وتحويل موضع، وخروج من سجن إلى بستان، فليطلب الشهادة من كان يريد الحياة».

٢٧٤٣ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]:
في الصحيح أن النبي ﷺ لما تغشّاه الموت كان يمسح العرق عن جبينه ﷺ ويقول: «إن للموت لسكرات».

٢٧٤٤ والصديق رضي الله عنه لما رأت عائشة سكرات الموت عليه، أرادت أن تسلّيه، فامتثلت قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشجرت يوماً وضاق بها الصدر

فقال لها الصديق وهو في السكرات: يا بنية.. لا تقولي هذا، ولكن قولي كما قال الله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

٢٧٤٥ استعيرت السكرة للشدة، ووجه الشبه بينهما أن كليهما يُذهِب العقل، ويجوز أن يُشبَّه الموت بالشراب كما قال الشاعر: الموت كأس وكلُّ الناس شاربه.

٢٧٤٦ ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق: ٢١]:
قال ابن كثير: «ملَك يسوقه إلى المحشر، ومَلَك يشهد عليه بأعماله».

٢٧٤٧ ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ * مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢، ٣٣]: ما الفارق بين التائب والمنيب والأواب؟ قال ابن علان: «من رجع عن المخالفات خوفًا من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء فهو منيب، ومن رجع تعظيمًا لجلال الله سبحانه فهو أوّاب».

سورة الذاريات

٢٧٤٨ ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩]:
أي يُصرَف عن القرآن من صرفه الله عقوبةً له على ذنوبه، وبسبب إعراضه عن ربه.

٢٧٤٩ ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]:
قال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلًا، وعن عبد الله بن رواحة: هجعوا قليلا ثم قاموا.

٢٧٥٠ قال الإمام الرازي: «سيرة الكريم (أن) يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويَسْتَقِلُّه ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويَمُنُّ به».

٢٧٥١ لم مدحهم بقلة الهجوع مع أن السَّهَر هو محل الاجتهاد؟! قال الإمام الرازي: «وهذا إشارة إلى أن نومَهم عبادة، حيث مدحهم الله بكونهم هاجعين قليلا، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، والاستغفار بالأسحار، ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم».

٢٧٥٢ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الذاريات: ١٧]:

أي لا يشغلك طلب الرزق عن عبادتي، وفي الحديث القدسي: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم .. تفرَّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسُدَّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا، ولم أسُدَّ فقرك» صحيح الجامع رقم: ١٩١٤.

٢٧٥٣ ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]:

قال البغوي: «كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسِم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره».

٢٧٥٤ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]:

قال ابن كثير وهو يعرض لكرم أبي الضيفان إبراهيم عليه السلام:

«وهذه الآيات انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولا فقال: نأتيكم بطعام؟ بل جاء به بسرعة وخفاء.

٢٧٥٥ وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل سمين مشوى فقربه إليهم، لم يضعه وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم.

ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ألا تأكُلُونَ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل».

الجزء السابع والعشرون
من سورة الذاريات الآية ٣١
إلى سورة الحديد الآية ٢٩
عدد الفوائد ١١٧

١٧٥٦ ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات: ٥٠]:
فرار السعداء إليه، وفرار الأشقياء منه.

١٧٥٧ ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠]:
قال السعدي: «سمى الله الرجوع إليه فراراً لأن في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه أنواع المحاب والأمن».

١٧٥٨ لم أمرنا بالفرار؟ لأن المخاوف كثيرة، أهواء وشهوات، وفتن ومغريات، وشياطين إنس وجن، وصوارف عن الله وعقبات، فكلما تكالبت علينا وجب الإسراع بالفرار إليه.

١٧٥٩ ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٣]:
تآخي المنافقين على اختلاف مواقعهم في الدول المختلفة مذهل، وتطابق مواقفهم عجيب، وكأنهم يستقون من نبع واحد، واردهم الشيطان وبضاعتهم العصيان ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ ﴾

١٧٦٠ ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]:
الانتفاع بالتذكرة مؤشر على قوة إيمانك.

١٧٦١ ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]:
اعرف رسالتك في الحياة، والمهمة التي خلقك الله من أجلها. بل وخلق لك ما يعينك عليها، ففي الحديث: «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» صحيح الجامع رقم: ١٧٨١.

١٧١٢ ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٧]:

في الآية نفيان متدرِّجان يفيدان تمام غناه عز وجل كأنه قال: لا أطلب منهم رزقا، ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم الطعام بين يدي السيد.

سورة الطور

١٧١٣ ﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾ [الطور : ٣]:

والرَّقُّ: ما يُكْتَبُ فيه، وهو جِلْدٌ رَقِيقٌ، فليس المهم فخامة الأوراق بل ما فيها من كلمات.

١٧١٤ فهل ساهمت في نشره لتنال هذا الشرف؟!

١٧١٥ ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾[الطور : ٤]:

في الحديث الصحيح: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» صحيح الجامع رقم: ٢٨٩١

١٧١٦ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾[الطور : ٧]:

سمع عمر قارئا يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾، فاستند إلى جدار،ثم عاد إلى بيته يعوده الناس شهرًا مما ألمَّ به.

١٧١٧ ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴾ [الطور : ٨]: .

قال جبير بن مطعم رضي الله عنه: قدمت المدينة على رسول الله ﷺ لأكلمه في أسارى بدر (وكان كافرًا)، فجئت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة المغرب، فسمعته يقرأ وَالطُّورِ إلى إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ، ما لَهُ مِنْ دافِعٍ فكأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفًا من نزول العذاب».

١٧١٨ ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا * وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴾[الطور : ٩، ١٠]:

أحداث هائلة وأهوال مفزعة حرَّكت هذه الأجرام العظيمة من مكانها، فكيف بأثرها على الإنسان الضعيف؟!

١٧١٩ والإتيان بالمصدرين هدفه توضيح غرابتها وخروجها عن الحدود المعروفة، أي مورًا عجيبًا وسيرًا غريبًا، لا يعرف أحد كنهها.

1770 ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾[الطور : ١٨]:

أي متلذذين بما في أيدينا من خيرات، مأخوذ من الفكاهة -بفتح الفاء- وهي طيب العيش والسرور مع النشاط، وسُمِّيت الفاكهة بهذا الاسم لتلذذ الإنسان بها.

1771 ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖ ﴾[الطور : ٢٠]:

الراحة بعد التعب، والنعيم بعد الشقاء، وانتهاء التعب والشقاء إلى غير رجعة.

1772 ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾[الطور:٢١]:

عاطفة ممتدة! قال الإمام الرزاي: «شفقة الأبوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الآخرة؛ ولهذا طيَّب الله تعالى قلوب عباده بأنه لا يولـِّهم بأولادهم بل يجمع بينهم».

1773 ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ [الطور : ٢١]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل» ، ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم ﴾، يقول: «وما نقصناهم».

1774 ﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾[الطور : ٢١]:

قال الزمخشري: «كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبدَه بدَيْن عليه، فإن عمل صالحًا فكَّها وخلَّصها، وإلا أوبقها».

1775 ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا ﴾ [الطور : ٢٣]:

أي يتناولها بعضهم من بعض، وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة، والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره، فإذا فرغ لم يُسمَّ كأسا.

1776 ﴿ لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴾ [الطور : ٢٣]:

قال ابن عطاء: «أي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله».

1777 ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴾ [الطور : ٢٤]:

إذا كان الخادم كاللؤلؤ، فكيف يكون المخدوم؟!

٢٧٧٨ ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦]:

الخوف الذي يعتري قلبك في الدنيا هو سبب نجاتك في الآخرة.

٢٧٧٩ قال إبراهيم التيمي: «ينبغي لمن لا يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾».

٢٧٨٠ ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]:

عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وهو الريح الحارة المعروفة، وهو أبلغ في الألم، لأن كل خلية في الجسد ستتعذَّب!

٢٧٨١ ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ [الطور: ٢٧، ٢٨]: دعاؤهم كان سببًا في نجاتهم من كربات يوم القيامة، فكيف لا يكون سببًا في كشف كربات الدنيا؟!

٢٧٨٢ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور: ٢٨]:

استرجاع ذكرياتنا مع الصالحين في الدنيا هي بعض نعيم الجنة

٢٧٨٣ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور: ٢٨]:

قال ابن عباس: الصادق في ما وعد، وهذا لائق بما دعا به أهل الجنة، فقد نادوا الله بهذا الاسم بعد أن رأوا ما وعدهم الله به واقعًا في الجنة.

٢٧٨٤ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[الطور:٣٠]:

كل (رَيْب) في القرآن فهو شكٌّ؛ إلا مكانًا واحدًا في سورة الطور ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ يعني حوادث الدهر.

٢٧٨٥ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨]:

قال ابن عطية: «هذه الآية يجب أن يقرِّرها كل مؤمن في نفسه، فإنها تُفسِح مضايق الدنيا».

٢٧٨٦ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور : ٤٨]:

أنت بمرأى ومسمع منا، فنحن نرى ونسمع كل ما نزل بك، لست وحدك!

٢٧٨٧ وقالوا في جمع العين هنا، وإفراده في سورة «طه» ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ مع موسى عليه السلام إلى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة في الحفظ، كأن معه من الله تعالى حُفّاظا يكلؤونه بأعينهم، وذلك لتصبير الحبيب على المكائد ومشاق التكاليف والطاعات، فناسب الجمع لأنها أفعال كثيرة كل منها يحتاج إلى حراسة منه عز وجل.

سورة النجم

٢٧٨٨ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾[النجم : ٢]:

ذَبّ الله عن نبيه، فمتى نذب عنه نحن؟!

٢٧٨٩ قال ابن عطية: «والضلال أبدًا يكون من غير قصد من الإنسان إليه. والغي كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، نفى الله تعالى عن نبيه هذين الحالين».

٢٧٩٠ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾[النجم : ٣]:

اتهم عقلك قبل أن تعترض على نَصّ شرعي قطعي.

٢٧٩١ ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾[النجم : ٤، ٥]:

تعريف الهوى باختصار هو مخالفة الوحي.

٢٧٩٢ ﴿ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴾[النجم : ٦]:

هي صفة من صفات جبريل عليه السلام، والمِرَّة- بكسر الميم- تطلق على قوة الذات، وحصافة العقل ورجاحته، وهذه لا بد أن تكون من صفات كل داعية.

٢٧٩٣ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[النجم : ٨]:

الذي دنا وتدلى هو جبريل، أي اقترب من النبي ﷺ ليوحي إليه، ثم كنى الله عن قرب جبريل من نبينا ﷺ بقوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ [النجم:٩].

٢٧٩٤ ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾[النجم : ١٣]:

رأى النبي ﷺ جبريل -عليه السلام- على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها في رحلة الإسراء والمعراج.

١٧٩٥ ﴿ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾[النجم : ١٣]:

رأى النبي ﷺ جبريل عند هذا المكان المُسمَّى سدرة المنتهى، لانتهاء علوم الخلائق عنده، وهو مكان في السماء السابعة، لا يعلم ما وراءه إلا الله.

١٧٩٦ ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾[النجم : ٢٢]:

أي جائرة، وكلمة (ضيزى) أغرب كلمة في القرآن، وجاءت غريبة لتعبِّر عن القسمة الغريبة التي قسمها الكفار بينهم وبين الله في شأن الملائكة: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴾، وهذا تناظر جميل في اللغة كما قال الرافعي في إعجاز القرآن: «هذه الكلمة غريبة في لفظها، وغريبة في معناها، وغريبة في نطقها، وغريبة في صوتها، فجمعت أربع غرائب في أربعة حروف».

١٧٩٧ ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم :٢٣]:

الأسماء والأوصاف والألقاب الكاذبة لا تغيِّر الحقائق، ولا تجعل الحرام حلالًا.

١٧٩٨ وفي الحديث: «ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها». صحيح الجامع:٥٤٥٣

١٧٩٩ ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴾[النجم : ٢٥]:

إذا تمنيتَ شيئًا من خيري الدنيا والآخرة، فَسَلِ الذي يملكهما.

١٨٠٠ ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾[النجم : ٣٢]:

قال ابن عباس: هو الرجل يُلِمُّ بذنب ثم يتوب. ألم تسمع النبي ﷺ كان يقول:

إن يغفر الله يغفر جمًّا   وأيُّ عبدٍ لك ما ألمَّا؟

١٨٠١ ليس المقصود هنا فتح الباب لارتكاب الصغائر، بل فتح باب التوبة منها، حتى لا ييأس مرتكب الصغائر من رحمة الله، فيمضي قدمًا في ارتكابها، فتجره إلى الكبائر، وحتى لا يعامَل مرتكب الصغيرة معاملة مرتكب الكبائر.

١٨٠٢ **حذارِ من الصغائر!** قال ابن عطاء: «وأضرُّ ما يُخاف عليك: محقَّرات الذنوب، لأن الكبائر ربما استعظمتها فتُبتَ منها، واستحقرت الصغائر فلم تَتُب منها!».

٢٨٠٣ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم : ٣٢]:
لا تتكلم عن نفسك، فليست العبرة بما (تقول)، وإنما بما (تعمل).

٢٨٠٤ في الحديث: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البرّ منكم، سموها زينب». صحيح الجامع رقم: ٧٢٩٧. قال ذلك ينهى عن اسم (برَّة)، وأوصى أن تُسَمّى بدلا منه باسم زينب.

٢٨٠٥ ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ۞ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾[النجم : ٣٣، ٣٤]:

سبب نزولها:

نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد سمع قراءة النبي ﷺ، فهمَّ أن يسلِم، فعاتبه رجل من المشركين، وقال له: أتترك ملة آبائك؟ ارجع إلى دينك، وأنا أتحمل عنك كل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عن الإسلام، وأعطى بعض ماله لذلك الرجل، ثم أمسك عن الباقي، وبخل به، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

٢٨٠٦ ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤]:
قال ابن عباس: وَأَكْدى: كدَّره بمنِّه.

٢٨٠٧ ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[النجم :٣٧]:
من الذي يمدح هنا؟! ومن يطيق هذا المدح، وفَّى في كل ما أمره الله به، فإبراهيم عليه السلام قدوتنا في إتقان العمل وإتمامه، على أكمل وجه، حتى مدحه الله عليه.

٢٨٠٨ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾[النجم :٣٨]:
القرآن يعلمنا الإنصاف.

٢٨٠٩ دخل رجل على الحجاج مقيَّدًا يشكو أنه يُعاقب بعصيان عاصٍ من عشيرته، فأجابه الحجاج مبررا الفعل شعرًا:

ولَرُبَّ مأخوذ بذنب عَشيرة ونَجا المقارِفُ صاحب الذنبِ!

٢٨١٠ قال الرجل: أصلح الله الامير، ولكني سمعت الله عز وجل يقول: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾[يوسف :٧٩]، فقال الحجاج : فكوا قيده، وأعيدوا له ما أخذتموه منه، ومُر مناديًا ينادي : صدق الله، وكذب الشاعر .

٢٨١١ ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[النجم :٤٠]:
سعيك سوف يُرى في الغد، فما الداعي للرياء اليوم؟!

٢٨١٢ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[النجم :٤٣]:
الضحك والبكاء مسائل قَسْرية لا دخلَ لأحد من البشر فيها، هم فقط أسباب، والله هو مسبِّب الأسباب.

٢٨١٣ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾[النجم :٥٠]:
وسيهلك عادًا الثانية والثالثة، وكل من سلك سلوك عاد في الظلم والإجرام، سيهلكه الله كما أهلك عادا الأولى.

٢٨١٤ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]:
قال ابن عباس: السمود: اللهو والباطل، وقيل السُّمود: الغناء بلغة حِميَر، ومنه قول بعضهم لجاريته: اسمدي لنا، أي: غني لنا.

سورة الرحمن

٢٨١٥ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[الرحمن :١، ٢]:
إلى كل مربٍّ أو معلِّم: لن تكون ناجحًا حتى تكون رحيمًا، وتأمل كيف قدَّم الله الرحمة على التعليم!

٢٨١٦ ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[الرحمن :٢، ٣]:
النعم قسمان: نعمة خلق وإيجاد، ونعمة هداية وإرشاد، ونعمة الهداية والإرشاد أعظم من نعمة الخلق والإيجاد؛ لذا بدأ بها.

٢٨١٧ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن:٨]:
ثم قال: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٩]: والطغيان: الزيادة إذا كان الكيل لهم، والخسران: النقصان إذا كان الكيل لغيرهم، عدالة الإسلام مطلقة.

٢٨١٨ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تكرارها ٣١ مرة في السورة نفسها من باب تقرير النعم والتذكير بها، قال ﷺ: «لقد قرأتها - يعني سورة الرحمن - على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم كنت كلما أتيت على قوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» صحيح الجامع رقم: ٥١٣٨ .

٢٨١٩ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن :٢٩]:
اليوم شأن، وغدًا شأنٌ آخر.

٢٨٢٠ قال عبيد بن عمير: «يجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، أو يفكّ عانيًا، أو يشفي سقيمًا».

٢٨٢١ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[الرحمن :٣١]:
سين: الفراغ لا يكون إلّا عن شغل، والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن!

جيم: هذا وعيد من الله لعباده، وليس بالله شغل يشغله ، حاشاه.

٢٨٢٢ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]:
الشواظ هو اللهب الذي لا يخالطه دخان، والنحاس هو الدخان الذي لا لهب معه، والمعنى: أنتم لا تستطيعون الهرب من قبضتنا بحال من الأحوال، ولو حاولتم الهروب لأرسلنا عليكم لهبًا يحرقكم، ودخانًا يخنقكم، وفي هذه الحالة لا تنتصران.

٢٨٢٣ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩]:
وأثبت في موطن آخر: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤].

٢٨٢٤ كيف نفى السؤال وأثبته؟! السؤال قسمان: قسم أثبته الله، وقسم نفاه الله، فالذي أثبته الله هو سؤال التقريع والتوبيخ، أي: لم فعلتم هذا؟ والذي نفاه كما في سورة الرحمن هو سؤال الاستعلام والاستفهام.

٢٨٢٥ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن:٤١]:
المجرم يعرفه كل أحد يوم القيامة بسيماه، فلا يحتاج إلى تمييز أو تعريف.

٢٨٢٦ ﴿ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن:٤١]:

قال ابن عباس: «تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه، ويُجمَع فيُكسَر كما يُكسَر الحطب في التنور».

٢٨٢٧ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦]:

قال سهل التستري: «هَمَّ بمعصية، ثم ذكر مقامه بين يدي الله تعالى يوم الحساب، فانتهى عنها».

٢٨٢٨ قال النبي ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رداء الكبرياء على وجهه سبحانه وتعالى».

٢٨٢٩ ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن:٥٤]:

اتكاء أهل الجنة لا يباعدهم عن ثمر شجرها الداني إليهم ليلتقطوه بأفواههم دون الحاجة إلى الاعتدال من جلستهم!

٢٨٣٠ ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن:٥٦-٥٨]:

قدَّم صفة العفاف على صفة الجمال؛ فلا قيمة لجمال المرأة بغير عفاف.

٢٨٣١ ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن:٥٦]:

أي غاضات الأبصار عن غير أزواجهن، فمن قصَر طرفه في الدنيا عن الحرام، أعطاه الله قاصرات الطرف كما وعد- في الجنان.

٢٨٣٢ ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٦٢]:

تتفاوت درجات العباد في الجنة بحسب تفاوت هممهم في الدنيا.

٢٨٣٣ يعني: أقل منهما، لكن لأنه ليس في الجنة ما يُسمَّى (أقل)، فاستعاض عن ذلك بقوله: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا ﴾.

٢٨٣٤ في الأولى قال: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن:٥٢]، وفي الثانية قال: ﴿ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن:٦٨]، ففي الأولى أطلق خيالك، وفي الثانية قيَّده، وبينهما من فارق النعيم ما لا يخفى.

سورة الواقعة

٢٨٣٥ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة:١]:

قال رسول الله ﷺ: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» صحيح الجامع رقم: ٣٧٢٣.

٢٨٣٦ قال جابر بن عبد الله: «كان رسولُ الله ﷺ يصلِّي الصلواتِ كنحوٍ من صلاتِكم التي تصلُّونَ اليومَ ولكنه كان يخفِّفُ، كانت صلاتهُ أخفُّ من صلاتِكم، وكان يقرأُ في الفجر الواقعةَ ونحوَها من السُّوَرِ».

٢٨٣٧ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة:٣]:

قال محمد بن كعب: «تخفض رجالًا كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين».

٢٨٣٨ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠، ١١]:

أيّ السابقون إلى الخيرات مقربون في الدرجات.. السرعة هنا = ارتقاء هناك.

٢٨٣٩ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١١]:

ولم يقل: المتقرَّبون، حتى يفهم أن ما هم فيه فضل من الله تعالى، وليس شيئًا حَصَلوا عليه بأنفسهم.

٢٨٤٠ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٧]:

عرباً أي محببات إلى أزواجهن. قال المبرِّد: هي العاشقة لزوجها، وأترابًا: يعني: كلُّهن على سن واحدة.

٢٨٤١ ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة:٤٣]:

غاية البشاعة والرعب أن يكون الظل الذي يأوي إليه المتعبون لهيبًا يشوي الوجوه!

٢٨٤٢ ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥]:

الهيم: الإبل تصاب بداء تشرب منه فلا ترتوي، وتتعذب فلا تموت وتستريح، فشُبِّه أهل النار بها وهو أحطُّ تشبيه.

٢٨٤٣ ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٠]:

كان بعض الصالحين يدعو مع شرب الماء العذب: الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا!

٢٨٤٤ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾ [الواقعة:٧١]:

ما أسهل تحويل الاستمتاع بالدفء إلى عبادة بنية صالحة!

٢٨٤٥ ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة:٧٣]:

للمقوين أي للمسافرين. قال ابن القيم: «وخصَّ المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون، وأنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين، وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر».

٢٨٤٦ ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة:٧٣]:

قال الرازي: « قدم كونها تذكرة على كونها متاعًا؛ ليُعلَم أن الفائدة الأخروية أتمُّ وبالذكر أهمُّ» !

٢٨٤٧ ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة:٧٥]:

فلا أقسم بمعنى أقسم و(لا) للتأكيد، على عادة العرب في كلامهم أنهم إذا أقسموا على إثبات أمر واضح قالوا: لا أقسم، أي لا يُحتاج إلى قسم.

٢٨٤٨ ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٩]:

قال ابن تيمية: «فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهرون ؛ فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة».

٢٨٤٩ أكثرنا فهمًا لكلام الله أطهرنا قلبًا.

٢٨٥٠ ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة:٨٨، ٨٩]:

قال أبو العالية: «لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمَّه ثم يقبض».

سورة الحديد

٢٨٥١ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:١]:

كل من حولك من الأحياء وما حولك من الجمادات يسبِّح، تناغم مع الكون وسبِّح!

٢٨٥٢ خمس سور في القرآن بدأت بتسبيح الجمادات، تعظيمًا له، فإذا كان في حق الجمادات ولا تكليف عليهم، فكيف بالأحياء المكلفين!

٢٨٥٣ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد:١١]:

قال ابن القيم: «وحيث جاءَ هذا القرض فى القرآن قيده بكونه حسنًا، وذلك يجمع أمورًا ثلاثة: أحدها أن يكون من طيب ماله لا من رديئه وخبيثه.

الثاني: أن يخرجه طيِّبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاءَ مرضاة الله.

الثالث: أن لا يمن به ولا يؤذى.

فالأول يتعلق بالمال، والثانى يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث بينه وبين الآخذ».

٢٨٥٤ ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد:١٢]:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة ويوقَد مرة».

٢٨٥٥ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤]:

قال ابن عاشور: «وذكروا لهم أربعة أصول هي أسباب الخسران، وهي: فتنة أنفسهم، والتربص بالمؤمنين، والارتياب في صدق الرسول ﷺ، والاغترار بما تموِّه إليهم أنفسهم.

٢٨٥٦ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحديد:١٥]:

كل شيء يمكن تعويضه إذا فات إلا الإيمان، وصدق من قال: اليوم يُقبَل منك مثقال ذرة، وغدًا لن يقبل منك ملء الأرضِ ذهبًا.

٢٨٥٧ ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحديد:١٦]:
كلما طال البعد عن القرآن قسا قلب العبد، ولين القلب بكثرة تعاهد القرآن.

٢٨٥٨ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [الحديد:١٥]:
هذا تمثيل رائع، فالقلوب التي ماتت بسبب القساوة، ممكن إحياؤها بالمواظبة على الذكر، كما يحيي الله تعالى الأرض بالمطر.

٢٨٥٩ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ [الحديد:٢٠]: قال ابن عاشور: «وقد ذكر هنا من شؤون الحياة ما هو الغالب على الناس، وهي أصول أحوال المجتمع في الحياة، وهي أيضًا أصول أطوار آحاد الناس في تطور كل واحد منهم، فإن اللعب طور سن الطفولة والصبا، واللهو طور الشباب، والزينة طور الفتوة، والتفاخر طور الكهولة، والتكاثر طور الشيخوخة».

٢٨٦٠ ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠]:
قال القشيري: «الدنيا حقيرة، وأحقر منها قَدْرًا طالبها، وأقلُّ منه خطرا المزاحم فيها، فما هي إلا جيفة، وطالب الجيفة ليس له خطر، وأخسُّ أهل الدنيا من بخِل بها، وهذه الدنيا المذمومة هي التي تشغل العبد عن الآخرة!».

٢٨٦١ ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد:٢٠]:
الكُفّار هنا الزُرّاع الذين يزرعون الأرض، ويبذرون فيها البذور، وسُمّوا كفارًا من الكفر بمعنى الستر والإخفاء لأنهم يخفون البذور في الأرض.

٢٨٦٢ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ [الحديد:٢٢]:
قال ابن عباس: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة».

٢٨٦٣ ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ [الحديد:٢٣]:
كلمة (لَوْ) ليس لها وجود في قاموس المؤمن.

٢٨٦٤ ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد:٢٣]:
تساؤل مشروع! قال ابن جزي: «فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر، فالجواب: أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكِبْر والطغيان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم».

٢٨٦٥ ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:٢٥]:

قال الإمام ابن كثير: «وجَعَلْنا الحديد رادعا لمن أبى الحق، وعانده بعد قيام الحجة عليه؛ ولهذا أقام الرسول ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة، تنزل عليه السور المكية، لبيان أن دين الله حق، فلما قامت الحجة على من خالفه، شرع الله القتال بعد الهجرة، حماية للحق».

٢٨٦٦ قال الإمام الفخر الرازي: «ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة، جعله الله سهل الوجدان، كثير الوجود، والذهب لما كانت حاجة الناس إليه قليلة، جعله الله- تعالى- عزيز الوجود، وبهذا تتجلى رحمة الله على عباده، فإن كل شيء كانت حاجتهم إليه أكثر جعل الحصول عليه أيسر».

٢٨٦٧ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٥]:

المراد به علم الظهور الذي يترتب عليه الثواب أو العقاب، أما علم أنه سيكون فهذا معلوم منذ الأزل، هذا من تمام عدل الله أن لا يعاقب عباده إلا بما ظهر منهم.

٢٨٦٨ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ينصرونه ولا يبصرونه»، والمراد أنه ينصر الله عز وجل وينصر رسله وهو لم يرَ الله، ولذا قال البغوي: «أي قام بنصرة الدين ولم يرَ الله ولا الآخرة، وإنما يُحْمَد ويُثاب مَنْ أطاع الله بالغيب».

٢٨٦٩ ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:٢٧]:

قال الإمام الآلوسي: وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ما فرضناها نحن عليهم رأسا، ولكن ابتدعوها وألزموا بها أنفسهم ابتغاء رضوان الله.

٢٨٧٠ ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧]:

ابتدعوها من أجل أن يرضى الله عنهم، ولكن بمرور الأيام، لم يحافظ كثير منهم على ما تقتضيه هذه الرهبانية من زهد وتقى، بل صارت طقوسًا خالية من الروح.

٢٨٧١ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الحديد:٢٨]: ذكر ابن كثير أنه لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة، واستدل بقول النبي ﷺ: «إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل من غدوة إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل عطاء؟ قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء». صحيح الجامع رقم: ٢٣١٥

٢٨٧٢ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]:

ثمرة التقوى رائعة! قال القرطبي: «وأصل الكِفل كساء يكتفل به الراكب، فيحفظه من السقوط، أي يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي، كما يحفظ الكِفْل الراكب من السقوط».

٢٨٧٣ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]:

قال ابن القيم: «نكتة بديعة وهي أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما مشوا بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدمًا عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه» .

الجزء الثامن والعشرون
من سورة المجادلة الآية ١
إلى سورة التحريم الآية ١٢
عدد الفوائد ١٢٩

٢٨٧٤ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]:
ما أدق تعبير القرآن، فالمرأة تجادل رسول الله ﷺ في زوجها، أما شكواها فلا ترفعها إلا إلى الله.

٢٨٧٥ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]:
حوار كل اثنين -مهما استترا عن العيون مسموع ومسجَّل عند الله، فعند كل إساءة أو تجاوز في كلامك تذكر هذه الآية.

٢٨٧٦ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]:
قال الآلوسي: «ويُعلَم من الآيات أن الظهار حرام، بل قالوا: إنه كبير؛ لأن فيه إقدامًا على إحالة حكم الله تعالى وتبديله بدون إذنه، وهذا أخطر من كثير من الكبائر، ومن ثم سماه عز وجل مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا».

٢٨٧٧ ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]:
ما أخوفني غدًا من ذنوب منسية وهي عند الله مكتوبة محصية.

٢٨٧٨ ما أخطر أن يجتمع إحصاء الرب ونسيان العبد!

٢٨٧٩ خطورة النسيان أنه يؤدي لترك الاستغفار على الذنب، فتتراكم الذنوب، فتقسو القلوب!

٢٨٨٠ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]:
افتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: «هو معهم بعلمه».

٢٨٨١ ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [المجادلة: ٨]:

كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يخفتون لفظ «السلام عليكم»؛ ويعدلون عن ذلك ويقولون: أنعِم صباحًا، وهي تحية العرب في الجاهلية؛ لأنهم لا يحبون أن يتركوا عوائد الجاهلية. قاله ابن عباس، فما هي تحيتك لزملائك؟!

٢٨٨٢ ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [المجادلة: ١٠]:

الحزن مؤامرة شيطانية ومن جنود إبليس ليشوِّش على المؤمنين إيمانهم وعبادتهم.

٢٨٨٣ في الحديث: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس؛ من أجل أن يُحْزِنَهُ»، وسبب الحزن أن يظن أن الاثنين يتناولانه بسوء أو يخفيان عنه شيئًا.

٢٨٨٤ كان ابن عمر يتحدث مع رجل، فجاء آخر يريد أن يناجيه، فلم يناجِه حتى دعا رابعًا، فقال له وللأول: تأخرا، وناجى الرجل الطالب للمناجاة.

٢٨٨٥ ﴿ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١٠]:

لا يقضي على الأحزان مثل التوكل على الرحمن.

٢٨٨٦ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المجادلة: ١١]: قال قتادة: «نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلًا، ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض».

سبب نزولها:

وفي رواية أخرى لقتادة: كان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر، فجاء ناس منهم وقد سُبِقوا في المجالس، فلم يفسح أحدٌ لهم، فشقَّ ذلك على رسول الله، فقال لمن حوله من غير أهل بدر: قم يا فلان، فشقَّ ذلك عليهم، وعرف ﷺ الكراهة في وجوههم، وقال المنافقون: ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلا يُفسِح لأخيه»، فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعًا، ونزلت هذه الآية.

٢٨٨٧ ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المجادلة: ١١]:
وحذف الله سبحانه متعلَّق ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ﴾ ليشمل كل ما يرجو الناس أن يُفسِح الله لهم فيه من رزق، ورحمة، وخير دنيوي وأخروي.. استحضر هذه النية مع كل إفساحٍ في مجلس.

٢٨٨٨ ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المجادلة: ١١]:
مجرد إفساحك لأخيك في المجلس يفسح الله لك به في الدنيا والآخرة، فكيف لو قضيت له حاجته أو فرَّجتَ كُربَته؟!

٢٨٨٩ قال الرازي: «واعلم أن هذه الآية دلَّت على أن كل من وسَّع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسَّع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يُقيِّد الآية بالتفسُّح في المجلس، بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه».

٢٨٩٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ [المجادلة: ١٢]:

سبب نزولها:

ذكر ابن عباس أنها نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية، كف كثير من الناس، ثم وسَّع الله عليهم بالآية التي بعدها.

٢٨٩١ ذكروا في سبب تقديم الصدقة أسبابًا: تعظيم أمر مناجاة الرسول ﷺ، والتخفيف عن النبي ﷺ ليتفرغ لعظيم المهام، وتهوين الأمر على الفقراء الذين قد يسبقهم الأغنياء إلى مجلس النبي ﷺ، فإذا علموا أن مناجاة الأغنياء تسبقها صدقة، لم يضجروا.

٢٨٩٢ ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المجادلة: ١٣]:

سبب نزولها:

نزلت بعد عشرة أيام من التي قبلها، ونسخت التي قبلها، وهي من أظهر آيات النسخ، لأنها أسقطت وجوب تقديم الصدقة. قال الألوسي: «والظاهر- والله أعلم- أن الحادثة من باب الابتلاء والامتحان، ليظهر للناس محب الدنيا من محب الآخرة، والله بكل شيء عليم».

٢٨٩٣ ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤]:

سبب نزولها:

نزلت في منافق اسمه عبد الله بن نبتل، فقال له النبي ﷺ: «علام تشتمني أنت وأصحابك»، فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له النبي ﷺ: «فعلت» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت هذه الآية.

٢٨٩٤ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ [المجادلة: ١٨]:

فيه دليل على أن العبد يبعث على ما مات عليه. قال القاضي عياض: هو عام في كل حالة مات عليها المرء، وقال السيوطي: يبعث الزمار بمزماره، وشارب الخمر بقدحه.

٢٨٩٥ ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المجادلة: ١٩]:

عملية أسر متكاملة الأركان، وتجنيد في حزب الشيطان، وملامحها الرئيسية: نسيان الذكر، وأعلاه: القرآن!

٢٨٩٦ ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ [المجادلة: ٢١]:

قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين: من بُعِث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.

٢٨٩٧ ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

[المجادلة: ٢٢]: لا يجتمع في قلب مؤمن إيمان ومحبة أعداء الرحمن، فكيف يجتمع النقيضان؟!

٢٨٩٨ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

أعطاهم ومنحهم شهادة الإيمان وجعلها في قلوبهم؛ لأن المودة مكانها القلب، فلما أخلَوْا قلوبهم لله كتب الله فيها الإيمان

٢٨٩٩ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]:

أكّد ذلك بثلاثة مؤكّدات: (أَلَا) و(إِنَّ) و(هُمُ).

سورة الحشر

٢٩٠٠ ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ [الحشر: ٢]:

هذا ظن أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أفضل الخلق إيمانًا بعد الأنبياء، فكان عطاء الله لهم خيرا مما ظنوا، فلا تستعجز قدرة الله أن تحقق أمانيك، وأطلق لآمالك العنان حين تعامل الكريم المنان.

٢٩٠١ ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]:

يعني بين الرؤساء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وتُسمَّى المرباع، ثم يوزع منها بعد المرباع ما شاء، فجعل الله الفيء لرسوله يقسِّمه كما أمره به.

٢٩٠٢ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]:

قال ابن عاشور: هذه الآية جامعة للأمر باتباع ما يصدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل، ويندرج تحتها جميع أدلة السنة.

٢٩٠٣ في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات»، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت ابن مسعود فقالت: بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال لها: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، فقال: لئن كنت قرأتِه لقد وجدتِه، أما قرأت: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

٢٩٠٤ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]:

قال ابن القيم: «الفرق بين الشُّح والبخل أنّ الشّح هو شدّة الحرص على الشّيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله، والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبّه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله».

٢٩٠٥ قال ابن مسعود: «البخل: أن تمنع ما تقدر عليه. والشُّحُّ: أن تأخذ مال أخيك بغير حقِّه»، ولذا قال الأزهري: «إن من أخرج زكاته، وعفَّ عن المال الذي لا يحِلُّ له، فقد وقي شحَّ نفسه».

٢٩٠٦ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]:

قال مالك: «إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاءوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، فمن قال ضدَّ ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله».

٢٩٠٧ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]:

قال سعيد بن بريد النباجي: «ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا، نخاف في أعمالنا التقصير، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مخلصين».

٢٩٠٨ ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الحشر: ١١]:

هذا قول المنافقين ليهود قريظة والنضير: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾، ولا نطيع محمدا في قتالكم، ولاحظ علاقة الأخوة بين المنافقين والكافرين، علاقة نسب شيطاني!

٢٩٠٩ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [الحشر: ١٢]:

هذه الآية دليل على صحة نبوة النبي ﷺ من جهة علم الغيب؛ لأن اليهود أُخرجوا فلم يخرجوا معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم.

٢٩١٠ ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]:

قال ابن عاشور: «وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابر، ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر، يرون رأيا متماثلًا».

٢٩١١ ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]:

مثل المنافقين في تزيينهم الشر والفساد ليهود بني النضير، كمثل الشيطان إذ قال للإنسان في الدنيا: اكفر بالله، فلما كفر ومات على كفره، وبعثه الله يوم القيامة، ندم وألقى التبعة على الشيطان الذي تبرأ منه، ووجه الشَّبَه: أن المنافقين تبرءوا من معاونتهم عند ساعة الجد، كما يتبرأ الشيطان من الكافر يوم القيامة.

٢٩١٢ ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]:

قال قتادة: «قرَّب الله القيامة حتى جعلها غدًا، وذلك أنها آتية لا محالة، وكل آتٍ قريب».

٢٩١٣ قال مالك بن دينار: «مكتوبٌ على باب الجنة: وجدنا ما عملنا، وربحنا ما قدَّمنا، وخسرنا ما خلَّفنا».

٢٩١٤ قال السعدي: «هذه الآية أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة».

٢٩١٥ تشمل كلماتك المكتوبة على صفحتك في مواقع التواصل، ومقاطعك المسجلة على يوتيوب، فهذه حسنات أو سيئات جارية بعد موتك.

٢٩١٦ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]:

قال ابن القيم: «من نسي ربه، أنساه ذاته ونفسه، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه، في معاشه ومعاده، فصار معطلًا مهملًا، بمنزلة الأنعام السائبة بل ربما كانت الأنعام أخبر بمصالحها منه، لبقائها على هداها الذي أعطاها إياه خالقها».

٢٩١٧ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]: قال القرطبي: «حثَّ على تأمل مواعظ القرآن، وبيَّن أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشققة من خشية الله».

٢٩١٨ كان مالكُ بنُ دينار يقرأ هذه الآيةَ ثمَّ يقول: «أقسمُ لكم.. لا يؤمنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلا صُدِعَ قلبُه».

سورة الممتحنة

٢٩١٩ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:٣]: لما اعتذر حاطب بن أبي بلتعة بأن له أولادًا ورحماً بين الكافرين، بيَّن الله عز وجل أن الأهل والأولاد لن ينفعوا صاحبهم شيئًا يوم القيامة إن عصى الله.

٢٩٢٠ ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]: في الحديث: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل» صحيح الجامع رقم: ٢٥٣٩.

٢٩٢١ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الممتحنة: ٥]: لا تسلِّطهم علينا، وتنصرهم علينا، فيظنوا بذلك أنهم على الحق ونحن على الباطل.

٢٩٢٢ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]: عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله .. إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال: « نعم.. صليها». قال ابن عيينة: فنزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.

٢٩٢٣ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧]: لا تُفرِط في عداوة أحد، ولا تقطع حبل وصلك بينك وبينه، واجعل بينك وبينه شعرة لا تنقطع، ودع بابا بينكما لا يُغلَق.

٢٩٢٤ ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]:

الإسلام دين الإحسان، فالقسط هو تمام العدل، والبِرُّ فوق العدل!

٢٩٢٥ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾ [الممتحنة: ١٠]:

اختبار نيات لكل المؤمنات!! قال ابن عباس: «امتحانها أن تُستحلف ما خرجت لبغض زوج، ولا عشقًا لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثته، ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحبًا لله ولرسوله».

٢٩٢٦ جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد صلح الحديبية، فأقبل زوجها في طلبها، وكان كافرًا، فقال: يا محمد .. ردَّ عليَّ امرأتي، فإنك قد شرطت أن تردَّ علينا من أتاك منا، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾، فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك، فحلفت فلم يردَّها، وأعطى زوجَها مهرَها، وكان يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان، ويعطي أزواجهن مهورهن.

٢٩٢٧ ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة: ١٠]:

إنها عدالة الإسلام! قال القرطبي: «أمر الله تعالى إذا أمسكت المرأة المسلمة أن يُردَّ على زوجها ما أنفق وذلك من الوفاء بالعهد؛ لأنه لما مُنِعَ من أهله بحرمة الإسلام، أمر برد المال إليه حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين: الزوجة والمال».

٢٩٢٨ ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠]:

الكوافر جمع الكافرة، فنهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، فمن كانت له امرأة كافرة بمكة، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما. قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلَّق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين.

٢٩٢٩ ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة:١٢]:

قال ابن تيمية: «ومعصيته لا تكون إلا في معروف؛ فإنه لا يأمر بمنكر، لكن هذا كما قيل: فيه دلالة على أن طاعة أولي الأمر إنما تلزم في المعروف، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف».

سورة الصف

٢٩٣٠ ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]:

قال القشيري: «خلف الوعد مع كلِّ أحد قبيح، ومع الله أقبح».

٢٩٣١ في الحديث: «أتيتُ ليلة أسري بي على قوم تُقرَض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرِضَت وَفَت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله، ولا يعملون به» صحيح الجامع رقم: ١٢٩.

٢٩٣٢ قال الشَّعبِي: «ما خطب خطيب فِي الدُّنيَا إِلَّا سيعرض الله عليه خطبَته ما أراد بها».

٢٩٣٣ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]:

والمقت هو البغض، ومن استوجب مقت الله لزمه العذاب، قال صاحب الكشاف: المقت أشد البغض وأبلغه وأفحشه، ومنه نكاح المقت لتزوج الرجل امرأة أبيه، ولم يقتصر على أن جعل بغض الله كبيرًا حتى جعل أشده وأفحشه لمن خالف قوله فعله.

٢٩٣٤ في الحديث: «مَثَل العالم الذي يعلِّم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» صحيح الجامع رقم: ٥٨٣١.

٢٩٣٥ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]: ﴿صَفًّا﴾ توحي بوحدة الهدف، وتآلف القلوب، وجودة النظام، وشرعية العمل الجماعي، وحسن التعاون، وروح الفريق.. فكل هذا يحبه الله.

٢٩٣٦ ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]:

البناء قوي بتماسكه، لكن لبناته لا قيمة لها وهي متفرقة، وكذلك هو الفارق بين العمل الفردي والجماعي.

٢٩٣٧ الإسلام دين النظام، ففي أحلك الظروف وساحة القتال أمَرَنا الله بالنظام، فما بالك بأوقات الرخاء؟!

٢٩٣٨ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]: بداية الزيغ من العبد، ثم يعاقبه عليه الرب، فلا يضل قوم ابتداء؛ بل يبين لهم الطريق، فإن اختاروا الضلال؛ الإنسان مخير لا مسير في أمر الهداية.

٢٩٣٩ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]: مهما كثر النافخون ولو كانوا كل الخلق، فلن يستطيعوا إطفاء نور الشمس، فكيف بنور الله!

٢٩٤٠ لا تقلق على دين الله ودعوته، لكن اقلق على نفسك أن لا يكون لك موضع قدم في سفينة العاملين لدينه والمنافحين عن دعوته.

٢٩٤١ ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[الصف: ١٣]: غاية المؤمن الأساسية رضا الله والجنة، وما عدا ذلك من النصر والتمكين لا يعدو أن يكون هدفًا ثانويًا، عبَّر عنه بقوله: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾.

سورة الجمعة

٢٩٤٢ روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

٢٩٤٣ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجمعة: ٥]: يا قارئ القرآن: هل تفهم ما تقرأ؟ وهل تعلم ما تقول؟!

٢٩٤٤ قال ابن القيم: «فهذا المثل وإن كان قد ضُرِب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى، لمن حمل القرآن، فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقه، ولم يرعه حق رعايته».

٢٩٤٥ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الجمعة: ٧]: المسيء يكره الموت، والمحسن لا يهابه، ولذا قال معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة: «مرحبًا بالموت زائر مغيب، وحبيب جاء على فاقة».

٢٩٤٦ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]: تحاول الفرار من الموت وتظنه وراءك، فإذا به أمامك!

١٩٤٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]:

قال القاسمي: «قال بعضهم: قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث: افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]، وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم، فشبَّههم بالحمار يحمل أسفارًا، وبالسبت وليس للمسلمين مثله، فشرع الله لهم الجمعة».

١٩٤٨ ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾

[الجمعة: ٩]: قال السيوطي: «فيها مشروعية صلاة الجمعة، والأذان لها والسعي إليها، وتحريم البيع بعد الأذان، واستدل بالآية من قال إنما يجب إتيان الجمعة على من كان يسمع فيه النداء، ومن قال لا يحتاج إلى إذن السلطان، لأنه تعالى أوجب السعي، ولم يشترط إذن أحد، ومن قال لا تجب على النساء لعدم دخولهن في خطاب الذكور».

١٩٤٩ ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]:

اثنا عشر رجلًا منعوا كارثة كونية! قدم دحية الكلبي بتجارة من الشام، وذلك قبل أن يُسلِم، وكان ذلك أثناء الخطبة، فترك الصحابة النبي ﷺ يخطب حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر صحابيًّا، فقال النبي ﷺ: « والذي نفسي بيده.. لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحدٌ، لسال عليكم الوادي نارًا».

١٩٥٠ ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]:

أعلمهم الله أن ما عنده من ثواب صلاتهم واستماع الخطبة خيرٌ لهم من لذة لهوهم وفوائد تجارتهم، قال السعدي: (وإنْ حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليلٌ منغَّص، مُفوِّتٌ لخير الآخرة، وليس الصبر على طاعة الله مُفوِّتًا للرزق، فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقَه من حيث لا يحتسب، ومن قدَّم الاشتغال بالتجارة على طاعة الله لم يُبارَك له في ذلك، وكان هذا دليلًا على خُلُوِّ قلبه من ابتغاء الفضل من الله، وانقطاع قلبه عن ربه، وتعلُّقِه بالأسباب، وهذا ضررٌ محضٌ يعقُب الخسران).

٢٩٥١ أخرج مسلم في صحيحه: «كان رسول الله ﷺ يقرأ - أحيانا - في الركعة الأولى بسورة الجمعة، وفي الأخرى: إذا جاءك المنافقون».

٢٩٥٢ ورواه الطبراني بلفظ آخر فيه توضيح: كان رسول الله ﷺ مما يقرأ في صلاة الجمعة بـ: ﴿الْجُمُعَةِ﴾؛ فيحرِّض به المؤمنين، وفي الثانية بسورة ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ ؛ فيقرِّع به المنافقين.

٢٩٥٣ حكمة ربانية! كثير من المنافقين لا يأتون الصلاة إلا يوم الجمعة، فيسمعون سورة (المنافقون)، وتقرع أسماعهم زواجر الآيات عن قبيح صفاتهم، فكأنها جلسة مصارحة إجبارية، وفصل من فصول الوعظ الإلزامي.

سورة المنافقون

٢٩٥٤ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]:

هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدوَّ إلا هم، ولم يُرِدْ الله هنا حصر العداوة في المنافقين، بل هو من باب إثبات الأولوية والأحقية لهم في الوصف بالعداوة.

٢٩٥٥ الحرب مع الأعداء أيام وتنقضي، وأما المنافقون فمقامهم مع المسلمين صباح مساء، يدلّون العدو على عورات المؤمنين، ويتربَّصون بهم الدوائر ؛ لذا كانوا أحقَّ بالعداوة من العدو الظاهر.

٢٩٥٦ قال الفيلسوف الألماني كارل شميث في تعريف السياسة: «إن السياسة هي قبل كل شيء القدرة على استكشاف العدو».

٢٩٥٧ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:٥]:

لما صدَّق اللهُ زيد بن أرقم في ما أخبر به عن عبد الله بن أبي، مقت الناس ابن أبي، وقال له بعضهم: امضِ إلى رسول الله يستغفر لك، فلوى رأسه وقال: لقد أشرتم عليَّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليَّ بأن أعطي زكاة مالي فأعطيت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد!

٢٩٥٨ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]:

التضييق على المؤمنين في أرزاقهم من أساليب المنافقين في كل العصور، ودليل على قلة الفقه وغياب اليقين.

٢٩٥٩ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨]:

قال زيد بن أرقم:

«خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذلّ. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل. قالوا: كَذَب زيدٌ رسولَ الله ﷺ، فوقع في نفسي مما قالوا شدَّة، حتى أنزل الله عز وجل تصديقي في: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

٢٩٦٠ قالها رجل واحد هو ابن سلول، لكن الله نسب القول لهم جميعًا، لأنهم رضوا قوله!

٢٩٦١ ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩]:

استخدم لفظ تلهكم بدلًا من تشغلكم، لأن من الشغل ما هو محمود، كما في الحديث: «إن من الصلاة لشغلا»، وأما الإلهاء فهو مذموم في كل الأحوال.

٢٩٦٢ ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]:

الخاسر الحقيقي ليس في التجارة والأموال، بل المشغول عن ذكر الله.

٢٩٦٣ ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون:١٠]:

قال ابن عباس: «هذه الآية أشد على أهل التوحيد؛ لأنه لا يتمنى الرجوع في الدنيا أو التأخير فيها أحد له عند الله خير في الآخرة».

٢٩٦٤ قال ابن عباس: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآنا، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾.

٢٩٦٥ حديث نبوي يشرح آية قرآنية! قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان كذا» صحيح الجامع رقم: ١١١١.

سورة التغابن

٢٩٦٦ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]:
قال الآلوسي: «التغابن تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غُبِن في أهله ومنازله في الجنة، فيظهر يومئذٍ غُبْنُ كل كافر بترك الإيمان، وغُبْنُ كلِّ مؤمن بتقصيره في الإحسان».

٢٩٦٧ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن:١١]:
وكأن المصيبة تستأذن ربها أولًا، فإن أذن لها نزلت وإلا تراجعت، فلا تظن أن شيئًا أصابك إلا بإذن ربك.

٢٩٦٨ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]:
قال إبراهيم بن إسحاق: «أجمع عقلاء كل ملة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنأ بعيشه».

٢٩٦٩ ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]:
قال ابن عباس: «يَهْدِ قَلْبَهُ لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

٢٩٧٠ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن:١٣]:
قال ابن القيم: «قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفًا، فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد».

٢٩٧١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن:١٤]:

سبب نزولها:

قال عطاء بن يسار: «نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق فيقيم، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ ..﴾».

٢٩٧٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤]:

آية فيها عزاء لمن ابتُلِي بزوج ناشز، أو ولدٍ عاق، فصبر عليهم وعفا عنهم، وفي وعد الله له بالمغفرة تسلية لهذا المبتلى.

٢٩٧٣ ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾[التغابن:١٤]:

اتخذها منهجًا في حياتك: لا تُعمِّم!

٢٩٧٤ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن:١٥]:

أي بلاء واختبار قد يحملكم على كسب الحرام، ومنع حق الله تعالى، فلا تطيعوهم في معصية الله.

٢٩٧٥ قال ابن مسعود: «لا يقولن أحدكم: اللهم اعصمني من الفتنة، فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن».

٢٩٧٦ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]:

قال سعيد بن جبير: «لما نزلت: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورِمَت أقدامهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ تخفيفا على المسلمين».

٢٩٧٧ هل هذا تخفيف أم تكليف؟! الأمران محتملان، لكن أكثر الناس يحمل الآية على التخفيف دون التكليف، ويتخذونها ذريعة للتخفف والتهرب من التكاليف الشرعية.

٢٩٧٨ ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧]:

والله شكور يعطي على العمل اليسير الأجر الكثير، وحليمٌ لا يعاجِل بالعقوبة.

سورة الطلاق

٢٩٧٩ ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]:

إرشاد المؤمنين إلى ما يجب عليهم اتباعه إذا أرادوا طلاق أزواجهم، ونهيهم عن إيقاع الطلاق حال الحيض، لكونه طلاقًا بدعيًّا محرَّمًا، ولكنه مع ذلك يعتبر نافذًا. قال القرطبي: «من طلَّق في طُهْرٍ لم يجامع فيه، نفذ طلاقه وأصاب السنة، وإن طلَّقها وهي حائض نفذ طلاقه وأخطأ السنة».

٢٩٨٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١]:

روى البخاري أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض، فقال رسول الله ﷺ: «ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرة قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل».

٢٩٨١ ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١]:

حق المطلقة أن تبقى في بيتها فترة العدة، هذا شرع الله، فما بال كثير من الناس ضربوا به عرض الحائط وخالفوه.

٢٩٨٢ ونسبة البيت إلى المرأة فيه دلالة على أهمية إعطائها سلطة فيه وصلاحيات في اختيار أثاثه وإدارة شؤونه، فهو مملكتها.

٢٩٨٣ ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]:

لست حرًّا بل أنت عبد، فلا تتجاوز حدودك مع الله، وإلا كنت ظالمًا.

٢٩٨٤ ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١]:

﴿يُحْدِثُ﴾ : ينشئ بلا مقدمات، وينشئ ماذا؟ أمرًا إلهيًّا نافذًا!

٢٩٨٥ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:٢]:

ثبات الأخلاق من علامات قوة الإيمان.

٢٩٨٦ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]:
كلما كانت التقوى أقوى كان المخرج من الشدة أقرب.

٢٩٨٧ قال ابن أبي العز الحنفي: «ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك دلَّ على أن في التقوى خللًا، فليستغفر الله وليتب إليه».

٢٩٨٨ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]:
قال ابن مسعود: «إن أكثر آية تفويضًا في القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾».

٢٩٨٩ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣]: قال ابن القيم: «فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه، فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فعقَّبه بقوله: ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣] أي وقتًا لا يتعداه فهو يسوقه إلى وقته الذي قدره له، فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت، ودعوتُ فلم أرَ شيئًا ولم تحصل لي الكفاية، فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره له»

٢٩٩٠ ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]:
إذا ولدت المطلقة، ورضيت أن ترضع ابنها، فعلى الرجل أن يدفع لها أجر الرضاعة.

٢٩٩١ ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾ [الطلاق: ٦]:
والائتمار معناه التشاور، وسُمِّي التشاور بذلك لأن المتشاورين في مسألة، يأمر أحدهما الآخر بشيء فيستجيب لأمره، فعليكم أيها الآباء والأمهات بالتشاور فيما ينفع أولادكم في ما يتعلق بالرضاعة والأجر عليها وغيرهما.

٢٩٩٢ ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦]:
التعاسر مأخوذ من العسر الذي هو ضد اليسر، يقال تعاسر المتبايعان، أي لم يتفقا على شيء، بأن امتنع الأب عن دفع أجرة الأم، أو امتنعت الأم عن الإرضاع إلا بأجر معين، فللأب البحث عن مرضعة أخرى.

١٩٩٣ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]:

توجيه بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، وأن اختلاف أحوال الناس في النفقة أمر طبيعي.

١٩٩٤ ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]:

ولم يقل (سوف يجعل) لشدة قرب الفرج كلما اشتدت الكرب، فكيف ييأس من يقرأ آية كهذه؟!

سورة التحريم

١٩٩٥ ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]:

قال سفيان: «ما زال التغافل من فعل الكرام»، وقال الحسن: «ما استقصى كريم قط».

١٩٩٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]:

قال القرظي: «يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الإخوان».

١٩٩٧ ليست التوبة بالكلام بل بالأفعال! قال الجيلاني: «التوبة قلب دولة! من تاب ولم يغيِّر ما كان عليه قبل التوبة فقد كذب في توبته».

١٩٩٨ ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]:

الخيانة هنا ليست الزنى! قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدُلُّ على الضيف، فتلك خيانتها».

١٩٩٩ ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]:

قال ابن القيم: «فطلبت كون البيت عنده قبل طلبها أن يكون في الجنة، فإن الجار قبل الدار».

٣٠٠ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]:

قال البيضاوي: «القانتين: من عداد المواظبين على الطاعة، والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عُدَّت من جملتهم».

٣٠١ ذكر الله ثلاثة أصناف للنساء:

المرأة الكافرة - التي لها صلة برجل صالح وهي امرأة نوح وامرأة لوط،

والمرأة الصالحة- التي لها صلة برجل كافر وهي آسيا امرأة فرعون،

والمرأة العزباء- التي لا صلة بينها وبين أحد وهي مريم عليها السلام،

فالأولى: لا تنفعها صِلتها، والثانية: لا تضرها صلتها، والثالثة: لا يضرها عدم وجود الصِّلة شيئًا.

٣٠٢ قال يحيى بن سلام: «ضرب الله المثل الأول يحذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة، وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم اعتبار آخر: وهو أنها لم يضرها عند الله شيئًا قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برَّأها الله عنه، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق فيه، وفي هذه تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك».

الجزء التاسع والعشرون
من سورة الملك الآية ١
إلى سورة المرسلات الآية ٥٠
عدد الفوائد ١١٠

سورة الملك

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]:
لم يقل أكثر عملًا، ليلفت انتباهك إلى أن العبرة بجودة العمل لا بكثرته!

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]:
هذا تحدٍّ إلهي، فليحاول أعظم العلماء أن يجدوا أدنى عيب أو تفاوت في خلق السماء، ولن يصلوا إلى شيء!

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]:
لم يروا ربهم، ولا نبيهم، ولا الجنة، ولا النار، لكن آمنوا بهذا الغيب، فاستحقوا مدح الله على صفحات القرآن!

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]:
رَبٌّ يراقب النيات والخطرات، فكيف بالأفعال والكلمات؟!

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦-١٧]:
النِّعَم نوعان: نِعَم حاصلة يعلم بها العبد، ونِعَم حاصلة خافية عليه، ولا يعرف قدرها إلا عند فقدها، وهذا أحد أمثلتها.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]:
مثَلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مِثل مَنْ يمشي مكبًا على وجهه، ومنحنيًا لا مستويًا، وأما المؤمن فيمشي سَوِيًا منتصب القامة في طريق واضح، وهكذا سيكونون في الآخرة، المؤمن يمشي سويًا إلى الجنة، والكافر يمشي على وجهه إلى النار.

٣٠٠٩ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]:

هـذا حال أكثر الناس! قال ابن كثير: «أي قلَّما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته، وامتثال أوامره، وترك زواجره».

٣٠١٠ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٢٣]:

قال صالح بن الإمام أحمد بن حنبل: كان أبي إذا خرجتْ الدّلو ملأى قال: الحمدُ لله. قلت: يا أبتِ .. ما الفائدة؟ فقال: يا بُني.. أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾.

سورة القلم

٣٠١١ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]:

سئلت عائشة عن خلُق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقه القرآن».

٣٠١٢ قال ابن عاشور: «واعلم أن جِماع الخُلُق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة».

٣٠١٣ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]:

لا مداهنة على حساب العقيدة، ولا التقاء في منتصف الطرق، وكان وضوح النبي ﷺ وصراحته يؤذيان الكفار، فيطلبان منه التخفيف، فحذَّره الله من المداهنة.

٣٠١٤ المداراة أن تضحي بالدنيا لأجل الدين، وتكون باستعمال الألفاظ الليِّنة مع عدم قبول المنكر أو إقرار صاحبه عليه، وأما المداهنة فأن تضحّي بالدين لأجل الدنيا.

٣٠١٥ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]:

كثرة الحلف علامة بارزة من علامات الكذب.

٣٠١٦ ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧]:

أقسموا على أن يحرموا الفقراء، فحرمهم الله، ولو عزموا على إكرامهم لأكرمهم الله.

٣٠١٧ ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩]:
كم من ظالم نائم، ولا يدري أن قرار إهلاكه قد اتُّخِذ، وجاري التنفيذ.

٣٠١٨ أيها الظالم .. ليس هذا آخر طائف ينزل على الظالمين، واشتراكك مع هؤلاء في جريمة الظلم يعرِّضك لسيف العقاب.

٣٠١٩ ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ٢٠]:
أي احترقت حتى صارت رمادًا كالليل الأسود، لا تُنبِت شيئًا يُنتَفَع به، وهذه عاقبة الظلم، يمنع البركات ويقطع الخيرات!

٣٠٢٠ ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ [القلم: ٢٤]:
﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ٢٠]: لا تضيِّق على الفقير، فيضيِّق الله عليك، ولا تحرم الناس فضلك، فيحرمك الله من فضله.

٣٠٢١ ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٤٢]:
أعظم تهديد لغير المصلي أن يتصور هذا المشهد الأخروي الذي سيتعرض له غدًا.

٣٠٢٢ في الحديث المتفق عليه: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعودُ ظهره طبقًا واحدًا» .

٣٠٢٣ قال كعب الأحبار: «والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلفون عن الجماعات»، وقال سعيد بن جبير: «كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون، وهم سالمون، أصحاء فلا يأتونه».

٣٠٢٤ ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٤٤]:
قال الحسن البصري: «كم من مستدَرجٍ بالإحسان إليه، وكم من مفتونٍ بالثناء عليه، وكم من مغرورٍ بالستر عليه».

٣٠٢٥ قال القشيري: «الاستدراج انتشار الصيت بالخير فى الخلق، والانطواء على الشر- فى السِّر- مع الحق».

٣٠٢٦ ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١]:

قال ابن كثير: «وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعدِّدة كثيرة».

٣٠٢٧ ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١]:

وجد النبي ﷺ حين وجد طفلًا يبكي: «ما لصبيكم هذا يبكي؟ هلا استرقيتم له من العين» صحيح الجامع رقم: ٥٦٦٢.

سورة الحاقة

٣٠٢٨ ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٢]:

هي الأذن المؤدِّية إلى القلب، فالكلام إما أن يدخل الأذن فيخرج من الأذن دون أن يمرَّ على القلب، أو يمرَّ من الأذن إلى القلب.

٣٠٢٩ جاءت الإشارة لعكس الأذن الواعية في الحديث: «ويلٌ لأقماع القول» صحيح الجامع رقم: ٨٩٧، والحديث يتوعَّد من يتسرب الكلام من أُذُنه إلى الأذن الأخرى لديه كأنها قُمْع.

٣٠٣٠ ﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ * إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة: ٣٢-٣٤]:

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يحضُّ امرأته على تكثير المرَق لأجل المساكين، ويقول: «خلَعْنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر». اقتبس ذلك من الآية.

٣٠٣١ ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٦]: قال الزمخشري: «المعنى لو ادَّعى علينا شيئًا لم نقله لقتلناه صبرًا، كما يفعل الملوك بمن يتكذَّب عليهم، معاجلة بالسخط والانتقام، فصوَّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو أن يؤخذ بيده، وتضرب رقبته، ومعنى ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ لأخذنا بيمينه».. والكلام هنا عن رسول الله ﷺ!

سورة المعارج

٣٠٣٢ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج:١]:

سؤال المشركين عن العذاب يتضمن ثلاثة معانٍ: الإنكار، والتهكم، والاستعجال، فهو سؤال الجُهَّال لا سؤال استفهام واستعلام.

٣٠٣٣ ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤]: قال ابن عباس: «هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة»، فما أطول ذلك اليوم على الخلق، وما أقصره على المؤمنين.

٣٠٣٤ قال القرطبي: «وهذا القول أحسن ما قيل في الآية- إن شاء الله- بدليل ما رواه قاسم بن أصبغ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فقلت: ما أطول هذا؟ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه ليُخَفَّف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا» .

٣٠٣٥ ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾ [المعارج:١٠]:

في هذا اليوم لا يَسْأل صديقٌ صديقه النصرة أو المعونة؛ لأن كلَّ واحد منهما مشغول بهموم نفسه من شدة الموقف وهول الحساب.

٣٠٣٦ ﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: ١٧]:

النار كائن حي! في الحديث: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق، يقول: إني وُكِّلتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصوِّرين». صحيح الجامع رقم: ٨٠٥١.

٣٠٣٧ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ [المعارج:٣٦]:

سبب نزولها:

أي مسرعين. وفي سبب نزولها قال الواحدي والبغوي: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ، ويستمعون كلامه ويكذبونه ويستهزئون بالمؤمنين، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم، فأنزل الله هذه الآية.

سورة نوح

٣٠٣٨ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]:

قال القرطبي: «الرجاء هنا بمعنى الخوف، أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة، وأي عذر لكم في ترك الخوف من الله».

٣٠٣٩ ويحك .. توقِّر مديرك وأميرك، وتخافهما وترعى حقهما أكثر من مراعاة حق الله .. ما أعظم جهل العبد وما أظلمه!

٣٠٤٠ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]:

ما أعظم أدب الأنبياء مع الله! فقد نسب عصيانهم إلى أمره لا إلى الله.

٣٠٤١ ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٤]:

الضلال والحرمان من الهداية هما مصير كلِّ ظالم.

٣٠٤٢ لعل ضلال الظالمين اليوم هو أثر استجابة دعوة نبي الله نوح من آلاف السنين!

٣٠٤٣ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]:

الذنب بلا توبة لا بد له عند الله من عقوبة، قد تتأخر لكنها نازلة لا محالة.

٣٠٤٤ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح: ٢٨]:

داوِم على الدعاء لوالديك أحياء أو أمواتًا! في الحديث: «إن الرجل لتُرفَع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيُقال: باستغفار ولدك لك» صحيح الجامع رقم: ١٦١٧.

سورة الجن

٣٠٤٥ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]:

قال القرطبي: «الجَدُّ في اللغة: العظمة والجلال، ومنه قول أنس ﷺ: كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدَّ في عيوننا، أي: عظم، فمعنى جَدُّ ربنا: عظمته وجلاله».

٣٠٤٦ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]:

والقاسطون: هم الجائرون الظالمون، جمع قاسط، وهو الذي ترك الحق واتبع الباطل، بخلاف المُقْسِط فهو الذي اتبع الحق وترك الباطل.

٣٠٤٧ ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦، ١٧]:

قال عمر بن الخطاب ﷺ في هذه الآية: «أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة».

٣٠٤٨ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن:١٧]:

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: « إنما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» .

٣٠٤٩ قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تُبسَط عليكم الدنيا، كما بُسِطَت على من قبلكم، فتنافسوها، كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم».

سورة المزمل

٣٠٥٠ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ١، ٢]:

ذهاب مخاوفك وتقوية عزائمك في قيام الليل.

٣٠٥١ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]:

كيف الترتيل؟! وُصِفت تلاوة الفضيل بن عياض للقرآن بأنها «حزينة شهية بطيئة مترسِّلة، كأنه يُخاطب إنسانًا».

٣٠٥٢ قال عبد الله بن مسعود: «لا تنثروه نثر الرَّمْل، ولا تهذوه هذَّ الشِّعر، وقِفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب». أي لا تسرِعوا في قراءته.

٣٠٥٣ قال ابن عباس: «لأن أقرأ سورة أرتِّلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله».

٣٥٤ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]:
أي أشدُّ تأثيرا في القلب وإن كانت أثقل على النفس وأتعب للبدن، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي أقرب لفهم القرآن لخلو الذهن في جوف الليل، وإقبالهم على ما يقرءونه.

٣٥٥ ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]:
هذا أدب المسلم وثبات أخلاقه حتى مع أعدائه وخصومه!

٣٥٦ سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الهجر الجميل؟! فقال: الهجر الجميل: هجر بلا أذى!

٣٥٧ قال ابن مسعود -رضي الله عنه- في وصف الهجر الجميل: «خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم وذينكم لا تكلموه»، لا تكلموه بمعنى لا تجرحوه.

٣٥٨ ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٣]:
هل شعرت يومًا بغصة من لقمة طعام كدت معها أن تختنق؟! هذا هو طعام أهل النار الدائم، يدخل إلى الحلق، فلا هو نازل ولا خارج، وأما نوعه فقال ابن عباس: وهو الغسلين والزقوم والضريع.

٣٥٩ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]:
قال الحسن: «أي بأي صلاة تتقون العذاب؟ بأي صوم تتقون العذاب؟».

٣٦٠ ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]:
من الدلالات اللغوية لهذه الآية: أن السماءَ تُذكَّر وتؤنَّث.

٣٦١ ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠]:
ليكن لك ورد يومي ثابت من القرآن مهما كان يسيرًا.

٣٦٢ حتى لو كنت مريضًا، أو كنت في جهاد أو طلب رزق، لا تقطع صلتك بالقرآن، فكيف لو كنت فارغًا من كل هذه الأشغال؟!

٣٦٣ ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]: ما أروع الكسب الحلال! قال ابن عمر رضي الله عنه: «ما خلق الله موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من الموت بين شعبتي رحلي، أبتغي من فضل الله ضاربًا في الأرض».

سورة المدثر

٣٦٤ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]:

قال الماوردي: «وهم في تأويل الآية وجهان: أحدهما- معناه: وقلبك فطهِّر من الإثم والمعاصي، قاله ابن عباس وقتادة. الثاني- معناه وقلبك فطهِّر من الغدر، أي لا تغدر، فتكون دنس الثياب».

٣٦٥ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦]:

قال الحسن: «لا تستكثِر عملك! فإنك لا تعلم ما قُبِلَ منه، وما رُدَّ فلم يُقبل».

٣٦٦ قال ابن كيسان: «لا تستكثر عملك، فتراه من نفسك، إنّما عملك مِنَّة من الله سبحانه عليك، إذ جعل لك سبيلا إلى عبادته، فله بذلك الشكر أن هداك له».

٣٦٧ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:٧]:

اصبِر لربك لا تجلدًا، ولا ليراك الناس، ولا ليثنوا على شجاعتك وتجلُّدك، أخلِص في صبرك حتى يقبله الله.

٣٦٨ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر:١١]:

قال ابن عاشور: «كان الوليد بن المغيرة يلقَّب في قريش بالوحيد؛ لتوحده وتفرده باجتماع مزايا له لم تجتمع لغيره من طبقته، وهي كثرة الولد، وسعة المال، ومجده ومجد أبيه من قبله، وكان مرجع قريش في أمورهم؛ لأنه كان أسن من أبي جهل وأبي سفيان، فلما اشتهر بلقب الوحيد، كان هذا الكلام إيماء إلى الوليد بن المغيرة».

٣٦٩ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ [المدثر:١٤]:

والتمهيد هنا استعارة لتيسير أموره ونفاذ كلمته في قومه، بحيث لا يعسر عليه مطلب، ولا يستعصي عليه أمر، وتنوين وتنكير (تمهيدًا) لإفادة تعظيم هذا التمهيد.

٣٠٧٠ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١٥، ١٦]:

﴿كَلَّا﴾ ردع وإبطال لطمع الوليد في الزيادة من النعم وقطع لرجائه، والمقصود تطمين النبي ﷺ بأن الوليد سيقطع الله عنه الرزق لئلا تكون نعمته فتنة لغيره، فيغريهم حاله بسلوك نفس الطريق.

٣٠٧١ في هذا إيذان بأن كفران النعمة سببُ قطعها؛ ولذا قال ابن عطاء: «من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها».

٣٠٧٢ ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]:

ومعنى: لَوَّاحَةٌ مغيِّرة للبشرات، ومسوِّدة للوجوه، والبشَر: جمع بشرة وهي ظاهر الجلد.

٣٠٧٣ ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]:

قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم! محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم؟ فقال أبو الأشد- واسمه كلدة بن أسيد بن خلف-: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، واكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً...﴾».

٣٠٧٤ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]:

وكلمة (شاء) في الآية معناها أن تقدمك أو تأخرك إنما هو (قرارك) الشخصي.

٣٠٧٥ معناه أن لا وقوف في الطريق إلى الله ألبتة، فإما تقدم وإما تأخر، ومن لم يتقدم بالحسنات سيتأخر بالسيئات؛ فإن لم تتقدم كل يوم فأنت (متأخِّر).

٣٠٧٦ آية فيها تهديد ووعيد يدفع كل واحد منا لمحاسبة نفسه باستمرار، خوفًا من أن تتراجع أعماله الصالحة، فيحرص على اغتنام كل دقيقة من وقته آناء الليل وأطراف النهار.

٣٠٧٧ ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]:
من الملائكةِ والأنبياءِ والشهداءِ والصَّالحِينَ؛ لأنهم لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الشفاعة، فإنه ليس للكفارِ شفيعٌ يشْفَع لهم.

٣٠٧٨ ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۞ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [المدثر: ٤٩، ٥٠]:
من كرِه النصحَ والناصحين فقد أخرج نفسه بنفسه عن حدود الآدمية!

سورة القيامة

٣٠٧٩ ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢]:
قال الحسن: «إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قُدُمًا فلا يعاتِب نفسه».

٣٠٨٠ ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۞ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣، ٤]:
البنان: الأصابع، فنبَّه بالبنان -وهي أصغر العظام- على بقية أعضاء الجسم، فلما زعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام، قال لهم: بلى قادرين على أن نعيد هذه السلاميات على صغرها، ونؤلِّف بينها حتى تستوي، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر.

٣٠٨١ ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ [القيامة: ٥]:
قال سعيد بن جبير: «يُقدِم على الذنب ويؤخِّر التوبة، فيقول: سوف أتوب، سوف أعمل، حتى يأتيه الموت على شرِّ أحواله وأسوأ أعماله».

٣٠٨٢ قال ابن عباس: «يعني الكافر يُكذِّب بما أمامه من البعث والحساب».

٣٠٨٣ ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ [القيامة: ١١]:
والوَزَر: المراد به الملجأ والمكان الذي يحتمي به الشخص ليتقي به ما يخاف، وأصله: الجبل المرتفع المنيع، من الوِزْر وهو الثِّقَل، فلا مهرب يوم القيامة من الحساب.

٣٠٨٤ ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة: ١٤]:

أنت أدرى الناس بنفسك، وتستطيع أن تخدع الجميع إلا نفسك التي بين جنبيك.

٣٠٨٥ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: ١٦]:

سبب نزولها:

روى الشيخان عن ابن عباس: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرِّك شفتيه- يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلت منه شيء، أو من شدة رغبته في حفظه، فأنزل الله هذه الآيات.

٣٠٨٦ إذا كان الله ينهى نبيه عن العجلة في قراءة القرآن مع وجود سبب معتبر لذلك، فماذا يقول من يقرؤه باستعجال دون تدبر أو فهم دون وجود سبب معتبر لذلك؟!

٣٠٨٧ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢]:

النضارة ليست اليوم، بل في ذلك اليوم! ومعايير الآخرة تختلف عن معايير الدنيا، فكم من ضاحكٍ هنا باكٍ هناك، وقد يبكي هنا من يضحك هناك، والعبرة بمن يضحك آخرًا!

سورة الإنسان

٣٠٨٨ ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان:١]:

تأمل هوانك وضعفك الذي كنت عليه، وأنك سترجع لنفس المصير، فهذا أدعى ألا تتكبر!

٣٠٨٩ ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٦]:

قال القرطبي: «إن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره».

٣٩٠ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]:

ينفق مما يحب لا مما يكره أو استغنى عنه، ويبذل ما يحب طمعًا في الفوز بما هو أحب: الجنة!

٣٩١ يحثك القرآن على الإحسان إلى الأسير ولو كان كافرًا، فكيف بمن يؤذي الأسير المسلم ويعذبه؟!

٣٩٢ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]:

تربية ربانية لصاحب المعروف على الإخلاص؛ ومن علاماته: عدم طلب المقابل على معروفه ولو بكلمة شكر.

٣٩٣ قال ابن تيمية: «كان المحقِّقون للإخلاص لا يطلبون من المُحْسَنِ إليه لا دعاءً ولا ثناءً ولا غير ذلك، فإنه إرادة جزاءٍ منه؛ فإن الدعاء نوع من الجزاء على الإحسان والإساءة».

٣٩٤ كانت عائشة -رضي الله- عنها إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمرسَل: اسمع ما يدعون به لنا، حتى ندعوَ لهم بمثل ما دعوا لنا، ويبقى أجرنا على الله تعالى.

٣٩٥ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]:

أي يومًا تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته. قال الأخفش: القمطرير: أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء.

٣٩٦ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ١٠، ١١]:

ببساطة: خوفهم من الله هو الذي نجّاهم.

٣٩٧ ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]:

قال ابن القيم: «جمع لهم بين النضرة والسرور، وهذا جمال ظواهرهم، وهذا حال بواطنهم، كما جمَّلوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام، وبواطنهم بحقائق الإيمان».

٣٥٩٨ ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢]:
النهاية السعيدة الأكيدة لرحلة الصبر الشاقة الطويلة المثيرة.

٣٥٩٩ في الصبر من الخشونة والضيق والألم ما اقتضى أن يكون جزاؤهم من نعيم الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة.

٣٦٠٠ ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٧]:
قال قتادة: «الزنجبيل اسم العين التي يشرب بها المقرَّبون صِرْفًا، وتُمزَج لسائر أهل الجنة».

٣٦٠١ قال ابن القيم: «وهذا لأن الجزاء وفاق العمل، فكما خلصت أعمال المقرَّبين كلها لله خلُص شرابهم، وكما مزج الأبرار الطاعات بالمباحات مُزِجَ لهم شرابهم، فمن أخلص أُخلِص شرابه، ومن مزج مُزِج شرابه».. جزاء وفاقا.

٣٦٠٢ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠]:
ثَمَّ بفتح الثاء هي اسم إشارة، بمعنى هناك، وأما ثُمَّ بالضَّمِّ: حرف عطف.

٣٦٠٣ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا * فَٱصْبِرْ ﴾ [الإنسان: ٢٣، ٢٤]:
يا صاحب الكرب .. إن أردت جرعة صبر، فافتح مصحفك!

٣٦٠٤ ﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ [الإنسان: ٢٨]:
أصله: شدَّ الشيء بالإسار، والإسار في اللغة: الجلد الذي لم يُدبغ؛ لأن الجلد الذي لم يُدبغ إذا أخذْتَ سيوره وشددت بها شيئًا وهي مبلولة يبست، فاستحكم الشدَّ غاية الاستحكام، ومنه قيل للأسير: (أسير) لأنه يُشَدُّ بالإسار.

٣٦٠٥ أي شددنا عظامهم إلى بعض كما يُشدُّ الشيء إلى الشيء بالإسار، ، فلو كان الذي شدّ يدك بمعصمك، ومعصمك بمرفقك، ومرفقك بمنكبك، لو كان غير متقن لتساقطت أعضاؤك منك في الطريق!

سورة المرسلات

٣٦٠٦ ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]:
قال ابن عاشور: «هذا الوصف كناية رمزية عن عظيم قدرة الله تعالى، إذ خلق من هذا الماء الضعيف إنسانًا شديد القوة عقلًا وجسمًا».

٣٦٠٧ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]:
قال القرطبي: «أي ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها، وهذا يدل على وجوب مواراة الميِّت ودفنه، ودفنِ شعره وسائر ما يزيله عنه، ومنها قوله عليه السلام: (قصّوا أظافركم، وادفنوا قُلاماتكم)».

٣٦٠٨ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]:
انطلقوا- أيها المشركون- إلى ظلٍّ من دخان جهنم، والذي تفرَّق من ضخامته إلى ثلاث شعب، وسمَّاه بالظل على سبيل التهكم بهم، إذ يكونون في أمس الحاجة إلى ظل يأوون إليه، فيجدونه نارًا.

٣٦٠٩ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات:٣٢]:
ترتفع شرارات النار في الهواء، ثم تسقط على رأس الكافر؛ لتكون كل شرارة منها كأنها قصر ضخم أصابه في مقتل!

٣٦١٠ ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]:
جمْع الجِمال غرَضه تصوير تشديد العذاب! قال الآلوسي: «الجمال إذا انفردت واختلط بعضها بالبعض، فكل من وقع فيها بين أيديها وأرجلها في ذلك الوقت نال بلاء شديدًا وألمًا عظيمًا، فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها يفيد حصول كمال الضرر».

٣٦١١ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣]:
هنا تشبيهان: شبَّه شرر النار في عظمته وضخامته بالقصر وهو البناء العظيم العالي، وشبَّهه في اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمال الصفراء.. ذكره الآلوسي.

٣٦١٢ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]:
قال قتادة: «عليكم بحسن الركوع؛ فإن الصلاة من الله بمكان».

الجزء الثلاثون

من سورة النبأ الآية ١
إلى سورة الناس الآية ٦
عدد الفوائد ١٣٩

سورة النبأ

٣١١٣ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠-١١]:
آية توصيك ألا تقلب ليلك إلى نهار، ولا نهارك إلى ليل، بل اجعل الليل للنوم، والنهار للسعي، وتمتّع ببركة البكور.

٣١١٤ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ [النبأ: ١٧]:
ميقاتٌ للكفرة والظلمة والمفسدين، ولا مفرَّ لهم منه، وهو كذلك ميقاتٌ للمؤمنين للقصاص من المجرمين، وإن غدًا لناظره قريب.

٣١١٥ قال ابن عاشور: «وهذا ردٌّ لسؤالهم تعجيله وعن سبب تأخيره، سؤالًا يريدون منه الاستهزاء بخبره، والمعنى: أن ليس تأخر وقوعه دالًا على انتفاء حصوله، والمعنى: ليس تكذيبكم به مما يحملنا على تغيير إبانه المحدد له، ولكن الله مستدرجكم مدة».

٣١١٦ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]:
أي موضع رصد، يرصد فيه خزنتُها من كان يكذِّب بها وبالقيامة، والإخبار أنها كانت مرصادا للمبالغة حتى كأنها أصل الرَّصد، فإنها لا تفلِت أحدًا حقَّ عليه العذاب.

٣١١٧ قال الحسن وقتادة: «لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس».

٣١١٨ ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٥]:
والحميم هو الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة، والغساق: هو ما يسيل من جلودهم من القيح والدماء والصديد.

٣٦١٩ ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]:
قال عبد الله بن عمرو: «لم ينزل في شأن أهل النار آية أشد من هذه الآية: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدًا».

٣٦٢٠ ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]:
عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أن الله تعالى يقتص يوم البعث للبهائم بعضها من بعض ثم يقول لها: كوني ترابًا فتكون، فيتمنى الكافر مثل ذلك.

سورة النازعات

٣٦٢١ ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]:
ما أجمل أسلوب الداعية في خطابه، تعلَّموا من موسى وهو يخاطب أشد الناس له عداوة.

٣٦٢٢ إذا كان شأن مخاطبة أعدى أعداء الله ومن ادعى الألوهية بالرِّفق واللين، فكيف بخطاب أخيك المسلم؟!

٣٦٢٣ يا رب .. هذا أمرك بالرفق مع من جحدك، فكيف رفقك بمن وحَّدك؟ هذا رفقك بالكفّار، فكيف رفقك بالأبرار؟!

٣٦٢٤ ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦]:
قال الشوكاني: «والظاهر أن تبرز لكل راء، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غمًّا إلى غمه، وحسرة إلى حسرته».

٣٦٢٥ في حديث مسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

٣٦٢٦ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]:
هذه الدنيا ليست إلا غدوة أو روحة.

فكيف لا تصبر على شدَّتها؟!

أو كيف يغتر عاقل بلذتها؟!

سورة عبس

٣٦٢٧ ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٨، ١٩]:

قال الحسن: «كيف يتكبَّر من خرج من سبيل البول مرتين!!». أي مرة حين خرج دفقة منيٍّ من أبيه، ومرة حين نزل من بطن أمه.

سورة التكوير

٣٦٢٨ ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [التكوير: ٤]:

قال السعدي: «أي: عطّل الناس حينئذٍ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبَّه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس».

٣٦٢٩ ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: ١٤]:

هذا جواب الشرط، وقد ذُكِر بعد ثلاثة عشر جملة من قوله: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾، وهو علم يقين لا يقبل الشك، ولا ينفع معه تبرير ولا إنكار!

سورة الانفطار

٣٦٣٠ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣]:

قال السعدي: «المراد بالأبرار، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار».

٣٦٣١ ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٤]:

جحيم كذلك في الدور الثلاثة: في دار الدنيا، ودار البرزخ، وفي دار القرار.

سورة المطففين

٣٦٣٢ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]:

تهديد شديد من رب العالمين لمن يبخس الناس أموالهم ويغشّهم، فحقوق العباد ذات شأن عظيم عند رب العالمين.

٣٦٣٣ قال سلمان الفارسي: «الصلاة مكيال، فمن وفّى مكياله وُفّي له، ومن طفّف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين».

٣٦٣٤ إذا كان الويل لمن طفف مكيال الدنيا، فكيف حال من طفف مكيال الدين، وفي الحديث: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، لا يُتِمُّ ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها». صحيح الجامع رقم: ٩٨٦

٣٦٣٥ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:٣]:

الأصل كالوا لهم ووزنوا لهم، ولكن حُذِفَتْ (اللام)؛ لأن هؤلاء المطففين أكلوا حقوق الناس ونقصوا الكيل عند الوزن، فنقص اللفظ، وحُذِفَت اللام، وهذا من الأساليب البيانية الرائعة، وتناظر بديع جميل بين اللفظ والمعنى.

٣٦٣٦ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين:٤]:

قال عمر بن عبد العزيز يوما لرجل شتمه: لولا يوم القيامة لأجبتُك!

٣٦٣٧ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤، ٥]:

هذا سر انتشار العدوان بين الناس، العدوان على الأموال والأعراض والأبدان والإنسان والحيوان.

٣٦٣٨ ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]:

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها، حتى تعلو على قلبه، وهو (الران) الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

٣٣٩ قال المفسِّرون: هو الذنب على الذنب حتى يسودَّ القلب، وقال مجاهد: «هو الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشى الذنوب قلبه».

٣٤٠ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]:
كما أنهم- اليوم- محرومون من معرفته، فهم غدًا ممنوعون من رؤيته.

٣٤١ قال الشافعي: «لما حجب قومًا بالسُّخْط، دلَّ على أن قوما يرونه بالرضا، ثم قال: أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا».

٣٤٢ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥، ١٦]:
تأمل كيف قدَّم الله عدم رؤيته على عقوبة النار، ولعله دليل على أن العذاب النفسي في النار أشد من العذاب البدني.

٣٤٣ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]:
قال القشيري: «أثبت النظر ولم يبيِّن المنظور إليه لاختلافهم في أحوالهم، فمنهم من ينظر إلى قصوره، ومنهم من ينظر إلى حوره، ومنهم ومنهم..، ومنهم الخواصُّ، فهم على دوام الأوقات إلى الله- سبحانه- ينظرون».

سورة الانشقاق

٣٤٤ ﴿كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]:
اللقاء المرتقب! عملك هو شخص في انتظارك غدًا، فما شكل هذا الشخص.. أقصد العمل؟

٣٤٥ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق:١٠]:
قال الآلوسي: «وتمييز الكفرة بكون الإعطاء من وراء ظهورهم، ولعل ذلك لأن مؤتي الكتب (من الملائكة) لا يتحملون مشاهدة وجوههم لكمال بشاعتها، أو لغاية بغضهم إياهم، أو لأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم».

سورة البروج

٣١٤٦ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ [البروج: ١٠]:
قال الحسن البصري: «انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!».

٣١٤٧ يُراد بهم جميع من عذبوا المؤمنين والمؤمنات في أي عصر، ويدخل فيهم أصحاب الأخدود، وكفار قريش الذين آذوا رسول الله وأصحابه.

٣١٤٨ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠] : جمع سبحانه لهم بين عذاب جهنم وعذاب الحريق، لبيان أن عذابهم مضاعف، مرة لظلمهم، ومرة لشركهم.

٣١٤٩ في الحديث: «إن الله تعالى يعذِّب يوم القيامة الذين يعذِّبون الناس في الدنيا» صحيح الجامع رقم: ١٩٠٠.

٣١٥٠ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج:١١]:
أمة كاملة نالها الإحراق، ومع ذلك سمّاه الله الفوز الكبير! فالثبات على الحق ولو صاحَبَه الموت يؤدي إلى الجنة، وهي الفوز الكبير وأي فوز!

٣١٥١ الثبات على الحق هو الانتصار الإيماني، وهو مقدَّم على الانتصار العسكري.

٣١٥٢ الفوز غير النصر، والفوز في القرآن لمن ثبت على الحق حتى فاز بالجنة، ولو مات حرقا كأصحاب الأخدود؛ ولذا قال حرام بن ملحان بعد طعنه: فزت ورب الكعبة.

سورة الطارق

٣١٥٣ ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:١٠]:
قال ابن القيم: «وفي التعبير عن الأعمال بالسر لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر الباطنة، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحًا، فتبدو سريرته على وجهه نورًا وإشراقًا وحياء، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعًا لسريرته لا اعتبار بصورته، فتبدو سريرته على وجهه سوادًا وظلمة وشينًا».

سورة الأعلى

٣١٥٤ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]:

قال ابن كثير: «ذكِّر حيث تنفع التّذكرة، ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله».

٣١٥٥ قال علي رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وقال: حدِّث الناس بما يعرفون .. أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله».

للتذكير شروط! قال الشيخ السعدي: «مفهوم الآية أنه إذا ترتب على التذكير مضرة أرجح ترك التذكير؛ خوف وقوع المنكر».

٣١٥٦ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]:

قرأ ابن مسعود هذه الآية، فقال: «أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ لأن الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها، ولذاتها وبهجتها، والآخرة غُيِّبت عنا، فأخذنا العاجل، وتركنا الآجِل».

٣١٥٧ ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧]:

أي الجنة خير وأدوم من الدنيا. وقال النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع».

٣١٥٨ قال مالك بن دينار: «لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان الواجب أن يُؤثَر خَزَفٌ يبقى، على ذهب يفنى. قال: فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى».

سورة الغاشية

٣١٥٩ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]:

والمراد بخاشعة ذليلة، لماذا لم يصفها بالذل ابتداء؟ قيل: إشارة إلى التهكم، وأنها خشعت في وقت لا ينفعها فيه الخشوع.

٣٦٠ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣]:

والسرر: جمع سرير، مرفوعة وذكروا في حكمة ارتفاعها أن يرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوَّله ربه من النعيم والملك فيها، وهذا من متع الجنة البصرية.

سورة الفجر

٣٦١ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر:١]:

قال ابن عباس: «هو انفجار الصبح كل يوم»، يقسم ربنا برحيل الظلام وميلاد الضياء، فأبشروا.

٣٦٢ إن إدبار الليل وإقبال النهار آية من الآيات اليومية الباهرة الدالة على كمال قدرة الله، وأنه وحده المدبر لكل الأمور، فتفاءل بربٍّ قدير كريم.

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:٤]:

قال السعدي: «أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة».

قال ابن عاشور: «ومعنى يسري: يمضي سائرًا في الظلام، أي إذا انقضى منه جزء كثير، شُبِّهَ تَقَضِّي الليل في ظلامه بسير السائر في الظلام وهو السُّرَى، وتقييد الليل بظرف إذا يسر لأنه وقت تمكن ظلمة الليل، فحينئذ يكون الناس أخذوا حظهم من النوم، فاستطاعوا التهجد».

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٢، ١٣]:

كثرة الفساد والإفساد مؤذِن بقرب زواله وانهياره.

أيها المفسدون..استلمتُم من الله رسالة: لا تغتروا .. إمهالي ليس بالإهمال.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:١٣]:

قال صاحب الكشاف: «وذِكْرُ السوط إشارة إلى أن ما أحلَّه الله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أُعِدَّ لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذَّب به».

٣٦٦٨ ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ * كَلَّا﴾ [الفجر: ١٦، ١٧]:

قال ابن القيم: «وأخبر تعالى أن توسعته على من وسَّع عليه وإن كان إكرامًا له في الدنيا فليس ذلك إكرامًا على الحقيقة، ولا يدل على أنه كريم عنده من أهل محبته، وأن تقتيره على من قتر عليه لا يدل على إهانته له وسقوط منزلته عنده، بل يوسع ويقتر ابتلاء وامتحانًا، فيبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب».

٣٦٦٩ ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الفجر:١٨]:

فيه ذمُّ عدم التواصي بالخير والحضِّ عليه، وفيه أن أفراد الأمة متكافلون، ومأمورون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع التزام كل واحد بما يأمر به، وابتعادِه عما نهى عنه.

٣٦٧٠ ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤]:

اكتشف عند الموت أن حياته الحقيقية لم تبدأ بعد! وأن كل ما عاشه كان أضغاث أحلام وبضعة أوهام! للأسف .. اكتشاف متأخِّر!

كل حياة تنتهي بالموت ليست حياة، الحياة الحقيقية هي التي لا موت فيها.

تعريف الاغترار بالدنيا! قال سعيد بن جبير: «الغرة في الحياة الدنيا أن يغتر بها وتشغله عن الآخرة، أن يمهِّد لها ويعمل لها، كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾».

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ [الفجر:٢٥-٢٦]:

المعنى لا يعذِّب أحدٌ تعذيبًا مثل تعذيب الله لهذا الكافر، ولا يوثق أحد إيثاقًا مثل إيثاق الله إياه بالسلاسل والأغلال، فنفي المماثلة في الشدة معناه تعذيبه أشدَّ عذاب يعذَّبُ به العصاة.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [الفجر:٢٩]:

قال الألوسي: «وكأن الأمر بالدخول في جملة عباد الله تعالى الصالحين إشارة إلى السعادة الروحانية؛ لكمال استئناس النفس بالجليس الصالح، والأمر بدخول الجنة إشارة إلى السعادة الجسمانية».

سورة البلد

٣١٧٥ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]:

الدنيا لا تصفو لأحد، ولذا سئل الإمام أحمد: متى يجد العبد طعم الراحة، فقال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

٣١٧٦ خُلِقَت على كدَرٍ وأنت تريدها صفوًا من الأكدار

ومُكلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِباعها مُتطَلِّبٌ في الماءِ جَذوةَ نارِ!

٣١٧٧ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨ - ٩]:

قرأ الفضيل ليلة هذه الآية، فبكى فسئل عن بكائه، فقال: «هل بِتَّ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بِتَّ ليلة شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟»، وجعل يعدِّد من هذا الضرب.

٣١٧٨ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد:١٤]:

سَغَبَ الرجل: إذا دخل في المجاعة، وقال الراغب: السَّغَب: الجوع مع التعب.

قال النخعي: «قيَّد الإطعام بيوم المجاعة، لأن إخراج المال فى ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للأجر».

٣١٧٩ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد:١٥]:

في الحديث النبوي: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» صحيح الجامع رقم: ٣٨٥٨ .

٣١٨٠ ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١٦]:

هو الفقير إذا اشتد فقره، كأنه لَصِقَ بالتراب من فقره وضره، فليس فوقه ما يستره، ولا تحته ما يفترشه. قال مجاهد: «هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره».

سورة الشمس

٣٦٨١ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]:

أقسم الله سبع مرات متوالية، دلالة على أهمية ما يقسِم عليه، وجواب القسم هو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

٣٦٨٢ ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠]:

معنى دَسَّاها: حال بينها وبين فِعْل الخير وأخفاها بالمعاصي، يقال: دسَّ فلان الشيء إذا أخفاه وكتمه، وأصل فعل دسّى: دسَّس، فلما اجتمع فيه ثلاث سينات، قُلِبت السين الثالثة ياء.

٣٦٨٣ ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس:١٢]:

المبادِر إلى الظلم والفساد والشر هو أكثر الخلق شقاوة وخسرانًا دنيا وآخرة.

٣٦٨٤ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:١٤]:

عقرها واحد، ورضي البقية، فنسب الله الجريمة لهم جميعا! وأهلكهم كلهم..ما أخطر عمل القلب!

٣٦٨٥ ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٤]:

قد يتسبب فرد في إهلاك أمة، فعاقر الناقة -واسمه قِدار بن سالف- تسبب بفعلته في عذاب قوم ثمود !! ولذا يُضرَب به المثل في الشؤم، فيُقال: (فلان أشأم من قِدار).

٣٦٨٦ ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس:١٥]:

قال الرازي: «وهذه الآية وإن كانت متأخرة، لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم، كأنه قال: إذ انبعث أشقاها، ولا يخاف عقباها، والمراد بذلك أنه أقدم على عقرها، وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه».

سورة الليل

٣٦٨٧ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٧]:

قال الزمخشري: «سمَّى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر، كما سمَّى طريقة الشر العُسرى لأن عاقبتها العسر».

٣٦٨٨ ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:١٥-١٦]:

سُئل الحسن البصري عن أطفال المشركين فقال: في الجنة، قيل: عن من هذا؟ فقال: عن الله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، وهذا لم يُكذِّب ولم يتولَّ.

٣٦٨٩ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل:١٩]:

سبب نزولها:

ذكر الإمام ابن جرير أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، فقد كان يعتق العجائز من النساء إذا أسلمن، ويشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم، فقال له أبوه: يا بني، أراك تعتق أناسًا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالًا جلداء- أي: أشداء- يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك، فقال أبو بكر: أي أبت.. إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات.

سورة الضحى

٣٦٩٠ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[الضحى:١]:

سبب نزولها:

قال جندب بن سفيان: «اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة (أم جميل امرأة أبي لهب)، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين - أو ثلاثة - فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾».

٣٦٩١ أقسم الله بنور الضحى الذي يأتي بعد ظلمة الليل، وهو مناسب لنور الوحي الذي أتى بعد احتباسه عنه، فأقسم الله بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحي الذي أتى بعد ظلمة انقطاعه.

٣١٩٢ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣]:

هذا جواب القسَم، ونفى الله التوديع الذي لا يكون إلا بين المتحابين، ونفى الله القَلْي أو القِلَى، وهو البغض الشديد، ولا يكون إلا بين المتخاصمين، أي ما تركك ربك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبك.

٣١٩٣ استعمل ضمير المخاطب في الأمر المحبوب، فقال: (ما ودعك)، وفيه تكريم للنبي ﷺ وتودُّدٌ له بذكر حرف المخاطب، ولم يقل (وما قلاك)، إكرامًا لنبيه وتنزيها له أن يكون من المبغوضين، فلا يليق استخدام فعل قلى مع النبي ﷺ.

٣١٩٤ يوجهنا الله هنا لأدب الحديث مع من نُجِلُّهم ونحترمهم.

٣١٩٥ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحي: ٤]:

ثَوَاب الله خير لَك من نعيم الدُّنْيَا، وقد رآه عمر مضجعا قد أثَّر الحصير في جنبه، فَبكى، فقال: يا رسول الله .. هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه، فقال له ﷺ: : «يا عمر .. ألا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة».

٣١٩٦ قال الآلوسي: «وقال بعضهم: يحتمل أن يراد بهما نهاية أمره ﷺ وبدايته، أي لنهاية أمرك خير من بدايته، فأنت لا تزال تتزايد قوة، وتتصاعد رفعة» .

٣١٩٧ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى : ٥]:

ولم يقل: ما ترضى! فالخير في عطاء الله ولو خالف ما نتمناه.

٣١٩٨ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١١]:

في الحديث النبوي: «إذا آتاك الله مالًا، فليرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته» صحيح الجامع رقم: ٢٥٤.

٣١٩٩ قال الإمام الرازي: «إن الله أخَّر حق نفسه وهو الشكر، وقدَّم حق اليتيم والسائل، لأنه غني وهما محتاجان، وتقديم حق المحتاج أولى».

٣٢٠٠ قال الرازي: «وضع (الله) في حظهما الفعل، ورضي (من عباده) لنفسه بالقول»، يعني التحدث بنعمته.

سورة الشرح

٣٦٠١ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢، ٣]:

قال الإمام محمد عبده: «الكلام على التمثيل، فإن ما كان يحمله عليه السلام من ثقل الإهتمام بشأن قومه، وضيق المذاهب بين يديه قبل تواتر الوحي عليه بالإرشاد، لم يكن ثقلًا حسيًا ينقض منه الظهر، ولكنه كان همًّا نفسيًّا يفوق ألمه ألم ذلك الثقل الحسي الممثل به، فعبَّر عن الهم الذي تبخع له النفوس بالحمل الذي تقصم له الظهور».

٣٦٠٢ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦]:

قال ابن القيم: «فالعسر وإن تكرر مرتين فتكرر بلفظ المعرفة فهو واحد، واليسر تكرر بلفظ النكرة فهو يسران، فالعسر محفوف بيسرين، يسر قبله، ويسر بعده، فلن يغلب عسرٌ يسرين».

٣٦٠٣ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح:٧] :

سكين الفراغ بوسعه أن يذبح إيمان أتقى الأتقياء، والعاقل من ملأ فراغه بالطاعات، ولم يدَع فُرجة يتسلل منها الشيطان.

سورة التين

٣٦٠٤ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] :

انتبه! هنا نعمةٌ منسية تستحق الشكر!

٣٦٠٥ كل مولود يولد على الفطرة!

٣٦٠٦ قال عبد الرحمن بن كيسان: «أحسن تقويم: أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان»، وقال الطاهر بن عاشور: «وتفيد الآية أن الإنسان مفطور على الخير، وأن في جبلته جلب النفع والصلاح لنفسه وكراهة ما يظنه باطلًا أو هلاكًا، ومحبة الخير والحسن من الأفعال، لذلك تراه يُسَرُّ بالعدل والإنصاف، وينصح بما يراه مجلبة لخير غيره، ويغيث الملهوف، ويعامل بالحسنى، ويغار على المستضعفين، ويشمئز من الظلم».

سورة العلق

٣٢٠٧ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[العلق:٦-٧]:

يبدأ الطغيان باستغناء العبد عن فضل ربه واعتماده على نفسه.

٣٢٠٨ ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾[العلق:١٩]:

مما يستفاد من هذه الآية أن مما يُدفع به أذى الأعداء وبطش الظالمين: عبادة الله وخاصة الصلاة وكثرة السجود.

سورة القدر

٣٢٠٩ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[القدر:١]:

قال ابن عباس: «يُكتَب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج، يقال: يحج فلان ويحج فلان».

٣٢١٠ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾[القدر:٢]:

قال الفرَّاء: «كُلُّ ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقد أدراه، وما كان من قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣] فلم يُدْرِه».

سورة البينة

٣٢١١ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[البينة:٧]:

قال أبو هريرة: «أتعجبون من منزلة الملائكة من الله، والذي نفسي بيده.. لمنزلة العَبْد المؤمن عِنْد الله يوم القيامة أعظم من منزلة مَلَك، واقرءوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾».

سورة الزلزلة

٣٦١٢ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]:

أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فالأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]: أي أمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصي أمره.

٣٦١٣ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]:

الصَّدر مقابل الوِرْد، وهو الرُّجوع من شُرب الماء، وهي إشارة إلى أن الحياة الدنيا حدَثٌ عارض، مثل مشهد السقاية، فهي أقصر ما تكون، فالدنيا هي المورِد، والصَّدَر هنا هو قيام الناس للبعث، وجاء لفظ ﴿يَصْدُرُ﴾ دون غيره للدلالة على هذا المعنى.

٣٦١٤ ﴿أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦]:

أي متفرقين، وهذا أدعى للحيرة والخوف والرهبة؛ إذ مع الجماعة يكون الأُنس والإلف، وهذا لا يتاح مع التشتت والتفرق، ولا سيما في يوم الفزع الأكبر.

٣٦١٥ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧]:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة؛ وأما الكافر فيعطيه بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، لم تكن له حسنة».

سورة العاديات

٣٦١٦ ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات:٦]:

قال الفضيل: «الكنود الذي تُنسيه سيئة (مصيبة) واحدة حسنات (نِعَمًا) كثيرة، ويعامِل الله على عقد عِوَض»، ومعنى عقد العوض أنه يعبده في مقابل نعمه عليه، فإذا فقد النعم كسل أو توقف عن العبادة.

٣٦١٧ قال الحسن: «الكنود اللوام لربه، يَعُدُّ المحن والمصائب، وينسى النعم والراحات».

٣٦١٨ وفي هذا تسلية للعبد إن وجد قلة الوفاء من الخلق، فإذا كان الإنسان كنودًا جحودا لربه؛ وهو الذي خلقه وأكرمه، فكيف لا يكون فيه شيء من الجحود مع سائر الخلق؟!

٣٦١٩ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات:١٠]:

لم تأتِ مادة ﴿وَحُصِّلَ﴾ إلا في سورة العاديات، والتحصيل في اللغة: الجمع والتمييز، وأصله من الحوصل والحوصلة، وهي من الطير كالمعدة للإنسان، ولهذا دلالة، فكل ما يعمله الإنسان مستقر في أعماقه، ومجموع في صدره، حتى يحين ميعاد كشفه يوم القيامة.

٣٦٢٠ أقسم الله بثلاثة أشياء: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾ ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾، وجعل جواب القسم أيضًا ثلاثة أشياء: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

٣٦٢١ قال الرازي: «وإنما خصَّ أعمال القلوب بالتحصيل دون أعمال الجوارح؛ لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا البواعث والإرادات في القلوب، لما حصلت أفعال الجوارح».

سورة القارعة

٣٦٢٢ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:٣]:

لا علم لك بكُنهِها، لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها عقل أحد ولا فهمه، وكأنه الله تعالى يقول: قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة ليست بقوارع.

٣٦٢٣ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]:

تأثير القيامة في الجبال الشامخات هو أنها جعلتها كالعِهْن المنفوش أي الصوف الملوَّن، فكيف سيكون حال العبد الضعيف يومها!

٣٢٢٤ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٨]:

قال أبو بكر رضي الله عنه: «إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحقٌّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحقٌّ لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا».

٣٢٢٥ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]:

قال الرازي: «فيه وجوه: أحدها: أن الهاوية من أسماء النار، وكأنها النار العميقة يهوي أهل النار فيها مهوى بعيدًا، وثانيها: فأم رأسه هاوية في النار؛ لأنهم يهوون في النار على رؤوسهم، وثالثها: أنهم إذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا: هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه حزنا عليه».

٣٢٢٦ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة:١١]:

نار الدنيا في جنب نار الآخرة ليست حامية، وبذلك صار آخر السورة مطابقًا لأولها، فالقارعة ليس كأي قارعة، ونار الآخرة ليست كأي نار.

سورة التكاثر

٣٢٢٧ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١]:

قال السعدي: «ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر».

٣٢٢٨ قال رسول الله ﷺ: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»، وقال أُبيٌّ: «كنا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر: ١]».

٣٢٢٩ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢]:

عن ميمون بن مهران قال: قرأ عمر بن عبد العزيز ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فبكى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ «ما أرى المقابر إلا زيارة، ولا بد لمن يزورها أن يرجع إلى الجنة، أو إلى النار».

٣٢٣٠ قال قتادة: «كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدُّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم».

سورة العصر

٣٢٣١ ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ *﴾[العصر:١-٣]:

قال الشافعي: «لو فكَّر الناس في سورة العصر لكفتهم».

٣٢٣٢ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣]:

قال الإمام الرازي: «ودلَّت الآية على أن الحق ثقيل، وأن المحن تلازمه؛ فلذلك قرن به التواصي بالصبر».

سورة الهمزة

٣٢٣٣ ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة:٧]

أي تشرف على الأفئدة، وخص الأفئدة؛ لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد، مات صاحبه، فأخبر سبحانه أنهم في حال من يموت، لكنهم لا يموتون.

٣٢٣٤ تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد من أهل النار من العذاب، وكذلك بعلامة أطلعها الله عليها في كل عبد دخل النار.

سورة الفيل

٣٢٣٥ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل:١]:

ذكر مقام الربوبية دون مقام الألوهية؛ لأن المقام مقام حماية ودفاع ونعمة وفضل، وهو ما يستدعي مقام الربوبية، كما أن رب الأسرة يحمي أسرته ويرعى مصالحهم، وأضاف ضمير المخاطب (الكاف) للنبي ﷺ فقال (رَبُّكَ) دلالة على عظم مكانته ﷺ عند ربه، وتسليه له، وتثبيتًا لقلبه.

سورة قريش

٣٢٣٦ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١]:

اللام متعلِّقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ [قريش:٣]، أي: ليعبدوا الله، لأجل نعمته عليهم بالإيلاف، أو اللام متعلِّقة بفعل تعجُّب محذوف، والتقدير: اعجبوا لإيلاف قريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف، وتركهم عبادةَ ربِّ هذا البيت، الذي أطعَمهم من جوعٍ وآمَنَهم من خوف.

٣٢٣٧ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [قريش:١، ٢]:

الإيلاف: من الإلف وهو اعتيادُ الشيء، والتكرير تفخيما لأمر الإيلاف وتذكيرا لعظيم فضل الله فيه. قال ابن عباس: «أمروا أن يألَفوا عبادةَ ربِّ هذا البيت، كإلفهم رحلةَ الشتاء والصيف».

سورة الماعون

٣٢٣٨ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:٣]:

قال الإمام الرازي: «وإضافة طعام إلى المسكين تدل على أن ذلك حق المسكين، فكأنه – المكذب بالدين – منع المسكين مما هو حقه، وذلك يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه».

سورة الكوثر

٣٣٣٩ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر:٣]:

رأى العاصي بن وائل السهمي رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، فتحدَّث معه، فلقيه عدد من صناديد قريش فقالوا: من كنت تتحدث معه؟ فقال لهم: ذلك الأبتر، وكان قد تُوُفِّي ابنه عبد الله بعد أن مات ابنه القاسم قبل عبد الله، فانقطع بموت عبد الله الذكور من ولده ﷺ يومئذٍ، وكانوا يصِفون من ليس له ابن بالأبتر، فأنزل الله هذه السورة.

سورة الكافرون

٣٣٤٠ ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]:

قال الشنقيطي: في هذه السورة منهج إصلاحي، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول(لأن ما عرضوه عليه ﷺ من المشاركة في العبادة، يعتبر في مقياس المنطق حلًّا وسطًا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين، فجاء الرد حاسمًا وزاجرًا وبشدة) لأن فيه أي فيما عرضوه مساواة للباطل بالحق، وفيه تعليق المشكلة، وفيه تقرير الباطل، إن هو وافقهم ولو لحظة.

سورة النصر

٣٣٤١ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١]:

سبب نزولها:

قال عبد الله بن عمر: «نزلتْ هذه السُّورةُ بِمِنًى في حِجَّة الوداع، ثُمَّ نزلت: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾، فعاش بعدهما النَّبيُّ ﷺ ثمانين يوما، ثُمَّ انتقل إلى الرَّفيق الأعلى».

٣٣٤٢ ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ [النصر:٣]:

وفي رواية عنها: «كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: سُبحانَك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

سورة المسد

٣٦٤٣ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد:١]:

ليس في الآية تكرار، فالجملة الأولى دعاء عليه بالهلاك والخسران، والجملة الثانية: إخبار عن أن هذا الدعاء قد استجيب، وأن الخسران قد نزل به فعلا، وخصَّ اليدين بالتباب، لأن العمل أكثر ما يكون بهما، وقيل: المراد باليدين نفسه، وقد يُعبَّر عن النفس باليد.

٣٦٤٤ هذه الآية دليل على إعجاز القرآن، فكان أبو لهب يستطيع أن يدعي الإسلام ليبطل هذه الآية لكنه لم يفعل. سئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.. هل كان في أمِّ الكتاب؟ وهل كان أبو لهب يستطيع ألا يصلى النار؟ فقال: «والله ما كان يستطيع ألا يصلاها، وإنها لفي كتاب الله من قبل أن يخلق أبو لهب وأبواه».

سورة الإخلاص

٣٦٤٥ ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص:٢]:

قال ابن عباس: (الصَّمَدُ): «السيد الذي قد كمُل في سُؤدَده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له».

سورة الفلق

٣٦٤٦ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١]:

الاستعاذة بالفلق من أسباب التفاؤل، وتذكير بالنور بعد الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفرَج بعد الانغلاق، والفلق كل ما يفلقه الله، كالنبات من الأرض، والأولاد من الرحم، والحي من الميت، وكل هذا يبشِّر بالفرج.

٣٦٤٧ قال الإمام الرازي: «في سورة الفلق المستعاذ به مذكور بصفة واحدة، وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق والنفاثات والحاسد.

أما سورة الناس فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث: وهي الرب والملك والإله، والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة، فما الفرق بين الموضعين؟

أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في سورة الفلق سلامة النفس والبدن، والمطلوب في سورة الناس سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلّت، أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت».

٣٦٤٨ ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق:٥]:

قال الحسين بن الفضل: «إن الله جمع الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد؛ ليُعلم أنه أخس الطبائع».

سورة الناس

٣٦٤٩ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١]:

قال القرطبي: «وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان ربًّا لجميع الخلق لأمرين: أحدهما: لأن الناس معظَّمون، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا. الثاني: لأنه أمر بالاستعاذة من شرِّهم، فأعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم».

٣٦٥٠ ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤]:

قال ابن عباس: «ما من مولود إلا على قلبه الوَسواس، فإذا عقلَ، فذكر الله، خَنَسَ، وإذا غفلَ، وَسْوَسَ، قال: فذلك الوَسْواس الخنَّاس».

٣٦٥١ ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦]:

قال الحسن: «هما شيطانان، أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية».

الفهرس الموضوعي

أولًا: العقائد

الايمان بالله

٢	٤٧	٨٦	٨٧	٨٩	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١	١١٢	١١٧	١٢٥	١٧٩	١٩٨	٢٠٢
٢٠٤	٢٠٥	٢١١	٢١٢	٢٥٤	٢٦٥	٢٦٧	٢٦٨	٣٣٧	٣٤١	٣٥٥	٣٦٤	٣٩٦	٣٤٧	٤٥١
٤٧٨	٤٨٠	٥٥٠	٥٥١	٥٥٦	٥٧٠	٥٧١	٦٠١	٦٢٢	٦٢٩	٦٥٧	٦٦٤	٦٦٥	٧١٦	٧٢٣
٧٢٦	٧٢٨	٧٢٩	٧٣٤	٧٤٩	٧٦٦	٧٧٤	٧٨٤	٨١٨	٨٥٥	٩٣٨	٩٥٧	٩٧٢	٩٧٧	١٠٠٢
١٠٠٨	١٠١٤	١٠١٩	١٠٢٠	١٠٢١	١٠٢٥	١٠٢٦	١٠٣٦	١٠٣٧	١٠٤٩	١٠٥٤	١٠٥٦	١٠٧٩	١١١٧	١١١٩
١١٥٠	١١٥١	١١٥٩	١١٨٧	١١٨٨	١١٩٩	١٢٠٠	١٠٢٤	١٢٠٥	١٢١٥	١٢٢٢	١٢٣٨	١٢٥٤	١٢٦٨	١٢٦٩
١٢٧٠	١٢٧٢	١٢٨١	١٣٧٤	١٣٧٦	١٣٨٩	١٣٩٠	١٤٩١	١٤٩٤	١٥٠٨	١٥٣٤	١٥٣٦	١٥٦٥	١٥٧٦	١٥٨١
١٥٨٩	١٦١٩	١٦٢١	١٦٢٥	١٦٣٣	١٦٤٢	١٦٦٥	١٦٦٣	١٦٧٠	١٩٢	١٦٩٩	١٧١٣	١٧٣٦	١٧٤٤	١٧٨٤
١٨٩٣	١٨١٩	١٨٤٨	١٨٥٠	١٨٧٠	١٨٧٨	١٨٧٩	١٨٨٠	١٨٨٢	١٩٠٦	١٩٤٠	٢٠٠٠	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣
٢٠١٧	٣٠٢٣	٢٠٦١	٢٠٩٨	٢١٠٩	٢١٧٥	٢٢٣١	٢٢٣٣	٢٢٦٢	٢٤١٢	٢٥٦٢	٢٦٣٠	٢٦٧٥	٢٦٨٦	٢٦٨٨
٢٦٩١	٢٧٣٧	٢٧٦٠	٢٨٧٧	٢٩٢٠	٢٩٤١	٢٩٩٤	٣٠٠٥	٣٠٧٧	٣١٢٨	٣٢٣٥	٣٢٤٩			

الايمان بالغيب

١٧	١٨	٦٥١	٢٢٦٤	٢٣٣٤	٢٣٦٩	٢٥٤٩	٢٨١٩	٢٨٦٢	٢٨٦٣	٢٩١٢

الايمان بالملائكة

١٤	٢٦٦	١٥٨٣	١٤٧١	١٨٣٥	٢٣٢٥	١٤١٨	٢٤٢٠	٢٤٨٧
٢٤٨٨	٢٤٨٩	٢٥٣٨	٢٧٤٦	٢٧٦٥	٢٧٩٣	٢٧٩٤	٣٠٧٣	

الايمان بالرسل

١٤٤٨	١٥٠٧	١٥١٥	١٧٩٢	١٨٣٨	١٨٣٩	١٨٩٤	١٩٠٢	١٩٨٠	٢٥٤٠
٢٥٤٧	٢٦١٧	٢٦٣٣	٢٦٤٩	٢٧٠٩	٢٧١٠	٢٧١٣	٢٧٨٩	٢٨٩١	٢٩٠٩

الايمان بالاخرة

٤	٥٥	٩٢	١٥١	١٦١	٢٤٣	٢٤٤	٢٤٥	٢٥١	٢٨٤	٢٩٢	٣٨٧	٤٠٥	٤٨٥	٥٠٥
٦٨٥	٧٠٥	٧٣٨	٧٤٧	٧٩٥	٧٩٦	٨٧٠	١٠٨٧	١١٢٠	١١٦٧	١١٧١	١١٧٦	١١٨٦	١٣٩٤	١٤١٣
١٤٤٥	١٥٢٥	١٥٣٠	١٥٣٩	١٥٤٠	١٦٠٢	١٦١٧	١٦٥٩	١٦٥٣	١٦٥٥	١٧١٥	١٧٣٥	١٧٥١	١٧٦٠	١٧٦٢
١٧٨٢	١٨٠٢	١٨٠٣	١٨٢٨	١٨٣٣	١٨٣٦	١٨٤٠	١٨٤١	١٩١٣	١٩١٤	١٩١٥	١٩١٨	١٩٩٥	٢٠٩٢	٢١٨٤
٢٢١٥	٢٢٢٦	٢٢٢٧	٢٢٤٠	٢٢٤٣	٢٣٣٣	٢٣٨٢	٢٣٤٧	٢٣٨٣	٢٣٩١	٢٣٩٢	٢٤٠٠	٢٤٠٦	٢٤٢٢	٢٤٥٩
٢٤٦٤	٢٥٠٥	٢٥٣١	٢٥٤٥	٢٥٤٩	٢٦٢٤	٢٦٣٣	٢٦٣٤	٢٧٣١	٢٧٤٢	٢٧٤٣	٢٧٤٤	٢٧٤٥	٢٨٢٣	٢٨٢٤
٢٨٣٥	٢٨٣٧	٢٦١٣	٢٦١٦	٢٦١٩	٢٦٢٠	٢٨٤٦	٢٨٩٤	٢٩١٢	٢٩١٥	٢٩٤٥	٢٩٤٦	٣٠٠٨	٣٠٣٣	٣٠٣٤
٣٠٣٥	٣٠٩٥	٣١١٤	٣١١٥	٣١٢٠	٣١٣٦	٣١٣٧	٣١٤٥	٣١٥٧	٣١٥٨	٣١٧٠	٣١٧١	٣١٧٢	٣١٩٥	٣١٩٦
٣٢١٢	٣٢١٣	٣٢١٤	٣٢٢	٣٢٢٩										

الايمان بالجنة

٦٥	١٦٨	٣٢٧	٣٣٨	٣٤٩	٣٥٤	٣٩٠	٣٩١	٤٠٧	٤٠٨	٤٠٩	٤١٨	٤٢٥	٨٢٩	٨٣٠	١٠٩٣
١١١٨	١١٦٨	١١٦٩	١١٧٠	١١٧٢	١٢٤١	١٣٦٤	١٣٦٥	١٥٠٢	١٦٩٤	١٦٩٥	١٧٢٢	١٨٢٣	١٨٣٤	٢٨٥٥	١٩٨٣
١٩٨٤	٢٠٢٢	٢٢٢٦	٢٣٥٨	٢٣٦١	٢٣٦٢	٢٣٨٤	٢٣٨٥	٢٤٠١	٢٤٠٢	٢٤٠٣	٢٤٣٧	٢٤٣٨	٢٤٧٨	٢٤٧٩	٢٤٨٠
٢٦٠٦	٣٦٠٧	٢٦٠٨	٢٦٢١	٢٦٢٢	٢٦٢٣	٢٦٢٥	٢٦٢٦	٢٦٥٤	٢٦٥٥	٢٦٥٩	٢٨٣٤	٣٠٨٩	٣١٥٧	٣١٧٥	

الايمان بالنار

١١٨	٣٠٢	٤٠٦	٤١٠	٤١٧	٤٧٢	٦٨٤	٧٢١	٨٢٣	١٠٧٥	١٣٩٩	١٤١٦	١٤١٧
١٤٣٣	١٤٣٤	١٤٣٥	١٦٠٣	١٦٥٧	١٦٧٥	١٧٢٦	١٧٣٧	١٧٥٢	١٨٠١	١٨٢٩	١٨٣٠	١٨٣١
١٨٣٣	١٨٥٢	١٨٥٣	١٨٥٤	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٩٨	٢٠٢١	٢٠٢٢	٢٢٠٧	٢٢٦٥	٢٤٠٤	٢٤٠٥
٢٤٧٨	٢٤٧٩	٥٤٨٠	٢٥٣٦	٢٥٩٧	٢٦٠٩	٢٦١٨	٢٦٦٠	٢٦٨٠	٢٨٢٢	٣٠٣٦	٣٠٥٨	٣٠٧٢
٣٠٧٣	٣١٠٨	٣١٠٩	٣١١١	٣١١٦	٣١١٧	٣١١٨	٣١١٩	٣١٢٤	٣١٢٥	٣٢٢٥	٣٢٢٦	٣٢٣٤

اسماء الله وصفاته

٤٤٣	٧٧٢	٧٧٨	٨٠٢	٨٦٤	٨٨٩	٨٩٠	٨٩١	٩١٧	٩٤٤	٩٤٥	٩٥٠	٩٧٧	١٤٠٧	١٤٧٩
١٤٨٢	١٤٨٥	٤٨٦	١٤٩٢	١٤٩٣	١٧٤٠	٢١٠١	٢١٠٤	٢١٨١	٢٢٣٩	٢٣٣١	٢٣٥٣	٢٣٧٠	٢٣٧٨	٢٤٦١
٢٤٦٣	٢٤٧١	٢٥٠٢	٢٥٥١	٢٥٥٢	٢٥٥٦	٢٦٦٣	٢٧٦٢	٢٧٨٦	٢٧٨٧	٢٨٠٠	٢٨٠١	٢٨٠٢	٢٨٦٦	٢٨٦٧
٢٨٦٨	٢٨٨٠	٢٩٣٩	٢٩٧٢	٢٩٧٨	٢٩٨٤	٢٩٠٦	٣٠٠٧	٣١٠٦	٣١٠٧	٣١٣٨	٣١٣٩	٣١٤٦	٣١٦٢	٣٢٤٥

الولاء والبراء

١١٢٣	١٠٣٣	٩٢٧	٦٢٠	٦١٩

الايمان بالقدر

١٢٦٧	٢٢٢٥	٢٦١١	٢٩٦٧	٢٩٦٨	٣٣٠٩	٣٢١٠

الايمان بالكتب

٢٠٣٢

ثانيًا: عبادات الجوارح

الصلاة

١٩	٣٦	٣٧	٣٨	٨٨	١٩١	٢٨١	٢٨٢	٤٦٣	٤٦٤	٥١٥	٥١٦	٥٥٧
٥٥٨	٥٨٢	٦٥٦	٦٥٨	٩٠٨	١٠٥٩	١٠٦٠	١٠٧٠	١٢٣٦	١٦٨٣	١٧٢٠	١٧٢١	١٧٧٦
١٧٨٠	١٧٨٢	٢٠٠٢	٢٠٠٤	٢١٩٦	٢١٩٧	٢١٩٨	٢٢٠٢	٢٢٠٣	٢٢٢٦	٢٤١٩	٢٤٧٧	٢٤٦١
٢٩٤٧	٢٩٤٨	٢٩٤٩	٣٠٢١	٣٠٢٢	٣٠٢٣	٣١١٢	٣١٣٣	٣١٣٤	٣٢٠٨			

الدعاء

٥	١٠	٧٣	٧٦	٧٧	١٣٢	١٣٣	١٣٤	١٣٥	١٣٦	١٥٩	١٧٥	١٩٦	٢٨١	٣٥٢
٣٦٧	٣٦٨	٤٤٤	٤٤٥	٥٦٨	٦٣٥	٦٩٤	٦٩٥	٦٩٧	٧٠٩	٨٠٣	٨٢٧	٨٣٣	٨٣٤	٨٣٥
٨٣٦	٨٣٧	٨٣٨	٨٥٨	٨٦٠	٨٨٦	٨٨٧	٩١٧	٩١٨	٩٤٢	٩٤٣	٩٦١	١١٥٤	١١٥٥	١١٦١
١١٦٢	١١٩٣	١١٩٦	١٢٣٠	١٣٢٥	١٤٠٥	١٤٠٩	١٤٢٤	١٤٢٥	١٤٣٧	١٤٧٠	١٥٢٣	١٥٢٤	١٥٤٨	١٥٥٤
١٥٥٥	١٥٦٩	١٦١٦	١٦٢٠	١٧٠٠	١٧٠٢	١٧٠٣	١٧٠٤	١٧٠٦	١٧١٧	١٧١٨	١٧٦٥	١٧٦٦	١٨٠٥	١٨٠٦
١٨٠٧	١٨٠٨	١٨١٢	١٨١٦	١٨١٧	١٨١٩	١٨٢٣	١٨٢٤	١٨٢٦	١٨٢٧	١٨٩٥	١٩٧٦	٢٠٨٦	٢٠٨٧	٢٠٨٨
٢١١٨	٢١٢٤	٢١٢٥	٢١٢٦	٢١٢٧	٢١٥٣	٢١٥٧	٢١٦١	٢١٦٦	٢١٨٥	٢٢٥٤	٢٣٤١	٢٣٤٣	٢٤٣٥	٢٤٣٦
٢٤٦٦	٢٤٦٧	٢٥١٦	٢٥١٧	٢٥١٨	٢٥١٩	٢٥٢٠	٢٥٥٠	٢٧٨٠	٢٧٨١	٢٧٩٩	٢٩٠٧	٣٠٤٢	٣٠٤٤	

الصيام

١٢٢	١٢٣	١٢٤	١٢٥	١٣٨

الحج

١٤٩	١٦٠	١٦١	٢٩٧	٢٩٨	١٨٥٧	١٨٥٨	١٨٥٩	١٨٦٠	١٨٦١	١٨٦٢	١٨٦٥	١٨٦٧

الزكاة

١٠٤٠	١٨٨٦	٢٥١٢	٢٧٦١	٢٩٠٩	٢٩٦٣	٢٩٦٤

الجهاد

١٤٨	٣٤٦	٣٤٧	٣٥٠	٣٥٩	٣٦١	٤٨٣	٥١٤	٥٧٤	٩٨٧	٩٨٨	١٠٠٦	١٠٠٧
١٠١٢	١٠٤٨	١١٣٥	١٦٨٠	١٨٨٠	١٨٨١	٢٢١٩	٢٢٣٠	٢٦٥١	٢٦٥٣	٢٦٦٩	٢٦٧٢	

الأخذ بالأسباب

١٠٦٥	١٢٣٢	١٢٥٨	١٣١٤	١٧٠٧	١٧١١	٢٨١٢

إصلاح ذات البين

٥٣٦	٥٣٧	١١٢٣	١٣٢١

القرآن

١٥	٣٢	٣٣	٤٨	٥١	٥٨	٦٩	٢٢٨	٢٩١	٤١٥	٤٧٥	٤٨٨	٥٧٣	٥٨٥	٦٧٦
٦٨٢	٧٣٦	٧٣٧	٧٤٢	٧٥٧	٧٦٣	٧٨٣	٨٨٣	٩١١	٩٢٢	٩٣٢	٩٣٣	٩٣٤	٩٣٥	٩٣٦
١٠٩٠	١١٤١	١١٧٨	١٤٢٢	١٤٥٥	١٤٥٦	١٤٥٧	١٤٥٨	١٤٦٠	١٤٦٢	١٤٦٣	١٤٨٩	١٥٢٢	١٥٩٦	١٥٩٧
١٥٩٨	١٦٠١	١٦٠٩	١٦١٠	١٦٣٨	١٧١٣	١٧١٤	١٧٦٩	١٧٨٦	١٧٨٧	١٨٠٠	١٨١٣	١٨١٤	١٨٦٤	١٨٩٣
٢٠٩٣	٢٠٩٤	٢٠٩٥	٢١٤٨	٢١٩٥	٢٢٠٥	٢٢٠٦	٢٣٩٤	٢٣٩٥	٢٤٥١	٢٤٥٢	٢٥٤٦	٢٥٥٩	٢٥٧٦	٢٥٧٧
٢٥٩٢	٢٦٤٢	٢٦٤٣	٢٦٤٨	٢٦٧٠	٢٦٧٣	٢٦٧٤	٢٧٣٥	٢٧٤٨	٢٨٤٨	٢٨٥٧	٢٨٧٤	٢٨٩٥	٢٩١٧	٢٩٤٣
٢٩٤٤	٣٠١١	٣٠٥١	٣٠٥٢	٣٠٥٣	٣٠٥٤	٣٠٦١	٣٠٦٢	٣٠٨٦	٣١٠٣	٣٢٠٩	٣٢٢١	٣٢٤٤		

الدعوة الي الله

٣٥	٧٩	٨٠	٨٤	٢٣٢	٢٧٤	٢٨٥	٢٩١	٣٠٣	٣٠٥	٣٠٧	٣٠٩	٣١١	٣١٢
٣٢٤	٤٤٧	٥٢٩	٦٣١	٦٣٤	٦٤٢	٦٥٣	٦٥٤	٦٥٥	٦٨٧	٦٨٨	٧٣٣	٧٨٩	٧٩٠
٧٩١	٨٧٦	٩٣٠	١٠٣٨	١١٥٧	١١٨٩	١٢٠٦	١٢١٩	١٢٥٠	١٢٩٥	١٢٩٦	١٣٣٥	١٣٧٧	١٣٨٧
١٥٠٩	١٥١٠	١٥١١	١٥١٦	١٧٥٥	١٧٦١	١٨٨٣	١٩٠٤	١٩٨٧	٢٠٠٩	٢٠٢٨	٢٠٢٩	٢٠٣٥	٢١٥٦
٢١٦٨	٢٢٥١	٢٢٥٥	٢٣٣٧	٢٣٣٩	٢٣٧٤	٢٣٧٥	٢٣٧٦	٢٣٧٧	٢٣٧٩	٢٣٨٠	٢٤٠٩	٢٦٤٣	٢٦٤٤
٢٦٤٥	٢٦٤٦	٢٦٤٨	٢٧١٣	٢٧١٤	٢٧٩٢	٢٩٤٠	٣١١١	٣١٥٤	٣١٥٥				

الأمر بالمعروف

٣١٠	٦١٢	٦٥٥	٧٦٤	٨٥٠	٨٥١	٨٨٠	٨٩٢	٩٢٥	٩٢٩	١٧١٦	٢٢٧١	٢٦٧١	٢٩٢٩	٣١٥٤	٣١٦٩

النهى عن المنكر

٥٥٣	٥٥٤	٥٩٣	٦٤١	٦٤٣	٦٤٤	٧١٤	٧١٥	٧١٦	٨٥٢	٨٥٦
٨٩٥	٨٩٦	٩٦٨	١١٠١	١٢٤٥	١٦١٦	١٦٧١	٢٠٦٠	٢٦٧١	٣١٥٤	٣١٦٩

الذكر

٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠١	١٢٧	١٥٥	١٥٨	٢٠١	٢٤٤	٥٥٩	٥٦٠	٥٦١
٧٠٦	٩٨١	٩٨٢	١١١٦	١٢٢٠	١٣٥٥	١٣٦٩	١٣٧٠	١٣٧١	١٣٧٢	١٤٥٩	١٤٦٩	١٥٦٤	١٥٦٦
١٦٢٤	١٦٥٢	١٧٤٣	١٧٤٦	١٧٧٣	١٧٨٣	١٧٩٨	١٩٨٦	٢٠٨٥	٢١٥٥	٢١٩٩	٢٢٠٠	٢٢٠١	٢٢٠٣
٢٢٨٧	٢٢٨٨	٢٢٩٦	٢٢٩٧	٢٢٩٨	٢٢٩٩	٢٣٠٠	٢٤١٦	٢٤١٧	٢٤٨٦	٢٥٩٣	٢٦٩٥	٢٨٥٨	

الصدقة

١١٩	٢١٨	٢١٩	٢٢٤	٢٢٥	٢٢٦	٢٢٧	٢٣٣	٢٣٤	٢٣٥	٢٤٢	٢٩٤
٢٩٥	٢٩٦	٣٣٠	١٠٨٨	١١١٠	١١١١	١٣٦٠	١٣٦١	١٥٥٢	١٥٥٤	١٥٥٥	١٦٥٤
١٦٦٥	٢١٢٣	٢٣٣٣	٢٣٧٣	٢٥١٦	٢٨٩١	٢٩٦٣	٢٩٦٤	٢٩٦٥	٣١٧٨	٣١٧٩	٣١٨٠

صلة الرحم

٤١٩	٨٥٧	١٣٦٢	١٤٩٧	١٥٥١	٢٠٣٤	٢٦٧٢	٢٩٢٢

استغفار

١٥٦	١٥٧	٢١٢	٢١٣	٢١٤	٣٥٣	٥٢٥	٦١٣	٦٩٥	٦٩٨
٩٧١	٩٧٤	١٢٠١	١٢٠٢	١٢٢٨	١٤١١	١٥٥٠	١٦٤١	١٩٧٥	٢٠٧٦
٢٤٢٦	٢٤٢٧	٢٤٣٥	٢٥١٤	٢٥١٥	٢٥٦١	٢٦٦٤	٢٧٥١	٣٢٤٢	

قول الحق واتباعه

٣٨٩	٥٧٩	٦١٦	٦٢٧	٦٢٨	٧٦٧	٧٨١	٧٨٢	٧٩٤
١٠٠١	١١٢٤	١٦٩٠	٢٠٥٨	٢١١٠	٢٤٢٨	٢٨٦٥	٣٠١٣	٣٠١٤

قيام الليل

٣١٤	١٥١٣	١٥٩٢	٢٢٩٩	٢٤٦٦	٢٧٤٩	٢٧٥١	٣٠٥٠	٣١٦٤	٣١٩٠

المسارعه الى الخيرات

٩١	٩٢٨	٥٠٨	٥٩٩	٧٣١	٧٤٦	٩٩٨	١٠٦٤	١٠٦٦	١١٠٠	١١٠٣
١١٠٤	١١٠٥	١١٣٦	١١٣٨	١٤٠٠	١٤٣٦	١٥٣٩	١٧٢٩	١٧٥٣	١٨٢٧	١٩٠١
٢٠١٥	٢٠١٦	٢١٢٠	٢٢٢١	٢٢٢٢	٢٣٥٦	٢٦٤٧	٢٧٥٠	٢٨٢٠	٣١٤٤	٣١٨٩

طلب العلم

٢٥٦	٤٨٩	٥٣٣	٥٧٨	٥٨٦	٧٢٨	٧٣٠	١١٩٨	١٢٧٦	١٤٨٣	١٦٦٧
١٦٦٨	١٦٧٦	١٦٨٦	١٧٣٩	١٧٦٥	٢١٩٣	٢١٩٤	٢٣٤٩	٢٦٦٤	٢٩٣٤	

غض البصر

١٩٤٧	١٩٤٨	٢١٣٢	٢٨٣١

عبادة السر

٢٧٧٤	١٧٠١	١٧٠٠

المشورة

١٨٥	٢٥٦٣	٢٥٦٤	٢٥٦٥	٢٥٦٦	٢٩٩١

ثالثًا: عبادات القلوب

الشكر

١	٣	٤١	٩٤	١١٦	١٢٣	٢٤٧	٥٢٦	٥٦٧	٦٩٤	٨٩٧	٩١٩	٩٨٥	٩٨٦
١١٩٤	١٣٧٩	١٣٨٢	١٣٨٤	١٣٨٥	١٣٨٦	١٤٠٦	١٤٨٤	١٥١٦	١٧٣٦	١٨٩٢	٢٠٤٦	٢٠٤٧	٢٠٤٨

٢٠٧٤	٢٠٧٥	٢٢٥٧	٢٣١٩	٢٣٢٢	٢٣٢٣	٢٤٧٠	٢٤٧٥	٢٤٧٦	٢٤٨١	٢٥٢٢	٢٦٣٨	٢٦٤٠	٢٨١٨
٢٨٤٣	٣٠٠٧	٣٠٠٩	٣٠١٠	٣٠٦٦	٣٠٧٠	٣١٧٧	٣١٩٨	٣١٩٩	٣٢٠٠	٣٢٠٤	٣٢١٦		

الثبات

٤٨١	٩٤٦	٩٥٨	٩٨٠	١١٢٨	١٢٠٩	١٢١٠	١٢٥٣	١٢٨٣	١٢٨٤	١٢٨٥
١٢٩٠	١٢٩١	١٤٠٢	١٥٠١	١٦٢٢	١٦٢٣	١٦٢٤	٣١٥٠	٣١٥١	٣١٥٢	

مجاهدة النفس

٨٥	١١٣	١١٤	١١٥	١٣٩	١٧٦	٢٠٧	٢٠٨	٢١٠	٤٦٧
٦٠٠	١٢٩٤	٢١٧٠	٢١٧١	٢٢١٥	٣٠٤٨	٣٠٤٩	٣٠٧٤	٣٠٧٥	٣١٢١

الافتقار الى الله

١٣٤	١٥٥	١٩٩	٢٦٩	٢٧٥	٣٠٤	٣٢٣	٣٩٨	٤٣٨	٤٤٠	٦٦٧	٦٧٤	٦٧٥	٧٣٩	٧٤٠
٨١١	٨٣٥	٩٢١	٩٤٩	٩٩١	٩٩٢	١٠٢٢	١٠٢٤	١٠٣٤	١٠٤٥	١٠٥١	١١٤٢	١٢٧٧	١٢٨٩	١٣١٥
١٣٢٧	١٣٢٨	١٤١١	١٥٩٠	١٧٣١	١٧٧٩	١٨١٩	١٨٢٥	١٩٠٠	١٩٠٥	١٩٨٥	٢٠١٦	٢٠٨٨	٢١١٨	٢١٢٤
٢١٢٥	٢١٢٦	٢٢٥٧	٢٣٤٤	٢٣٤٥	٢٣٤٦	٢٤٨٥	٢٥٧٨	٢٦٨٤	٢٧٥٦	٢٧٥٧	٢٧٥٨	٣٠١٠	٣٠٣٩	٣٢٤٥

المراقبة

٥٢٤	٦٠٦	٧١٠	٨١٥	١٠١٣	١١١٤	١١٨٢	١٣١٣	١٣٥٢	١٥٢٧	١٥٦٣	١٧٣٣	٢٠٨٩
٢٣٣٧	٢٣٣٨	٢٣٣٩	٢٣٤٠	٢٣٧٢	٢٤٩٣	٢٤٩٤	٢٥٣٣	٢٧٤٠	٢٧٨٦	٣٠٠٦	٣٠٨٤	

الإخلاص والنيه

٦٧	٧٠	٨٢	١٥٠	١٧٨	١٩٣	٢٤٩	٣٥٩	٤٥٤	٤٦٠	٥١٢	٥١٣
٥١٧	٧٨٦	٨٣٧	٨٤٤	٩٦٢	٩٩٥	١١٩٠	١٢٧٣	١٢٧٥	١٣٦٣	١٥١١	١٥١٩
١٦٩٨	١٨٥٦	١٩٣٩	٢٠١٩	٢٠٢٠	٢٠٢٧	٢٠٣٣	٢١٢٢	٢٣٤٩	٢٣٥٠	٢٣٥١	٢٣٥٢
٢٤٤٠	٢٧٠٧	٢٨٠٣	٢٨١١	٢٩٣٢	٣٠٦٥	٣٠٩٢	٣٠٩٣	٣٠٩٤	٣١٥٣	٣١٨٩	

تفكر

٤١٢	٤١٣	٤١٤	٦٩٣	٧٢٢	٧٥٣	٨٨١	١١٤٥	١١٦٦	١١٧٨	١٣٥٦	١٣٧٣	١٣٨٠	١٤٢٣	١٤٢٧
١٤٧٣	١٤٨٨	١٥٧٨	١٦٠٥	١٦٨٨	١٦٤٨	١٧٣٠	١٧٩١	١٨١٥	١٨٥١	١٨٩١	٢٠٧٩	٢١٠٢	٢١٩٣	٢١٩٤
٢٢٦٠	٢٣٠١	٢٣٥٣	٢٦٥٨	٢٧٦٨	٢٨٤٤	٢٨٥١	٣٠٠٤	٣٠٢٨	٣١١٣	٣١٦٣	٣١٩١	٣٢٣١		

اليقين

٧	٣٩	١٠٠	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٢٩	١٧٠	١٩٤
٢١٠	٢١٣	٢١٤	٢١٦	٢٢٠	٢٢٢	٢٢٣	٣١٣	٣٢١
٣٢٢	٣٦٩	٣٩٧	٤٩٢	٥٤٣	٥٤٤	٧١٢	٧٤٠	٨٧٧
٨٩٤	١٠٠٣	١٠١٧	١٠١٨	١٠٥٢	١٠٧٧	١٠٧٨	١١٢٨	١١٣٠
١١٣٠	١١٣١	١١٤٨	١١٧٧	١١٨٤	١٢١٨	١٢٣١	١٢٦٦	١٣٣٨
١٤٦٥	١٧٦٧	١٨٠٤	٢٠١٥	٢٠٩١	٢٠٩٩	٢١٠٣	٢١٣٥	٢١٦١
٢٢١٣	٢٢١٤	٢٢٢٤	٢٢٤٦	٢٢٤٧	٢٢٤٨	٢٢٦٨	٢٢٧٠	٢٢٧٤
٢٢٨٩	٢٣٢٠	٢٣٢٦	٢٣٩٧	٢٤٦٢	٢٥٠٧	٢٥٠٨	٢٥٠٩	٢٥١٢
٢٥٢٣	٢٥٢٤	٢٥٢٥	٢٥٩٩	٢٧٠٦	٢٧٥٣	٢٩٠٠	٢٩٦٩	٣١٢٩

التوبة

٧٨	١٣٠	١٣١	١٣٩	١٨٠	١٨١	٣٢٦	٣٣٣	٣٣٤	٤٢٦	٤٢٧	٤٢٨
٤٣٥	٤٨٧	٦٤٠	٧٠٧	١٠٠٤	١٠١٣	١١٢٥	١١٢٦	١١٢٩	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢
١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	٢٠٠٦	٢٠٤٣	٢١٩٠	٢٢٨٢	٢٢٨٤	٢٥١٥	٢٦٣٧	٢٧٢٤	٢٧٤٧
٢٨٠٠	٢٨٠١	٢٨٠٢	٢٩١٤	٢٩٨٧	٢٩٩٦	٢٩٩٧	٣٠٤٣	٣٠٨١	٣١٣٨	٣١٤٦	

التوكل

٨	٦٨	٢٠٠	٢٠٣	٢٠٩	٢١٧	٢٨٧	٣٢٦	٣٨٥	٣٨٦	٣٩٥	٥٤١	٥٨١	٥٩٤
٦٧١	٦٧٣	٧٤٠	٨٧٤	٩٤٠	٩٤٨	١٠٣٠	١٠٣٥	١٠٥٣	١١٤٧	١١٤٨	١١٨٣	١٢٢٩	١٢٥٥
١٢٩٨	١٣٤١	١٣٤٦	١٣٥٠	١٣٥١	١٣٩١	١٤٣٢	١٥٠٣	١٥٨٧	١٦٣٩	١٦٨٠	١٧٤٩	١٨٠٤	١٨٤٩
١٨٧١	٢٠٣٦	٢٠٣٧	٢٠٣٨	٢٠٤٢	٢٠٤٣	٢٠٩٠	٢٢٠٨	٢٢٠٩	٢٢١١	٢٢١٢	٢٤٣٢	٢٤٣٣	٢٤٣٤
٢٤٦٢	٢٥٠١	٢٥٠٣	٢٥٣٩	٢٥٨٨	٢٧٥٢	٢٨٨٥	٢٩٧٠	٢٩٨٨	٢٩٨٩				

الاستقامة

٩	١٢	٢٠	٧٠	٨١	٩١	١٤٠	١٦٥	١٦٦	١٦٧	٢٠٦	٤٧٩
٥٤٦	٧٤٤	٨٤١	٨٥٩	١١٩٤	١١٩٥	١١٩٦	١١٩٧	١٢٤٢	١٢٤٣	١٢٤٤	١٣٤٢
١٦١١	١٨٨٥	٢١٦٧	٢٢٣٤	٢٢٨١	٢٣٠٢	٢٤٤٧	٢٤٤٨	٢٦٠٠	٢٨٦٤	٣٠٤٧	

تحري الحلال

٨٩٣	١٦٣٤	١٦٣٥	١٨٩٦	١٩٥٧	٢٩٠٥	٣٠٦٣

المحاسبة

١٣٠	١٣١	٣٠٨	٣٨٨	٤٨٦	٥٤٧	٩٥٩	٩٦٠	٩٩٧	١٥٢٦	١٦١٥	١٧٣٢
١٩٩٤	٢١٨٨	٢٢٣٥	٢٣٦٠	٢٣٦٤	٢٣٦٥	٢٤٥٨	٢٩١٤	٣٠٧٥	٣٠٧٦	٣٠٧٩	٣٠٨٤

رجاء

١١	٧٧	٨٩	٢٧١	٣٣٥	٣٣٦	٣٣٩	٤٦٦	٥١٨	٥٦٤	٥٦٥	٦٢٢
٨٤١	٨٩٠	٩٧٥	٩٧٦	١٣٤٧	١٣٤٩	١٤٤٥	١٥٦٨	١٥٩٩	١٧٠٥	١٨٧٦	٢٣٠٣
٢٣٥٤	٢٣٥٥	٢٤٧٢	٢٤٨٣	٢٥٥٢	٣٠٣٨	٣٠٣٩	٣١٦١	٣١٦٢	٣٢٠٢	٣٢٤٦	

خوف

١٣	٢٤	٤٦	٩٣	١٢٠	٢٥٧	٢٧٠	٣٩٩	٥٩٠	٦١٩
٦٧٠	٦٨٣	٨٤١	٨٨٨	١٠١٢	١٢٨٨	١٣٤٩	١٤٠٨	١٦٠٦	١٦٠٧
١٦٠٨	١٨٧٦	١٨٩٨	١٨٩٩	٢٠٤١	٢٢٩٢	٢٣٤٩	٢٣٥٤	٢٣٥٥	٢٣٥٧
٢٤٥٣	٢٤٨٣	٢٧١٣	٢٧٣٩	٢٧٦٧	٢٧٧٨	٢٧٧٩	٣٠٣٨	٣٠٣٩	٣٠٩٦

حب الله

١٠٩	١١٠	١١١	١١٢	٣٩٢

الاستعانة

٨٧٣	٩٥٨	١٠٥٥	١١١٢	٢١٩٢	٢٢٠٩

الامتثال لأمر الله

٦٩١	٧١٣	٩٥٦	٩٦٥	١٠٤١	١٠٤٤	١١٢٢	١٣٤٣	١٤٨١	٢٢٩٠	٢٢٩١	٢٣١٤	٢٣٢٦
٢٤١٣	٢٥٢٧	٢٥٢٨	٢٦٥٦	٢٧٩٠	٢٨٨٤	٢٩٠٢	٢٩٠٣	٢٩٧٤	٢٩٨٣	٣٠٠٠	٣٢١٢	

الصبر

٣٦	٣٧	٧١	١٠٢	١٠٣	١٦٨	١٩٥	٣١٩	٣٤٠	٣٤٤	٣٤٨	٣٥١	٣٦٢	٣٦٣	٣٩٢	٤٠٣
٤٢٦	٥١٩	٦٢٦	٦٩٠	٨٧٤	٨٧٩	٨٩٧	٩٥١	١٠٢٨	١١٢٧	١٢٢٦	١٢٢٧	١٢٦٣	١٢٧١	١٢٨٧	١٣٠٢
١٣٠٤	١٣١٨	١٣٣٣	١٣٦٣	١٣٦٨	١٣٧٩	١٣٨٧	١٣٩٨	١٥٣٥	١٦٤٤	١٦٦٢	١٦٧٤	١٧١٠	١٧٢٤	١٧٩٤	١٨٢٠
١٩١٧	١٩٩٧	٢٠٨٦	٢١١١	٢١٤٩	٢١٥٠	٢١٦٤	٢١٦٥	٢٢٠٨	٢٢٠٩	٢٢٤٤	٢٢٤٥	٢٢٤٧	٢٢٥٥	٢٢٦٧	٢٢٦٨
٢٢٩٣	٢٢٢٤	٢٤٤١	٢٤٤٢	٢٥١١	٢٥١٢	٢٥٢٣	٢٥٢٤	٢٥٦٠	٢٥٧٣	٢٦٤٩	٢٦٥٠	٢٦٨٥	٢٦٨٧	٢٧١٥	٢٧٨٥
٢٩٩٢	٣٠٤٧	٣٠٤٨	٣٠٤٩	٣٠٦٧	٣٠٩٨	٣٠٩٩	٣١٠٣	٣١٧٦	٣٢٠٢	٣٢٣٣	٣٢٤٦				

الرضا

١٧١	١٧٢	١٧٣	١٧٤	١٧٥	١٧٦	٢٥٢	٢٧٦	٣٣٩	٣٦٢	٤٣٠	٤٤٨	٤٨٤	٥٤٢
٩٢٠	١٠٢٩	١٠٧٨	١٢٣٥	١٢٩٢	١٢٩٤	١٢٩٧	١٤٨٧	١٦٥١	١٦٦٦	١٦٦٧	١٦٨٠	١٦٨٧	١٦٩٦
١٧٧٢	١٧٧٣	١٧٧٧	١٧٧٨	١٩٨٨	٢٢١٣	٢٢٤٨	٢٢٨٩	٢٥٦٠	٢٥٩٠	٢٦٩٩	٣١٩٧	٣٢١٦	

التقوى

١٤٥	١٤٦	١٥٢	١٥٣	١٥٤	٦٨٦	٧٠٤	٨١٢	٨١٤	٨٢٠	٨٦١	٩١٠	٩٧٠	٩٨١	١١٣٣
١٢٧٩	١٣٣٤	١٧٢٧	٢٢٨٣	٢٥٨١	٢٦٦١	٢٧١٤	٢٨٧٢	٢٩٢٥	٢٩٥٠	٢٩٧٦	٢٩٧٧	٢٩٨٦	٢٩٨٧	٣٠٥٩

الزهد

١١٤٩	١٣٤٤	٢٥٨٠

الأُخوّة (الإِخاء)

٥٦	١٢٣	٢٩٩	٣٠٠	٣٠١	٣٠٦	٣١٥	٣٦٥	٣٨٠	٣٨١	٣٨٣	٣٨٤
٥٩٦	٨٢٦	٨٤٢	٨٨٤	٨٨٦	٨٨٧	٩٨٩	٩٩٠	١٠١٥	١١٣٢	١١٧٣	١٦٦٥
٢٠٢٤	٢٠٢٥	٢٠٢٦	٢١٣٦	٢١٣٧	٢٢٠٤	٢٦٠٤	٢٧٢٠	٢٩٠٦	٢٩٣٥	٣١٢٢	

علو الهمة

٩٠	٩١	١١٢	٢١٢٠

رابعًا: الأخلاق الحميدة

التواضع

٦	٥٩٧	١٤٧٤	١٨٦٦	٢٠٠٣	٢٠٥٠	٢٠٥٢	٢٠٥٦	٢٠٦٣	٢٠٦٤	٢٠٦٦	٢٢٥٦	٢٧٢٢	٢٨٠٤

سلامه الصدر

٩٤٧	٢٤٠٨	٢٨٤٩	٣٢٠٥	٣٢٠٦	٣٢٤٢

القيادة

١٣١١	١٤٤٦	١٦٨٨	١٦٨٩	١٩٧٤	١٩٧٩	٢٠٦٨	٢٠٦٩	٢٩٥٦

الإنصاف

١٢٣٤	٢٨٠٨	٢٨٠٩	٢٨١٠	٢٩٢٣

الأمانة

٢٨٨	٢٩٠	٤٢٠	٤٤٩	٤٧٤	١٨٩٠	٢٦١٤

العفة

٢٨٤	١٣٠٦	١٩١٩	١٩٢٢	٢١١٩	٢١٢١	٢١٢٨	٢١٢٩	٢١٣٠	٢١٣١	٢٢٨٣	٢٢٨٦	٢٣٠٧	٢٨٣٠

حفظ اليمين

٦٤٨

الإيجابيه

٥٨٩	٥٩١	٨٦٨	١٢٥١	١٢٥٢	١٦٧٢	٢٤٢٥

الإحسان

٤٤	٤٩	٥٠	٨١	١٨٣	٤١٦	٤٩٤	٥٨٣	٨٤٣	١١٠٦	١٣٩٣	١٤٩٦	١٤٩٧	١٦١٤	٢٠٥٤	٢١٣٤

٢١٧٢	٢١٧٣	٢٢٠٤	٢٨٦٩	٢٨٧٥	٢٩٢٤	٣٠٠٣	٣٠٩٠	٣٠٩١	٣١٧٨

الصدق

٤٥	٢٧٢	٢٧٣	٦٥٩	١١٣٤	١٢٩٩	١٣٠٥	١٣١٠	٢١٦٨	٢٦٦٦

حُسن الخلق

٨٤٧	١٠٨٩	١٣٠٣	٢٧١٦	٢٩٨٥	٣٠١١	٣٠١٢	٣٠٤٠	٣٠٩٤

الكلمة الطيبة

٦١	٦٢	٢١٨	٣٧٦	٣٧٧	٣٧٨	٣٧٩	٤٥٠	٤٦٥	٥٦٩	٦٤٦	٦٤٧	٦٦٦	٧٤٣	٨٨٥
١٠٠٩	١٠٦٣	١١٤٣	١٢٨٦	١٤٠١	١٤٦٨	١٥١٤	١٥٧٠	١٥٧١	١٥٧٢	١٥٧٣	١٥٧٤	١٥٧٥	١٧٣٥	١٨١٨
١٩٤٤	٢٢٨٥	٢٣١٧	٢٣١٨	٢٣٤٢	٢٤٤٦									

كظم الغيظ

٣٣١	٤٣٤	١٣٢٢	١٤٥٢	٢٣٨١	٢٥٧١

العفو

٦٤	٣٣٢	٥٦٨	٥٧٢	٦١٢	٨٤٨	٩٢٦	١٣٠٠	١٣٣٢	١٣٣٦	١٣٣٧	١٤٥١	١٤٥٢
١٤٥٣	١٤٦١	١٩٤١	١٩٤٢	٢٥٥٨	٢٥٦٧	٢٥٦٨	٢٥٦٩	٢٥٧٢				

حُسن الظن

٣٧	٤٣٣	٦٦٨	٧٨٥	٨٤٥	٨٤٦	١٠٨٦	١٣١٩	١٣٤٠	١٦٦٩	١٩٣٠	٢٢١١	٢٥٣٣	٢٥٥٧	٢٧٣٠

التفاؤل

٣٩٣	٤٠١	٤٣١	٤٣٢	٧٠٨	٩٤١	٩٩٦	١١٧٧	١١٨٥	١٢١٦	١٢١٧	١٣٣٨	١٤٤٤	١٦٢٧	١٦٧٩	١٧١٠	١٩٢٨	١٩٢٩	٢٠٧٧	٢٠٧٨	٣١٦٢

الرفق واللين

٦٣٠	١٠٩٤	١٧٤٧	١٧٤٨	٢٣٠٥	٢٤٣٠	٣٠٥٥	٣٠٥٦	٣٠٥٧	٣٠٩٠	٣٠٩١	٣١٢١	٣١٢٢	٣١٢٣

الحكمة

٧٦	٢٨٦	٥٠٦	٥١٠	٥١١	٦٠٦	٧٢٤	٨٨٥	١٢٥٩	١٣١٩	١٣٣٩	١٤٤٧	١٤٥٢	١٦٧١	١٦٩٠	١٧٥٥
١٨٠٩	٢٠٤٩	٢٠٥١	٢٠٥٧	٢٠٦٥	٢٠٦٧	٢٠٧٠	٢٠٧١	٢٠٧٢	٢٠٧٣	٢٢٥٠	٢٤١٠	٢٤٩٩	٢٥٠٠	٣٢٠٣	

الشجاعة

٤٠٠	١٢٧٨	٢٠٥٨

التغافل

٦٧٢	١٣٣٤	١٨٧٧	٢٩٩٥

كتمان السر

٤٤٩	١٣٣٠	٢٧٢٣

الرحمة

١٨٩	١٩٠	٤٩٠	٤٩١	٥٠٧	٥٤٨	٥٨٧	٥٨٨	٦٠٤	٦٤٥	٢٠٦٢	٢٢٣٠	٢٣٤٢	٢٨١٥

الهداية

٩٤	١٣٩٧	١٦٢٧	٢٠٨٤	٢٥٢٩	٢٨١٦	٢٩٣٨

العدل

١٤٩٧	١٨٠٩	١٨١٠	١٨١١	١٩٦٥	٢٠٥٥	٢٤٢٨	٢٨١٧	٢٩٠١	٢٩٩٣

الوفاء

١٨٦	١٦٩١	١٨٣٧	١٨٩٠	٢٠٤٥	٢٩٢٧	٣٢١٨

الحياء

٢٠٣٠	٢٠٥٣	٢١٢٨	٢١٢٩

الكرم

٤٩٣	٣٠٣٠	٣١٨٩

دفع الحسنة بالسيئة

١٢١	٤٥٨	١١٠٨	١١٠٩	١٢٤٧	١٢٤٨	١٢٤٩	١٣٠١	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩
١٩١٠	١٩١١	١٩١٢	٢٠٠٥	٢١٥١	٢١٥٢	٢٥٤١	٢٥٤٢	٢٥٤٣	٢٥٤٤	

الإتحاد

٢٩١٠	٢٩٣٥	٢٩٣٦

خامسًا: الأخلاق الذميمة

قول الزور

٥٨٤	١٨٦٣	١٩٣٨	٢٨٧٦	٢٩٦٠

الفسق

٦١١	١٦٤٦	٢١٤٢	٢١٧٨	٢١٨٦	٢٦١٠

نقض العهد

١٤٩٨	١٤٩٩	١٥٠٠	٢٩٣٠	٣٠١٦

البخل

٤٥٧	٣٠١٦	٣٠٢٠	٣٢٣٨

التنازع

٣٥٨	٩٨٣	٢٠٩٦	٢٤٥٦	٢٤٥٧	٣١٣٦	٣١٣٧	٣٢١٤

الرياء

٦	١٩٩١	٢٤٦٨	٣٠٢١	٣٠٢٢

الاشاعة

١٥٦١	١٩٣١	١٩٣٨	٣٠٢٩

الكذب

٢١	٢٨	٦٠٨	٦١٥	٦١٧	٦٨٠	٦٨١	٨٠٧	٨٠٨	٨٦٦
٨٩٩	١٤٩٥	١٥٠٤	١٥٦٠	٢٠١٤	٢١٦٩	٢٧٤١	٣٠١٥	٣٠٨٢	

سوء الظن

٢٣١	١١٩١	١٩٣٢	٢٨٨٢	٢٨٨٣	٢٩٧٣

المكر

١٦٢	١٦٣	٢٥٥	٦٣٧	١١٦٠	١١٦٣	١١٦٤	١٢٦٢	١٣٠٧	١٤٧٧	٢٠٨١	٢٠٨٢	٢٣٦٦	٢٣٦٧	٢٤٩٥

الإسراف والتبذير

١٥٥٣	٧٧٦	٧٧٥

الأثرة

٤٢

استصغار الذنب

١١٨	٩٠٠	٩٠٢	٩٠٣	٩٠٤	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	٢٢٦٣

الخيانة

٥٢٠	٥٢١	٥٢٢	٥٢٣	٦١٥	٦١٧	٩٦٩	٩٩٩	١٠٠٠	١٤٧٦	٢٩٩٨

اللمز

٦٠	١٠٨١	٢٧٢٣

السخرية

٦٠	٦٣	٦٣٢	٧١٩	١٥٨٠	١٧٥٤	١٩١٦	٢٢٦٩	٢٤٢٣	٢٤٩٦	٢٧٢١	٣٠٣٢

الجحود

١١٥٦	١٤٠٤

معاداة المؤمنين

٩٤١	١٢١٤	٢٣١٣	٢٨٨١	٢٩٦٠	٣١٤٠

الظلم

٧٢	٧٤	٧٥	١٨٢	٢٢٩	٢٣٠	٣٩٤	٤٢٢	٥١٦	٥٢٨	٥٣٥	٥٦٨	٥٧٥	٥٧٦	٥٧٧
٥٨٠	٦٠٥	٦١١	٦٨٩	٨٣٩	٨٣٢	٩٦٦	١٠٤٢	١٠٤٣	١٠٩٢	١١٦٤	١٣٤٨	١٤١١	١٥٥٨	١٥٥٩

١٢٦٤	١٧٥٠	٢٠٩٧	٢١٠٦	٢١٠٧	٢١١٣	٢١١٤	٢١٣٩	٢١٤٠	٢١٤١	٢١٤٧	٢١٥٤	٢١٥٩	٢١٨٢	٢٣٤١
٢٣٥٣	٢٣٥٤	٢٣٥٥	٢٣٦٨	٢٤٩٧	٢٥٧٠	٢٦٣٥	٣٠١٧	٣٠١٨	٣٠١٩	٣٠٤١	٣١٦٥	٣١٨٣	٣٢٠٧	

الجدال

٨٤٩	٩٢٨	١٦٥٨	١٦٥٩	١٦٦٠	١٦٦١	١٨٤٢	٢٢٥٨

شهادة الزور

٨٣	٢٤٨	٢٠٠٧

اللغو

١٨٨٦	١٨٨٧	١٨٨٨	٢٧١٨	٢٧١٩

التبرير

١٤٨٠	٢٥٨٢

المن والاذي

٢٨٠٦	٢٨٥٣

اللهو

٢٩٦٢	٢٩٦١	٢٨١٤

التجسس

٢٧٢٦	٢٤٣٣

الغيبة

٢٧٢٧	٢٧٢٨	٢٧٢٩	٢٧٣١	٢٧٣٢	٢٧٣٣

سادسًا: معاصي الجوارح

الرشوة

١٤١	٢١١	٦١٠	٦٢٣	١٥٨٦	١٩٦١

اليأس

١٤٤٣	٢٤١٥

الزنى

٤٩٨	٧٨٠	١٢٨٠	١٥٥٧	١٩٢١

الربا

٢٣٦	٢٣٧	٢٣٨	٢٣٩	٢٤٠	٢٤١	٣٢٥

السرقة

٢١١	١٥٨٦

قتل النفس

٥٠٢	٥٠٣	٥٠٥	٥٩٨	١٥٥٨	١٧٤٥

القذف

١٩٢٧

أكل الحرام

٦٠٣	٦٠٩	٩٠٥	٣١٣٥

الخمر

٦٤٩	٢٧٩٧	٢٧٩٨

الشرك

٦٨٩	٧٣٢	١٧٣٤	١٨٤٧	٢٢٥٢	٢٢٩٠	٢٤٧٤

كتمان الحق

١٠٦	٥٥٢	٨٥٣	٨٧١	٨٩٤	١٣٩٥	٢٣٨٦	٢٧٣٨	٢٧٤١

الفتنة

١٠٧٣

سابعًا: معاصي القلوب

العجب

٦	٢٥	٤٦٩	٧٦٠	٨٠٠	١٠٢٣	١٠٢٧	١١٦٥

الحسد

٤٤٦	٤٤٧	٤٧٠	٤٧١	٨٢٥	١٦٣٣	١٧٧٥	٢٥٨٤	٢٥٨٥	٢٥٨٦	٢٦٩٧	٣٠٢٦	٣٠٢٧	٣٢٤٧	٣٢٤٨

النفاق

٢٦	٢٣	٣٠	٣١	١٩٢	٣١٦	٣١٧	٣١٨	٤١١	٤٧٦	٤٨٢	٤٩٥	٤٩٦	٤٩٧	٥٠٠	٥٥٥
٥٦٢	٥٦٣	٦٢٣	٦٢٤	٧٥١	٧٦٨	٨٦٧	٩٨٤	١٠١١	١٠٥٨	١٠٧١	١٠٧٢	١٠٧٤	١٠٧٦	١٠٨٢	١٠٨٣
١٠٨٤	١٠٨٥	١٠٨٧	١٠٩١	١٠٩٥	١٠٩٧	١٠٩٨	١١٠٧	١١١٥	١١٤١	١١٥٨	١٣١٢	١٩٦٢	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
١٩٦٩	٢١٦٧	٢١٧٧	٢١٨٦	٢٢٧٥	٢٢٧٦	٢٢٧٧	٢٣١٥	٢٤٢١	٢٤٧٣	٢٦٧٢	٢٦٧٦	٢٦٧٩	٢٦٨٣	٢٦٨٩	٢٧٢٥
٢٧٣٣	٢٧٣٤	٢٧٥٩	٢٨٥٥	٢٩١١	٢٩٣١	٢٩٥١	٢٩٥٢	٢٩٥٣	٢٩٥٤	٢٩٥٥	٢٩٥٨				

الكبر

٢٢	٢٦	٢٧	١٢٨	١٦٤	٣٨٢	٤٥٦	٦٦٠	٧٧٩	٧٩٧	٧٩٨	٨٢٣	٨٦٩
٨٧٢	٨٨١	١٦١٩	١١٧٥	٢٠٤٤	٢٠٥٩	٢١٣٨	٢٢٥٦	٢٣٩٦	٢٤٩٨	٢٦٢٠	٣٠٨٨	٣١٢٧

الغفلة

٦٣٦	٦٣٩	٦٩٢	٧٠٣	٧٩٣	٨١٩	٩١٦	٩٢٤	٩٥٥	١١٧٤	١١٨١	١٢١٣	١٣٥٩
١٦١٢	١٦٣١	١٦٣٨	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٩٨	٢٣٣٥	٢٥٤٨	٢٨٦٢	٢٨٧٨	٢٨٧٩	٢٨٩٥	٣٢٢٧

حب الدنيا

٥٦	٥٧	٥٩	٧٥٨	٢٨٥٩	٣١٥٦	٣٢٢٨

اتباع الهوى والشهوات

٥٢	٥٣	١٤٣	٤٣٦	٤٣٩	٥٠١	٥٣٠	٥٤٩	٦٠٧	٦١٤
٦٣٨	٧١٨	٧٥٩	٧٦١	٧٧٩	٨٠١	٨٦٣	٨٦٥	٨٩٨	٩٠١
٩١٢	٩١٣	٩١٤	١٠٤٦	١٠٤٧	١١٨٠	١٢١٢	١٢٣٧	١٣٩٦	١٤٤٩
١٤٧٢	١٨٨٩	١٩٦٣	٢٠١٠	٢١٤٦	٢١٨٩	٢٢٤٩	٢٢٥٩	٢٢٨٤	٢٣٩٦
٢٣٢٣	٢٤٨٣	٢٥٨٧	٢٥٩٤	٢٥٩٥	٢٦٠١	٢٦٢٩	٢٦٣١	٢٧٩١	٢٨٦٠

حيل إبليس

٢٦٠	٥٣٢	٦٥٠	٧٥٠	٧٥٢	٧٥٤	٧٥٦	٧٥٨	٨٠٥	٨١٦
٨١٧	٩٠٩	١١٠٢	١٢٥٦	١٢٥٧	١٢٦١	١٤٢٥	١٥٥٦	١٥٨٢	١٥٨٣
١٥٨٤	١٥٨٥	١٥٨٦	١٨٧٢	١٨٧٣	١٨٧٤	٣٢٥٠	٣٢٥١		

ثامنًا: تصحيح مفاهيم

تصحيح مفاهيم

١٤٤	١٨٤	٢١٥	٢٥٣	٢٨٣	٢٩٣	٣٥٧	٣٦٠	٥٠٤	٦٧٩	٧١٧	٧٤١	٧٧٧	٧٩٢
٨٠٦	٨٢٤	٨٧٥	٩٠٦	٩١٥	١٠١٠	١٠٦٢	١٠٨٠	١١٤٤	١١٥٣	١٢٠٧	١٢٠٨	١٢١١	١٣٧٨
١٣٨١	١٣٨٨	١٤٥٤	١٥٠٥	١٥٠٦	١٥١٧	١٥١٨	١٥٢٩	١٥٦٢	١٥٧٧	١٦٠٠	١٦٣٠	١٦٥٦	١٧٠٩
١٧٥٩	١٧٦٨	١٧٧١	١٧٩٠	١٨٤٤	١٨٤٥	١٨٥٧	١٨٦٨	١٩٧٧	١٩٩٦	١٩٩٨	٢٠٠١	٢٠٠٨	٢٠١٨
٢٠٣١	٢١٦٠	٢١٦٤	٢٢٣٣	٢٣١٢	٢٣٢١	٢٣٣٠	٢٣٤٨	٢٤٢٩	٢٤٣١	٢٥٧٩	٢٥٨٩	٢٧٥٤	٢٨٤٠
٢٨٦١	٣٠٥٠	٣١٠٥	٣٢١٧										

تاسعًا: أسباب نزول

اسباب نزول

١٤٢	٢٥٠	٢٨٩	٤٠٤	٤٢٩	٤٧٣	٤٩٩	٥٠٩	٥٣٨	٦١٣	٧٣٥	٩٠٧	٩٥٣	٩٥٤
١٠١٦	١٠٨٣	١٠٩٦	١٥٣٨	١٥٧٩	١٦٩٧	١٧٢٣	١٨٤٦	١٨٧٥	١٩١٦	١٩٥٦	١٩٦٠	١٩٧٣	١٩٩٠
١٩٩٢	١٩٩٩	٢٠٣٩	٢٠٤٠	٢١٦٣	٢١٩١	٢٢٢٣	٢٢٧٢	٢٢٨٠	٢٢٩٥	٢٤٦١	٢٥٣٢	٢٥٣٧	٢٥٥٤
٢٥٥٥	٢٥٨٤	٢٦١٢	٢٦١٩	٢٦٦٥	٢٦٩٣	٢٦٩٦	٢٦٩٨	٢٧٠٤	٢٧٠٨	٢٧١١	٢٧١٢	٢٧١٣	٢٧١٧
٢٨٠٥	٢٨٧١	٢٨٨٦	٢٨٩٠	٢٨٩٢	٢٨٩٣	٢٩١٩	٢٩٢٦	٢٩٥٧	٢٩٥٩	٢٩٧١	٢٩٧٦	٣٠٠٢	٣٠٣٧
٣٠٦٨	٣٠٨٥	٣٠٨٩	٣١٩٠	٣٢٣٩	٣٢٤١								

اسباب تسمية

٢٧٠١	٢٧٠٠	٢٦٩٢	٢٦٢٨	٢٦٢٣	٢٦١٠	١٧٣٧	٤٩٣	٣٢٩	٢٥٠
٣١٨٧	٢٨٦١	٢٨٤٥	٢٧٩٦	٢٧٩٥	٢٧٨٧	٢٧٧٥	٢٧٧٠	٢٧٠٣	٢٧٠٢

عاشرًا: معاملات

الإخوة

١٣٦٦	١٧١٢	١٧٤٣	١٧٥٦	١٩٧١	١٩٧٢

الوالدان

١٥١٦	١٥٤١	١٥٤٢	١٥٤٣	١٥٤٤	١٥٤٦	١٥٤٨	١٥٤٩	١٦٧٨
١٧٠٨	٢١١٢	٢١٧٢	٢١٧٣	٢١٧٤	٢٢١٧	٢٦٣٩	٣٩٢٢	

الذرية

١١٩٢	١٢٢٣	١٢٢٤	١٢٦٠	١٣٦٦	١٤١٠	١٦٦٤	١٦٨١	١٦٨٢	١٦٨٣	١٦٨٤	١٦٨٥	١٩٧٠	٢٥٧٥	٢٧٧٢

الصحبه

٧٢٠	٧٦١	٧٦٥	٩٧٣	١٠٥٠	١٠٥٧	١٦٢٨	١٦٢٩	١٦٤٤	١٧٤١	٢١٣٣	٢٢٧٩	٢٣٩٩

الزواج

١٣٧	١٨٢	١٨٥	١٨٧	١٨٨	٤٥٢	٤٥٣	٥٣٩	٥٤٠	٥٥٠	١٣٦٦	١٩٤٥
٢٢٢٨	٢٢٢٩	٢٢٩٤	٢٦٠٥	٢٩٢٨	٢٩٣٣	٢٩٧٩	٢٩٨٠	٢٩٨١	٢٩٩٠	٢٩٩٢	٣٠٠١

معاملات

٢٤٦	٤٢٣	٤٢٤	٤٥٢	٢٢٤٢	٢٢٧٣	٣٠١٢	٣٠٤٤	٣٠٥٥	٣١٩٤

حادي عشر: سنن ربانية

شؤم المعصية

٣٧٣	٥٢٧	٥٣٤	٦١٨	٦٦١	٦٦٢	٦٩٩	٧٤٥	٧٤٨	٧٨٨	٨٠٤
٨٣٩	٨٤٠	١٣٣٠	١٦٩٣	١٧٢٨	١٧٧٠	١٧٧٨	٢٤٥٠	٢٤٩٠	٢٦٧٧	٣١٨٥

عاقبة الظالمين

٥٩٥	٦٢٥	٦٧٧	٧٠٢	٧١٣	٧٢٥	٧٦٩	٧٧٠	٨٠٩	٨١٠	٨٦٢	٩٥٢	٩٦٧	١٠٠٥	١٠٣١
١٠٣٢	١٠٦١	١٠٦٨	١٠٦٩	١٠٩٩	١١٣٩	١١٤٠	١٢٢١	١٢٣٣	١٢٣٩	١٢٤٠	١٢٤٦	١٣٥٣	١٣٥٤	١٣٥٨
١٤١٥	١٤٦٧	١٤٦٨	١٤٩٥	١٥١٩	١٥٢١	١٥٢٨	١٥٣٢	١٥٩١	١٥٩٣	١٥٩٤	١٥٩٥	١٦٠٤	١٧٨٥	١٩٨٩
٢٠٨٠	٢١٠٠	٢١٤٣	٢١٤٤	٢١٤٥	٢١٧٩	٢١٨١	٢١٨٧	٢٢٣٦	٢٢٣٨	٢٢٣٩	٢٣٨٧	٢٣٨٨	٢٣٨٩	٢٣٩٠
٢٣٩٣	٢٣٩٨	٢٤٠٧	٢٤٣٩	٢٤٤٣	٢٤٤٤	٢٤٥٤	٢٤٩١	٢٤٩٢	٢٥١٠	٢٥٣٠	٢٥٣٤	٢٥٣٥	٢٥٧٤	٢٥٩١
٢٥٩٦	٢٦٠٢	٢٦٤١	٢٦٥٧	٢٦٨٠	٢٦٨١	٢٦٩٠	٢٧٠٥	٢٧٤٨	٢٧٦٦	٢٨١٣	٢٨٢٥	٢٨٢٦	٢٨٤٢	٢٨٥٦
٢٩١٦	٢٩٣٣	٢٩٦٦	٣٠٠٨	٣٠١٧	٣٠١٨	٣٠١٩	٣٠٣١	٣٠٤١	٣٠٤٢	٣٠٤٣	٣٠٤٦	٣٠٧٧	٣٠٧٨	٣١٠٨
٣١٠٩	٣١١٦	٣١١٧	٣١٢٠	٣١٣١	٣١٤٠	٣١٤٠	٣١٤٢	٣١٤٧	٣١٤٨	٣١٤٩	٣١٦٥	٣١٦٧	٣١٧٣	٣١٨٤
٣١٨٨	٣٢١٥	٣٢٢٤	٣٢٢٥	٣٢٣٠										

عاقبة المتقين

٢٥٨	٣٢٠	٤٥٩	٤٦١	٤٦٨	٥٩٢	٨٢٨	٨٧٨	٩٢٤	٩٩٣	١١٦١	١١٣٧	١١٥٢	١٢٠٣	١٣٦٧
١٣٧٥	١٤٦٦	١٤٧٥	١٤٧٨	١٥٢٠	١٥٢٣	١٧٦٨	٢١٦٢	٢٤٤٥	٢٥٠٦	٢٥٥٣	٢٦١٥	٢٦٥٣	٢٦٦٧	٢٧٧١
٢٧٧٣	٢٧٧٥	٢٧٧٦	٢٧٧٧	٢٧٨٢	٢٧٨٣	٢٨٢٧	٢٨٢٨	٢٨٢٥	٢٨٣١	٢٨٣٢	٢٨٣٩	٢٨٤٠	٢٨٥٠	٢٨٥٤
٢٨٧٣	٢٨٩٧	٢٨٩٨	٢٩١٣	٢٩١٨	٢٩٦٩	٣٠٠٨	٣٠٨٧	٣٠٨٩	٣٠٩٧	٣٠٩٨	٣١٠١	٣١٣٠	٣١٤٣	٣١٥٩
٣١٦٠	٣١٧٤	٣١٧٥	٣١٨١	٣٢١١										

الابتلاء

٣٧١	٣٧٢	٣٧٤	٤٠٢	٦٩٦	٧٥٥	٧٨٧	٨٧٦	٩٢٠	٩٥١	١٣٢٩	١٣٩٢	١٣٩٣	١٤٢٨	١٦١٣
١٧٩٤	١٧٩٥	١٧٩٦	١٨٢١	١٨٢٢	٢١٦٩	٢٣٣٧	٢٣٥٩	٢٤١٤	٢٤٦٩	٢٦٨٥	٣١٦٨			

الاستدراج ولاهمال

٤٠٢	٧٠٠	٧٠١	٩٧٨	٩٧٩	١٧٩٧	١٨٩٧	٣٠٢٤	٣٠٢٥	٣٦٦٦

الجزاء من جنس العمل

١٤٧	٦٧٨	٧٧١	١٣٣٩	١٤١٨	١٤٢١	١٥٨٨	١٦٤٧	١٦٦٤	١٧٢٥	١٧٥٧	١٩٢٥	١٩٤٣

غلبة الحق

٧٨٨	١٧٨٩

سنن ربانية

٣٤٣	٣٤٥	٣٥٦	٦٥٢	٨٥٤	١٢٦٤	١٢٦٥	١٣٠٨	١٣٠٩	١٣١٧	١٣٣١	١٣٥٧	١٤١٨	١٤٢١	١٦٣٦	٢٦٨٢

ثاني عشر :الأحكام

الطلاق

١٨٧	١٨٨	٢٩٧٩	٢٩٨٠	٢٩٨١	٢٩٩٠	٢٩٩٢

أحكام فقهية

١٨٨٤	١٩٢٠	١٩٢٣	١٩٢٤	٢١٧١	٢٣٠٤

ثالث عشر :لغويات

لغويات

١٢٠	١٦٩	١٨٨	٣٧٥	٥٧٣	٧٤٢	٩٦٣	٩٦٤	١٠٣٩	١٠٦٧	١٢٨٢	١٣٤٥	١٤١٤	١٤٦٤
٢٠٧٩	٢١٠٥	٢١٠٨	٢١٥٨	٢١٨٠	٢٢١٠	٢٢٢٩	٢٢٦١	٢٢٦٣	٢٢٧٨	٢٣٠٦	٢٣٢٨	٢٤٤٩	٢٤٥٥
٢٤٦٠	٢٤٨٢	٢٥٩٨	٢٦٠٣	٢٦١٧	٢٦١٨	٢٦٣٦	٢٦٧٧	٢٦٧٨	٢٦٦٤	٢٧٥٥	٢٧١٩	٢٧٨٤	٢٧٩٦
٢٨٢١	٢٨٣٣	٢٨٣٩	٢٨٤٦	٢٧٤٧	٢٨٨٧	٢٨٩٩	٢٩٠٤	٢٩٥٤	٢٩٦١	٢٩٦٦	٣٠٤٥	٣٠٤٦	٣٠٦٠
٣٠٦٤	٣٠٦٩	٣٠٧٢	٣٠٨٣	٣٠٩٥	٣١٠٠	٣١٠٢	٣١١٤	٣١١٠	٣١١١	٣١١٨	٣١٣٠	٣١٥٩	٣١٦٠
٣١٦١	٣١٦٤	٣١٨٠	٣١٩٣	٣٢٠١	٣٢٠٢	٣٢١٣	٣٢١٩	٣٢٢٠	٣٢٢٢	٣٢٣٦	٣٢٣٧	٣٢٤٣	

الفهرس

الإهداء ٣
مفاتيح التدبر العشر ٤
دليل استخدام الكتاب ٥
أنت شريكي فى الأجر والنشر ٦
رابط الكتاب المسموع ٧
خارطة الطريق ٨
المقدمة ٩
الفوائد التدبرية ٢٥

الجزء الأول – عدد الفوائد ٨٣ .... ٢٥
الجزء الثاني –عدد الفوائد ١١٣ .... ٣٧
الجزء الثالث –عدد الفوائد ١٠٠ .... ٥٣
الجزء الرابع – عدد الفوائد ١٣٨ .... ٦٧
الجزءالخامس– عدد الفوائد ١٣٣ .... ٨٣
الجزء السادس–عدد الفوائد ٧٨ .... ١٠١
الجزء السابع– عدد الفوائد ١٠٤ .... ١١٣
الجزء الثامن–عدد الفوائد ١٠٦ .... ١٢٧
الجزء التاسع –عدد الفوائد ١٢٢ .... ١٤١
الجزء العاشر–عدد الفوائد ٨٠ .... ١٥٧
الجزء الحادى عشر–عدد الفوائد ٩٧ .... ١٧٣
الجزء الثانى عشر– عدد الفوائد ١٠٦ .... ١٨٧
الجزء الثالث عشر– عدد الفوائد ١١٣ .... ٢٠١

الجزء الرابع عشر -عدد الفوائد ٨٩ .... ٢١٥
الجزء الخامس عشر- عدد الفوائد ١٦٣ .... ٢٢٧
الجزء السادس عشر-عدد الفوائد ١٠٧ .... ٢٤٩
الجزء السابع عشر-عدد الفوائد ١٠٤ .... ٢٦٥
الجزء الثامن عشر-عدد الفوائد ١٠٣ .... ٢٨١
الجزء التاسع عشر-عدد الفوائد ٩٥ .... ٢٩٧
الجزء العشرون- عدد الفوائد ١٢٠ .... ٣١٣
الجزء الحادى العشرون - عدد الفوائد ٧٩ .... ٣٢٩
الجزء الثاني والعشرون- عدد الفوائد ٩٩ .... ٣٤٣
الجزء الثالث والعشرون- عدد الفوائد ٧٩ .... ٣٥٩
الجزء الرابع والعشرون- عدد الفوائد ٨٧ .... ٣٧١
الجزء الخامس والعشرون -عدد الفوائد ٨٦ .... ٣٨٥
الجزء السادس والعشرون-عدد الفوائد ١٢١ .... ٣٩٩
الجزء السابع والعشرون- عدد الفوائد ١١٧ .... ٤١٧
الجزء الثامن والعشرون-عدد الفوائد ١٢٩ .... ٤٣٣
الجزء التاسع والعشرون- عدد الفوائد ١١٠ .... ٤٥٣
الجزء الثلاثون- عدد الفوائد ١٣٩ .... ٤٦٩
الفهرس الموضوعى ٤٩٣
الفهرس ٥٠٨

صدر للمؤلف

١) شباب جنان:

كتاب يستهدف الشباب، فالشباب بذرة غالية منحها الله لكم يا شباب، وترك لكم أن تختاروا الأرض التي تبذرون فيها.

٢) معًا نصنع الفجر القادم:

كتاب يبث الأمل في القلوب ويبشِّر بحتمية الانتصار عن طريق إشاعة: خماسية الألم، وخماسية الأمل، وخماسية السُّنن، وخماسية العمل، وخماسية الهمم.

٣) رُدَّ إليَّ روحي (بجزءيه: بأي قلب نلقاه وجرعات الدواء):

موسوعة قلبية شاملة موضوعها القلوب.

٤) هبي يا ريح الإيمان (كتاب + كتيبات متفرقة):

كتاب يحوي عشر نسمات تهدف إلى زيادة الرصيد الإيماني ودعم الذاتية التعبدية.

٥) سباق نحو الجنان:

كتاب يتناول صفات القلوب المتسابقة نحو الآخرة، ورسوم الاشتراك في السباق، مع ذكر الواحات التي تأوي إليها القلوب، والعقبات التي تعترضها.

٦) صفقات رابحة (كتاب + كتيبات متفرقة):

عشر صفقات تعبِّر عن عشر عبادات متنوعة تتضمن كل صفقة منها: تسهيلات الصفقة أي ما يعينك عليها، وأرباحها وتشمل ثوابها الذي يدفعك إليها، والشروط الجزائية.

٧) رحلة البحث عن اليقين:

يتناول معنى اليقين، وكيف غرس النبي ﷺ اليقين، والعقبات التي تحول دونه، وتوائم اليقين، وكيف الوصول إليه.

٨) أول مرة أصلي:

وهي رائعة من روائع ابن القيم، هذَّبتها وبسطَّتها وشرحتها وأضفت إليها أضعاف معانيها، لتجعل بإذن الله لصلاتك طعما آخر ومذاقا أروع.

٩) ونطـق الحجـــــاب:

وهـي رسـالة تخاطـب الأخـت المسـلمة تعلمهـا االطريـق إلى أفضـل حجـاب مـن خـلال سردهـا لثمـرات الحجـاب المزهـرة، وأشـواك التـبرج المهلكـة، ويركّز الكتـاب عـلى الحجـاب كسـلوك قبـل أن يكـون زيّـا.

١٠) ليلى بين الجنة والنار:

لـكل قيس ليلى، وليلى عند أصحاب الآخـرة في الجنـة، وهو كتابان في كتـاب واحد، أحدهمـا عـن الجنـة ونعيمهـا والطـرق المؤديـة إليهـا، والثـاني عـن النـار وجحيمهـا وطـرق الوقايـة منهـا.

١١) يا صاحـب الرسالـــة:

كتـاب يخـاطب مـن حمـل دعـوة الإسـلام، واحـترق قلبـه كمـدا عـلى حـال أمتنـا، فأضـاء بهمتـه ما حولـه.

١٢) الحرب على الكسل (١٠ طلقات في قلب الكسل):

كتـاب يسـتهدف عـلاج الفتـور والتعامـل الصحيـح مـع مواسـم الكسـل، وذلـك عبر عشر خطوات ناجعـة هـي أقـرب إلى خارطـة طريـق واضحـة توصـل إلى الهمـة العاليـة والعـزم الفتـي.

١٣) وغرَّد قلبي:

كتـاب يجمـع أفضـل مـا نـزل عـلى صفحتـي عـلى الفيـس وتويـتر مبوَّبـة منسـقة، وتشـمل مواضيع مختلفة، وبمثـل وجبة خفيفـة لمن لا يحب القـراءات المطولـة، وهـو يحـوي قرابـة الألـف تغريـدة.

١٤) جنتان:

ويشـمل الآثـار الطيبة للحسـنات، مع فتح أبـواب الرجاء، وتغليب مدرسـة الترغيب.

١٥) ينابيع الرجاء:

كتـاب مـن جزءيـن؛ يحـوي سـتين سُـنَّة ربانيـة وبشـارة إلهيـة، مسـتقاة مـن القـرآن والأحاديـث، وهدفهـا: بـث روح الأمـل، واليقـين بحسـن عاقبـة المتقـين، وسـوء عاقبـة الفجـار والظالمـين.

١٦) وتستمر المعركـة:
كتـاب يهدف إلى تجسيـد عـداوة الشيطـان لديـك إلى عداوة حسيـة ملموسـة، وعلى شكل معركـة.
١٧) درجات ودركات : أول صفوف أهل الجنة ، وأسفل دركات النار:
كتـاب يتنـاول ميـزان تفاضـل الأعـمال، وأثقلهـا في الميـزان، وكيـف أن ذلـك سـبيل لنيـل أعـلى الدرجـات في جنـة الرضـوان، كـما يتنـاول (أي الذنـب أعظـم)، وذلـك لتعـرف أن بعـض الذنـوب أثقـل في ميزان العبـد مـن بعضهـا كـما هـو في الحسـنات.
١٨) هنيئا لمن عرف ربه:
كتـاب عـن أبـرز الأسـماء الحسـنى، وهـو مقسَّـم إلى جزءيـن: أسـماء الجمال وأسـماء الجلال، والهـدف بلـوغ شـاطئ الخـوف والرجـاء، ويعـرض لما يزيـد عـن ثلاثـين اسـما مـن أسـماء الله تبـارك وتعـالى.
١٩) روائع العبادات والمعاملات والقلبيات:
ثـلاث كتـب تحـوي أبـرز تغريداتي عـلى صفحات التواصل مفهرسـة حسـب الموضوع.
٢٠) أول سؤال إجباري:
رسـالة عبـارة عـن كراسـة عمليـة تعـين كل مقـصِّر في صلاتـه عـلى الانتظـام في الصلاة بالترغيـب والترهيـب والوسـائل العمليـة.
٢١) داء ودواء:
كتاب يناقش ١٥ داء ودواء من أمراض القلوب والجوارح.
٢٢) علامـة استفهام: كتـاب فيـه إجابـة ٧٥ سـؤال مـن التـي أجابهـا الدكتـور خالـد عـلى موقـع الأسـك.
٢٣) جعلنـاه نـورا: أكثـر مـن ٣٢٠٠ فائـدة تربويـة تشـمل الثلاثـين جـزءا، ليكـون رفيقـا للمتهجِّديـن، وعونـا للمتدبريـن، وكل جـزء لـه فوائـده التدبريـة الخاصـة بـه، مـع شرح عـشر مفاتيـح لتدبـر القـرآن.
٢٤) قلـوب أمـام المرآة: كتـاب يعـرض لصفـات المنافقـين وأقسـام النفـاق الأربعـة، كالنفاق العبـادي والسـلوكي والاجتماعي والحركـي، والتعـرض لأسـباب النفـاق، وعـلاج النفـاق.

مفاتيح التدبر العشرة

1 **الفهم أولًا:**
اعرف معنى الكلمات التي تقرؤها من أحد كتب التفسير المعتمدة

2 **شدة الاحتياج:**
لابد من احتياجك لهداية القرآن وأنواره وأنك بدون أنواره من الضالين

3 **القراءة في الصلاة:**
قراءة القرآن في الصلاة وداخل المسجد أجمع للقلب والهمة وأعون على التدبر

4 **القراءة ليلًا:**
الليل محل الأعطيات وتنزل البركات وخاصة الثلث الأخير منه

5 **تكرار الآيات:**
تكرار الآية يؤدي بالمعنى إلى الاستقرار وبالتالي إلى الأخبار

6 **الترتيل وعدم التعجل:**
التأني في القراءة يجعل المعاني في متناول قلبك ليعيها

7 **الجهر بالقراءة:**
رفع صوتك بالتلاوة يجعل قلبك أسمع للقراءة

8 **تحسين الصوت بالتلاوة:**
صوتك الجميل سيتسلل إلى القلب، ويسري في الروح

9 **التفاعل مع الآيات:**
دعاؤك بالرحمة عند آيات الرحمة، وسؤال الله الجنة عند آيات الجنة والتعوذ من النار عند آيات العذاب

10 **التخلص من موانع الفهم:**
وهي الذنوب والكبر واتباع الهوى والتي تشكل حجابًا يحول دون أنوار القرآن للقلب

في هذا الكتاب

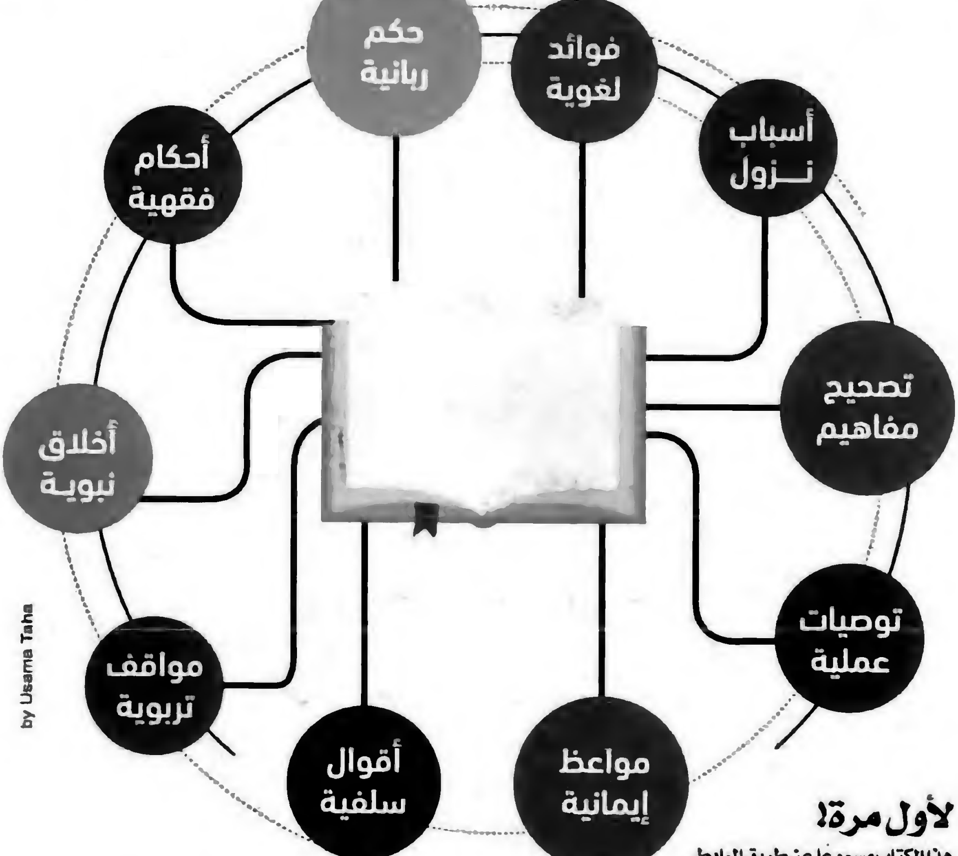

by Usama Taha

لأول مرة!

هذا الكتاب مسموعًا عن طريق الرابط

Khaled Abu Shadi
@khaledabushadi
khaledabushadi
http://thearchive.me/ask/KhaledabuShadi/

9 789774 565174

دار الأندلس الجديدة
للنشر والتوزيع